





إلى ٱلْعُلُوم ٱلْعَرَبِيّةِ

تاكيف

المَلَّامَةُ اللِّغُوَيِّ النَّاقِرالأُديب

جُسِين بن أَجْ مَدَ بن جُسِين المرْصَفِيّ

مدرِّسُ العُلوم العَربيَّةِ وَعُلوم الأدبِ بِدَارِ العُلوم الخديويَّة المَصريَّة

رَحمَهُ الله تعَالَىٰ (ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠م)

عني به الدّكتور محمّد عبدالرحمٰن شبيلنه الأهدل





الطّبْعَة الأولى ١٤٤٠هـ _ ٢٠١٩م جَمْيُع الحُقوق مَحْفِقُوظَة للنَّاشِر

كالإنكاق للنتي والتاقيق

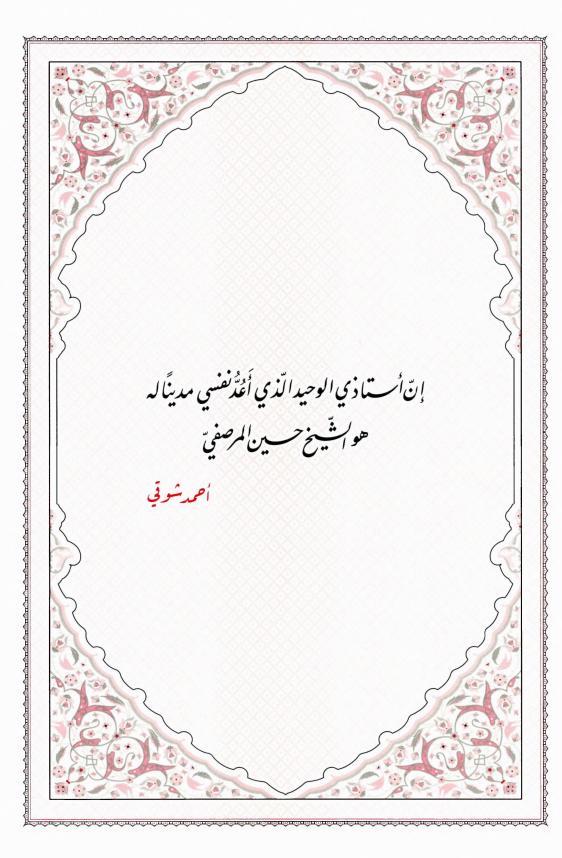
المملكة العربية السعودية _ جدة حي الكندرة _ شارع الملك فهد _ جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 6326666 12 6326666

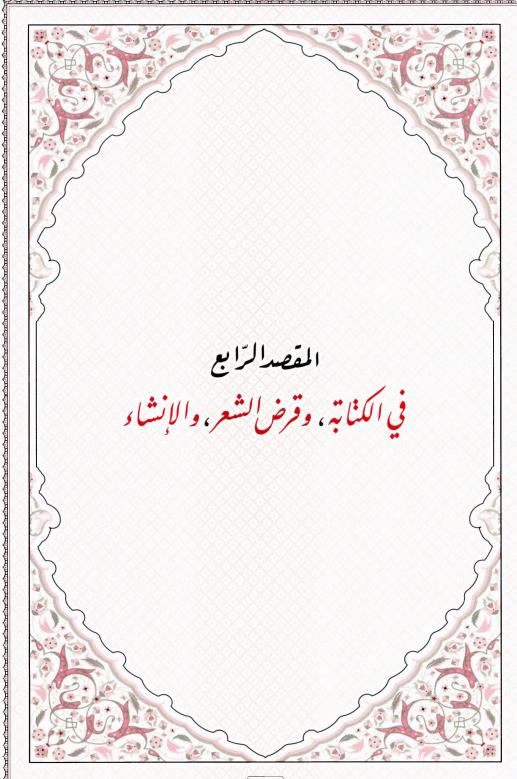
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392 ص. ب 22943 ـ جدة 21416

www.alminhaj.com E-mail: info@alminhaj.com

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6







 μ 0







[تعريفُ الكتابةِ]

ويُقالُ: عِلْمُ الخطِّ القياسيِّ في مقابلةِ خطَّينِ لا يُقاسُ عليهِما ؛ وهُما: خطُّ المصحفِ العثمانيِّ الذي تَحرُمُ مخالفتُهُ أو تُكرَهُ على خلافِ المذاهبِ في ذلك ، وخطُّ العَروضيِّينَ عندَ بيانِ أوزانِ الشعرِ .

وهيَ فنُّ معرفةِ الكتابةِ على الصُّورةِ المُصطلَحِ عليها .

وبيانُ ذلك : يَحسُنُ أن يكونَ في أربعةِ أبوابٍ ؛ اتِّباعاً لِمَنِ اختَصَّ بفضيلةِ ضبطِ هلذا الفنِّ عنِ انتشارٍ ، ومِنْ كتابِهِ المُسمَّىٰ به « المطالعِ النصريَّةِ » تلخيصُ ما سنُلخِّصُ ، رحمَهُ اللهُ تعالى ؛ الشيخُ أبو الوفاءِ نصرٌ الهورينيُّ ، إمامُ عصرِهِ وحافظُ وقتِهِ .

البابُ الأوَّلُ في الهمزةِ ، والأَلِفِ ، ونونِ التوكيدِ ، والتنوينِ ونونِ (إذاً) ، وهاءِ التأنيثِ

الكلامُ على الهمزةِ (١)

الهمزةُ وتسميتُها أَلِفاً يابسةً [نظراً] لتصويرِها في بعضِ الأحوالِ ؛ إذا كانَتْ أُوَّلَ كلمةٍ . . رُسِمَتْ مطلقاً أَلِفاً ، ولا تكونُ حينَئذٍ ساكنةً ؛ لِمَا ثبتَ في اللغةِ مِنْ عدمِ الابتداءِ بالساكنِ ، بل إذا كانَتْ ساكنةً أُوَّلَ أصولِ كلمةٍ وأُرِيدَ الابتداءُ بكلمتِها . . اجتُلِبَ لذلكَ الهمزةُ التي تُسمَّىٰ همزةَ الوصلِ ؛ مثلُ : أؤْمرْ ، أئتِ .

[أحوالُ الهمزةِ من حيثُ الرسمُ] ولهنذهِ الهمزةِ في الرَّسم أحوالٌ :

فتُرسَمُ أَلِفاً بعدَ الفاءِ والواوِ ؛ نحوُ : فأمرْ ، وأتِ ، وبعدَ غيرِهِما : فإن كانَتْ همزةُ الوصلِ مضمومةً ؛ مثلُ : اؤْمرْ . . رُسِمَتْ همزةُ الكلمةِ واواً ، وإن كانَتْ همزةُ الوصلِ مكسورةً ، نُطِقَ بها أو لم يُنطَقْ . . رُسِمَتْ ياءً ؛ مثلُ : ثمَّ ٱئتوا .

⁽١) قال الشيخ عبد اللطيف الخطيب في « أصول الإملاء » (ص ١٩) : (الهمزة حرف لا صورة له في الخط ، وهي تكتب غالباً بصورة الألف أو الواو أو الياء ؛ وذلك لأنها إن سُهِّلت . . انقلبت إلى الحرف الذي كُتبت بصورته) .

وقال العلامة نصر الهوريني في « المطالع النصرية » (ص $\Lambda\Lambda$) : (وأما وضع القطعة _ أي : التي هي كرأس العين « ء » _ في محل الهمزة إذا حُذفت أو فوق الياء أو الواو المصوَّرتين بدل الهمزة . . فذلك حادث بعد حدوث الشكل ؛ مراعاةً لتحقيق الهمز) .

وإذا وقعَتْ حشواً ؛ فإن كانَتْ ساكنةً . . رُسِمَتْ حرفاً مِنْ جنسِ الحركةِ السابقةِ عليها ؛ فتُرسَمُ أَلِفاً في نحوِ : رأسٍ ، وياءً في نحوِ : بئرٍ ، وواواً في نحوِ : نُؤي وسُؤْلٍ .

وإنْ كانَتْ مكسورةً . . رُسِمَتْ ياءً (١) ، وفي الواقعةِ بعدَ ضمَّةٍ خلافٌ بينَ سيبويهِ وتلميذِهِ الأخفشِ ؛ فالأخفشُ يقولُ برسمِها واواً حينَئذٍ ، واستحسنَ بعضُهُمُ الجريَ على مذهبِهِ إذا وقعَ بعدَها ياءٌ (٢) .

وإن كانَتْ مضمومةً . . رُسِمَتْ واواً ؛ مثلُ : رؤوفٍ .

وإن كانَتْ مفتوحةً . . رُسِمَتْ بعدَ فتحةٍ أَلِفاً ؛ مثلُ : رَأْسَ القومَ : صارَ لهُم رئيساً ، وبعدَ كسرةٍ ياءً ؛ مثلُ : فئةٍ ومئةٍ ، وبعدَ ضمَّةٍ واواً ؛ مثلُ : سُؤَالٍ وفُؤَادٍ ، وبعدَ سكونٍ تُرسَمُ أَلِفاً إن كانَ الساكنُ صحيحاً (٣) ، وإلَّا . . حُذِفَتْ إن لم يَحصُلْ لَبْسٌ ، فتُرسَمُ أَلِفاً للتمييز (١٠) .

تنبية

[في رسم الهمزةِ الواقعةِ بعدَ همزةِ الاستفهام]

الهمزةُ الواقعةُ بعدَ همزةِ الاستفهامِ في نحوِ : أَوُنْبِئُ ، أَوُنْزِلُ ، أَأَسْجُدُ ، أَئِفكاً ، أَئِذا ، والواقعةُ بعدَ اللَّامِ المُوطِّئةِ ؛ نحوُ : لَئِن جئتَ ، وبعدَ (حينَ) وأمثالِهِ في : حينئِذٍ ويومَئِذٍ ، وهمزةُ (لِئَلَّا) دونَ (لِأَنْ جاءَ) مثلاً ، وهمزةُ (هنؤلاءِ) على خلافٍ في بعضِ ذلكَ . . تُنزَّلُ منزلةَ المُتوسِّطةِ ، فتَجري

⁽١) مثالها: (سُئِل ، ودُئِل ، وسُئِل) .

⁽٢) فمثال الهمزة المكسورة الواقعة بعد ضمة على مذهب سيبويه: (رُئِيَ) ، ومثالها على مذهب الأخفش: (رُئِيَ) .

⁽٣) مثالها: (يَسْأَل ، ويَسْأَم ، ومَرْأَة) .

⁽٤) مثال الهمزة المفتوحة المسبوقة بساكن معتلِّ : (تضاءَل وتفاءَل ، وتؤءَم وسموْءَل ، وجيئل وهيئَّة) .

عليها أحكامُها ؛ فتُرسَمُ المضمومةُ واواً ، وتُرسَمُ المفتوحةُ أَلِفاً بعدَ فتحةٍ ، وياءً بعدَ كسرةٍ ، وتُرسَمُ المكسورةُ ياءً .

[رسمُ الهمزةِ الواقعةِ آخرَ الكلمةِ]

وإذا وقعَتْ آخِرَ الكلمةِ ؛ فإن تلتْ فتحةً . . رُسِمَتْ أَلِفاً ؛ كقراً ويقرأً ، وإن تلتْ كسرةً . . رُسِمَتْ ياءً ؛ كبَرِئَ ولم يَجِئْ ، وإن تلتْ ضَمَّةً . . رُسِمَتْ واواً ؛ كوَضُؤَ لُؤْلُوُ ، وإن تلتْ سكوناً . . لم تُصوّرُ ('' ، للكنْ قالَ رُسِمَتْ واواً ؛ كوَضُؤَ لُؤْلُوُ ، وإن تلتْ سكوناً . . لم تُصوّرُ ('' ، للكنْ قالَ صاحبُ « أدبِ الكاتبِ » : (إنَّ همزةَ نحوِ « رأى ونأى » مِنَ المنقوصِ . . تُرسَمُ ياءً) ('') .

وهاذا إذا لم يتصلْ بالكلمةِ علاماتُ الإعرابِ الحرفيَّةُ ، ولا إحدى الياءاتِ الثلاثِ : ياءِ المُتكلِّمِ ، وياءِ المُخاطَبةِ ، وياءِ النَّسَبِ ، ولا الضَّمائرُ المُتصِلةُ ، فإنِ اتصلَ بها شيءٌ مِنْ ذلك . عُدَّتْ حشواً ، وحينَئذٍ إذا اتصلَ بالتي تُرسَمُ ألِفاً ضميرٌ . . فالمُتقدِّمونَ كانوا يرسمونَها حرفاً مِنْ جنسِ حركتِها نفسِها ، والمُتأخِّرونَ يرسمونَها ألِفاً ، ولا يعتبرونَها مُتوسِّطةً ؛ كيقرؤُهُ ويملؤُهُ ، ومِنْ خَطائِهِ (٣) ، قيلَ : والراجحُ مذهبُ المُتقدِّمينَ (١٠) .

وإذا اتصلَ بنحوِ (قرأً ويقرأً) ألفُ الاثنينِ . . رُسِمَتِ الهمزةُ أَلِفاً ؛ لدفع

⁽١) مثال الهمزة إن تلَتْ سكوناً : (وَطْءٌ وجُزْءٌ ، وجاءَ وشاءَ وكساءٌ ورداءٌ ، ويجيءُ ويضيءُ وهنيءٌ ومريءٌ ، ويبوءُ وينوءُ ووضوءٌ وهدوءٌ) .

⁽٢) أدب الكاتب (ص ٢٦٨) ، وانظر « المطالع النصرية » (ص ١٠٩) ، والمراد : اسم الفاعل المنقوص ؛ نحو : (الرائي والنائي) .

⁽٣) ولغير المتقدِّمين ؛ نحو: (مَنْ كان يقرأُه . . فالله يكلأُه) ، ونحو: (لا يظهر خطأُه عند ملأه) فيبقيها ألفاً كما لو لم يتصل بها شيء .

⁽٤) انظر «المطالع النصرية» (ص ١١١) ففيه أنَّ الراجعَ المقدَّمَ: المذهبُ الأول؛ وهو مذهب المتقدمين.

اللَّبسِ بفعلِ الواحدِ في نحوِ: الزيدانِ قرأًا ؛ ليخالفَ: الزيدانِ قرأً أخوهُما ، وبفعل الإناثِ (١١).

وإذا ثُنِّي نحوُ (نبأً) . . لم تُرسَمْ أَلِفُهُ (٢) .

وإذا اتصلَ بها واوُ الضَّميرِ أو واوُ الجمعِ . . حُذِفَتْ ؛ كقرءُوا ، ويقرءُون ، وقارءُون .

وإذا اتصلَتْ بياءِ المُخاطَبةِ . . كُتِبَتْ ياءً ؛ نحوُ : لم تقرئِي .

وإذا اتصلَتْ بياءِ المُتكلِّمِ أو بياءِ النَّسَبِ ؛ نحوُ: ملجئِي ، وسبئِيِّ نسبةً إلى سبأً . . فحقُها أن تُرسَمَ ياءً ، والجاري كتبُها ألفاً (٣) .

وإذا اتصلَتْ بياءِ الجمع ؛ كقارئينَ وناشئينَ . . رُسِمَتْ ياءً .

وإذا اتصلَ بالتي تُكتَبُ ياءً ضميرٌ تَتغيَّرُ معَهُ حركاتُها الإعرابيةُ . . لم يَتغيَّرُ رسمُها ؟ كقارئِنا ومُنشئِكُم ، وكذا إذا اتصلَ بها أَلِفُ الاثنينِ أو أَلِفُ التثنيةِ ، وكذا إذا اتصلَ بها واوُ الضَّميرِ أو واوُ الجمع (١٠) .

وإذا اتصلَ بها ياءُ الجمعِ . . حُذفَتْ (•) .

وإذا اتصلَ بها ياءُ المُتكلِّمِ أو ياءُ المُخاطَبةِ عندَ رفعِ الفعلِ . . حُذِفَتْ أيضاً (٦) .

وعندَ نصبِهِ وجزمِهِ . . قيلَ : تُرسَمُ ، وقيلَ : تُحذَفُ .

⁽١) ومثال مخالفته لفعل الإناث : (النسوة يقرأن الدرس) .

⁽٢) مثال التثنية : (نبآن) .

 ⁽٣) على مذهب غير المتقدِّمين ، من أن الهمزة المتطرفة إذا اتصل بها شيء ؛ كياء النسب أو المتكلم . .
 تبقىٰ علىٰ أصلها حال الانفراد ، فتُرسَم هاكذا : (ملجأي وسبأي) .

⁽٤) أمثلتها على الترتيب: (يُقرِئُنا وقارِئُنا ، ويُقرِئَانِ وقارِثَانِ ، ولم يُقرِثُوا وهم المُقرِئُون) .

⁽٥) مثالها : (القارِين والمبتدِين والمستهزِين) .

⁽٦) مثالهما : (نفعني مَجِيَّ إليك ، أنتِ تتَّكينَ وتُقرِينَ) من (مجيئي ، وتتكثين ، وتُقرئين) .

وإذا اتصلَ بالتي تُكتَبُ واواً ضميرٌ ؛ نحوُ : أخذتُ مِنْ لؤلؤِكَ ، ولتكافُؤهِم . . رُسِمَتْ واواً على المُختار .

وإذا اتصلَ بنحوِ ([رَدُوَ]) و(بَطُوَ) أَلْفُ الْاثْنَينِ ، أُو ثُنِّيَ نحوُ (لؤلوً) ، أو اتصلَ بنحوِ (وَضُوَ) واوُ الجماعةِ . . رُسِمَتِ الهمزةُ واواً أيضاً ، وكذا إذا اتصلَ بنحو (لؤلوً) ياءُ المُتكلِّم أو ياءُ النَّسبِ (١) .

وإذا اتصلَ بالتي تُحذَفُ ضميرٌ . صُوِّرَتْ بحرفٍ مِنْ جنسِ حركتِها ؟ فتُرسَمُ واواً في مثلِ : خُذْهُ بمِلْئِهِ ، وأَلِفاً في مثلِ : رأيتُ الجيشَ وردْأَهُ .

وإذا تُنَّيتَ نحوَ (جزْءٍ).. صَوَّرتَ الهمزةَ أَلِفاً معَ الياءِ فقطْ (٢).

وإذا اتصلَ بنحوِ (جزءٍ) ياءُ المُتكلِّمِ ، أو ياءُ النَّسبِ . . رُسِمَتِ ٱلْهَمْزَةُ ياءً النَّسبِ . . رُسِمَتِ ٱلْهَمْزَةُ ياءً (٢٠) .

وإذا اتصلَ بنحوِ (جاءَ) ضميرُ المفعولِ . . لا تُرسَمُ الهمزةُ أَلِفاً ('') . وكذا تُحذَفُ الهمزةُ مِنْ نحو (جاءَ) و(شاءَ) حيثُ يُسنَدُ لواو الجماعةِ ('') .

ولدا أُضيفَ نحوُ (كساءٍ) و (رُواءٍ) إلى ضمير (١٠)، أو اتصلَ بهِ ياءُ النَّسب.

صُوِّرَتِ الهمزةُ بحرفٍ مِنْ جنسِ حركتِها ، إلَّا حالةَ النصبِ فتُحذَفُ ؛ فتُرسَمُ واواً في نحو: كسائِي وكسائِهِ ، والكسائِيّ .

وإذا اتصلَ بنحوِ (يجيءُ) و(يُفِيءُ) مِنْ أَفاءَ : ضميرُ المفعولِ . . لم تُرسَمِ

⁽١) الأمثلة على الترتيب: (رَدُقًا وبَطُوًا ، ولُؤُلُوَّانِ ، ووَضُؤُوا ، ولُؤُلُوِّيْ ، ولُؤْلُوِّيٌّ).

⁽٢) مثاله: (جُزأين).

⁽٣) مثالهما: (جُزْئِيْ ، وجزئيٌّ).

⁽٤) مثاله: (جاءَهُ).

⁽٥) مثاله: (جاءُوا ، وشاءُوا) .

⁽٦) الرُّواء: حسن المنظر.

الهمزةُ (١) ، وكذا إذا تُنِّيَ نحوُ (مجيءٍ) (١) ، وكذا في أمرِ المُخاطَبةِ بنحوِ: (جِيئِي وفِيئِي).

وإذا أُضيفَ مثلُ (وضوءٍ) و(قروءٍ) لضميرٍ ؛ كوضوئي وقروئِهِنَّ . . رُسِمَتِ الهمزةُ ياءً حالَ جرِّهِ ، ولم تُرسَمْ حالَ رفعِهِ ونصبِهِ (٣) .

وإذا أُضيفَ نحوُ (شيءٍ) و(فيءٍ) . . لم تُصَوَّرْ همزتُهُ أصلاً (1) .

والهمزةُ الواقعةُ قبلَ هاءِ التأنيثِ ؛ قيلَ : إنَّها مُتطرِّفةٌ تقديراً ؛ لأنَّهُم يقولونَ : إنَّ هاءَ التأنيثِ في تقديرِ الانفصالِ ، وكأنَّها كلمةٌ مُستقِلَّةٌ ، وتُرسَمُ أَلِفاً إن كانَ قبلَها حرفٌ صحيحٌ ، وإلَّا . . حُذِفَتْ (°) .

الكلامُ على الأَلِفِ

الألفُ إن كانَتْ حسواً ولو تقديراً ؛ بأن كانَ بعدَها هاءُ التأنيثِ ، أو كانَتْ طَرَفاً في الحروفِ أو في الأسماءِ المبنيَّةِ . . رُسِمَتْ أَلِفاً ، إلَّا في : (بلئ) ، و(علئ) ، و(إلئ) ، و(حتى) ، مِنَ الحروفِ ، فتُرسَمُ ياءً ؛ لقولِكَ : عليكَ ، وإليكَ ، وإمالةِ (بلئ) ، وحمل (حتى) على (إلى) ، وإلَّا في : (لدى) ، وإليكَ ، وإمالةِ (بلئ) ، وحمل (حتى) على (إلى) ، وإلَّا في : (لدى) ، و(متى) ، و(أنَّى) التي بمعنى كيفَ ، أو مِنْ أينَ ، [و(الألى)] الموصولةِ ، و(أولى) الإشاريةِ ، مِنَ الأسماءِ المبنيةِ ، فتُرسَمُ ياءً أيضاً ، و(مهما) على القولِ بأنَّها بسيطةٌ وضعاً ، والجارى رسمُها أَلِفاً .

⁽١) مثاله : (يجيئه ، ويُفيئه) ، قال في « المطالع النصرية » (ص ١٢٥) : (لم ترسم الهمزة ، وإنما ترفع نبرة لتركز عليها قُطعة الشكل ، سواء كان الفعل مرفوعاً أو منصوباً ؛ نظراً لتحقيق الهمزة) .

⁽۲) مثاله : (مجيئان) .

⁽٣) مثال عدم رسمها حال الرفع والنصب : (أعجبني وُضوءُك ، ورأيت وضوءك) .

⁽٤) مثالهما: (هـٰذا فيئي وشيئي ، وفيئُكَ وشيئُكَ ، وفيئُه وشيئُه) .

⁽٥) مثال الهمزة التي قبلها حرف صحيح: (مَرْأَة ، وكَمْأَة ، وفَجْأَة) ، ومثال التي قبلها معتل: (فُجاءَة وعباءَة ، ومقرُوءَة وشنُوءَة ، وسَوْءَة ، وخطيئَة ورديئَة ، وهَيْئَة وفَيْئَة) .

وإن كانَتْ طرفاً في الأسماءِ المعربةِ أوِ الأفعالِ . . رُسِمَتْ ياءً لأحدِ مُقتضِيَنِ :

الأوَّلُ: أَن تزيدَ على ثلاثةِ أحرفٍ ولو بالتضعيفِ ؛ نحوُ: جلَّىٰ مُضعَّفِ جلا .

الثاني: أن تكونَ مُنقلِبةً عن ياءٍ ، ويُعرَفُ ذلكَ بالنقلِ ، ويُسهِّلُ معرفتَهُ النظرُ لتثنيةِ الكلمةِ وجمعِها جمعَ تأنيثٍ ، وإلى المضارعِ في الأفعالِ ، والمصدر (١٠).

ويَمنعُ مِنْ كتابتِها ياءً أمرانِ :

الأوَّلُ: أَن تَسبِقَها ياءٌ ؛ ك (يحيا) ، فتُرسَمُ أَلِفاً ، إلَّا إذا جُعِلَ عَلَماً ، فتُرسَمُ ياءً على القاعدة .

والثاني: أن يتصلَ بها ما يَجعلُها حشواً ؛ كالضَّميرِ في: أعطاهُ إحداهُنَّ ، [وبمقتضامَ] فعلتَ ، وحتَّامَ ، وإلامَ ؛ استفهاماً ، وحتَّاكَ وحتَّاهُ هاذا ؟

وإذا وقعَ ما يُرسَمُ ياءً في شعرٍ أو سجعٍ على الألفِ . . فالأحسنُ كَتْبُهُ أَلِفاً ؛ للمشاكلةِ (٢) .

والكلماتُ التي وردَتْ مقصورةً وممدودةً . . يجوزُ كَتْبُ مقصورها بالياءِ

يَّ سَنْتَ بِرَّا فَقُلْ لِي أَحْسَنْتُ فِي ٱلشُّكْرِ أَوْ لَا

ويقول الآخر: (من الرمل)

حَارَ فِي سُفْمِيَ مِنْ بَعْدِهِمُ كُلُّ مَنْ فِي ٱلْحَيِّ دَاوَىٰ أَوْ رَفَا بَعْدَهُمْ لَا ظَلَّ وَادِي ٱلْمُنْحَنَىٰ وَكَلَا اَبَانُ ٱلْحِمَىٰ لَا أَوْرَقَا

⁽١) أمثلتها على الترتيب : (فتى : فتيان ، حصى : حصيات ، عصى : يعصي ، سعى : السعي) .

أُوِ الْأَلِفِ، وفي المقصورِ إذا نُوِّنَ خلافٌ، ومذهبُ سيبويهِ: رسمُهُ بالأَلِفِ نصباً (١١).

وبعضُ النحاةِ يَرىٰ رسمَ الأَلِفِ أَلِفاً مطلقاً ؛ تبعاً للَّفظِ ، وليتَهُ جرى العملُ علىٰ ذلكَ ، فقد أوقعَ هاذا الرسمُ الاصطلاحيُّ في غَلَطٍ كثيرٍ ، فتسمعُ الناسَ مثلاً يقولونَ : مَنْ لدى الحضرةِ .

ورُسِمَتْ أَلِفاً لأحدِ مُقتضِيَينِ أيضاً (٢):

الأوَّلُ : أن تكونَ مُنقلِبةً عن واوٍ ؛ كه (تلا) و(دعا) مِنَ الأفعالِ ، و(عصاً) و (مهاً) مِنَ الأسماء .

والثاني: أن تكونَ في كلمةٍ أعجميَّةٍ (٣) ، أو في كلمةٍ عربيةٍ مجهولةِ الأصلِ ؛ ك ([الدَّدا]) اللعبُ ، و(خسا) و(زكا) للفردِ والزوجِ ، وللكنْ جَوَّزُوا كَتْبَ مثل هلذا ياءً أيضاً.

وإذا سبقَ هلذهِ الألفَ همزةٌ ؛ نحوُ : شأى وبأى ؛ بمعنى افتخرَ . . رُسِمَتْ ياءً .

الكلامُ على نونِ التوكيدِ ، ونونِ (إذاً) ، والتنوينِ

تُرسَمُ نونُ التوكيدِ الخفيفةُ أَلِفاً إلَّا عندَ خوفِ اللَّبسِ ؛ نحو: لا تضربَنْ زيداً ، واضربَنْ عمراً ؛ إذا أمرتَ واحداً مِنِ اثنَينِ .

وتُرسَمُ نونُ (إِذاً) بالأَلِفِ على اختيارِ بعضٍ ، وبالنونِ على اختيارِ بعضٍ آخَرَ ، وبالأَلِفِ عندَ عملِها ، وبالنونِ عندَ إلغائِها ، أو بالعكسِ ، على اختلافِ النقل في اختيار بعض آخَرَ .

⁽١) انظر « المطالع النصرية » (ص ١٥١) .

⁽٢) أي : الألف التي وقعت طرفاً .

⁽٣) مثالها: (بُغا ، يهودا ، زليخا) .

و(إذاً) هاذه هي الجوابيةُ الواقعةُ في قولِكَ : إذاً تصيبَ ؛ جواباً لِمَنْ يقولُ : أريدُ أن أفعلَ كذا .

وأمَّا التنوينُ . . فلا يُصوَّرُ في الكتابةِ إلَّا حالةَ النصبِ ، فيُصوَّرُ أَلِفاً إن لم يكنْ بعدَ تاءِ تأنيثٍ ، أو همزةٍ تُرسَمُ أَلِفاً ، أو همزةٍ تُحذَف لوجودِ أَلِفٍ قبلَها ؛ كعطاءٍ وجزاءٍ .

الكلامُ علىٰ هاءِ التأنيثِ

هيَ تاءُ التأنيثِ التي تَمنعُ الصَّرفَ في الأعلامِ ، ويُوقَفُ عليها بالهاءِ ؛ كتاءِ فاطمةَ وطلحةَ ، وراويةٍ وعلَّامةٍ وخليفةٍ وعِدَةٍ ، فتُرسَمُ بالهاءِ ، بخلافِ تاءِ التأنيثِ مِنْ أختِ وبنتٍ .

البابُ الثاني في زيادةِ حروفٍ

[مواضع زيادة الألفِ]

تُزادُ الأَلِفُ:

أَوَّلاً ؛ وهي همزةُ الوصلِ التي سبقَ بيانُ مواضعِها (١) ، وحشواً في لفظِ (مائةٍ) على خلافٍ في النطقِ بالكلمةِ : (مايةٍ) على خلافٍ في ذلكَ ، وهاذا الرسمُ أوجبَ غلطَ الناسِ في النطقِ بالكلمةِ : (مايةٍ) كغايةٍ ، وطرفاً بعدَ واوِ الضَّميرِ المُتطرِّفةِ مِنْ نحوِ : كتبوا ، واكتبوا ، ولم يكتبوا .

[مواضعُ زيادةِ الواوِ]

وتُزادُ الواوُ :

حشواً في (أُولى) الإشاريةِ ، و(أُولو) و(أُولاتُ) اللَّذَينِ بمعنىٰ أصحابٍ وصاحباتٍ ، وطرفاً في لفظِ (عَمْرٍو) عَلَماً غيرَ منصوبٍ ، ولا مضافٍ لضميرٍ ، ولا قافيةِ بيتٍ ، ولا مزيدٍ فيهِ (أل) (٢).

[مواضعُ زيادةِ هاءِ السَّكتِ]

وتُزادُ هاءُ السَّكتِ : في مواضعِها .

* * *

⁽١) انظر (٢٠٩/١) .

⁽٢) مثال عدم زيادتها في المنصوب : (رأيتُ عَمراً) ، وفي المضاف لضمير : (أعجبني عَمْرُكُم) ، وفي الذي يقع قافية كما في « المطالع النصرية » (ص ١٩٧) :

إِنَّــمَــا أَنْــتَ مِــنْ سُلَيْمَىٰ كَــوَاوِ أَلْحِقَتْ فِي ٱلْهِجَاءِ ظُلْماً بِعَمْرِ وَفِي المزيد بر (أل) كما في «المطالع النصرية» (ص ١٩٧):

بَاعَدَ أُمَّ ٱلْعَهْرِ مِنْ أَسِيرِهَا حُرَّاسُ أَبْرُوابٍ عَلَىٰ قُصُورِهَا

البابُ الثالثُ في حذفِ بعضِ الحروفِ

[مواضع حذف الهمزة]

تُحذَفُ الهمزةُ (١) مِنْ نحوِ : (تثاءَبَ) ماضياً ، و(جاءَهُ) ، و(كساءً) منصوباً .

ومِنْ نحوِ : (سَمَوْءَلٍ) و(تَوْءَمٍ) بفتح الهمزةِ وسكونِ الواوِ .

ومِنْ نحوِ: (ضوءُهُ) و(وضوءُهُ) في غيرِ حالةِ الكسرِ.

ومِنْ نحوِ : (جَيْئَلٍ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الياءِ ، و(بَئِسَ) بكسرِ الهمزةِ .

ومِنْ نحوِ: (شيئُّكَ) و(فيئُّكَ) .

ومِنْ نحوِ: (قرءُوا) و(يقرءُون) و(رءُوس) جمع رأس.

ومِنْ نحوِ : (دعاءٍ) و(فجاءةٍ) .

ومِنْ نحوِ : (وُضُوءٍ) و(ضَوْءٍ) و(سَوْءَةٍ) و(شَنُوءَةَ) بفتح الشينِ وسكونِ الواوِ وضمِّ النونِ .

ومِنْ نحو : (هنيءٍ) و(شيءٍ) و(خطيئةٍ) و(هيئةٍ) .

ومِنْ نحوِ : (تراءَاهُ) [و (تسُوءُونَ)] و(لا تسيئي يا هندُ) .

ومِنْ نحوِ : (إسرائيلَ) .

[ومِنْ] نحوِ : (باءُوا) و(جاءُوا) .

ومِنْ نحو: (السُّوءيٰ).

⁽١) أي : صورتها ؛ وهي : إمَّا الألف ، وإمَّا الواو ، وإمَّا الباء .

ومِنْ نحو: (لم [يبوءا]).

ومِنْ نحو: (لم يجيئا) ، و(لم يفيئا).

ومِنْ نحو: ([المَوْءُودةِ]).

ومِنْ نحوِ : (فيءٍ) .

قالوا: القياسُ حذفُها في (تراءَاهُ) وما بعدَهُ ، والعملُ الآنَ علىٰ عدمِ حذفِها في مثل (فيءٍ) مِنْ: هاذا فيئي .

[مواضع حذف همزة الوصل]

وتُحذَفُ همزةُ الوصلِ مِنْ (أل) إذا دخلَ عليها همزةُ الاستفهامِ ولم يكنْ لَبسٌ ، وإذا دخلَ عليها اللَّامُ الحرفيَّةُ خافضةً أو غيرَها (١١).

كما تُحذَفُ مِنْ (بَلْعنبرِ) و (بَلْحارثِ) اللَّذَينِ أَصلُهُما : بنو العنبرِ وبنو الحارثِ ، وفي لغةِ مَنْ يقولُ : مِلْماءِ و (عَلْماءِ) في : مِنَ الماءِ وعلى الماءِ .

وتُحذَفُ همزةُ الوصلِ أيضاً مِنْ نحوِ: (اصطفىٰ) و(استخرجَ) فعلَينِ، و(اصطفاءٍ) و(استخراجٍ) مصدرَينِ ؛ إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهام (۱).

وتُحذَف مِنْ لفظِ (اسمِ) إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهام (٢٠).

⁽١) مثال دخول همزة الاستفهام على (أل) : (آلرَّجلُ خير أم المرأة ؟) ، ومثال دخول اللام الحرفية : (لِلحقّ دولة ، وللباطل جولة) .

⁽٢) مثال دخول همزة الاستفهام على الفعل قوله تعالى : ﴿ أَصَطَعْى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَيِنَ ﴾ [الصافات : ١٥٣] ، ومثال دخولها على المصدر : (أَفْتراءً على الله قلتَ كيت وكيت أم اجتراءً ؟!) .

⁽٣) مثاله : (أسمُك زيد أم عمرو؟).

ومِنْ (بسمِ اللهِ الرحمانِ الرحيمِ) إذا لم يُذكَرْ مُتعلَّقٌ مُقدَّماً أو مُؤخَّراً (''). ومِنْ لفظِ (ابنِ) إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهام، أو (يا) الندائيةُ.

ومنهُ ومِنِ (ابنةٍ) إذا وقع كلٌ منهُما صفةً لعَلَمٍ شخصيٍ أو جنسيٍ ، وأضيف لعَلَمٍ كذلك ولو تنزيلاً ، ولم يكنْ لفظُ ابنٍ أو ابنةٍ أوَّلَ سطرٍ ؛ ك (أنسُ بنُ مالكٍ ، ومالكُ بنُ أنسٍ ، ومحمدُ بنُ مالكٍ ، وفلانُ أو فلانةُ بنُ أو بنةُ فلانٍ أو فلانةً ، وضلٌ بنُ ضلٍ ، وهيُّ بنُ بيٍّ ؛ لِمَنْ لا يُعرَفُ أبوهُ ، ومحمدُ بنُ الخطيبِ ، وأبو بكرٍ بنُ أمّ جعفرٍ) .

[مواضع حذفِ الألفِ]

وتُحذَفُ الأَلِفُ مِنْ نحوِ : (آدمَ ، وآثرَ ، ومآلٍ) .

ومِنْ نحو : (السماواتِ) .

ومِنْ لفظِ : (اللهِ) و(الإلهِ) و(إلاهِ العالَم) .

ومِنْ لفظِ : (الرحمانِ) مُعرَّفاً كسابقِهِ دونَ النكرةِ منهُما .

ومِنْ لفظِ ([الحرثِ والسَّلام]) مُعرَّفَينِ أيضاً .

ومِنْ كلِّ عَلَمٍ علىٰ وزنِ (فاعل) ، ك (ملكٍ وصلحٍ) ، بخلافِ الأوصافِ ؛ كرجلٍ صالحِ مالكٍ .

ومِنْ بعضِ الأعلامِ المُشتهِرةِ ؛ ([كإبرهيمَ ، وإسماعيلَ ، وإسحاقَ] ، ومعاوية) ، ولا تُحذَفُ لخوفِ اللَّبسِ مِنْ نحو: (عبَّاسٍ) ، ولا مِنْ نحوِ: (السرائيلَ) لوجودِ حذفٍ فيه ، فلا يُجمَعُ فيهِ حذفانِ .

⁽١) مثال ذكر المتعلَّق مقدَّماً: (أتبرَّك باسم الله الرحمان الرحيم) ، ومثال ذكر المتعلَّق مؤخراً:

⁽ باسم الله الرحمان الرحيم أستفتح) .

وتُحذَفُ مِنْ لفظِ (ثلاثٍ) في : ثلثمائةٍ ، وثلثِ نسوةٍ ، [وثلثةِ] رجالٍ ، وثلثٍ وثلاثينَ ، ومِنْ لفظِ (الثلاثاءِ) اسم اليوم .

وتُحذَفُ جوازاً مِنْ نحوِ : ثماني ليالٍ ؛ إن لم تُحذَفِ الياءُ ، وإلّا . . وجبَ اثباتُها ؛ كقولِهِ (۱) :

لَهَا ثَنَايَا أَرْبَعٌ حِسَانُ وَأَرْبَعٌ فَ ثَعْرُهَا ثَمَانُ وَأَرْبَعٌ فَ ثَعْرُهَا ثَمَانُ وَتُحذَفُ مِنْ لفظِ (للكنْ) مُخفَّفةً أو مُشدَّدةً.

وتُحذَفُ مِنْ (مَا) الاستفهاميةِ التي لم تُركَّبْ معَ (ذا) ، مخفوضةً بحرفٍ أو مضافٍ ؛ مثلُ : على مَهْ ؟

ومِنْ (ما) الموصولةِ في نحوِ: [بمَ] شئتَ فقط (١٠) ، ومِنْ لفظِ (أَمَا) إذا وقعَ بعدَها القسمُ ؛ مثلُ: [أمَ] وأبيك (٢٠).

وتُحذَفُ مِنْ (ذا) الإشاريةِ ، و(يا) الندائيةِ ، و(أنا) ضميرِ المُتكلِّمِ ، وها التنبيهيةِ معَ اسمِ إشارةٍ ليسَ أولَهُ تاءٌ ولا هاءٌ ، ولا بعدَهُ كافٌ ؛ مثل : هذا وها ذاذ وأيُّهاذا ، بخلافِ : هاتا وها هنا وها ذاك ، ومِنْ لفظِ : هاللهِ وآللهِ في القسم ، ومِنْ [هاأنا ، وهاأنتَ] لا مِنْ ها هو وها هي .

ولا تُحذَفُ أَلِفُ (ذا) إلَّا مُثنّى ، أو مع لامِ التبعيدِ ، ولا تُحذَفُ أَلِفُ (أنا) الضَّمير إلَّا في هاءِ نداءٍ .

وتُحذَفُ أَلِفُ (يا) الندائيةِ في : يٰأيُّها ويٰأَهْلَ ، ونحوِ : [يٰإبراهيمُ ويٰإسحاقُ] ، بخلافِ نحوِ : يا آدمُ ويا آزرُ ، ممَّا حُذِفَ ثانيهِ .

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (٣٦٥/٧) .

⁽٢) انظر « المطالع النصرية » (ص ٢٣١) .

⁽٣) انظر « المطالع النصرية » (ص ٢٣٢) .

[مواضع حذفِ ياءِ المنقوص]

وتُحذَفُ ياءُ المنقوصِ ؛ كقاضِ ومفتٍ ، مُنكَّراً غيرَ منصوبِ ولا مضافٍ .

[مواضع حذف الواو]

وُتحذَفُ الواوُ مِنْ لفظِ: داوُدَ وطاوُسٍ وناوُسٍ، ونحوِ: رءُوسٍ، ولا تُحذَفُ مِنْ مثلِ قَوْولٍ وصَوْلٍ للمبالغةِ ؛ لدفعِ اللَّبسِ بقَوْلٍ وصَوْلٍ مصدرَين.

[مواضع حذف اللَّام]

وتُحذَفُ لامٌ مِنَ الثلاثِ في نحوِ: لم يُخلَقِ الإنسانُ للَّعبِ ولا للَّهوِ ، وقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « لَلهُ أَرْحَمُ بِٱلْمُؤْمِنِ » (١) بفتحِ اللَّم ؛ وهي لامُ الابتداءِ ، كما تُحذَفُ مِنَ الموصولاتِ ، تُكتَبُ بلامَينِ إذا دخلَ عليها لامُ الخفض أو لامُ الابتداءِ .

[مواضع حذفِ التاءِ]

وتُحذَفُ التاءُ مِنْ آخِرِ الفعلِ إذا أُسنِدَ لتاءِ [الفاعلِ]؛ نحوُ: لَعَنِتُّم.

[مواضع حذف النونِ]

وتُحذَفُ النونُ مِنْ آخِرِ الفعلِ إذا اتصلَ بكلمةِ (نا) الفاعلِ أو نونِ النسوةِ أو نونِ النسوةِ أو نونِ النسوة أو نونِ الوقايةِ في نحو: آمنًا ، والنسوةُ بنَّ ، وأعنِّي ، ولم يمكنِّي .

وتُحذَفُ النونُ أيضاً مِنْ كلمتَيْ (مِنْ) و(عَنِ) الجارَّتَينِ إذا اتصلَ بهِما (ما) أو (مِنْ) (٢٠ .

⁽١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٣٠) عن زيد بن أسلم رحمه الله تعالى مرسلاً بنحوه .

⁽٢) مثاله: (ممًّا ،عمًّا).

وتُحذَفُ نونُ (إنِ) الشرطيةِ إذا اتصلَ بها (ما) الزائدةُ أو (لا) النافيةُ (١).

وتُحذَفُ نونُ (أَنِ) المصدريةِ حيثُ تكونُ ناصبةً إذا اتصلَ بها (ما) أو (لا) () ، وتُحذَفُ مِنْ نِعِمَّا في نحوِ : ﴿ إِن تُبُدُواْ ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا في نحوِ : ﴿ إِن تُبُدُواْ ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا فِي نحوِ : ﴿ إِن تُبُدُواْ ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا فِي نحوِ : ﴿ إِن تُبُدُواْ ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا فِي المَّا .

※ ※

⁽١) مثال الأول قوله تعالىٰ : ﴿ إِمَّا يَبَلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَر . . . ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، ومثال الثاني قوله تعالىٰ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

⁽٢) مثال الأول: (أمَّا أنت ذا مال تفتخر!!) ، ومثال الثاني: (أرجو ألَّا تهجرني) .

⁽٣) سورة البقرة : (٢٧١) .

البابُ الرابعُ في وصلِ بعضِ الكَلِمِ ببعضٍ علىٰ خلافِ الأصلِ الذي هوَ الفصلُ ليناسبَ الخطُّ اللفظَ

إذا كانَتِ الكلمةُ مِنْ حرفٍ واحدٍ ؛ كباءِ الجرِّ ولامِهِ ولامِ الابتداءِ . . وُصِلَتْ بما بعدَها ؛ وذلكَ لأنَّهُ لا يَصِحُّ الوقفُ عليها ، وابتناءُ الكتابةِ على الوقفِ والابتداء ، ولذلكَ وجبَ وصلُ الكلماتِ التي لا يَصِحُّ الابتداء بها بما قبلَها ؛ كالضَّمائرِ البارزةِ المتصلةِ ، وعلاماتِ التأنيثِ والتثنيةِ ، فكلُّ ما لا يُوقَفُ عليهِ وما لا يُبدَأُ بهِ . . يُوصَلُ بما بعدَهُ وبما قبلَهُ .

ولو صارَتِ الكلمةُ بالتصرُّفِ على حرفٍ واحدٍ ؛ كالأمرِ مِنْ (وقى) ومِنْ (وعى) ومِنْ (وعى) . . فإنَّهُ يُوصَلُ بما بعدَهُ إن كانَ ضميراً ؛ لعدمِ صحةِ الوقفِ عليهِ ، وعدمِ صحةِ الابتداءِ بالضَّميرِ ، فيكونُ الوصلُ في مثلِهِ لمُقتضِيَينِ ، فلو وليَهُ اسمٌ طاهرٌ . . وجبَ أن تَلحَقَهُ هاءُ السكتِ ، ويُلفَظُ بها وقفاً لا وصلاً ، إلَّا إذا أجريتَ الوصلَ مُجرى الوقفِ ؛ فلك الوجهانِ في النطقِ بقولِ الشاعرِ (١١) : [من البسط] فيه بِالْعُقُودِ وَبِالْأَيْمَانِ لَا سِيَّمَا عَهْدٌ وَفَاءٌ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْقُرَبِ ويجبُ وصلُ المُركَّباتِ المزجيَّةِ ؛ كبعلبكَّ ومعديكربَ وقالي [قلا] (٢) ، وليسَ منها الأعدادُ المُركَّباتِ المزجيَّةِ ؛ كبعلبكَّ ومعديكربَ وقالي [قلا] (٢) ،

نعم ؛ وصلوا ثلاثَ مائةٍ إلى تسع مائةٍ ، وأُلحِقَ بالمُركَّباتِ المزجيَّةِ بابُ (يومئذِ) إذا لم تُضَفْ كلمةُ (إذْ) كما سبقَ التنبيهُ على رسمِهِ (*) ، وينبغى

⁽١) انظر « المطالع النصرية » (ص ٥٥) .

⁽٢) قالى قلا: من مدن أرمينية .

⁽٣) انظر (١٣/٣) .

أَن يُتنبَّهَ لَلضَّميرِ الواقعِ بعدَ الكلمةِ : هل هوَ مُنفصِلٌ أَو متصلٌ ؟ لاختلافِ الحالِ في الكتابةِ ؛ فليسَ حالُ : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ (١) مثلَ حالِ : ﴿ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوْعَدُونَ ﴾ (١) .

[وصلُ (ما) بما بعدَها وضابطُ الوصل]

وتُوصَلُ (ما) الاستفهاميةُ بحرفِ جرٍ وبمضافٍ ؛ نحوُ: ممَّ ، وعمَّ ، وفيمَ ، وبمقتضامَ فعلتَ كذا ؟

وتُوصَلُ (ما) الموصولةُ و(ما) النكرةُ بمِنْ وفي وعن فقطْ (") ، وتُوصَلُ (ما) الزائدةُ كافَّةً وغيرَ كافَّةٍ مهيئةً وغيرَ مهيئةٍ بما قبلَها ، إلَّا في أيَّانَ ما ، ومتى ما ؛ كقلَّما وطالَما وإنَّما وكأنَّما وربَّما وبما وأيَّما .

وتُوصَلُ (ما) المصدريةُ في : كلَّما جئتَني . . أكرمتُكَ ، وأينَما صنعتَ ، ومثلِهِما ، لا في مثلِ : إنَّ ما صنعتُ معجبٌ .

وضابطُ الوصلِ : أن يكونَ معنى شرطٍ أوِ استفهام .

وتُوصَلُ (ما) المصدريةُ بكلمةِ (سيٍّ) بمعنى : مثلٍ في قولِهِم : لا سيَّما ، وبكلمةِ (مثلٍ) مِنْ نحوِ : أسلمْنا مثلَما أسلمتُم ، وبكلمةِ (ريثٍ) كما في قولِ الشنفري (١٠) :

وَلَكِنَّ نَفْساً حُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى ٱلضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

مصدرُ راثَ ؛ أي : بُطْئاً ما ، فهوَ مِنَ المصادرِ الواقعةِ ظروفاً بالنيابةِ عنِ المضافِ المحذوفِ ؛ أي : وقتَ ريثِ التحوُّلِ .

⁽١) سورة الذاريات : (١٣).

⁽٢) سورة الزخرف: (٨٣).

 ⁽٣) أمثلتها على الترتيب: قوله تعالىٰ: ﴿ فَكُواْ مِنَا أَسَكُنَ عَلَيْهُ ﴾ [المائدة: ٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَا تُتَعُونَ عَمَّا أَخْرَفِنَا وَلَا تُتَعَلَٰ عَمَّا تَعَمَّلُونَ ﴾ [سبأ: ٢٥]، و(لا تخض فيما خاصَ فيه الناس).

⁽٤) انظر « ديوان الشنفريٰ » (ص ٧٣) .

وتُوصَلُ كلمةُ (مَنْ) شرطيةً أو غيرَها بحرفَيْ مِنْ وعن فقطْ ؛ مثلُ : ممَّنْ أنتَ ؟ ورضيتُ عمَّن رضيتَ عنهُ ، فلا تُرسَمُ النونُ بينَ الميمَين .

وتُوصَلُ كلمةُ (لا) بهمزتَيْ (إن) الشرطيَّةِ و(أن) الناصبةِ للفعلِ ، سواءٌ صُوِّرَتا أَلِفاً أو ياءً على ما سبقَ (١١) .

هاذا؛ ولمّا كانتِ الحروفُ الهجائيةُ إنّما تَدُلُّ على ماذَّةِ اللَّفظِ .. مَسَّتِ الحاجةُ لوضعِ علاماتٍ لبيانِ الحركاتِ تُسمَّىٰ شَكْلاً ، كما أنّهُم لمّا اصطلحوا على تصويرِ بعضِ الحروفِ بغيرِ صورِها الأصليةِ أو عدمِ تصويرِها . احتاجوا أيضاً لعلاماتٍ تَدُلُّ على المادَّةِ ؛ مثلاً : العلامةُ التي تُسمَّىٰ : قطعةً ؛ تُوضَعُ فوقَ الهمزةِ القطعيةِ ، والأحرفِ المصورةِ بها الهمزةُ ، وموضعِ الهمزةِ التي ليسَ لها صورةٌ ، كما أنَّ الأحرف لمّا اشتركَ بعضُها في الصورةِ . . لزمَ النقطُ ؛ لتمييزِ بعضِها مِنْ بعضٍ ، ولم يكنْ ذلكَ إلَّا بتنبيهِ التحريفِ والتصحيفِ ، ومعَ الداعي إلىٰ هاذهِ الاحتراساتِ فربَّما لم يحافظوا عليها ، بل هوَ الأكثرُ ، ولذلكَ فسدَتِ اللغةُ العربيةُ ، وكانَتْ هاذهِ الاصطلاحاتُ غيرَ مفيدةٍ إفادةَ الضَّبطِ الذي كانَ يلزمُ لحفظِ صورةِ اللغةِ ، ومعرفةِ المنقوطِ مِنْ غيرِهِ مِنَ التعاليم الأوليَّةِ .

غيرَ أَنَّ الاصطلاحَ الرسميَّ يُوجِبُ التنبيهَ علىٰ أَنَّ هاءَ التأنيثِ لا يجوزُ نقطُها إذا وقعَتْ طرفاً في سجع أو قافيةٍ ، وفي غيرِ ذلكَ يجبُ نقطُها بنقطتي التاءِ عندَ خوفِ اللَّبسِ ، وإلَّا . . جازَ الأمرانِ ، وأَنَّ الياءَ إذا وقعَتْ طرفاً أو وسطاً بدلاً عن همزةٍ . . لا تُنقَطُ ؛ كالفاءِ والقافِ والنونِ إذا وقعَتْ طرفاً ، أو إذا كانَتِ الياءُ وسطاً مُحقَّقةً ؛ كمعايشَ . . وجبَ نقطُها ، وإذا كانَتْ بدلَ همزةٍ بعدَ كسرةٍ ساكنةٍ أو مفتوحةٍ ؛ كبئر ومئةٍ . . جازَ فيها الأمرانِ .

⁽۱) انظر (۱۳/۳).





[إضاءةٌ على كتابةِ الإنشاءِ]

ويُقالُ: صناعةُ الترسُّلِ؛ وهي المُسمَّاةُ في زمانِنا: كتابة التحريراتِ؛ أي: الإتيانُ بالحرِّ مِنَ الكلامِ، في مقابلةِ كتابةِ الأموالِ المُسمَّاةِ الآنَ: كتابة الحساباتِ؛ وهي تأليفُ كلامِ بأيِّ لسانٍ متميز عنِ المعتادِ في غرضٍ مِنْ أغراضِ الشركةِ الإنسانيةِ، وهي صناعةٌ تَقْوَى بقُوَّةِ الدولةِ، وتتَسعُ باتساعِ أحوالِها وعمومِ نشوةِ الفرحِ بينَ الناسِ؛ لأنَّ أهلَ الصِّناعةِ إذ ذاكَ يشتغلونَ بابتداءِ المكاتباتِ عن أُمرائِهِم، والإجابةِ عنهُم، وتدورُ بينَهُمُ المُخاطَباتُ في التهاني والتشكُّراتِ والتسلياتِ والشفاعاتِ والاستعطافِ والعتابِ والاعتذارِ . . . إلى غيرِ ذلكَ مِنَ المعاني .

وقد بلغَتِ الكتابةُ العربيةُ حيثُ كانَتِ الدولةُ عربيةً والأيامُ في إقبالِها مَبلغاً جازَتْهُ الكتابةُ التركيَّةُ حيثُ قامَتْ دولتُها ؛ كما نطقَ بذلكَ عقلاءُ العارفينَ باللسانينِ ، ويُنبِّهُكَ على شرفِ كتابةِ الإنشاءِ ما نالَهُ أهلُها مِنَ الرفعةِ ونباهةِ الذِّكرِ ؛ فقد كانَ اسمُ الوزيرِ في الدولةِ العباسيَّةِ وما قارنَها مِنَ الدُّولِ الإسلاميةِ مُختصًا برئيسِ ديوانِ الرسائلِ ، وهوَ الديوانُ المُعيَّنُ لكتابةِ الإنشاءِ ، المُسمَّى في زمانِنا بالمعيَّةِ السنيَّةِ .

فممَّنِ اشتَهرَ بهاذه الصِّناعةِ _ وكانَ وزيرَ دولتِهِ ومُدبِّرَ أمرِها _ : الربيعُ والفضلُ ابنُهُ ، وبنو برمكَ يحيى وابناهُ الفضلُ وجعفرٌ ، وبنو الفراتِ ، والفضلُ ابنُهُ ، وبنو برمكَ يحيى وابناهُ الفضلُ وجعفرٌ ، وبنو الفراتِ وغيرُهُم في الدولةِ العباسيةِ ، والأستاذُ ابنُ العميدِ والصَّاحبُ ابنُ عبادٍ إسماعيلُ وغيرُهُما في سلطنةِ بني بويهَ ، وعبدُ الرحيمِ المشهورُ بالقاضي الفاضلِ والعمادُ الأصبهانيُّ في سلطنةِ بني أيوبَ ، وابنُ زيدونَ ولسانُ الدِّينِ ابنُ الخطيبِ بالمغربِ ، كلُّ أولئكَ سادوا بصنعةِ الكتابةِ ، وعلَتْ أقدارُهُم ابنُ الخطيبِ بالمغربِ ، كلُّ أولئكَ سادوا بصنعةِ الكتابةِ ، وعلَتْ أقدارُهُم

حتى أُلِّفَتِ الكتبُ في ذكرِ مناقبِهِم ، وأخبارِ أيَّامِهِم ، ونقلُ اسمِ الكتابةِ إلى الفنِّ المُتعلِّقِ بها ، المعدودِ في فنونِ الأدبِ وعلوم العربيةِ .

[طريقتانِ لتعلُّم الإنشاءِ]

وهاذا الفنُّ عبارةٌ عن تنبيهاتٍ تُرشِدُ مَنْ يريدُ أن يَتعلَّمَ تلكَ الصِّناعة ، وليسَ كغيرِهِ مِنَ الفنونِ ذا قواعدَ مضبوطةٍ ، بمعرفتِها تكونُ نهايةُ العلم بها ، فإنَّ لمَنْ يريدُ أن يَتعلَّمَ الإنشاءَ في كيفيةِ التعلُّمِ - كما قالَهُ ابنُ الأثيرِ - طريقتين :

إحداهُما: أن يَحفظ القرآنَ ، ويَفهمَ معناهُ ، وجملةً مِنَ الأحاديثِ والآثارِ والأشعارِ ، معَ تحصيلِ ما يلزمُ تحصيلُهُ مِنَ الفنونِ السابقةِ ، ثمَّ يجتهدُ في الإنشاءِ على نحوِ أساليبِ الكلامِ الذي حفظَهُ ؛ فتارةً يصيبُ ، وتارةً يخطئ ، حتى يحكمَ لنفسِهِ طريقةً ، قالَ : (وهيَ أصعبُ الطريقتينِ) (١٠).

الطريقةُ الثانيةُ: أن يزيدَ على ما تَقدَّمَ الاطِّلاعَ على منشآتِ مَنْ تَقدَّمَهُ ، وحفظَ الكثيرِ منها ، واستعمالَ الفكرِ في انتقادِ تراتيبِها ، واختيارِ ما اختيرَ في ابتداءاتِها ، وانتهاءاتِها ، ثمَّ يأتيَ بما قَدَرَ عليهِ مِنِ اتباع أوِ اختراع .

[حصر تعلُّم الإنشاء في جهاتٍ ثلاثٍ]

إذا وعيتَ ذلكَ . . فاختصارُ ما أطالَ بهِ المُؤلِّفونَ في هذا الفنِّ علىٰ تفاوتِهم في ذلكَ يَحسُنُ أن يكونَ في ثلاثِ جهاتٍ :

⁽١) انظر « المثل السائر » (٩١/١) .

الجهةُ الأُولىٰ : في ذكرِ ما يلزمُ تحصيلُهُ لِمَنْ يريدُ أن يكونَ منشئاً .

الجهةُ الثانيةُ : في أمورٍ كليَّةٍ .

الجهةُ الثالثةُ: في ذكرِ طرفٍ مِنْ طرائفِ منشآتِ أذكياءِ أهلِ الصِّناعةِ.

※ ※ ※

الجهةُ الأُولىٰ فيما يجبُ تحصيلُهُ علىٰ مَنْ يريدُ أن يكونَ كاتباً حَسَبَ ما كانَتْ تقتضيهِ أحوالُ الأزمنةِ السالفةِ

يجبُ عليهِ أن يَتوسَّعَ في حفظِ منتقياتِ اللغةِ ، فاصلاً بينَ مُشترَكِها ومُختصِّها ومتباينِها ، ومترادفِها ومتكافئِها ، ومطلقِها ومُقيَّدِها ، ملاحظاً مجازاتِها وكناياتِها ، حتَّىٰ إذا دُفِعَ لصفةِ خيلٍ وسلاحٍ وجيشٍ ، أو صورةِ حربٍ ، وكيفَ بدأَتْ وحَمِيَ فيها الوطيسُ وانتهتْ ، والنصرِ والهزيمةِ ، أو صفةِ غِلمانٍ وجَوارٍ ، أو حيواناتٍ وحشيَّةٍ أو غيرِ وحشيةٍ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ المعاني التي يَعرِضُ للكاتبِ أن يَصفَها ويَتَّسعَ في الكلامِ عليها . . لم يَعجِزْ أن يأتيَ بالعباراتِ الدالَّةِ علىٰ حقيقةِ الغَرَضِ الذي أخذَ في تفهيمِهِ . يعجِزْ أن يأتيَ بالعباراتِ الدالَّةِ علىٰ حقيقةِ الغَرَضِ الذي أخذَ في تفهيمِهِ .

[إجادة النحو]

وأن يُجِيدَ معرفة النحوِ، حتى يأمنَ بملاحظتِهِ حينَ يقرأُ وحينَ يكتبُ مِنَ اللَّحنِ، وقد كانوا يستقبحونَ اللَّحنَ جدًا ، حتى إنَّ بعضَ الملوكِ كالمأمونِ اللَّحنِ ، وقد كانوا يستقبحونَ اللَّحنَ جدًا ، حتى إنَّ بعضَ الملوكِ كالمأمونِ أبعدَ بلَحْنةٍ عن الخدمةِ ، وقيلَ (١):

اَلنَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ ٱلْأَلْكَنِ وَٱلْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ ٱلْعُلُومِ أَجَلَّهَا فَأَجَلُّهَا عِنْدِي مُقِيمُ ٱلْأَلْسُنِ

وإن يكنْ قد تَغيَّرَ الحالُ في ذلكَ ، حتى إنَّهُ يُحكىٰ : أنَّ كاتباً كتبَ في صدرِ كتابٍ يخبرُ فيهِ عن تمامِ برجِ أمرَ السلطانُ ببنائِهِ : قد نَجِزَ ما أمرَ بهِ

⁽١) انظر « عيون الأخبار » (١٥٧/٢) .

أبو فلانٍ ، فلمَّا سمعَهُ الأميرُ المأمورُ بذلكَ العملِ . . غضبَ على الكاتبِ ، وقالَ لهُ : تقولُ عنِ السلطانِ : (أبو) وهي كلمةٌ مُبتذَلةٌ بألسنةِ العامَّةِ ؟! قُلْ : (أبي) فإنَّها المناسبةُ للتعظيمِ ، فقالَ لهُ الكاتبُ : (أبو) فاعلٌ ، حقُّهُ الرفعُ ، فقالَ الأميرُ : وهذهِ أعجبُ !! متى رأيتَ السلطانَ يحملُ طيناً أو حجراً حتى تقولَ : إنَّهُ فاعلٌ ؟!

فإنَّ ذلكَ لا يمنعُ مِنْ تحصيلِ الفضيلةِ التي بها الشَّرفُ بينَ أهلِ الفضلِ . وأن يَعرِفَ التصريفَ ؛ حتىٰ يأمنَ مِنَ الخطأَ في مثلِ أبنيةِ المصادرِ ، والمصدرِ الميميِّ ، واسمِ المكانِ ، واسمِ الزمانِ ، والتأنيثِ والتذكيرِ ، والتثنيةِ ، وصيغ الجموع ، والتصغيرِ ، والنَّسبِ .

[تحصيلُ علوم البلاغةِ]

وأن يُحصِّلَ علوم البلاغة ؛ ليَستعمِلَ كلَّ حالٍ مِنْ أحوالِ التراكيبِ في موضعِها ، ويَعرِفَ متى تَحسُنُ الاستعارةُ والكنايةُ والمجازُ ، وكيفَ يَستَعمِلُ المُحسِّناتِ البديعة ، قالَ الشيخُ شهابُ الدِّينِ محمودٌ الحلبيُّ في كتابِهِ «حسنُ التوسُّلِ إلى صناعةِ الترسُّلِ » : (وهاذهِ العلومُ الثلاثةُ وإن لم يُضطرَّ إليها ذو الذِّهنِ الثاقبِ ، والطبعِ السليمِ ، والقريحةِ المطاوعةِ ، والفكرةِ المنقحةِ ، والبديهةِ المجيبةِ ، والرويَّةِ المُتصرِّفةِ ، للكنَّ العالِمَ بها يَتمكَّنُ مِنْ المنقحةِ ، ويتصرَّفُ عن معرفةٍ ، وينتقدُ أرمَّةِ المعاني وصناعةِ الكلامِ ؛ يقولُ عن علمٍ ، ويتصرَّفُ عن معرفةٍ ، وينتقدُ بحُجَّةٍ ، ويَتخيَّرُ بدليلٍ ، ويَستحسنُ ببرهانٍ ، ويصوغُ الكلامَ بترتيبٍ) (١) .

فقد أبانَ رحمَهُ اللهُ تعالى عمومَ الحاجةِ إلى معرفةِ هـنذهِ العلومِ ، ولم يقفُ عندَ استغناءِ الأذكياءِ عنها ، كما فعلَ ابنُ السبكيّ رحمَهُ اللهُ في خطبةِ كتابِهِ

⁽١) حسن التوسل (ص ١١).

«عروسُ الأفراحِ شرحُ تلخيصِ المفتاحِ » حيثُ قالَ: (أمَّا أهلُ [بلادِنا]. . فهُم مستغنونَ عن ذلكَ ؛ بما طبعَهُمُ اللهُ عليهِ مِنَ الذَّوقِ السليمِ ، والفهمِ المستقيمِ ، والأذهانِ التي هي أرقُ مِنَ النَّسيمِ ، وألطفُ مِنْ ماءِ الحياةِ في المُحيَّا الوسيمِ ، أكسبَهُمُ النبلُ تلكَ الحلاوة ، وأشارَ إليهِم بأصابعِهِ فظهرَتْ عليهِم هاذهِ الطُّلاوةُ ، فهُم يدركونَ بطباعِهِم ما أفنتْ فيهِ العلماءُ فضلاً عنِ الأغمارِ الأعمارَ ، ويرونَ في مرآةِ قلوبِهِمُ الصَّقيلةِ ما احتجبَ مِنَ الأسرارِ خلفَ الأستار .

وَٱلسَّيْفُ مَا لَمْ يُلْفَ فِيهِ صَيْقَلٌ مِنْ طَبْعِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِقَالِ

فيا لها غنيمةً لم يُوجَفُ عليها مِنْ خيلٍ ولا رِكابٍ ، ولم يُزحَفْ إليها بعدوِ عيديَّةٍ (٢) ، ولا بلحاقِ لاحقِ ، وانسكابِ سكابِ !!) (٣) .

وأرادَ _ أكرمَ اللهُ مثواهُ ، وأبلغَهُ وافرَ حظِّهِ مِنْ رضاهُ _ أذكياءَ أهلِ مصرَ ، وجاراهُ في ذلكَ أبو العباسِ أحمدُ القَلْقَشَنديُّ ، حيثُ نقلَ ذلكَ في كتابِهِ «صبحِ الأعشىٰ » (أ) ، وأُوردُ استشهاداً علىٰ ذلكَ بعضَ كلامٍ مِنْ كلامِ عوامِّهِم ؛ كقولِ بعضِهِم في الزَّجَلِ :

ما صنع وجد لغزال
وت لثم بالهلال
ورفع ليل لشعر

قف نقولك يا فهيم أرخ ليل شعر لبهيم وكشف ذاك للثام اهتتك فيه بالغرام

⁽١) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (١٤٥/٣) .

⁽٢) العيدية : كرام نجائب النُّوق .

⁽٣) عروس الأفراح (١٤٦/١) ، ولاحق وسكاب : فرسان .

⁽٤) صبح الأعشى (١٨٢/١).

ويُراعىٰ في النطقِ بالزَّجلِ اللَّحنُ المعتادُ ؛ لحفظِ الوزنِ ، ووزنُ هـندا الزَّجل : فاعلات فاعلات .

[حفظُ القرآنِ الكريم]

وأن يحفظ القرآن الشريف ، مُتأمِّلاً مقاصدَ فصولِهِ ، ومواقع آياتِهِ بعضِها مِنْ بعضٍ ، وحسنَ الارتباطِ بينَها ؛ حتىٰ يكونَ لهُ نوراً يهتدي بهِ في طريقِهِ التي يريدُ أن يسلكَها ، وبعدَ ذلكَ فإنَّهُ يستشهدُ بآياتِهِ بعدَ المقارنةِ بينَها وبينَ الأغراضِ التي يحاولُ إنشاءَ الكلامِ لأجلِها علىٰ ما شاءَ مِنَ المعاني ، ويُحلِّي كتبَهُ بالاقتباسِ منهُ في مواضعِ الاقتباسِ ، علىٰ ما سبقَ التنبيهُ لهُ في علمِ البديع .

ويَعتبِرُ حسنَ الاقتباسِ بمثلِ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ على ما حكاهُ في «تاريخِهِ» القاضي أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ الجرجانيُّ ، في كتابٍ لأكثمَ بنِ صيفيٍّ وقد كتبَ لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يَستعلمُهُ عن أُمرِهِ حينَ شاعَ ذكرُ مَبعثِهِ ، وهنذا نصُّ الكتابِ : «بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَانِ ألرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَىٰ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ : أَحْمَدُ ٱللهَ إِلَيْكَ ، ٱللهَ أَلْ اللهَ أَلْ اللهَ أَلْ اللهُ ، أَقُولَهَا وَآمُرَ ٱلنَّاسَ بِهَا ، وَٱلْخَلْقُ خَلْقُ ٱللهِ ، وَالْأَمْرُ أَمْرُ ٱللهِ ، خَلَقَهُمْ وَأَمَاتَهُمْ ، وَهُوَ [يَنْشُرُهُمْ] ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين » .

وقولِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ في عهدِهِ بالخلافةِ لعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ: (بسمِ اللهِ الرَّحمانِ الرحيمِ ، هاذا ما عهدَ أبو بكرٍ خليفةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عندَ آخِرِ عهدِهِ بالدنيا ، وأوَّلِ عهدِهِ بالآخِرةِ ، في الحالِ التي يؤمنُ فيها الكافرُ ، ويَتَّقي فيها الفاجرُ ؛ أنِّي استعملتُ عليكُم عمرَ بنَ الخطابِ ، فإن برَّ وعدلَ . . فذاكَ علمي بهِ ، وإن جارَ وبَدَّلَ . . فلا

علمَ بالغيبِ ، والخيرَ أردتُ ، ولكلِّ امرئ ما اكتسبَ مِنَ الإثمِ ، وسيعلمُ الذينَ ظلموا أيَّ منقلبِ ينقلبونَ) (١١) .

[الإكثارُ من حفظِ صحاح الأحاديثِ]

وأن يحفظ كثيراً مِنْ صحاحِ الأحاديثِ للأغراضِ التي لأجلِها يَحفظُ القرآنَ .

[قراءة التاريخ مع الاعتبار]

وأن يَقرأَ التواريخَ التي يَغلِبُ عليها التحقيقُ ؛ كـ «تاريخِ الخطيبِ البغداديِّ » ، و «تاريخِ الحافظِ الذهبيِّ » ، و «تاريخِ ابنِ الأثيرِ » ؛ ليحكمَ في الوقائع بحكم نظائرِها ، ويَعرِفَ الأحوالَ الحاضرةَ بمعرفةِ أمثالِها الغابرةِ .

[معرفة الأمثالِ العربيةِ]

وأن يَحفظَ كثيراً مِنَ الأمثالِ العربيةِ وغيرِها ، والأقوالِ الصادرةِ عنِ الحكماءِ ؛ فإنَّها خزائنُ الحِكَمِ ، ومُستودعاتُ المعاني ، ومنها تَعرِفُ حسنَ الإيجاز ، وبراعةَ العباراتِ .

⁽١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » ($1 \land 1 \land 1 \land 1$

[ذكرُ بعض الأمثالِ العربيةِ]

وحيثُ كنتَ آخذاً في التعلُّمِ . . وجبَ أن نوردَ لكَ هنا زيادةً على ما سبقَ في البديعِ شيئاً مِنَ الأمثالِ والحِكَمِ ؛ لتكونَ لكَ داعيةً لطلبِ مثلِها مِنْ مواضعِها .

فمِنَ الأمثالِ العربيةِ:

« إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً »

قالَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حينَ وفدَ عليهِ عمرُو بنُ الأهتمِ والزِّبْرِقانُ ابنُ بدرٍ وقيسُ بنُ عاصمٍ ، فسألَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عمرَو بنَ الأهتمِ عنِ الزِّبرقانِ ، فقالَ عمرٌو : مُطاعٌ في أَدْنَيهِ ، شديدُ العارضةِ _ أي : البيانِ واللَّسنِ _ ، مانعٌ لِمَا وراءَ ظهرِهِ ، فقالَ الزِّبرقانُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّهُ لَيعلمُ منِّي أكثرَ مِنْ هاذا ، وللكنَّهُ حسدَنى .

فقالَ عمرٌو: أمَّا واللهِ إنَّهُ لزَمِرُ المروءةِ - أي: قليلُ - ضيِّقُ العَطنِ ، أحمقُ الوالدِ ، لئيمُ الخالِ ، فرأى الغضبَ في وجهِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لمكانِ التناقضِ في كلامِهِ ، فقالَ : واللهِ يا رسولَ اللهِ ؛ ما كذبتُ في الأُولى ، ولمكانِ التناقضِ في الأُخرى ، وللكنِّي رجلٌ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، ولقد صدقتُ في الأُخرى ، وللكنِّي رجلٌ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وسخطتُ فقلتُ أقبحَ ما وجدتُ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً » (١) ؛ يعني : أنَّ بعضَ البيانِ يعملُ عملَ السِّحر .

ومعنى السِّحرِ: إظهارُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ ، والبيانُ : اجتماعُ الفصاحةِ

⁽١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (70/9) ، والمتن عند البخاري (70/9) عن سيدنا ابن عمر رضى الله عنهما .

والبلاغة وذكاء القلبِ معَ اللَّسَنِ ، وإنَّما شُبِّهَ بالسِّحرِ ؛ لحِدَّةِ عملِهِ في سامعِهِ ، وسرعةِ قَبولِ القلبِ لهُ ، يُضرَبُ في استحسانِ المَنطِقِ ، وإيرادِ الحُجَّةِ البالغةِ (۱).

« إِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ : لَا أَرْضاً قَطَعَ ، وَلَا ظَهْراً أَبْقَىٰ »

المُنبتُ : المُنقطِعُ عن أصحابِهِ في السفرِ ، والظَّهرُ : الدابةُ ، قالَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لرجلِ اجتهدَ في العبادةِ حتى هجمَتْ عيناهُ ؛ أي : غارتا ، فلمَّا رآهُ . . قالَ لهُ : « إِنَّ هَلْذَا ٱلدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقِ ؛ إِنَّ ٱلْمُنْبَتَ . . . » فلمَّا رآهُ . . قالَ لهُ : « إِنَّ هَلْذَا ٱلدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقِ ؛ إِنَّ ٱلْمُنْبَتَ . . . » أي : الذي يَجِدُ في سيرِهِ حتى يَنبتَ أخيراً ، سمَّاهُ بما تؤولُ إليهِ عاقبتُهُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتُ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ ﴾ (١) ، يُضرَبُ لِمَنْ يبالغُ في طلبِ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتُ وَإِنَّهُم مَيْتُونَ ﴾ (١) ، يُضرَبُ لِمَنْ يبالغُ في طلبِ الشيءِ ويفرطُ حتىٰ ربَّما يفوتُهُ علىٰ نفسِهِ (١) .

إِنَّ المُوَصَّيْنَ بنو سَهُوانَ

يُضرَبُ عندَ التعجُّبِ مِنْ نسيانِ مَنْ وصَّىٰ بعملِ شيءٍ بكثرةِ وقوعِهِ ، والسَّهُوانُ : السَّهوُ أو الساهي ، و(بنو السَّهوِ) يكونُ ك (أبي الفضلِ) و(أخي الكرمِ) ، وعلىٰ كونِهِ الساهيَ . . فالمرادُ بهِ أبو البشرِ ('') .

إنَّ المعافيٰ غيرُ مخدوع

يُضرَبُ لِمَنْ يُخدَعُ فلا ينخدعُ ، والمعنى : أَنَّ مَنْ عُوفِيَ ممَّا خُدِعَ بهِ . . لم يَضرُّهُ ما كانَ خُودِعَ بهِ .

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٧٢/١) .

⁽٢) سورة الزمر : (٣٠) .

⁽٣) انظر «مجمع الأمثال » (٧٣/١) .

⁽٤) انظر « مجمع الأمثال » (٧٥/١) .

وأصلُ المثلِ : أنَّ رجلاً مِنْ بني سليمٍ يُسمَّىٰ قادحاً كانَ في زمنِ الميرِ يُكنىٰ أبا مظعونٍ ، وكانَ في ذلكَ الزمنِ رجلٌ آخَرُ مِنْ بني سليمٍ أيضاً يُقالُ لهُ : سليطٌ ، وكانَ عَلِقَ امرأةَ قادحٍ ، فلم يزلْ بها حتىٰ أجابَتُهُ وواعدَتُهُ ، فأتىٰ سليطٌ قادحاً وقالَ : إنِّي علقتُ جاريةً لأبي مظعونٍ ، وقد واعدَتْني ، فإذا دخلتَ عليهِ . . فاقعدْ معَهُ في المجلسِ ، فإذا أرادَ القيامَ . . فاسبقْهُ ، فإذا انتهيتَ إلىٰ موضعِ كذا . . فاصْفُرْ حتىٰ أعلمَ بمجيئِكُما فأخذَ حذري ، ولكَ كلَّ يومٍ دينارٌ ، فخدعَهُ بهاذا ، وكانَ أبو مظعونِ ألى امرأتِهِ . آخِرَ الناسِ قياماً مِنَ النادي ، ففعلَ قادحٌ ذلكَ ، وكانَ سليطُ يختلفُ إلى امرأتِهِ .

فجرى ذكرُ النساءِ يوماً ، فذكرَ أبو مظعونٍ جواريَهُ وعفافَهُنَّ ، فقالَ قادحٌ وهوَ يُعرِّضُ بأبي مظعونٍ : ربَّما غُرَّ الواثقُ ، وخُدِعَ الوامقُ ، وكذبَ الناطقُ ، ومَلَّتِ العاتقُ ؛ أي : ربَّما سَئِمَتِ الأُنثىٰ مِنْ فحلِها فعَهِرَتْ ، ثمَّ قالَ :

لَا تَنْطِقَنَّ بِأَمْرٍ لَا تَيَقَّنُهُ يَا عَمْرُو إِنَّ ٱلْمُعَافَىٰ غَيْرُ مَخْدُوعِ

وعمرُو اسمُ أبي مظعونٍ ، فعلمَ عمرُو أنّه يُعرِّضُ بهِ ، فلمّا تَفرَّقَ القومُ . . وثبَ على قادحٍ ، فخنقَهُ وقالَ : اصدقْني ، فحَدَّثَهُ قادحٌ بالحديثِ ، فعرفَ أبو مظعونٍ أنّ سليطاً قد خدعَهُ ، فأخذَ عمرُو بيدِ قادحٍ ثمّ مرّ بهِ على جواريهِ ، فإذا هنّ مُقبِلاتٌ على ما وُكِلنَ بهِ ، لم يَفقِدْ منهُنّ واحدةً ، ثمّ انطلقَ آخذاً بيدِ قادحٍ إلى منزلِهِ ، فوجدَ سليطاً قدِ افترسَ امرأتَهُ ، فقالَ لهُ أبو مظعونٍ : (إنّ قادحٍ إلى مخدوعٍ) تهكّماً بقادحٍ ، فأخذَ قادحٌ السيفَ وشدّ على سليطٍ ، فهربَ فلم يُدركُهُ ، ومالَ إلى امرأتِهِ فقتلَها (١٠) .

^{. (} ۱) انظر « مجمع الأمثال » (1 / ۸۰ .

إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفلِحُ

الفلح : الشقُّ ، ومنهُ الفلَّاحُ للحَرَّاثِ ؛ لأنَّهُ يَشُقُّ الأرضَ ؛ أي : يُستعانُ في الأمرِ الشديدِ بما يشاكلُهُ ويقاويهِ (١) .

إنَّ الدَّواهيَ في الآفاتِ تَهترِسُ

ويُروىٰ : (تَرتهِسُ) وهوَ قلبُ (تَهترِسُ) مِنَ الهَرْسِ ؛ وهوَ الدقُّ ؛ يعني : أنَّ الآفاتِ يموجُ بعضُها في بعضٍ ، ويَدُقُّ بعضُها بعضاً كثرةً ، يُضرَبُ عندَ اشتدادِ الزمانِ واضطرابِ الفتنِ .

وأصلُهُ: أنَّ رجلاً مرَّ باَخَرَ وهوَ يقولُ: يا ربِّ ؛ إمَّا مهرةً أو مهراً ، فأنكرَ عليهِ ذلكَ وقالَ: لا يكونُ الجنينُ إلَّا مهرةً أو مهراً !! فلمَّا ظهرَ الجنينُ . . كانَ مُشَيَّاً الخَلْقِ مختلفَهُ ؛ أي: فيهِ شيءٌ غيرُ شيءٍ ، فقالَ الرجلُ عندَ ذلكَ مُثَيَّاً الخَلْقِ مختلفَهُ ؛ أي: فيهِ شيءٌ غيرُ شيءٍ ، فقالَ الرجلُ عندَ ذلكَ (٢٠):

قَدْ طَرَّقَتْ بِجَنِينِ نِصْفُهُ فَرَسٌ إِنَّ ٱلدَّوَاهِيَ فِي ٱلْآفَاتِ تَهْتَرِسُ

إنَّ العصا مِنَ العُصَيَّةِ

قالَ أبو عبيدٍ: (هنكذا قالَ الأصمعيُّ ، وأنا أحسبُهُ: العُصَيَّةُ مِنَ العصا ، إلَّا أن يُرادَ أنَّ الشيءَ الجليلَ يكونُ في بدءِ أمرِهِ صغيراً ، كما قالوا: إنَّ القَرْمَ مِنَ الأَفِيلِ (٢) ، فيجوزُ حينَئذٍ على هنذا المعنى أن يُقالَ: العصا مِنَ العُصيَّة) (١) .

⁽۱) انظر «مجمع الأمثال» (۸۰/۱).

⁽۲) انظر « مجمع الأمثال » (۸۲/۱) .

⁽٣) الأفيل: الفتيُّ من الإبل ، والقرم: الفحل.

⁽٤) انظر « الأمثال » (ص ١٤٥) .

قالَ المُفضَّلُ: أولُ مَنْ قالَ ذلكَ الأفعى الجُرْهميُّ ؛ وذلكَ أنَّ نزاراً لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . جمعَ بنيهِ مُضَرَ وإياداً وربيعةَ وأنماراً ، فقالَ : يا بَنِيَّ ؛ هلذهِ القُبَّةُ الحمراءُ _ وكانَتْ مِنْ أدم _ لمُضَرَ ، وهلذا الفرسُ الأدهمُ والخِباءُ الأسودُ لربيعةَ ، وهلذهِ الخادمُ _ وكانَتْ شمطاءَ _ لإيادٍ ، وهلذهِ البدرةُ والمجلسُ لأنمارٍ يجلسُ فيهِ ، فإن أشكلَ عليكُم كيفَ تقتسمونَ . . فأتوا الأفعى الجُرْهميَّ ومنزلَهُ بنجرانَ .

فتشاجروا في ميراثِهِ ، فتوجَّهوا إلى الأفعى الجُرْهميِّ ، فبينَما هم في مسيرِهِم إليهِ . . إذ رأى مُضَرُ أثرَ كلاً قد رُعِيَ ، فقالَ : إنَّ البعيرَ الذي رعى هاذا لأعورُ ، قالَ ربيعةُ : إنَّهُ لأزورُ ، قالَ إيادٌ : إنَّهُ لأبترُ ، قالَ أنمارٌ : إنَّهُ لشرودٌ .

فساروا قليلاً ؛ فإذا هُم برجلٍ يَنشُدُ جملَهُ ، فسألَهُم عنِ البعيرِ ، فقالَ مُضَرُ : أهوَ أعورُ ؟ قالَ : نعم ، قالَ إيادٌ : مُضَرُ : أهوَ أعورُ ؟ قالَ : نعم ، قالَ إيادٌ : أهوَ أبترُ ؟ قالَ : نعم ، وهاذهِ واللهِ صفةُ أهوَ أبترُ ؟ قالَ : نعم ، وهاذهِ واللهِ صفةُ بعيري ، فدلُّوني عليهِ ، قالوا : واللهِ ؛ ما رأيناهُ ، قالَ : هاذا واللهِ الكذبُ ، وتَعلَّقَ بهم ، وقالَ : كيفَ أُصدِّقُكُم وأنتُم تصفونَ بعيري بصفتِهِ ؟!

فساروا حتى قدموا نجرانَ ، فلمّا نزلوا . . نادى صاحبُ البعيرِ : هلؤلاءِ أخذوا جملي ، ووصفوا لي صفتَهُ ، ثمّ قالوا : لم نرهُ !! فاختصموا إلى الأفعى وهوَ حَكَمُ العربِ ، فقالَ الأفعى : كيف وصفتُموهُ ولمْ تروهُ ؟ قالَ مُضَرُ : رأيتُهُ رعى جانباً وتركَ جانباً ، فعلمتُ أنّهُ أعورُ ، وقالَ ربيعةُ : رأيتُ إحدى يديهِ ثابتةَ الأثرِ والأخرى فاسدتَهُ ، فعلمتُ أنّهُ أزورُ ؛ لأنّهُ أفسدَهُ لشدّةِ وطئِهِ لازورارِهِ ، وقالَ إيادٌ : عرفتُ أنّهُ أبترُ باجتماعِ بعرِهِ ، ولو كانَ ذيّالاً . . لمَصَعَ بهِ ، وقالَ أنمارٌ : عرفتُ أنّهُ شرودٌ ؛ لأنّهُ كانَ يرعىٰ في المكانِ المُلتفِّ نبتُهُ ،

ثمَّ يجوزُهُ إلى مكانٍ أرقَّ منهُ وأخبثَ نبتاً ، فعلمتُ أنَّهُ شَرودٌ ، فقالَ للرجلِ : ليسوا بأصحابِ بعيركَ ، فاطلبْهُ .

ثمّ سألَهُم: مَنْ أنتُم؟ فأخبروهُ ، فرَحَّبَ بهِم ، ثمّ أخبروهُ بما جاءً بهِم ، فقالَ : أتحتاجونَ إليّ وأنتُم كما أرىٰ ؟! ثمّ أنزلَهُم ، فذبحَ لهُم شاةً ، وأتاهُم بخمر ، وجلسَ لهُمُ الأفعىٰ حيثُ لا يُرىٰ وهوَ يسمعُ كلامَهُم ، فقالَ ربيعةُ : لم أرّ كاليومِ لحماً أطيبَ منهُ لولا أنّ شاتَهُ غُذِيَتْ بلبنِ كلبةٍ ، فقالَ مُضَرُ : لم أرّ كاليومِ خمراً أطيبَ منهُ لولا أنّ حُبْلتَها نبتَتْ علىٰ قبرٍ ، فقالَ مُضَرُ : لم أرّ كاليومِ رجلاً أسرىٰ منهُ لولا أنّ حُبْلتَها نبتَتْ علىٰ قبرٍ ، فقالَ إيادٌ : لم أرّ كاليومِ رجلاً أسرىٰ منهُ لولا أنّهُ ليسَ لأبيهِ الذي يَدّعي لهُ ، فقالَ أنمازٌ : لم أرّ كاليومِ كلاماً أنفعَ في حاجتِنا مِنْ كلامِنا ، وكانَ كلامُهُم بأذنِهِ .

فقالَ: ما هاؤلاءِ إلّا شياطينُ ، ثمّ دعا القهرمانَ ، فقالَ: ما هاذهِ الخمرُ ؟ وما أمرُها ؟ قالَ: هي مِنْ حُبْلَةٍ غرستُها على قبرِ أبيكَ ، لم يكنْ عندَنا شرابٌ أطيبُ مِنْ شرابِها ، وقالَ للراعي : ما أمرُ هاذهِ الشاةِ ؟ قالَ : هي عَناقٌ أرضعتُها بلبنِ كلبةٍ ؛ وذلكَ أنّ أمّها كانَتْ قد ماتَتْ ، ولم يكنْ في الغنمِ شاةٌ ولدَتْ غيرَها ، ثمّ أتى أمّهُ فسألَها عن أبيهِ ، فأخبرَتْهُ أنّها كانَتْ تحتَ مَلِكِ كثيرِ المالِ ، وكانَ لا يُولَدُ لهُ ، قالَتْ : فخفتُ أن يموتَ ولا ولدَ لهُ فيذهبَ الملكُ ، فأمكنتُ مِنْ نفسي ابنَ عمّ لهُ كانَ نازلاً عليهِ .

فخرجَ الأفعىٰ إليهِم، فقصَّ القومُ عليهِ قصَّتَهُم، وأخبروهُ بما أوصىٰ بهِ أبوهُم، فقالَ: ما أشبه القُبَّةَ الحمراءَ مِنْ مالٍ . . فهوَ لمُضَرَ ، فذهبَ بالدنانيرِ والإبلِ الحمرِ، فشمِّي: مُضَرَ الحمراءِ لذلكَ ، وقالَ: وأمَّا صاحبُ الفرسِ الأدهمِ والخِباءِ الأسودِ . . فلهُ كلُّ شيءٍ أسودَ ، فصارَتْ لربيعةَ الخيلُ الدُّهُمُ ، فقيلَ : ربيعةُ الفرس ، وما أشبهَ الخادمَ الشمطاءَ . . فهوَ لإيادٍ ، فصارَ لهُ

الماشيةُ البُلْقُ مِنْ الحَبَلَّقِ والنَّقَدِ (١) ، فسُمِّي : إيادَ الشمطاءِ ، وقضى لأنمارِ بالدراهِم وبما فضلَ ، فسُمِّي : أنمارَ الفضل .

فصدروا مِنْ عندِهِ علىٰ ذلكَ ، فقالَ الأفعىٰ : إنَّ العصا مِنَ العُصَيَّةِ ، وإنَّ خُصَيْناً مِنْ أخشنَ ، ومساعدةُ الخاطلِ تُعَدُّ مِنَ الباطلِ ، فأرسلَهُنَّ مثلاً .

وخُشَيْنٌ وأخشنُ : جبلانِ ؛ أحدُهُما أصغرُ مِنَ الآخَرِ ، والخاطلُ : الجاهلُ ، والخَطَلُ في الكلامِ : اضطرابُهُ ، والعُصَيَّةُ : تصغيرُ تكبيرٍ ؛ مثلُ : أنا عُذَيْقُها المُحَكَّكُ ، والمرادُ : أنَّهُم يُشبِهونَ أباهُم في جودةِ الرأيِ ، ولمرجَّبُ وجُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، والمرادُ : أنَّهُم يُشبِهونَ أباهُم في جودةِ الرأيِ ، وقيلَ : إنَّ العصا اسمُ فرسٍ ، والعُصَيَّةُ اسمُ أُمِّهِ ؛ يُرادُ أنَّهُ يحكي الأُمَّ في كرمِ العرقِ وشرفِ العتق (۱).

إِنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمَنطِق

قالَ المُفضَّلُ: يُقالُ: إِنَّ أُولَ مَنْ قالَ ذَلكَ أَبو بكرِ الصديقُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ فيما ذكرَهُ ابنُ عبّاسٍ ، قالَ: حدَّثني عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ: لمَّا أُمِرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أَن يَعرِضَ نفسَهُ علىٰ قبائلِ العربِ . . خرجَ وأنا معَهُ ، فدفَعْنا إلىٰ مجلسٍ مِنْ مجالسِ العربِ ، فقالَ العربِ ، فقالَ العربِ ، فقالَ : ممَّنِ القومُ ؟ فتقدَّمَ أبو بكرٍ وكانَ نسَّابةً ، فسَلَّمَ ، فردُّوا عليهِ السلامَ ، فقالَ : ممَّنِ القومُ ؟ قالوا : مِنْ ربيعةَ ، فقالَ : أمِنْ هامتِها أم مِنْ لهازمِها ؟ قالوا : مِنْ هامتِها العظمىٰ ، قالَ : أفمِنْكُم عوفٌ ؟ قالوا : ذُهلٌ الأكبرُ ، قالَ : أفمِنْكُم بِسطامٌ عوفٌ الذي يُقالُ لهُ : لا حُرَّ بوادي عوفٍ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم بِسطامٌ ذو اللواءِ ومنتهى الأحياءِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ حامي النِّمارِ ومانعُ الجارِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم الحَوْفزانُ قاتلُ الملوكِ وسالبُها النِّمارِ ومانعُ الجارِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم الحَوْفزانُ قاتلُ الملوكِ وسالبُها النِّمارِ ومانعُ الجارِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : أفمِنْكُم الحَوْفزانُ قاتلُ الملوكِ وسالبُها

⁽١) الحبلق والنَّقد: نوعان من الغنم، والبّلق: السواد والبياض.

⁽۲) انظر «مجمع الأمثال» (۸۸/۱).

أنفسَها ؟ قالوا: لا ، قالَ : أفمِنْكُم المزدلفُ صاحبُ العِمامةِ الفردةِ ؟ قالوا : لا ، قالَ : فلستُم ذُهْلاً لا ، قالَ : فلستُم ذُهْلاً الأ ، قالَ : فلستُم ذُهْلاً ، قالَ : فلستُم ذُهْلاً ، الأكبرَ ، أنتم ذهلٌ الأصغرُ ، فقامَ إليهِ غلامٌ قد بقلَ وجهه مُ يُقالُ له : دَغْفَلٌ ، فقالَ :

إِنَّ عَلَىٰ سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْحِبُءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلَهُ

يا هنذا ؛ إنَّكَ قد سألتَنا ، فلم نكتمْكَ شيئاً ، فمَن الرجلُ أنتَ ؟ قالَ : رجلٌ مِنْ قريشٍ ، قالَ : بخ بخ ، أهلُ الشرفِ والرئاسةِ ، فمِنْ أيّ قريشِ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ تيم بن مُرَّةِ ، قالَ : أمكنتَ واللهِ الراميَ مِنْ صفا الثغرةِ ؛ أفمِنْكُم قصيُّ بنُ كلاب الذي جمعَ القبائلَ مِنْ فهر وكانَ يُدعَىٰ مُجَمِّعاً ؟ قالَ : لا ، قالَ : أَفْمِنْكُم هاشمٌ الذي هشمَ الثريدَ لقومِهِ ورجالُ مكةَ مُسنِتونَ عِجافٌ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنْكُم شيبةُ الحمدِ مطعمُ طير السماءِ الذي كأنَّ في وجههِ قمراً يضيءُ ليلَ الظلام الداجي ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنَ المفيضينَ بالناس أنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أَفْمِنْ أَهِلِ الندوةِ أَنتَ ؟ قال : لا ، قالَ : أَفْمِنْ أَهْل الرفادةِ أنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أفمِنْ أهل الحِجابةِ أنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أَفْمِنْ أَهْلِ السِّقايةِ أَنتَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : واجتذبَ أبو بكر زمامَ ناقتِهِ ، فرجعَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فقالَ دَغْفَلٌ : صادفَ دَرْءُ السيلِ درءاً يَصدَعُهُ ، أما واللهِ لو ثبتَ . . لأخبرتُكَ أنَّكَ مِنْ زمعاتِ قريشِ ، أو ما أنا بِدَغْفَل ، قالَ : فتبسَّمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وسَلَّمَ ، قالَ عليٌّ : قلتُ لأبي بكرٍ : لقد وقعتَ مِنَ الأعرابيّ على باقعةٍ ، قالَ : أجلْ ، إنَّ لكلَّ طامَّةٍ طامَّةً ، وإنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمَنطِق (١).

⁽١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٦/١٧ ـ ٢٩٨) ، وانظر « مجمع الأمثال » (٩١/١ ـ ٩٣) .

وفي قصةِ المثلِ أمثالٌ:

قولُهُ: (لا حرَّ بوادي عوفٍ) يُتمثَّلُ بهِ في هضمِ مَنْ يتعاظمُ بنواحي مَنْ يقدِرُ علىٰ قهرهِ .

وقولُهُ : (إِنَّ على سائلِنا أن نسألَهُ) ؛ ومحلُّ التمثُّل بهِ ظاهرٌ .

وقولُهُ: (والعبءُ لا تَعرِفُهُ أو تحملُهُ) ؛ يُتمثَّلُ بهِ في طلبِ الاختبارِ ، وتركِ الاكتفاءِ بما يبدو ؛ فإنَّ الشيءَ الذي تريدُ حملَهُ فيكون عبئاً ربَّما يكونُ كبيراً في النظرِ خفيفاً في الوزنِ ، وربَّما كانَ ثقيلَ الوزنِ وهوَ صغيرُ الحجمِ .

أُمُّ فرشَتْ فأنامَتْ

يُضرَبُ في برِّ الرجلِ بصاحبِهِ ، قالَ قرادٌ ('': [من الطويل] وَكُنْتُ لَهُ عَمَّاً لَطِيفاً وَوَالِداً رَوُّوفاً وَأُمَّا مَهَّدَتْ فَأَنَامَتِ

إذا تَرضَّيتَ أخاكَ . . فلا أخا لكَ

الترضِّي : الإرضاءُ بجهدٍ ومشقَّةٍ ؛ يقولُ : إذا ألجأَكَ أخوكَ إلىٰ أن تَترضَّاهُ وتداريَهُ . . فليسَ هوَ بأخِ لكَ (٢) .

أن تَردَ الماءَ بماءٍ أكيسُ

يُتمثَّلُ بهِ عندَ الأمرِ بالاقتصادِ في المعيشةِ والمحافظةِ على قليلِهِ وإن كانَ واثقاً بحصولِ كثيرٍ لهُ في المستقبلِ ، وأصلُهُ في المسافرِ عرفَ قُربَهُ مِنَ المنهلِ ، فأسرفَ في استعمالِ ما حملَ مِنَ الماءِ (٣).

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٠٤/١) .

⁽Y) انظر «مجمع الأمثال» (١٠٧/١).

⁽٣) انظر « مجمع الأمثال » (١٢٨/١) .

إحدى خُظَيَّاتِ لقمانَ

الحُظَيَّةُ: تصغيرُ الحَظْوةِ بفتحِ حائِهِ ؛ وهيَ المرماةُ (١) ، قالَ أبو عبيدٍ: (هيَ التي لا نصلَ لها)(٢).

ولقمانُ هاذا: هوَ لقمانُ بنُ عادٍ ، وحديثُهُ : أنَّهُ كانَ بينَهُ وبينَ رجلَينِ مِنْ عادٍ يُقالُ لهُما : عمرٌو وكعبٌ ابنا تِقْنِ بنِ معاوية ، وكانا ربَّيْ إبلٍ ، وكانَ لقمانُ ربَّ غنمٍ ، فأعجبَتْ لقمانَ الإبلُ ، فراودَهُما عنها ، فأبيا أن يبيعاهُ ، فعَمَدَ إلى ألبانِ غنمِهِ مِنْ ضأنٍ ومِعزىٰ ، وأنافح مِنْ أنافح السخلِ ، فلمَّا رأيا فعَمَدَ إلى ألبانِ غنمِهِ مِنْ ضأنٍ ومِعزىٰ ، وأنافحَ مِنْ أنافح السخلِ ، فلمَّا رأيا ذلكَ . . لم يلتفتا إليهِ ، ولم يرغبا في ألبانِ الغنمِ ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ لقمانُ . . قال : اشترياها ابنيْ تِقْنٍ ، أقبلَتْ مَيْساً ، وأدبرَتْ هَيْساً ، وملاَّتِ البيتَ أقطاً وحيساً ، اشترياها ابنيْ تِقْنٍ ؛ إنّها الضَّأنُ تُجَزُّ جُفَالاً ، وتُنتَجُ رِخالاً ، وتُحلَبُ كُثْباً ثقالاً ، فقالا : لا نشتريها يا لقمُ ؛ إنّها الإبلُ ؛ حملنَ فاتَسَقْنَ ، وجرينَ فأعنقنَ ، وبغيرِ ذلكَ أفلتْنَ ، يغزرنَ إذا قَطَنَ ، فلم يبيعاهُ الإبلَ ، ولم يشريا الغنمَ .

فجعلَ لقمانُ يداورُهُما ، وكانا يهابانِهِ ، وكانَ يلتمسُ أن يغفُلا فيشدَّ على الإبلِ ويطردَها .

فلمّا كانَ ذاتَ يومٍ . . أصابا أرنباً وهوَ يَرصدُهُما رجاءَ أن يصيبَهُما فيذهبَ بالإبلِ ، فأخذا صفيحةً مِنَ الصَّفا ، فجعلَها أحدُهُما في يدِهِ ، ثمّ جعلَ عليها كومةً مِنْ ترابٍ قد أحمياهُ ، فملّا الأرنبَ في ذلكَ الترابِ ، فلمّا أنضجاها . . نفضا عنها الترابَ فأكلاها ، فقالَ لقمانُ : يا ويلتا !! أنيئةً أكلاها ، أم الريحَ أقبلاها ، أم بالشيح اشتوياها ؟

⁽١) المرماة: السهم الصغير الضعيف.

⁽٢) الأمثال (ص ٨٠) للقاسم بن سلام .

ولمَّا رآهُما لقمانُ لا يغفلانِ عن إبلِهِما ، ولم يجدْ فيهِما مطمعاً . . لقيَهُما ولم يجدُ فيهِما مطمعاً . . لقيَهُما ومعَ كلِّ واحدٍ منهُما جفيرٌ مملوءٌ نَبْلاً ، وليسَ معَهُ غيرُ نبلَينِ ، فخدعَهُما فقالَ : ما تصنعانِ بهاذهِ النَّبْلِ الكثيرةِ التي معَكُما ؟! إنَّما هي حطبٌ ، فواللهِ ؛ ما أحملُ معي غيرَ نبلَينِ ، فإن لم أصبْ بهِما . . فلستُ بمصيبٍ ، فعَمَدا إلى نبلِهِما فنثراها غيرَ سهمَينِ ، فعَمَدَ إلى النَّبْلِ فحواها ، ولم يصبْ لقمانُ منهُما بعدَ ذلكَ غِرَّة .

وكانَ فيما يذكرونَ لعمرِو بنِ تِقنِ امرأةٌ ، فطلَّقَها ، فتزوجَها لقمانُ ، وكانَتْ المرأةُ وهي عندَ لقمانَ تكثرُ أن تقولَ : لا فتى إلَّا عمرٌو ، وكانَ ذلكَ يغيظُ لقمانَ ويسوءُهُ كثرةُ ذكرِها ، فقالَ لقمانُ : لقد أكثرتِ في عمرٍو ، فوالله ؛ لأقتلنَّ عمراً ، فقالَتْ : لا تفعلْ .

وكانَتْ لابنيْ تِقْنِ سَمُرةٌ يَستظلّانِ بها حتى تردَ إبلُهُما فيسقيانِها ، فصَعِدَها لقمانُ واتخذَ فيها عُشّا رجاءَ أن يصيبَ مِنِ ابنيْ تِقْنِ غِرَّةً ، فلمّا وردَتِ الإبلُ . . تَجرَّدَ عمرٌ و ، وأكبَّ على البئرِ يستقي ، فرماهُ لقمانُ مِنْ فوقِهِ بسهم في ظهرِهِ ، فقالَ : حَسِّ (١) ، إحدى حُظيَّاتِ لقمانَ ، فذهبَ مثلاً ، ثمّ أهوى إلى السهم فانتزعَهُ ، فوقعَ بصرُهُ على الشجرةِ ، فإذا هوَ بلقمانَ ، فقالَ : انتقِ بهاذهِ الدلوِ ، فزعموا أنَّ لقمانَ لمَّا أرادَ أن يرفعَ الدلوَ حينَ امتلاً " فر النومِ الدلوَ حينَ امتلاً " فر المنها مثلاً .

ثمَّ إِنَّ عمراً أرادَ أَن يقتلَ لقمانَ ، فتبسَّمَ لقمانُ ، فقالَ عمرٌو: أضاحكُ أنتَ ؟ قالَ لقمانُ : ما أضحكُ إلَّا مِنْ نفسي ، أما إنِّي نُهيتُ عمَّا ترىٰ ، فقالَ : ومَنْ نهاكَ ؟ قالَ : فلانةُ ، قالَ عمرُو: أفلي عليكَ إِن وهبتُكَ لها أَن

⁽١) حسّ : اسم فعل بمعنى أتألم .

تعلمَها ذلك ؟ قالَ: نعم ، فخلَّىٰ سبيلَهُ ، فأتاها لقمانُ فقالَ: لا فتى إلا عمرٌو ، فقالَتْ : أقد لقيتَهُ ؟ قالَ: نعم ، لقيتُهُ فكانَ كذا وكذا ، ثمَّ أسرَني ، فأرادَ قتلي ، ثمَّ وهبَني لكِ ، قالَتْ : لا فتى إلا عمرٌو .

يُضرَبُ لِمَنْ عُرِفَ بِالشرِّ ، فإذا جاءَتْ هَنةٌ مِنْ جنسِ أفعالِهِ . . قيلَ : إحدى حُظَيَّاتِ لقمانَ ؛ أي : إنَّهُ فعلةٌ مِنْ فعلاتِهِ (١) .

المَيْسُ والهَيْسُ: كالحَيْسِ بفتحٍ فسكونِ ، يصفُ مشيَ الغنمِ عندَ إقبالِها مِنَ المراعي للبيوتِ وهيَ بطانٌ ممتلئةُ الضُّروعِ ، وعندَ إدبارِها عنِ البيوتِ للمراعي وهيَ خِماصٌ ، والجُفالُ: كغُرابٍ ؛ الصُّوفُ الكثيرُ ، والكُثبةُ بضمٍّ فسكونٍ : مِلْءُ القدحِ ، والرِّخالُ بكسرِ الراءِ : جمعُ رِخلةٍ أو رِخلٍ كذلكَ ؛ وهيَ الأُنثىٰ [مِنْ] ولدِ الضأنِ .

إِنَّكَ خيرٌ مِنْ تفاريقِ العصا

قالوا: هاذا مِنْ قولِ غُنيةَ الأعرابيةِ لابنِها، وكانَ عارماً كثيرَ التلفُّتِ إلى الناسِ معَ ضَعفِ أسرِ ودِقَّةِ عظمٍ، فواثبَ يوماً فتىً فقطعَ الفتى أنفَهُ، فأخذَتْ غنيةُ ديةَ أنفِهِ، فحسَّنَتْ حالَها بعدَ فقرٍ مُدقِعٍ، ثمَّ واثبَ آخَرَ فقطعَ أذنَهُ، فأخذَتْ ديتَها، فزادَتْ حسنَ حالٍ، ثمَّ واثبَ آخَرَ فقطعَ شفتَهُ، فأخذَتْ الديةَ.

فلمَّا رأَتْ ما صارَ عندَها مِنَ الإبلِ والغنمِ والمتاعِ ، وذلكَ مِنْ كسبِ جوارحِ البِها . . حَسُنَ رأيها فيهِ ، وذكرَتْهُ في أُرجوزتِها فقالَتْ : [من مشطور الرجز]

أَحْلِفُ بِٱلْمَرْوَةِ حَقّاً وَٱلصَّفَا إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ ٱلْعَصَا

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٣٤/١) .

قيلَ لأعرابيّ: ما تفاريقُ العصا ؟ قالَ: العصا تقطعُ ساجوراً ، والسواجيرُ تكونُ للكلابِ وللأسرى مِنَ الناسِ ، ثمَّ تقطعُ عصا الساجورِ فتصيرُ أوتاداً ، ويُفرقُ الوتدُ فتصيرُ كلُّ قطعةٍ شِظاظاً _ ككتابٍ _ خشبةٌ تُعقَفُ لتُجعَلَ في عروتَيْ جوالقينِ ، فإن جُعِلَ لرأسِ الشِّظاظِ كالفلكةِ . . صارَ للبختيِّ مِهاراً بكسرِ الميمِ ، وهوَ العودُ الذي يُدخَلُ في أنفِ البختيِّ ، وإذا فرقَ المِهارُ . . جاءَتْ منهُ توادٍ ؛ وهيَ الخشبةُ التي تُشَدُّ على خِلْفِ الناقةِ إذا صُرَّتْ .

هاذا إذا كانَتْ عصاً ، فإذا كانَتْ قناةً . . فكلُّ شقّ منها قوسُ بندقٍ ، فإن فُرِّقَتِ السهامُ . . صارَتْ حِظاءً ، فإن فُرِّقَتِ السهامُ . . صارَتْ حِظاءً ، فإن فُرِّقَتِ السهامُ . . صارَتْ مغازلَ ، فإن فُرِّقَتِ المغازلُ . . شعبَ بهِ الشَّعَّابُ فُرِّقَتِ المحارُ . . شعبَ بهِ الشَّعَّابُ أَقداحَهُ المصدوعة وقِصاعَهُ المشقوقة ، على أنَّهُ لا يجدُ لها أصلحَ منها وأليقَ بها .

يُضرَبُ فيمَنْ نفعُهُ أعمُّ مِنْ نفع غيرِهِ (١١).

إنَّما يُعاتَبُ الأديمُ ذو البشرةِ

المعاتبة : المعاودة ، وبشرة الأديم : ظاهره الذي عليه الشَّعر ؛ أي : أنَّ ما يُعادُ إلى الدِّباغ مِنَ الأديم ما سلمَتْ بشرتُهُ .

يُضرَبُ لِمَنْ فيهِ مراجعةٌ ومُستعتبٌ ، قالَ الأصمعيُّ : كلَّ ما كانَ في الأديمِ مُحتمِلٌ ما سلمَتِ البشرةُ ، فإذا نَغِلَتِ البشرةُ . . بطلَ الأديمُ ، ومِنْ هنا أُخِذَ العتابُ بينَ الإخوانِ لذكرِ الهفواتِ ، ثمَّ الاعتذارُ أو الاعترافُ ، والمسامحةُ ، والعودُ إلى المصافاةِ ، فيكونُ ذلكَ بمنزلةِ دبغِ الجلدِ لإزالةِ فضلاته .

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٣٧/١ _ ١٣٨) .

إنَّ العصا قُرِعَتْ لذي الحِلْم

قيل : إنَّ أولَ مَنْ قُرِعَتْ لهُ العصاعمرُو بنُ مالكِ بنِ ضبيعة ، أخو سعدِ بنِ مالكِ الكنانيّ ؛ وذلكَ أنَّ سعداً أتى النعمانَ بنَ المنذرِ ومعَهُ خيلٌ لهُ قادَها وأخرىٰ عَرَّاها ، فقيلَ لهُ : لمَ عَرَّيتَ هاذهِ وقُدتَ هاذهِ ؟ قالَ : لم أَقُدْ هاذهِ لأمنعَها ، ولم أُعَرِّ هاذهِ لأهبَها ، ثمَّ دخلَ على النعمانِ ، فسألَهُ عن أرضِهِ ، فقالَ : أمَّا مطرُها . فغزيرٌ ، وأمَّا نبتُها . . فكثيرٌ .

فقالَ لهُ النعمانُ : إنَّكَ لقَوَّالٌ ، وإن شئتَ أتيتُكَ بما تعيا عن جوابِهِ ، قالَ : نعم ، فأمرَ وصيفاً لهُ أن يلطمَهُ ، فلطمَهُ لطمةً ، فقالَ : ما جوابُ هاذهِ ؟ قالَ : سفيهٌ مأمورٌ ، قالَ : الطمْهُ أخرىٰ ، فلطمَهُ ، قالَ : ما جوابُ هاذهِ ؟ قالَ : لو أُخِذَ بالأُولىٰ . . لم يَعُدْ للأخرىٰ ، وإنَّما أرادَ النعمانُ أن يَتعدّىٰ سعدٌ في المَنطِقِ فيقتلَهُ ، قالَ : الطمْهُ ثالثةً ، فلطمَهُ ، قالَ : ما جوابُ هاذهِ ؟ قالَ : ربُّ يُؤدِّبُ عبدَهُ ، قالَ : الطمْهُ أخرىٰ ، فلطمَهُ ، قالَ : ما جوابُ هاذهِ ؟ قالَ : ملكتَ [فأسجحْ] ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ النعمانُ : أصبتَ ، فامكث عندي ، وأعجبَهُ ما رأىٰ منهُ ، فمكثَ عندهُ ما مكثَ .

ثمَّ إنَّهُ بدا للنعمانِ أن يبعثَ رائداً ، فبعثَ عمراً أخا سعدٍ ، فأبطاً عليهِ ، فأغضبَهُ ذٰلكَ ، فأقسمَ ؛ لَئن جاءَ ذامّاً للكلأ أو حامداً لهُ . . ليقتلنّهُ ، فقدمَ عمرُو وكانَ سعدٌ عندَ الملكِ ، فقالَ سعدٌ : أتأذنُ أن أُكلِّمهُ ؟ قالَ : إذاً يُقطَعَ لسانُكَ ، قالَ : فأشيرَ إليهِ ؟ قالَ : إذاً تُقطَعَ يدُكَ ، قالَ : فأقرعَ لهُ العصا ؟ قالَ : فاقرعُها ، فتناولَ سعدُ عصا جليسِهِ وقرعَ بعصاهُ قرعةً واحدةً ، فعرفَ قالَ : فاقرعُها ، فتناولَ سعدُ عصا جليسِهِ وقرعَ بعصاهُ قرعةً واحدةً ، فعرفَ أنَّهُ يقولُ لهُ : مكانكَ ، ثمَّ قرعَ بالعصا ثلاثَ قَرَعاتٍ ، ثمَّ رفعَها إلى السماءِ ، ومسحَ عصاهُ بالأرضِ ، فعرفَ أنَّهُ يقولُ لهُ : لم أجدْ جدباً ، ثمَّ قرعَ العصا مراراً ، ثمَّ رفعَها شيئاً وأوماً إلى الأرضِ ، فعرفَ أنّهُ يقولُ : ولا نباتاً ، ثمَّ قرعَ العصا العصا قرعةً وأقبلَ نحوَ الملكِ ، فعرفَ أنّهُ يقولُ : كَلِّمهُ ، فأقبلَ عمرُو حتىٰ العصا قرعةً وأقبلَ نحوَ الملكِ ، فعرفَ أنّهُ يقولُ : كَلِّمهُ ، فأقبلَ عمرُو حتىٰ العصا قرعةً وأقبلَ نحوَ الملكِ ، فعرفَ أنّهُ يقولُ : كَلِّمهُ ، فأقبلَ عمرُو حتىٰ

قامَ بينَ يَديِ الملكِ ، فقالَ لهُ : أخبرْني ، هل حمدت خصباً أو ذممتَ جدباً ؟ فقالَ عمرٌو : لم أذممْ هُزْلاً ، ولم أحمدْ بقلاً ، الأرضُ مشكلةٌ ، لا خصبُها يعرَفُ ، ولا جدبُها يُوصَفُ ، رائدُها واقفٌ ، ومنكرُها عارفٌ ، وآمنُها خائفٌ ، قالَ الملكُ : أولىٰ لكَ ، فقالَ سعدُ بنُ مالكِ يذكرُ قرعَ العصا : [من الطويل]

وَلَمْ تَكُ لَوْلَا ذَاكَ فِي ٱلْقَوْمِ تُقْرَعُ وَلَا سَارِحٍ فِيهَا عَلَى ٱلرَّعْيِ يَشْبَعُ وَلَا صَابَهَا غَيْثٌ غَزِيرٌ فَتَمْرُعُ وَلَا صَابَهَا غَيْثٌ غَزِيرٌ فَتَمْرُعُ وَقَدْ كَادَ لَوْلَا ذَاكَ فِيهِمْ تُقَطَّعُ

قَرَعْتُ ٱلْعَصَاحَتَىٰ تَبَيَّنَ صَاحِبِي فَقَالَ رَأَيْتُ ٱلْأَرْضَ لَيْسَتْ بِمُمْحِلٍ سَوَاءٌ فَلَا جَدْبٌ فَيُعْرَفُ جَدْبُهَا فَتَحْيَا بِهَا حَوْبَاءُ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ

هاذا قولُ بعضِهِم.

وقالَ آخَرونَ في قولِهِم: إنَّ العصاقُرِعَتْ لذي الحِلمِ: إنَّ ذا الحِلمِ هاذا هو عامرُ بنُ الظَّرِبِ العدوانيُّ ، وكانَ مِنْ حكماءِ العربِ ، لا تَعدِلُ بفهمِهِ فهماً ، ولا بحكمِهِ حكماً ، فلمَّا طعنَ في السنِّ . . أنكرَ مِنْ عقلِهِ شيئاً ، فقالَ لبنيهِ : إنَّهُ قد كَبِرَتْ سنِّي ، وعرضَ لي سهوٌ ، فإذا رأيتموني خرجتُ مِنْ كلامي ، وأخذتُ في غيرهِ . . فاقرعوا ليَ المِجَنَّ بالعصا .

وقيلَ : كانَتْ لهُ جاريةٌ يُقالُ لها : خصيلةٌ ، فقالَ لها : إذا أنا خُولِطتُ . . فاقرعى ليَ العصا .

وأُتِيَ عامرٌ بخُنثىٰ ليحكمَ فيهِ ، فلم يدرِ ما الحكمُ ، فجعلَ يَنحَرُ لهُم ويُطعِمُهُم ويدافعُهُم بالقضاءِ ، فقالَتْ خصيلة : ما شأنُكَ قد أتلفتَ مالكَ ؟ فخبَّرَها أنَّهُ لا يدري ما حكمُ الخنثىٰ ، فقالَتْ : أتبعْهُ مبالَهُ .

قالَ الشعبيُّ: فحدَّثَني ابنُ عباسٍ بها ، قالَ : فلمَّا جاءَ اللهُ بالإسلامِ . . صارَتْ سُنَّةً فيهِ .

وعامرٌ هوَ الذي يقولُ:

أَرَىٰ شَعَرَاتٍ عَلَىٰ حَاجِبي

ظَلِلْتُ أُهَاهِي بهنَّ ٱلْكِلَابَ

وَأَحْسِبُ أَنْفِى إِذَا مَا مَشَيْتُ

يُقالُ : إنَّهُ عاشَ ثلاثَ مئةِ سنةٍ ، وهوَ الذي يقولُ :

تَقُولُ ٱبْنَتِي لَمَّا رَأَتْنِي كَأَنَّنِي وَمَا ٱلْمَوْتُ أَفْنَانِي وَلَلْكِنْ تَتَابَعَتْ

ثَلَاثُ مِئِينَ قَدْ مَرَرْنَ كَوَامِلاً

فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ ٱلنَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُهُ

أُخَبِّرُ أَخْبَارَ ٱلْقُرُونِ ٱلَّتِي مَضَتْ

بيضاً نَبَتْنَ جَمِيعاً تُؤَامَا

أَحْسِبُهُ نَّ صِوَاراً قِيامَا شَخْصاً أَمَامِي رَآنِي فَقَامَا

[من الطويل]

[من المتقارب]

سَلِيمُ أَفَاع لَيْلُهُ غَيْرُ مُودَع عَلَيَّ سِنُونٌ مِنْ مَصِيفٍ وَمَرْبَع وَهَاأَنَا هَاذَا أَرْتَ جِي مَرَّ أَرْبَع إِذَا رَامَ تَـطْـيَـاراً يُـقَـالُ لَـهُ قَـع وَلَا بُدَّ يَوْماً أَنْ يُطَارَ بِمَصْرَعِي

قالَ ابنُ الأعرابيّ : أوَّلُ مَنْ قُرِعَتْ لهُ العصا : عامرُ بنُ الظَّرِبِ العدوانيُّ ، وربيعةُ تقولُ : بل هوَ قيسُ بنُ خالدِ بنِ ذي الجدَّينِ ، وتميمٌ تقولُ : بل هوَ ربيعةُ بنُ مخاشنٍ أحدُ بني أسيدِ بنِ عمرِو بنِ تميمٍ ، واليمنُ تقولُ : بل هوَ عمرُو بنُ حممةَ الدوسيُّ .

قالَ : وكانَتْ حُكَّامُ تميم في الجاهليةِ : أكثمَ بنَ صيفيّ ، وحاجبَ بنَ زرارةَ ، والأقرعَ بنَ حابسِ ، وربيعةَ بنَ مخاشنِ ، وضمرةَ بنَ ضمرةَ ، غيرَ أنَّ ضمرةً حكم فأخذ رشوةً فغدر .

[وحُكَّامُ] قيسِ : عامرُ بنُ الظَّرِبِ ، وغيلانُ بنُ سلمةَ الثقفيُّ ، وكانَتْ لهُ ثلاثةُ أيام ؛ يومٌ يحكمُ فيهِ بينَ الناسِ ، ويومٌ يُنشِدُ فيهِ شعرَهُ ، ويومٌ ينظرُ فيهِ إلىٰ جمالِهِ ، وجاءَ الإسلامُ وعندَهُ عشرُ نسوةٍ ، فخَيَّرَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فاختارَ أربعاً ، فصارَتْ سُنَّةً . وحُكَّامُ قريشٍ : عبدُ المطلبِ ، وأبو طالبٍ ، والعاصي بنُ وائلٍ .

وحكيماتُ العربِ: صخرُ بنتُ لقمانَ ، وهندٌ بنتُ الخُسِّ ، وجمعةُ بنتُ حابسٍ ، وابنةُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ: ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِّسُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ: ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِّسُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ: ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِّسُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ: ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِّسُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ : ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِّسُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ : ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِّسُ عالمَ الطَّرِبُ النَّالِيلِ اللهُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ المُتلمِّسُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ : ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِّسُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ المُتلمِّسُ ، والنَّالُ المُتلمِّسُ ، والنَّالُ اللهُ عالمِ اللهُ عالمِ الطَّرِبِ اللهُ اللهُ عالمِ اللهُ عالمَ عالمَ اللهُ عالمَ اللهُ عالمَ اللهُ عالمَ عالمَ المُعَلّمُ اللهُ عالمَ عالمَ عالمَ اللهُ عالمَ عال

لِذِي ٱلْحِلْمِ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ ٱلْعَصَا وَمَا عُلِّمَ ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا وَالْمِثلُ يُضرَبُ لِمَنْ إِذَا نُبَّهَ . . انتبَهَ (٢) .

أنا النذيرُ العُرْيانُ

قالَ ابنُ الكلبيّ: كانَ مِنْ حديثِ النذيرِ العُريانِ: أَنَّ أَبا دؤادٍ الشاعرَ كانَ جاراً للمنذرِ بنِ ماءِ السماءِ ، وأَنَّ أبا دؤادٍ نازعَ رجلاً بالحِيرةِ مِنْ بهراءَ يُقالُ لهُ: رقبةُ بنُ عامرٍ ، فقالَ لهُ رقبةُ : صالحْني وحالفْني ، قالَ أبو دُؤادٍ : فمِنْ لهُ: رقبةُ بنُ عامرٍ ، فقالَ لهُ رقبةُ اللهُ عالميْ مِنْ بهراءَ . . لهلكتَ ، ثمَّ افترقا علىٰ تلكَ الحالةِ .

وإنّ أبا دُؤادٍ أخرجَ بنينَ لهُ ثلاثةً في تجارةٍ إلى الشامِ ، فبلغَ ذلكَ رقبة ، فبعثَ إلىٰ قومِهِ فأخبرَهُم بما قالَ لهُ أبو دؤادٍ عندَ المنذرِ ، وأخبرَهُم أنّ القومَ ولدُ أبي دؤادٍ ، فخرجوا إلى الشامِ ، فقتلوهُم وبعثوا برؤوسِهِم إلىٰ رقبةَ ، فلمّا أتتْهُ الرؤوسُ . . صنعَ طعاماً كثيراً ، ثمّ أتى المنذرَ فقالَ لهُ : قدِ اصطنعتُ لكَ طعاماً ، فأنا أحبُ أن تَتغدّى عندي ، فأتاهُ المنذرُ وأبو دؤادٍ معَهُ ، فبينا الجِفانُ تُرفَعُ وتُوضَعُ . . إذ جاءَتْ جَفنةٌ عليها أحدُ رؤوسِ بني أبي دؤادٍ ، فقالَ أبو دُؤادٍ : أبيتَ اللعنَ ؛ إنّي جارُكَ ، وقد ترىٰ ما صنعَ بي ، وكانَ رقبةُ فقالَ أبو دُؤادٍ : أبيتَ اللعنَ ؛ إنّي جارُكَ ، وقد ترىٰ ما صنعَ بي ، وكانَ رقبةُ

^{. (} 1) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (2 0) .

⁽٢) انظر « مجمع الأمثال » (١٣٨/١ ـ ١٤٣) .

جاراً للمنذرِ ، قالَ : فوقعَ المنذرُ منهُما في سوءةٍ ، وأمرَ برقبةَ فحُبِسَ ، وقالَ لأبي دؤادٍ : ما يرضيكَ ؟ قالَ : أن تبعثَ بكتيبتَيكَ الشهباءِ والدَّوسرِ إليهِم ، فقالَ لهُ المنذرُ : قد فعلتُ ، فوَجَّهَ إليهِم الكتيبتَينِ .

قالَ: فلمَّا رأىٰ ذلك رقبةُ مِنْ صنعِ المنذرِ.. قالَ لامرأتِهِ: الحقي بقومِكِ فأنذريهِم، فعَمَدَتْ إلىٰ بعضِ إبلِ البهرانيِّ، فركبَتْهُ، ثمَّ خرجَتْ حتىٰ أتَتْ قومَها، فعرَّفَتْ، ثمَّ قالَتْ: أنا النذيرُ العريانُ، فأرسلَتْها مثلاً، وعرفَ القومُ ما تريدُ، فصَعِدوا إلىٰ علياءِ الشامِ، وأقبلَتِ الكتيبتانِ، فلم تصيبا منهُم أحداً، فقالَ المنذرُ لأبي دؤادٍ، قد رأيتَ ما كانَ منهُم، أفيسكتُكَ عنِّي أن أعطيكَ بكلِّ رأسٍ مئتَيْ بعيرٍ، قالَ: نعم، فأعطاهُ ذلكَ ، وفيهِ يقولُ قيسُ بنُ أعطيكَ العبسيُّ:

سَأَفْعَلُ مَا بَدَا لِي ثُمَّ آوِي إلَىٰ جَارٍ كَحَارٍ أَبِي دُوَّادِ

وقالَ غيرُهُ: إنَّما قالوا: النذيرُ العريانُ ؛ لأنَّ الرجلَ إذا رأى الغارة قد فجأَتْهُم ، وأرادَ إنذارَ قومِهِ . . تَجرَّدَ مِنْ ثيابِهِ ، وأشارَ بها ليعلمَ أنَّهُ قد فجأَهُم أمرٌ ، ثمَّ صارَ مثلاً لكلِّ أمرٍ تُخافُ مفاجأتُهُ ، ولكلِّ أمرٍ لا شبهةَ فيهِ .

إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارَةُ

أوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ : سهلُ بنُ مالكِ الفزاريُّ ؛ وذَلكَ أنَّهُ خرجَ يريدُ النعمانَ ، فمرَّ ببعضِ أحياءِ طيءٍ ، فسألَ عن سيدِ الحيِّ ، فقيلَ لهُ : حارثةُ بنُ لأمٍ ، فأمَّ رحلَهُ ، فلم يُصِبْهُ شاهداً ، فقالَتْ لهُ أختُهُ : انزلْ في الرَّحبِ والسَّعةِ ، فأمَّ رحلَهُ ، فلم يُصِبْهُ شاهداً ، فقالَتْ لهُ أختُهُ : انزلْ في الرَّحبِ والسَّعةِ ، فنزلَ ، فأكرمَتْهُ ولاطفَتْهُ ، ثمَّ خرجَتْ مِنْ خِبائِها ، فرأىٰ أجملَ أهلِ دهرِها وأكملَهُم ، وكانتْ عقيلةَ قومِها وسيدةَ نسائِها ، فوقعَ في نفسِهِ منها شيءٌ ، فجعلَ لا يدري كيفَ يرسلُ إليها ، ولا ما يوافقُها مِنْ ذلكَ ، فجلسَ بفِناءِ فجعلَ لا يدري كيفَ يرسلُ إليها ، ولا ما يوافقُها مِنْ ذلكَ ، فجلسَ بفِناءِ

الخِباءِ يوماً وهي تسمعُ كلامَهُ ، فجعلَ ينشدُ ويقولُ: [من مشطور الرجز]
يَا أُخْتَ خَيْرِ ٱلْبَدْوِ وَٱلْحَضَارَهُ
كَيْفَ تَرِيْنَ فِي فَتَى فَزَارَهُ
أَصْبَحَ يَهْ وَى حُرَّةً مُعْطَارَهُ
إِيَّاكِ أَعْنِي وَٱسْمَعِي يَا جَارَهُ

فلمَّا سمعَتْ قولَهُ . . عرفَتْ أَنَّهُ إِيَّاها يعني ، فقالَتْ : ما ذا بقولِ ذي عقلٍ أريبٍ ، ولا رأي مصيبٍ ، ولا أنفٍ نجيبٍ ، فأقمْ ما أقمتَ مُكرَّماً ، ثمَّ ارتحلْ متى شئتَ مُسلَّماً ، ويُقالُ : أجابَتْهُ نظماً فقالَتْ : [من مشطور الرجز]

إِنِّي أَقُولُ يَا فَتَى فَزَارَهُ لَا أَبْتَعِي ٱلزَّوْجَ وَلَا ٱلدَّعَارَهُ وَلَا فِرَاقَ أَهْلِ هَاذِي ٱلْحَارَهُ فَارْحَلْ إِلَى أَهْلِكَ بِٱسْتِخَارَهُ

فاستحيا الفتى وقال : ما أردتُ مُنكراً ، وا سوءتاه ، قالَت : صدقت ، فكأنّها استحيت مِنْ تَسرُّعِها إلى تهمتِه ، فارتحل ، فأتى النعمان ، فحيّاه وأكرمَه ، فلمّا رجع . . نزلَ على أخيها ، فبينا هو مقيمٌ عندَهُم . . تَطلّعت إليه نفسُها ، وكانَ جميلاً ، فأرسلَت إليه : أنِ اخطُبْني إن كانَ لكَ إليّ حاجة وما مِنَ الدّهرِ ؛ فإنّي سريعة إلى ما تريد ، فخطبَها وتَزوّجَها ، وسارَ بها إلى قومِه .

يُضرَبُ لمَنْ يَتكلَّمُ بكلامٍ ويريدُ بهِ شيئاً غيرَهُ (١١).

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٦٥/١ _ ١٦٦) .

إنَّ غداً لناظرهِ قريبٌ

أي: لمنتظرِهِ ، يُقالُ: نظرتُهُ ؛ أي: انتظرتُهُ .

وأوّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : قُرادُ بنُ أجدع ؟ وذلكَ أنَّ النعمانَ بنَ المنذرِ خرجَ يَتصيَّدُ على فرسِهِ اليحمومِ ، فأجراهُ على أثرِ عَيْرٍ ، فذهبَ بهِ الفرسُ في الأرضِ ولم يقدرْ عليهِ ، وانفردَ عن أصحابِهِ ، وأخذَتْهُ السماءُ ، فطلبَ ملجأ يلجأ إليهِ ، فدفعَ إلى بناءٍ ، فإذا فيهِ رجلٌ مِنْ طيءٍ يُقالُ لهُ : حنظلةُ ومعَهُ المرأةٌ لهُ ، فقالَ لهُ الله على مِنْ مأوى ، فقالَ حنظلةُ : نعم ، فخرجَ إليهِ فأنزلَهُ ، ولم يكنْ للطائيِّ غيرُ شاةٍ وهوَ لا يَعرِفُ النعمانَ ، فقالَ لامرأتِهِ : أرى رجلاً ذا هيئةٍ وما أخلقهُ أن يكونَ شريفاً خطيراً ، فما الحيلةُ ؟ قالَتْ : عندي شيءٌ مِنْ طحينٍ كنتُ ادَّخرتُهُ ، فاذبحِ الشاةَ لأتخذَ مِنَ الطَّحينِ مَلَّةً .

قالَ : فأخرجَتِ المرأةُ الدقيقَ ، فخبزَتْ منهُ مَلَّةً ، وقامَ الطائيُّ إلىٰ شاتِهِ فاحتلبَها ، ثمَّ ذبحَها ، فاتخذَ مِنْ لحمِها مَرَقَةً مَضِيرةً ، وأطعمَهُ مِنْ لحمِها ، وسقاهُ مِنْ لبنِها ، واحتالَ لهُ شراباً فسقاهُ ، وجعلَ يُحدِّثُهُ بقيةَ ليلتِهِ .

فلمَّا أصبحَ النعمانُ . . لبسَ ثيابَهُ ، وركبَ فرسَهُ ، ثمَّ قالَ : يا أخا طيءٍ ؟ اطلبُ ثوابَكَ ، أنا الملكُ النعمانُ ، قالَ : أفعلُ إن شاءَ اللهُ ، ثمَّ لحقَ الخيلَ ، فمضىٰ نحوَ الحِيرةِ .

ومكث الطائيُّ بعدَ ذلك زماناً حتى أصابَتْهُ نكبةٌ وجهدَ ، وساءَتْ حالُهُ ، فقالَتْ لهُ امرأتُهُ: لو أتيتَ الملكَ . . لأحسنَ إليكَ ، فأقبلَ حتى انتهىٰ إلى الحيرةِ ، فوافقَ يومَ بؤسِ النعمانِ ؛ فإذا هوَ واقفٌ في خيلِهِ في السلاحِ ، فلمَّا نظرَ إليهِ النعمانُ . . عرفَهُ ، وساءَهُ مكانُهُ ، فوقفَ الطائيُّ المنزولُ به بينَ يَديِ النعمانِ ، فقالَ لهُ : أنت الطائيُّ المنزولُ بهِ ، قالَ : نعم ، قالَ : أفلا جئتَ في غيرِ هاذا اليوم ؟! قالَ : أبيتَ التَّعنَ ، وما كانَ علمي بهاذا اليوم ،

قالَ: واللهِ ؛ لو سنحَ لي في هاذا اليوم قابوسُ ابني . . لم أجدْ بدّاً مِنْ قتلِهِ ، فاطلُبْ حاجتَكَ مِنَ الدنيا ، وسلْ ما بدا لكَ ؛ فإنَّكَ مقتولٌ ، قالَ : أبيتَ اللَّعنَ ، وما أصنعُ بالدنيا بعدَ نفسي ، قالَ النعمانُ : إنَّهُ لا سبيلَ إليها ، قالَ : فإن كانَ لا بدَّ ، فأجِّلْني حتى ألمَّ بأهلي فأوصيَ إليهِم وأُهيِّئ حالَهُم ، ثمَّ أنصرفَ إليكَ ، قالَ النعمانُ : فأقمْ لي كفيلاً بموافاتِكَ ، فالتفتَ الطائيُّ إلى شريكِ بنِ عمرو بنِ قيسٍ مِن بني شيبانَ ، وكانَ يكنى أبا الحوفزانِ ، وكانَ شريكِ بنِ عمرو وبنِ قيسٍ مِن بني شيبانَ ، وكانَ يكنى أبا الحوفزانِ ، وكانَ صاحبَ الرِّدافةِ ، وهوَ واقفٌ بجنبِ النعمانِ ، فقالَ لهُ : [من مجزوء الكامل] يَا شَرِيكَ اللهِ مَنْ اللهُ عَمْ و قافَ بحنبِ النعمانِ ، فقالَ لهُ : [من مجزوء الكامل] يَا شَرِيكَ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهِ مَنْ اللهُ عَمْ و قَالَ لهُ عَمْ و قافَ مَا مِنْ عَمْ و قافَ اللهُ مَنْ اللهِ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَا اللهِ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَا اللهِ عَمْ و اللهُ اللهُ عَمْ و اللهِ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

يَا شَرِيكاً يَا بُنَ عَمْرٍ هَلْ مِنَ ٱلْمَوْتِ مَحَالَهُ يَا أَخَا كُلِّ مُضَافٍ يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَا لَهُ يَا أَخَا ٱلنَّعُمَانِ فُكَ ٱلْ يَوْمَ ضَيْفاً قَدْ أَتَى لَهُ طَالَ مَا عَالَجَ كَرْبَ ٱلْ مَا عَالَجَ كَرْبَ ٱلْ

فأبئ شريكُ أن يَتكفَّلَ بهِ ، فوثبَ إليهِ رجلٌ مِنْ كلبٍ يُقالُ لهُ : قرادُ بنُ أجدعَ ، فقالَ للنعمانِ : أبيتَ اللَّعنَ ، هوَ عليَّ ، قالَ النعمانُ : أفعلتَ ؟ قالَ : نعم ، فضمَّنهُ إيّاهُ ، ثمَّ أمرَ للطائيِّ بخمسِ مئةِ ناقةٍ ، فمضى الطائيُّ إلىٰ أهلِهِ ، وجعلَ الأجلَ حولاً مِنْ يومِهِ ذلكَ إلىٰ مثلِ ذلك اليومِ مِنْ قابلِ ، فلمَّا حالَ عليهِ الحولُ وبقيَ مِنَ الأجلِ يومٌ قالَ النعمانُ لقُرادٍ : ما أُراكَ إلَّا هالكاً غداً ، فقالَ قُرادٌ :

فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَاذَا ٱلْيَوْمِ وَلَّى فَإِنَّ غَداً لِنَاظِرِهِ قَرِيبُ

فلمَّا أصبحَ النعمانُ . . ركبَ في خيلِهِ ورَجِلِهِ مُتسلِّحاً كما كانَ يفعلُ ، حتى أتى الغَرِيَّينِ فوقفَ بينَهُما ، وأخرجَ معَهُ قُراداً ، وأمرَ بقتلِهِ ، فقالَ لهُ وزراؤُهُ : ليسَ لكَ أن تقتلَهُ حتى يستوفيَ يومَهُ ، فتركَهُ ، وكانَ النعمانُ

يشتهي أن يُقتَلَ قُرادٌ ليفلتَ الطائيُّ مِنَ القتلِ ، فلمَّا كادتِ الشمسُ تجبُ وقرادٌ قائمٌ مُجرَّدٌ في إزارٍ على النطعِ والسيَّافُ إلىٰ جنبِهِ . . أقبلَتِ امرأتُهُ وهيَ تقولُ :

أَيَا عَيْنُ بَكِّي لِي قُرَادَ بْنَ أَجْدَعَا رَهِيناً لِقَتْلٍ لَا رَهِيناً مُوَدَّعَا أَيَا عَيْنُ بَكِي لِي قُرَادَ بْنَ أَجْدَعَا أَهْمَى أَسِيراً حَاضِرَ ٱلْبَيْتِ أَضْرَعَا أَتْتُهُ ٱلْمَنَايَا بَغْتَةً دُونَ قَوْمِهِ فَأَمْسَىٰ أَسِيراً حَاضِرَ ٱلْبَيْتِ أَضْرَعَا

فبينَما هُم كذلكَ . . إذ رفع لهُم شخصٌ مِنْ بعيدٍ وقد أمرَ النعمانُ بقتلِ قرادٍ ، فقيلَ لهُ : ليسَ لكَ أن تقتلَهُ حتىٰ يأتيكَ الشخصُ فتعلمَ مَنْ هو ، فكفَّ حتى انتهىٰ إليهِمُ الرجلُ ؛ فإذا هوَ الطائيُّ ، فلمَّا نظرَ إليهِ النعمانُ . . شقَّ عليه مجيئُهُ ، فقالَ لهُ : ما حملَكَ على الرجوعِ بعدَ إفلاتِكَ مِنَ القتلِ ؟! قالَ : الوفاءُ ، قالَ : وما دعاكَ إلى الوفاءِ ؟ قالَ : ديني ، قالَ النعمانُ : وما دينُكَ ؟ قالَ : النصرانيةُ ، قالَ النعمانُ : فاعرضها عليَّ ، فعرضها عليه ، فتنصَّرَ النعمانُ وأهلُ الجيرةِ أجمعونَ ، وكانَ قبلَ ذلكَ علىٰ دينِ العربِ ، فتركَ القتلَ منذُ ذلكَ اليومِ ، وأبطلَ تلكَ السُّنَةَ ، وأمرَ بهدمِ الغَرِيَّينِ ، وعفا عن قُرادٍ والطائيِّ ، وقالَ : واللهِ ؛ ما أدري أيُّهُما أوفىٰ وأكرمُ ، أهذا الذي عن قُرادٍ والطائيُّ ، وقالَ : واللهِ ؛ ما أدري أيُّهُما أوفىٰ وأكرمُ ، أهذا الذي نجا مِنَ القتلِ فعادَ ، أمِ الذي ضمنَهُ ؟! واللهِ ؛ لا أكونُ ألأمَ الثلاثةِ ، فأنشأَ الطائيُّ يقولُ :

أَسْدَىٰ إِلَيَّ مِنَ ٱلْفَعَالِ ٱلْخَالِي فَأَبَيْتُ غَيْرَ تَمَجُّدِي وَفَعَالِي وَجَـزَاءُ كُـلِّ مُـكَارِمٍ بَـنَّالِ [من الطويل] مَخَارِيقُ أَمْثَالِ ٱلْقُرَادِ بْنِ أَجْدَعَا مَا كُنْتُ أُخْلِفُ ظَنَّهُ بَعْدَ ٱلَّذِي وَلَقَدْ دَعَتْنِي لِلْخِلَافِ ضَلَالَتِي إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنِّي ٱلْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ وقالَ أيضاً يمدحُ قُراداً:

أَلَا إِنَّمَا يَسْمُو إِلَى ٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَا

مَخَارِيقُ أَمْثَالِ ٱلْقُرَادِ وَأَهْلِهِ فَإِنَّهُمُ ٱلْأَخْيَارُ مِنْ رَهْطِ تُبَّعَا

إنَّ أخاكَ مَنْ آساكَ

يُقالُ : آسيتُ فلاناً بمالي أو غيرِهِ ؛ إذا جعلتَهُ أُسوةً لكَ ، و(واسيتُ) لغةٌ فيهِ .

ومعنى المثلِ : إنَّ أخاكَ حقيقةً مَنْ قَدَّمَكَ [وآثرَكَ] على نفسِهِ ، يُضرَبُ في الحثِّ على مراعاةِ الإخوانِ .

وأوّلُ مَنْ قالَ ذلك : خزيمُ بنُ نوفلِ الهَمْدانيُّ ؛ وذلك أنَّ النعمانَ بنَ ثوابِ العبديُّ ثمَّ الشنيَّ كانَ لهُ بنونَ ثلاثةٌ : سعدٌ ، وسعيدٌ ، وساعدة ، وكانَ أبوهم ذا شرفٍ وحكمةٍ ، وكانَ يوصي بنيهِ ويَحملُهُم علىٰ أدبِهِ ؛ أمَّا ابنُهُ سعدٌ . فكانَ شجاعاً بطلاً مِنْ شياطينِ العربِ ، لا يُقامُ لسبيلِهِ ، ولم تفتهُ طَلِبَتُهُ قطُّ ، ولم يَفِرُ عن قِرْنِ ، وأمَّا سعيدٌ . . فكانَ يشبهُ أباهُ في شرفِهِ وسُؤددِهِ ، وأمَّا ساعدة . . فكانَ صاحبَ شرابِ وندامي وإخوانٍ .

فلمَّا رأى الشيخُ حالَ بنيهِ . . دعا سعداً _ وكانَ صاحبَ حربٍ _ فقالَ : يا بُنَيَّ ؛ إنَّ الصارمَ ينبو ، والجوادَ يكبو ، والأثرَ يعفو ، فإذا شهدتَ حرباً فرأيتَ نارَها تَستعِرُ ، وبطلَها يُخطِرُ ، وبحرَها يَزخَرُ ، وضعيفَها يَنصُرُ ، وجبانَها يَجسُرُ . . فأقللِ المكثَ والانتظارَ ، فإنَّ الفِرارَ غيرُ عارٍ ، إذا لم تكنْ طالبَ ثارٍ ، فإنَّما يُنصَرونَ هُم ، وإيَّاكَ أن تكونَ صيدَ رماحِها ، ونطيحَ نطاحِها .

وقالَ لابنِهِ سعيدٍ وكانَ جواداً: يا بُنَيَّ ؛ لا يبخلُ الجوادُ ، فابذلِ الطارفَ والتِّلادَ ، وأقلِلِ التلاحِ . . تذكرُ عندَ السماحِ ، وابلُ إخوانَكَ ؛ فإنَّ وافيَهُم قليلٌ ، واصنع المعروف عندَ محتملِهِ .

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٢١٣/١ _ ٢١٦) .

وقالَ لابنِهِ ساعدةَ وكانَ صاحبَ شرابٍ: يا بُنَيَّ ؛ إنَّ كثرةَ الشرابِ تفسدُ القلبَ ، وتُقلِّلُ الكسبَ ، وتَجِدُّ اللعبَ ، فأبصرْ نديمَكَ ، واحمِ حريمَكَ ، وأعنْ غريمَكَ ، واعلمْ : أنَّ الظمأَ القامحَ خيرٌ مِنَ الرِّيِّ الفاضحِ ، وعليكَ بالقصدِ ؛ فإنَّ فيهِ بلاغاً .

ثمّ إنّ أباهُمُ النعمانَ بنَ ثوابٍ تُوفِي ، فقالَ ابنهُ سعيدٌ وكانَ جواداً سيداً : لآخذنّ بوصيةِ أبي ، ولأبلونّ إخواني وثقاتي في نفسي ، فعَمَدَ إلىٰ كبشٍ فذبحهُ ، ثمّ وضعه في ناحيةِ خِبائِهِ وغشّاهُ ثوباً ، ثمّ دعا بعض ثقاتِهِ فقالَ : يا فلانُ ؛ إنّ أخاكَ مَنْ وفي لكَ بعهدِهِ ، وحاطَكَ برفدِهِ ، ونصرَكَ بودِّهِ ، قالَ : يا فلانُ ؛ إنّ أخاكَ مَنْ وفي لكَ بعهدِه ، وحاطَكَ برفدِه ، ونصرَكَ بودِّه ، قالَ : صدقتَ ، فهل حدثَ أمرٌ ؟ قالَ : نعم ؛ إنّي قتلتُ فلاناً ، وهو الذي تراهُ في ناحيةِ الخباءِ ، ولا بدّ مِنَ التعاونِ عليهِ حتىٰ يُوارىٰ ، فما عندَكَ ؟ قالَ : يا لها سوءةً وقعتَ فيها ، قالَ : فإنّي أريدُ أن تعينني عليهِ حتىٰ أُغيّبَهُ ، قالَ : لستُ لكَ في هاذا بصاحبِ ، فتركَهُ وخرجَ .

فبعثَ إلى آخَرَ مِنْ ثقاتِهِ ، فأخبرَهُ بذلكَ ، وسألَ معونتَهُ ، فردَّ عليهِ مثلَ ذلكَ ، حتى بعثَ إلى عددٍ منهُم ، كلُّهُم يَرُدُّ عليهِ مثلَ جوابِ الأوَّلِ .

ثم بعث إلى رجلٍ مِنْ إخوانِهِ يُقالُ لهُ: خزيمُ بنُ نوفلٍ ، قالَ لهُ: يا خزيمُ بنُ نوفلٍ ، قالَ لهُ: يا خزيمُ ؛ ما لي عندَكَ ؟ قالَ : ما يَسُرُّكَ ، وما ذاكَ ؟ قالَ : إنِي قتلتُ فلاناً ، وهوَ الذي تراهُ مُسجّى ، قالَ : أيسرُ خطبٍ ، فتريدُ ماذا ؟ قالَ : أريدُ أن تعينني حتى أُغيِّبَهُ ، قالَ : هانَ ما فزعتَ فيهِ إلى أخيكَ ، وغلامُ سعيدٍ قائمٌ معَهُما ، فقالَ لهُ خزيمٌ : هلِ اطلعَ على هذا الأمرِ أحدُ غيرُ غلامِكَ هاذا ؟ قالَ : لا ، قالَ : انظرْ ما تقولُ ، قالَ : ما قلتُ إلاّ حقّاً ، فأهوىٰ خزيمٌ إلى غلامِهِ فضربَهُ بالسيفِ فقتلَهُ ، وقالَ : ليسَ عبدٌ بأخٍ لكَ ، فأرسلَها مثلاً .

وارتاعَ سعيدٌ وفزعَ لقتلِ غلامِهِ ، فقالَ : ويحَكَ ما صنعتَ ؟! وجعلَ يلومُهُ فقالَ خزيمٌ : إنَّ أخاكَ مَنْ آساكَ ، فأرسلَها مثلاً .

قالَ سعيدٌ: فإنِّي أردتُ تجربتَكَ ، ثمَّ كشفَ عنِ الكبشِ وخَبَّرَهُ بما لقيَ مِنْ إخوانِهِ وثقاتِهِ ، وما ردُّوا عليهِ ، فقالَ خزيمٌ : سبقَ السيفُ العذلَ ، فذهبَتْ مثلاً (١٠) .

ألا مَنْ يشتري سهراً بنوم

قالوا: إنَّ أَوَّلَ مَنْ قالَ ذَلكَ ذو رُعَينٍ الحميريُّ ؛ وذَلكَ أنَّ حِمْيَرَ تَفرَّقَتْ علىٰ ملكِها حَسَّانَ ، وخالفَتْ أمرَهُ ؛ لسوءِ سيرتِهِ فيهِم ، ومالوا إلىٰ أخيهِ عمرٍو ، وحملوهُ علىٰ قتلِ أخيهِ حَسَّانَ ، وأشاروا عليهِ بذلكَ ، ورغَّبوهُ في الملكِ ، ووعدوهُ حسنَ الطاعةِ والمؤازرةَ ، فنهاهُ ذو رُعَينٍ مِنْ بينِ حِمْيرَ عن قتلِ أخيهِ ، وعلمَ أنَّهُ إن قتلَ أخاهُ . . ندمَ ونفرَ عنهُ النومُ ، وانتقضَ عليهِ أمورُهُ ، وأنَّهُ سيُعاقِبُ الذي أشارَ عليهِ بذلكَ ، ويَعرِفُ غِشَّهُم لهُ .

فلمَّا رأىٰ ذو رُعَينِ أنَّهُ لا يقبلُ ذلكَ منه ، وخشي العواقبَ . . قالَ هلْذينِ البيتينِ ، وكتبَهُما في صحيفةٍ ، وختمَ عليها بخاتم عمرو ، وقالَ : هلذه وديعةٌ لي عندَكَ إلىٰ أن أطلبَها منكَ ، فأخذَها عمرٌو فدفعَها إلىٰ خازنِهِ ، وأمرَهُ برفعِها إلى الخزانةِ ، والاحتفاظِ بها إلىٰ أنْ يُسأَلَ عنها .

فلمَّا قتلَ أخاهُ ، وجلسَ مكانَهُ في الملكِ . . مُنِعَ منهُ النومُ ، وسُلِّطَ عليهِ السهرُ ، فلمَّا اشتدَّ ذلكَ عليهِ . . لم يدعْ باليمنِ طبيباً ولا كاهناً ولا منجماً ولا عرَّافاً ولا عائفاً إلّا جمعَهُم ، ثمَّ أخبرَهُم بقصَّتِهِ ، وشكا إليهِم ما بهِ ، فقالوا لهُ : ما قتلَ رجلٌ أخاهُ أو ذا رحم منهُ على نحوِ ما قتلتَ أخاكَ . . إلّا أصابَهُ

^{. (} 117/1) (117/1) . (117/1) .

السهرُ ، ومُنِعَ منهُ النومُ ، فلمَّا قالوا لهُ ذلكَ . . أقبلَ على مَنْ كانَ أشارَ عليهِ بقتلِ أخيهِ وساعدَهُ عليهِ مِنْ أقيالِ حميرَ فقتلَهُم حتى أفناهم ، فلمَّا وصلَ إلىٰ ذي رُعَيْنٍ . . قالَ لهُ : أيُّها الملكُ ؛ إِنَّ لي عندَكَ براءةً ممَّا تريدُ أن تصنعَ بي ، قالَ : وما براءتُكَ وأمانُكَ ؟ قالَ : مُرْ خازنَكَ أن يخرجَ الصَّحيفةَ التي استودعتُكَها يومَ كذا وكذا ، فأمرَ خازنَهُ ، فأخرجَها ، فنظرَ إلىٰ خاتمِهِ عليها ، شَهْ فضَّها ، فإذا فيها :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهَراً بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ فَأَمَّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَمَعْذِرَةُ ٱلْإِلَاهِ لِذِي رُعَيْنِ

ثمَّ قالَ : أَيُّهَا الملكُ ؛ قد نهيتُكَ عن قتلِ أخيكَ ، وعلمتُ أنَّكَ إن فعلتَ ذَلكَ . . أصابَكَ الذي قد أصابَكَ ، فكتبتُ هاذينِ البيتَينِ براءةً لي عندَك ممَّا علمتُ أنَّكَ تصنعُ بمَنْ أشارَ عليكَ بقتلِ أخيكَ ، فقبلَ ذلكَ منهُ ، وعفا عنهُ ، وأحسنَ جائزتَهُ .

يُضرَبُ لِمَنْ غمطَ النعمةَ ، وكرهَ العافيةَ (١).

إن كنتَ كذوباً . . فكنْ ذَكُوراً

يضربُ للرجلِ يكذبُ ثمَّ ينسىٰ ، فيُحدِّثُ بخلافِ ذلكَ (٢).

إذا اشتريت . . فاذكر السوق

يعني: إذا اشتريت . . فاذكر البيع ؛ لتجتنب العيوب (٣) .

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٢١٨/١ _ ٢١٩) .

⁽Y) انظر «مجمع الأمثال» (۲۲۰/۱) .

⁽٣) انظر « مجمع الأمثال » (٢٢٠/١) .

بلغ السيلُ الزُّبكيٰ

هيَ جمعُ زُبْيةٍ ؛ وهيَ حفرةٌ تُحفَرُ للأسدِ إذا أرادوا صيدَهُ ، وأصلُها الرابيةُ لا يعلوها الماءُ ، فإذا بلغَها السيلُ . . كانَ جارفاً مُجحِفاً .

يُضرَبُ لِمَنْ جاوزَ الحدَّ ، قالَ المُؤرِّجُ : حدَّثَني سعيدُ بنُ سماكِ بنِ حربٍ عن أبيهِ ، عنِ ابنِ [المعتمرِ] قالَ : أُتِيَ معاذُ بنُ جبلِ بثلاثةِ نفرٍ قتلَهُم أسدُّ في زُبْيةٍ ، فلمْ يدرِ كيفَ يفتيهِم ، فسألَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ وهوَ محتبِ بفِناءِ الكعبةِ ، فقالَ : قُصُّوا عليَّ خبرَكُم ، قالوا : صِدْنا أسداً في زُبْيةٍ ، فاجتمعنا عليهِ ، فتدافعَ الناسُ عليهِ ، فرمَوا برجلٍ [فيها] فتَعلَّقَ الرجلُ بآخَرَ ، وتَعلَّقَ الآخَرُ بآخَرَ ، فقضىٰ فيها عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ للأولِ ربعَ الديةِ ، وللثاني النصفَ ، وللثالثِ الديةَ كلَّها ، فأخبِرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بقضائِهِ ، فقالَ : « لَقَدْ أَرْشَدَكَ ٱللهُ لِلْحَقِّ » (١) .

بخِ بخِ ساقٌ بخَلْخالٍ !!

بخ : كلمةٌ يقولُها المُتعجِّبُ مِنْ حسنِ الشيءِ وكمالِهِ الواقعِ موقعَ الرضاءِ ، كأنَّهُ قالَ : ما أحسنَ ما أراهُ !! وهو ساقٌ محلَّاةٌ بخلخالٍ ، ويجوزُ أن يريدَ بالباءِ معنى (معَ) ، فيكونُ التعجُّبُ مِنْ حسنِهِما .

يُضرَبُ في التهكُّم والهزءِ مِنْ شيءٍ لا موضعَ للتهكُّم فيهِ .

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ : الوِرْثةُ بنتُ ثعلبةَ امرأةُ ذُهْلِ بنِ شيبانَ بنِ ثعلبةَ ؟ وذَلكَ أَنَّ رقاشِ بنتَ عمرو بنِ عثمانَ مِنْ بني ثعلبةَ طَلَّقَها زوجُها كعبُ بنُ مالكِ بنِ تيمِ اللهِ بنِ ثعلبةَ بنِ [عكابة] ، فتزوَّجَها ذُهلُ بنُ شيبانَ زوجُ الوِرْثةِ ، ودخلَ بها ، وكانَتِ الورثةُ لا تتركُ لهُ امرأةً إلَّا ضربَتُها وأجلتُها ، فخرجَتْ

⁽١) انظر « البدر المنير » (٤٦٧/٨) ، و« مجمع الأمثال » (٢٥٥/١ _ ٢٥٦) .

رقاشِ يوماً وعليها خلخالانِ ، فقالَتِ الورثةُ : بخٍ بخٍ ساقٌ بخلخالٍ !! فذهبَتْ مثلاً ، فقالَتْ رقاشِ : أجلْ ساقٌ بخلخالٍ ، لا كخالِكِ المختالِ ، فوثبَتْ عليها الورثةُ لتضربَها ، فضبطَتْها رَقاشِ وضربَتْها وغلبَتْها ، حتى حُجِزَتْ عنها ، فقالَتِ الورثةُ :

[أَيَا] وَيْحَ نَفْسِي ٱلْيَوْمَ أَدْرَكَنِي ٱلْكِبَرْ الْأَبْكِي عَلَىٰ نَفْسِي ٱلْعَشِيَّةَ أَمْ أَذَرْ فَي عَلَىٰ نَفْسِي ٱلْعَشِيَّةَ أَمْ أَذَرْ فَي عَلَىٰ نَفْسِي ٱلْعَشِيَّةَ أَمْ أَذَرُ فَي عَلَىٰ نَفْسِي ٱلْأَخَرْ فَـوَالِّهِ لَـوْ أَدْرَكُ تِ فِي بَـقِيَّةً لَلْاَقَيْتِ مَا لَاقَىٰ صَوَاحِبُكِ ٱلْأُخَرْ

فولدَتْ رَقاشِ لذهلِ بنِ شيبانَ مُرَّةَ وأبا ربيعةَ ومُحَلِّماً والحارثَ بنَ ذهلٍ .

أبلغُ مِنْ قُسٍ

هوَ قُسُّ بنُ ساعدة بنِ حذافة بنِ زهيرِ بنِ أيادِ بنِ نزارِ الإياديُّ ، وكانَ مِنْ حكماءِ العربِ ، وأعقلِ مَنْ سُمِعَ بهِ منهُم ، وهوَ أوَّلُ مَنْ كتبَ : مِنْ فلانٍ إلى فلانٍ ، وأوَّلُ مَنْ أقرَّ بالبعثِ مِنْ غيرِ عِلْمٍ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ : أمَّا بعدُ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ : البينةُ على مَنْ أنكرَ ، وقدْ عُمِّرَ مئةً وثمانينَ قالَ : البينةُ على مَن الأعشى (۱) :

وَأَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ وَأَجْرَىٰ مِنَ ٱلَّذِي بِذِي ٱلْغَيْلِ مِنْ خَفَّانَ أَصْبَحَ خَادِرَا

وأخبرَ عامرُ بنُ شراحيلَ الشعبيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّ وفدَ بكرِ بنِ وائلٍ قدموا على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فلمَّا فرغَ مِنْ حوائجِهِم . . قالَ : « هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْرِفُ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ ٱلْإِيَادِيَّ ؟ » ، قالوا : كلُّنا نَعرِفُهُ ، قالَ : « فَمَا فَعَلَ ؟ » ، قالوا : هلكَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « كَأَنِّي بِهِ عَلَىٰ جَمَلٍ أَحْمَرَ بِعُكَاظَ قَائِماً يَقُولُ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛

⁽١) كذا في « مجمع الأمثال » (٣٠٢/١) .

ٱجْتَمِعُوا وَٱسْتَمِعُوا وَعُوا ؛ كُلُّ مَنْ عاشَ ماتَ ، وَكُلُّ مَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتِ آتٍ ، إِنَّ فِي ٱلسَّمَاءِ لَخَبَراً ، وَإِنَّ فِي ٱلْأَرْضِ لَعِبَراً ، مِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَسَقَفٌ مَرْفُوعٌ ، وَبِحَارٌ تَمُوجُ ، وَتِجَارَةٌ تَرُوجُ ، وَلَيْلٌ دَاجٍ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَسَقَفٌ مَرْفُوعٌ ، وَبِحَارٌ تَمُوجُ ، وَتِجَارَةٌ تَرُوجُ ، وَلَيْلٌ دَاجٍ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَسَقَفٌ مَرْفُوعٌ ، وَبِحَارٌ تَمُوجُ ، وَتِجَارَةٌ تَرُوجُ ، وَلَيْلٌ دَاجٍ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، أَقْسَمَ قُسٌّ حَقّاً ؛ لَئِنْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ رِضاً . . لَيَكُونَنَّ بَعْدَهُ سُخْطٌ ، وَإِنَّ لِللهِ عَنَّ مَنْ دِينِكُمُ ٱلَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مَا لِي أَرَى ٱلنَّاسَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ دِيناً هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمُ ٱلَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مَا لِي أَرَى ٱلنَّاسَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ دِيناً هُو أَحَبُ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمُ ٱلَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مَا لِي أَرَى ٱلنَّاسَ يَزْجِعُونَ ؟ أَرَضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوا ؟! » (١) ، ثمَّ أنشدَ يَرْجِعُونَ ؟ أَرَضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوا ؟! » (١) ، ثمَّ أنشدَ أبو بكر رضيَ اللهُ عنهُ شعراً حفظهُ له ؟ وهوَ قولُهُ :

نَ مِنَ ٱلْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ لِنَا بَصَائِرْ لِنَا بَصَائِرْ لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرُ وَٱلْأَكَابِرْ وَلَا مِنَ ٱلْبَاقِينَ غَابِرْ وَلَا مِنَ ٱلْبَاقِينَ غَابِرْ لَلْقَوْمُ صَائِرْ لَلْقَوْمُ صَائِرْ

أَيْــقَــنْــتُ أَنِّــي لَا مَــحَــا لَـةَ -

فِي ٱللَّهُ اهِبِينَ ٱلْأُوَّلِي

لَحَمَا رَأَيْتُ مَصوَارداً

وَرَأَيْتُ قَوْمِى نَحْوَهَا

لَا يَـرْجِعُ ٱلْـمَـاضِـي إِلَـيَّ

أبخلُ مِنْ مادِرٍ

هوَ رجلٌ مِنْ بني هلالِ بنِ عامرِ بنِ صعصعة ، وبلغَ مِنْ بخلِهِ أنَّهُ سقى إبلَهُ ، فبقيَ في أسفلِ الحوضِ ماءٌ قليلٌ ، فسلحَ فيهِ ، ومدرَ الحوضَ بهِ ، فسُمِّيَ مادراً لذلكَ ، واسمُهُ مُخارقٌ .

قالَ أبو الندى : وذكروا أنَّ بني فزارة وبني هلالِ بنِ عامرٍ تنافروا إلى أنسِ بنِ مدركٍ الخثعميِّ وتراضَوا بهِ ، فقالَتْ بنو عامرٍ : يا بني فزارة ؛ أكلتُم أيرَ حمارٍ ، فقالَتْ بنو فزارة : قد أكلنا ولم نَعرِفْهُ .

⁽¹⁾ أخرجه البزار في « مسنده » (0 0).

وحديثُ ذلكَ : أنَّ ثلاثةَ نفر اصطحبوا ؛ فزاريٌّ وثعلبيٌّ وكلابيٌّ ، فصادوا حماراً ، ومضى الفزاريُّ في بعضِ حاجتِهِ ، فطبخا وأكلا ، وخَبَأا للفزاريِّ جُرْدانَ الحمارِ ، فلمَّا رجعَ الفزاريُّ . قالا : قد خَبَأنا لكَ فكُلْ ، فأقبلَ يأكلُهُ ولا يكادُ يسيغُهُ ، فقالَ : أكلُّ شواءِ العَيْرِ جُوفانُ ؟ يعني بهِ الذَّكرَ ، وجعلا يضحكانِ ، ففطنَ ، وأخذَ السيفَ وقالَ : لَتأكلانِهِ أو لأقتلنَّكُما ، ثمَّ قالَ لأحدِهِما وكانَ اسمُهُ مَرْقَمَةَ : كُلْ منهُ ، فأبي ، فضربَهُ فأبانَ رأسَهُ ، فقالَ الآخرُ : طاحَ مَرْقَمةُ ، فقالَ الفزاريُّ : وأنتَ إن لم تَلْقَمَهُ .

قالَ محمدُ بنُ حبيبٍ : أرادَ إن لم تلقمْهَا ، فلمَّا تركَ الألفَ . . ألقى الفتحةَ على الميم قبلَ الهاءِ ، كما قالوا : وَيْلُمّ الحِيرةِ وأيُّ رجالٍ بَهْ ؛ أي : بها .

قلتُ (١): إنَّما قَدَّرَ الهاء في تلقمَها إرادةَ المضغةِ أو البضعةِ ، وإلَّا . . فليسَ في الكلامِ الذي مضى تأنيثُ تَرجِعُ الهاءُ إليهِ .

فقالَتْ بنو فزارة : وللكنْ منكُم يا بني هلالٍ مَنْ قرى في حوضِهِ ، فسقىٰ إبلَهُ ، فلمَّا رَوِيَتْ . . سلحَ فيهِ ومدرَهُ ؛ بخلاً بهِ أَنْ يُشرَبَ فضلُهُ !!

فقضىٰ أنسُ بنُ مدركِ على الهلاليينَ ، فأخذَ الفزاريونَ منهُم مئةَ بعيرٍ ، وكانوا تراهنوا عليها .

وفي بني فزارةَ يقولُ الكميتُ بنُ ثعلبةَ ، والكميتُ مِنَ الشُّعراءِ ثلاثةٌ ، أقدمُهُم هاذا ، ثمَّ كميتُ بنُ معروفٍ ، ثمَّ كميتُ بنُ زيدٍ ، وكلُّهُم مِنْ بني أسدِ :
[من الوافر]

إِذَا خُيِّرْتَ تُخْطِئُ فِي ٱلْخِيَارِ أَحْبُ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ ٱلْحِمَارِ

نَشَدْتُكَ يَا فَزَارُ وَأَنْتَ شَيْخُ أَصَيْحُ الْمَاتُ بَسَمْنِ أَصَيْحُ بِسَمْنِ

⁽١) القائل: هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

بَلَىٰ أَيْرُ ٱلْحِمَارِ وَخِصْيَتَاهُ أَحَبُ إِلَىٰ فَزَارَةَ مِنْ فَزَارِ

فحذفَ الهاءَ مِنْ فزارةَ كما تُحذَفُ في الترخيمِ ، وإن كانَ هاذا في غيرِ النداءِ ، ويجوزُ أن يكونَ أرادَ مِنْ فزارِي ، فخَفَّفَ ياءَ النسبةِ .

وفي بني هلالٍ يقولُ الشاعرُ:

[لَقَدْ] جَلَّلَتْ خِزْياً هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ فَالْ يُنُ عَامِرٍ فَأُفِّ لَكُمْ لَا تَذْكُرُوا ٱلْفَخْرَ بَعْدَهَا

وفي بني فزارةً يقولُ ابنُ دارةً :

لَا تَأْمَنَنَ فَنَ ارِيّاً خَلَوْتَ بِهِ لَا تَأْمَنَنْهُ وَلَا تَأْمَنْ بَوَائِقَهُ أَطْعَمْتُمُ ٱلضَّيْفَ جُوفَاناً مُخَاتَلَةً

[من الطويل] بَنِي عَامِرٍ طُرًا بِسَلْحَةِ مَادِرِ بَنِي عَامِرٍ أَنْتُمْ شِرَارُ ٱلْمَعَاشِرِ

[من البسيط]

عَلَىٰ قَلُوصِكَ وَٱكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ بَعْدَ ٱلَّذِي ٱمْتَلَّ أَيْرَ ٱلْعَيْرِ فِي ٱلنَّارِ فَلَا سَقَاكُمْ إِلَاهِى ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِي

قالَ حمزة : وحدَّثَني أبو بكرِ بنُ دريدٍ قالَ : حدَّثَني أبو حاتمٍ عن أبي عبيدة : أنَّهُ قرأً عليهِ حديثَ مادِرٍ ، فضحكَ ، قالَ : فقلتُ لهُ : ما الذي أضحكَكَ ؟ فقالَ : تَعجُّبي مِنْ تسييرِ العربِ لأمثالٍ لها ، لو سيَّرُوا ما هو أهمُّ منها . . لكانَ أبلغَ لها ، قلتُ : مثلُ ماذا ؟ قالَ : مثلُ مادرٍ هنذا جعلوهُ عَلَماً في البخلِ بفَعْلةٍ تَحتمِلُ التأويلَ ، وتركوا مثلَ ابنِ الزبيرِ معَ ما يؤثرُ على لفظِهِ وفعلِهِ مِنْ دقائقِ البخلِ ، فتركوهُ كالغُفْل .

مِنْ ذَلكَ : أنَّه نظرَ إلى رجلٍ مِنْ أصحابِهِ وهوَ يومَئذٍ خليفةٌ يقاتلُ المَحَجَّاجَ بنَ يوسفَ على دولتِهِ وقد دقَّ الرجلُ في صدورِ أهلِ الشامِ الحَجَّاجَ بنَ يوسفَ على دولتِهِ وقد دقَّ الرجلُ في صدورِ أهلِ الشامِ أرماحاً ، فقالَ لهُ : يا هاذا ؛ اعتزلْ عن حربِنا ، فإنَّ بيتَ المالِ لا يقوى على هاذا .

وقالَ في تلكَ الحربِ لجماعةٍ مِنْ جندِهِ : أكلتُم تمري ، وعصيتُم أمري .

وسمعَ أَنَّ مالكَ بنَ أشعرَ الرزاميَّ مِنْ بني مازنٍ أكلَ مِنْ بعيرٍ وحدَهُ ، وحملَ ما بقيَ على ظهرِهِ ، فقالَ : دلُّوني على قبرِهِ . . أَنبشهُ .

وقالَ لرجلٍ أتاهُ مجتدياً وقد أبدعَ بهِ ، فشكا إليهِ حفا ناقتِهِ ، قالَ : اخصفْها بهُلْبٍ ، وارقعُها بسِبْتٍ ، وأنجدْ بها . . يبردْ خفُّها ، فقالَ الرجلُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ جئتُكَ مستوصلاً ، ولم آتكَ مُتوصِّفاً ، فلا بقيَتْ ناقةٌ حملَتْني إليكَ ، فقالَ : إنَّ وصاحبَها ، ولهذا الرجلِ فيهِ شعرٌ قد نُسِيَ .

قلتُ (١): وفي بعضِ النسخِ مِنْ كتابِ «أفعلُ »: كانَ هاذا الرجلُ عبدَ اللهِ بنَ فضالةَ الأسديَّ ، ولمَّا انصرفَ مِنْ عندِهِ . . قالَ :

أَرَى ٱلْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ وَلَا أُمَيَّةَ بِٱلْبِلَادِ وَمَا لِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ إِلَى ٱبْنِ ٱلْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ

في أبياتٍ ، وابنُ الكاهليَّةِ هوَ عبدُ اللهِ بنُ الزَّبِيرِ ؛ لأنَّ جدَّةً مِنْ جدَّاتِهِ كانَتْ مِنْ بني كاهلٍ ، فلمَّا بلغَ الشعرُ ابنَ الزبيرِ . . قالَ : لو علمَ لي أمَّا ألأمَ مِنْ عمَّتِهِ . . لسبَّني بها .

قالَ أبو عبيدة : فلو تَكلَّفَ الحارثُ بنُ كلدة طبيبُ العربِ ، أو مالكُ بنُ زيدِ مناةٍ وحنيفُ الحناتمِ آبِلا العربِ مِنْ وصفِ علاجِ ناقةِ الأعرابيِ ما تَكلَّفَهُ هاذا الخليفة . . لَمَا كانوا يَعْشُرُونَهُ ، وكانَ مَعَ هاذا يأكلُ في كلِّ أسبوعٍ أكلةً ، ويقولُ في خُطبتِهِ : إنَّما بطني شبرٌ في شبرٍ ، وعندي ما عسى يكفيني ، فقالَ فيهِ الشاعرُ :

لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شِبراً قَدْ شَبِعْتَ وَقَدْ أَفْضَلْتَ فَضْلاً كَثِيراً لِلْمَسَاكِينِ فَإِنْ تُصِبْكَ مِنْكَ عَلَىٰ دُنْيَا وَلَا دِينِ فَإِنْ تُصِبْكَ مِنْكَ عَلَىٰ دُنْيَا وَلَا دِينِ

⁽١) القائل: هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

 $^{(\}Upsilon)$ انظر « مجمع الأمثال » (Υ – Υ) .

تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكلُ بثديَيها

أي : لا تكونُ ظئراً وإن آذاها الجوعُ ، ويُروىٰ : ولا تأكلُ ثديَيها .

وأوّلُ مَنْ قالَ ذلك : الحارثُ بنُ سليلِ الأسديُّ ، وكانَ حليفاً لعلقمة بنِ خصفة الطائيِّ ، فزارَهُ ، فنظرَ إلى ابنتِهِ الزبَّاءِ وكانَتْ مِنْ أجملِ أهلِ دهرِها ، فأعجِبَ بها ، فقالَ لهُ : أتيتُكَ خاطباً وقد ينكحُ الخاطبُ ، ويدركُ الطالبُ ، ويمنحُ الراغبُ ، فقالَ لهُ علقمةُ : أنت كفؤٌ كريمٌ ، يُقبَلُ منكَ الصَّفوُ ، ويُؤخَذُ منك العفوُ ، فأقمْ . . ننظرْ في أمركَ .

ثمَّ انكفاً إلى أُمِّها فقالَ: إنَّ الحارثَ بنَ سليلٍ سيدُ قومِهِ حسباً ومنصباً وبيتاً ، وقد خطبَ إلينا الزبَّاءَ ، فلا يَنصرفَنَّ إلَّا بحاجتِهِ .

فقالَتِ امرأتُهُ لابنتِها: أيُّ الرجالِ أحبُّ إليكِ: الكهلُ الجحجاحُ ، الواصلُ المناحُ ، أمِ الفتى الوضَّاحُ ؟ قالَتْ: لا ، بلِ الفتى الوضَّاحُ ، قالَتْ: لا ، بلِ الفتى الوضَّاحُ ، قالَتْ: لا ، بلِ الفتى الوضَّاحُ ، قالَتْ . إنَّ الفتى يُغيرُكِ ، وإنَّ الشيخَ يَميرُكِ ، وليسَ الكهلُ الفاضلُ ، الكثيرُ النائلُ . . كالحديثِ السِّنِ ، الكثيرِ المَنِ ، قالَتْ: يا أُمَّتاهُ ؛ إنَّ الفتاةَ تُحِبُ الفتى ؛ كالحديثِ الرعاءِ أنيقَ الكلا ، قالَتْ: أي بنيَّةُ ؛ إنَّ الفتى شديدُ الحجابِ ، كثيرُ العتابِ ، قالَتْ: إنَّ الشيخَ يبلي شبابي ، ويُدنِّسُ ثيابي ، ويُشْمِتُ بي كثيرُ العتابِ ، قالَتْ: إنَّ الشيخَ يبلي شبابي ، ويُدنِّسُ ثيابي ، ويُشْمِتُ بي أترابى .

فلم تزلْ أُمُّها بها حتى غلبَتْها على رأيها ، فتَزوَّجَها الحارثُ على مئةٍ وخمسينَ مِنَ الإبلِ ، وخادمٍ ، وألفِ درهمٍ ، فابتنى بها ، ثمَّ رحلَ بها إلى قومِهِ ، فبينا هوَ ذاتَ يومٍ جالسٌ بفِناءِ قومِهِ وهيَ إلىٰ جانبِهِ . . إذ أقبلَ إليهِ شبابٌ مِنْ بني أسدٍ يعتلجونَ ، فتَنفَّسَتْ صُعَدَاءَ ، ثمَ أرخَتْ عينيها بالبكاءِ ، فقالَ لها : ما يبكيكِ ؟ قالَتْ : ما لي وللشيوخِ ، الناهضينَ كالفروخِ ؟! فقالَ لها : ثكلتْكِ أُمُّكِ ، تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكلُ بثدييها .

قالَ أبو عبيدٍ : (فإن كانَ الأصلُ على هنذا الحديثِ . . فهوَ على المثل السائر : لا تأكلُ ثديَيها ، وكانَ بعضُ العلماءِ يقولُ : هنذا لا يجوزُ ، وإنَّما هو : لا تأكلُ بثديّيها) (١) .

قلتُ (٢): كلاهُما في المعنى سواءٌ ؛ لأنَّ معنى (لا تأكلُ ثديَيها) : لا تأكلُ أجرة ثدييها ، ومعنى (بثدييها) أي: لا تعيشُ بسببِ ثديَيها وبما يغلّان عليها .

ثمَّ قالَ الحارثُ لها: أما وأبيكِ ؛ لربَّ غارةٍ شهدتُها ، وسبيَّةٍ أردفتُها ، وخمرةٍ شربتُها ، فالحقي بأهلِكِ ، فلا حاجةَ لي فيكِ ، وقالَ : [من البسيط]

تَهَزَّأَتْ أَنْ رَأَتْنِي لَابِساً كِبَراً وَغَايَةُ ٱلنَّاسِ بَيْنَ ٱلْمَوْتِ وَٱلْكِبَرِ وَفِي ٱلتَّعَرُّفِ مَا يَمْضِي مِنَ ٱلْعِبَر صَرْفُ ٱلزَّمَانِ وَتَغْييرٌ مِنَ ٱلشَّعَر وَقَدْ أُصِيبُ بِهَا عَيْناً مِنَ ٱلْبَقَر عُورُ ٱلْكَلَامِ وَلَا شُرْبٌ عَلَى ٱلْكَدَرِ

فَإِنْ بَقِيتِ لَقِيتِ ٱلشَّيْبَ رَاغِمَةً وَإِنْ يَكُنْ قَدْ عَلَا رَأْسِي وَغَيَّرَهُ فَقَدْ أَرُوحُ لِلَذَّاتِ ٱلْفَتَىٰ جَذِلاً عَنِّي إِلَيْكِ فَإِنِّي لَا تُوَافِقُنِي

يُضرَبُ في صيانةِ الرجلِ نفسه عن خسيسِ مكاسبِ الأموالِ (٣).

تطلبُ أثراً بعدَ عين

العينُ : المعاينةُ ، يُضربُ لِمَنْ تركَ شيئاً يراهُ ثمَّ تبعَ أثرَهُ بعدَ فوتِ

قالَ الباهليُّ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : مالكُ بنُ عمرِو العامليُّ ، وفي كتابِ

⁽١) الأمثال (ص ١٩٦ ـ ١٩٧) للقاسم بن سلام .

⁽Y) القائل: هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

⁽٣) انظر « مجمع الأمثال » (٣٢٧/١ _ ٣٢٩) .

أبي عبيدٍ: مالكُ بنُ عمرو الباهليُّ ، قالَ: وذلكَ أنَّ بعضَ ملوكِ غَسَّانَ كانَ يطلبُ في عاملةَ ذَحْلاً ، فأخذَ منهُم رجلينِ يُقالُ لهُما: مالكُ وسماكُ ابنا عمرو ، فاحتبسَهُما عندَهُ زماناً ، ثمَّ دعاهُما فقالَ لهُما: إنِّي قاتلُ أحدَكُما ، فأيَّكُما أقتلُ ؟ فجعلَ كلُّ واحدٍ منهُما يقولُ: اقتلْني مكانَ أخي ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ . . قتلَ سماكاً ، وخلَّىٰ سبيلَ مالكِ ، فقالَ سماكُ حينَ ظنَّ أنَّهُ مقتولٌ:

كَمَا [أَبَداً] لَيْلَةٌ وَاحِدَهُ وَخِصَّ سَرَاةَ بَيْبِي سَاعِدَهُ وَخُصَّ سَرَاةَ بَيْبِي سَاعِدَهُ بِأَنَّ ٱلرِّمَاحَ هِي ٱلْعَائِدَهُ لِبَانَ ٱلرِّمَاحَ هِي ٱلْعَائِدةُ لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَهُ وَيَوْمَا عَلَى طُرُقٍ وَارِدَهُ فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ [ٱلْوَالِدَهُ]

أَلَا مَنْ شَجَتْ لَيْلَةٌ عَامِدَهُ فَأَبْلِغْ قُضَاعَة إِنْ جِئْتَهُمْ وَأَبْلِغْ نِزَاراً عَلَىٰ نَأْيِهَا وَأَشِلِغْ نِزَاراً عَلَىٰ نَأْيِهَا وَأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكا بِرَأْسِ سَبِيلٍ عَلَىٰ مَرْقَبٍ فَأُمَّ سِمَاكٍ فَلَا تَجْزَعِي

وانصرفَ مالكُ إلى قومِهِ ، فلبثَ فيهِم زماناً ، ثمَّ إنَّ رَكْباً مرُّوا وأحدُهُم يَتغنَّىٰ بهاذا البيت :

وَأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةَ رَاصِدَهُ

فسمعَتْ بذلكَ أمُّ سماكِ ، فقالَتْ : يا مالكُ ؛ قَبَّحَ اللهُ الحياة بعدَ سماكِ ، اخرجْ في الطَّلبِ بأخيكَ ، فخرجَ في الطَّلبِ ، فلقيَ قاتلَ أخيهِ يسيرُ في ناسٍ مِنْ قومِهِ ، فقالَ : مَنْ أحسَّ ليَ الجملَ الأحمرَ ؟ فقالوا لهُ وعرفوهُ : يا مالكُ ؛ لكَ مئةٌ مِنَ الإبلِ ، فكُفَّ ، فقالَ : لا أطلبُ أثراً بعدَ عينٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ حملَ على قاتلِ أخيهِ فقتلَهُ ، وقالَ في ذلكَ : [من المنسرح]

يَا رَاكِباً بَلِّغَنْ وَلَا تَدَعَنْ بَنِي قُمَيْرِ وَإِنْ هُمُ جَزِعُوا

كُنْتُ حَزِيناً قَدْ مَسَّنِي وَجَعُ
يَنْفَعُنِي فِي ٱلْفِرَاشِ مُضْطَجَعُ
وَجْدُ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبَعُ
يَوْمَ تَوَافَى ٱلْحَجِيجُ وَٱجْتَمَعُوا
يَوْمَ تَوَافَى ٱلْحَجِيجُ وَٱجْتَمَعُوا
يَعْرِفُ شَيْعًا وَٱلْوَجْهُ مُلْتَمِعُ
مَعْرِفُ مَائِسِةٌ لُمَعُ
يَعْرِفُ مَائِسِةٍ مُنْ دِمَائِسِةٍ دُفَعَ لَمَعُ يَعُوا مَلَا وَٱلرَّأْسُ مُنْصَدِعُ
فَالْدَيَوْمَ لَا رَنَّتَةٌ وَلَا جَنَعُ وَلَا جَنَعُ وَلَا جَنَعُ وَلَا جَنَعُ وَلَا جَنَعُ وَلَا جَنَعُ وَالْمَرُولُ وَا الْمَدَّوْلِ وَوَهُ مُرَعُ مُ جُرَعُ

فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ فَقَدْ لَا أَسْمَعُ ٱللَّهُو فِي ٱلْحَدِيثِ وَلَا لَا أَسْمَعُ ٱللَّهُو فِي ٱلْحَدِيثِ وَلَا لَا وَجْدُ ثَكْلَىٰ كَمَا وَجَدْتُ وَلَا وَلِا كَبِيبٍ أَضَالًا نَاقَتَهُ وَلَا كَبِيبٍ أَضَالًا نَاقَتَهُ يَنْظُرُ فِي أَوْجُهِ ٱلرِّكَابِ فَلَا جَلَّلْتُهُ صَارِمَ ٱلْحَدِيدَةِ كَالْ جَلَّلْتُهُ صَارِمَ ٱلْحَدِيدةِ كَالْ بَيْنَ ضُمَيرٍ وَبَابِ جِلِّقَ فِي بَيْنَ ضُمَيرٍ وَبَابِ جِلِّقَ فِي أَضْرِبُهُ بَادِياً نَواجِلُهُ أَضْرِبُهُ بَادِياً نَواجِلُهُ أَنْ يَواجِلُهُ بَنِي قُمَيْرٍ قَتَلْتُ سَيِّدَكُمْ فَالْيَوْمَ قُمْنَا عَلَى ٱلسَّواءِ فَإِنْ فَالْيَوْمَ قُمْنَا عَلَى ٱلسَّواءِ فَإِنْ فَالْيَوْمَ قُمْنَا عَلَى ٱلسَّواءِ فَإِنْ فَالْيَوْمَ قُمْنَا عَلَى ٱلسَّواءِ فَإِنْ

السَّفاسقُ: جمعُ سفسقةٍ بفتحتَينِ أو كسرتَينِ بينَهُما سكونٌ ، فِرِندُ السيفِ ؛ وهي نقطٌ تلمعُ في صفائهِ .

تَسمعُ بالمُعَيْديِّ خيرٌ مِنْ أن تراهُ

ويُروئ : لأن تَسمعَ بالمُعيديِّ خيرٌ ، وأن تسمعَ ، ويُروئ : تَسمعُ بالمعيديِّ لا أن تراهُ ، والمختارُ : أن تسمعَ .

يُضرَبُ لِمَنْ خبرُهُ خيرٌ مِنْ مرآهُ ، ودخلَ الباءُ على تقديرِ : تُحدَّثُ بهِ خيرٌ . قالَ المُفضَّلُ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ ، وكانَ مِنْ حديثِهِ : أنَّ كُبَيشَ بنَ جابرٍ أخا ضمرة بنِ جابرٍ مِنْ بني نهشلٍ . . كانَ عرضَ لأَمَةٍ لزرارة بنِ عدسٍ يُقالُ لها : رُشيَّةُ ، كانَتْ سبيةً أصابَها زُرارة مِنَ الرفيداتِ ،

وهم حيٌّ مِنَ العربِ ، فولدَتْ لهُ عمراً وذؤيباً وبرغوثاً ، فماتَ كُبَيشٌ وترعرعَ الغلمةُ .

فقالَ لقيطُ بنُ زرارة : يا رُشيَّة ؛ مَنْ أبو بنيكِ ؟ قالَتْ : كُبيشُ بنُ جابرٍ ، قالَ : فاذهبي بهاؤلاءِ الغِلمةِ فعبِّسي بهِم وجه ضمرة وخَبِّريهِ مَنْ هم ، وكانَ لقيطٌ عدوًا لضمرة ، فانطلقَتْ بهِم إلى ضمرة ، فقالَ : ما هاؤلاء ؟ قالَتْ : بنو أخيكَ ، فانتزعَ منها الغِلمة وقالَ : الحقي بأهلِكِ .

فرجعَتْ فأخبرَتْ أهلَها بالخبرِ ، فركبَ زرارةُ وكانَ رجلاً حليماً ، حتى أتى بني نهشلٍ ، فقالَ : ردُّوا عليَّ غلمتي ، فسبَّهُ بنو نهشلٍ وأهجروا لهُ ، فلمَّا رأىٰ ذلك . . انصرف ، فقالَ لهُ قومُهُ : ما صنعت ؟ قالَ : خيراً ، ما أحسنَ ما لقيني بهِ قومي !! فمكثَ حولاً ، ثمَّ أتاهم ، فأعادوا عليهِ أسواً ما كانوا قالوا لهُ ، فانصرف ، فقالَ لهُ قومُهُ : ما صنعت ؟ قالَ : خيراً ، قد أحسنَ بنو عمِّي وأجملُوا ، فمكثَ بذلكَ سبعَ سنينَ يأتيهِم في كلِّ سنةٍ فيردُّونَهُ بأسوأ الردِّ .

فبينمَا بنو نهشلٍ يسيرونَ ضحى .. إذ لحقَ بهِم لاحقٌ ، فأخبرَهُم أنّ زرارة قد مات ، فقالَ ضمرة : يا بني نهشلٍ ؛ إنّه قد مات حليم أخوتِكُم اليوم ، فاتقوهُم بحقّهِم ، ثمّ قالَ ضمرة لنسائه : قِفَنَّ أقسمْ بينكُنَّ الثكلَ ، وكانَتْ عندَه هندُ بنتُ كربِ بنِ صفوانَ ، وامرأةٌ يُقالُ لها : خُليدة مِنْ بني عجلٍ ، وسبيةٌ مِنْ عبدِ القيسِ ، وسبيّةٌ مِنَ الأزدِ مِنْ بني طمثانَ ، وكانَ لهن أولادٌ غيرُ خُليدة ، فقالَتْ لهندٍ وكانَتْ لها مصافية : وَلِّي الثكلَ بنتَ غيرِكِ على سبيلِ الدعاءِ ، فأرسلَتها مثلاً ، فأخذ ضمرة سقّة بنَ ضمرة وأمّهُ هندٌ ، وشهابَ بنَ ضمرة وأمّهُ العبدية ، وعنوة بنَ ضمرة وأمّهُ الطمثانية ، فأرسلَ بهم إلىٰ لقيطِ بن زرارة ، وقالَ : وعنوة بنَ ضمرة وأمّهُ الطمثانية ، فأرسلَ بهم إلىٰ لقيطِ بن زرارة ، وقالَ :

هاؤلاءِ رهنٌ لكَ بغلمتِكَ حتى أرضيَكَ منهُم ، فلمَّا وقعَ بنو ضمرةَ في يَديْ لقيطٍ . . أساءَ ولايتَهُم ، وجفاهُم وأهانَهُم ، فقالَ في ذلكَ ضمرةُ بنُ جابرٍ :

صَرَمْتُ إِخَاءَ شِقَّةً يَوْمَ غَوْلٍ
كَأْتِي إِذْ رَهَنْتُ بَنِيَّ قَوْمِي
وَلَهُ أَرْهَنْتُ بَنِيَّ قَوْمِي
وَلَهُ أَرْهَنْهُ مُ بِدَمٍ وَلَلْكِنْ
صَرَمْتُ إِخَاءَ شِقَةً يَوْمَ غَوْلٍ
فأجابَهُ لقيطٌ:

أَبَا قَطَنٍ إِنِّي أَرَاكَ حَزِينَا أَفِي أَنْ صَبَرْتُمْ نِصْفَ عَامٍ لِحَقِّنَا فقالَ ضمرةُ:

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَطِلَابَ حِبِّي لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَطِلَابَ حِبِّي لَمِنْ نَوْكَى ٱلشُّيُوخِ وَكَانَ مِثْلِي

وَإِحْوَتِهِ فَلَا حَلَّتْ حِلَالِي دَفَعْتُهُمُ إِلَى ٱلصَّهْبِ ٱلسِّبَالِ دَفَعْتُهُمُ إِلَى ٱلصَّهْبِ ٱلسِّبَالِ رَهَنْتُهُمُ بِصُلْحٍ أَوْ بِمَالِ وَحُتَّ إِخَاءُ شِقَّةَ بِٱلْوصَالِ وَحُتَّ إِخَاءُ شِقَّةَ بِٱلْوصَالِ [من الطويل]

وَإِنَّ ٱلْعَجُولَ لَا يُبَالِ حَنِينَا وَنَحْنُ صَبَرْنَا قَبْلُ سَبْعَ سِنِينَا [من الوافر]

وَتَرْكَ بَنِيَّ فِي ٱلشُّطُرِ ٱلْأَعَادِي إِذَا مَا ضَلَّ لَمْ يُنْعَسْ بِهَادِ

ثمَّ إنَّ بني نهشلِ طلبوا إلى المنذرِ بنِ ماءِ السماءِ أن يَطلبَهُم مِنْ لقيطٍ ، فقالَ لهُمُ المنذرُ: نحُوا عنِّي وجوهَكُم ، ثمَّ أمرَ بخمرٍ وطعامٍ ودعا لقيطاً ، فأكلا وشربا ، حتى إذا أخذَتِ الخمرُ منهُما . قالَ المنذرُ للقيطِ : يا خيرَ الفتيانِ ؛ ما تقولُ في رجلٍ اختارَكَ الليلةَ علىٰ ندامىٰ مُضَرَ ؟ قالَ : وما أقولُ فيهِ ؟ أقولُ : إِنَّهُ لا يَسألُني شيئاً إلَّا أعطيتُهُ إيَّاهُ غيرَ الغِلمةِ ، قالَ المنذرُ : أمَّا إذا استثنيتَ . . فلستُ قابلاً منكَ شيئاً حتىٰ تعطيني كلَّ شيءٍ سألتُكَ ، قالَ : فانِّي أسألُكَ الغِلمةَ أن تَهبَهُم لي ، قالَ : سلني غيرَهُم ، قالَ : ما أسألُكَ غيرَهُم ، فأرسلَ لقيطٌ إليهِم ، فدفعهُم إلى المنذرِ ، غيرَهُم ، قالَ : ما أسألُكَ غيرَهُم ، فأرسلَ لقيطٌ إليهِم ، فدفعهُم إلى المنذرِ ،

فلمَّا أصبحَ لقيطٌ . . لامَهُ قومُهُ ، فندمَ ، فقالَ في المنذرِ : [من الطويل] (١) وَإِنَّكَ لَوْ غَطَّيْتَ أَرْجَاءَ هُوَةٍ مُغَمَّسَةٍ لَا يُسْتَثَارُ تُرَابُهَا وَإِنَّكَ لَوْ غَطَّيْتَ أَرْجَاءَ هُوَةٍ مُغَمَّسَةٍ لَا يُسْتَثَارُ تُرابُهَا بِثَوْبِكَ فِي ٱلظَّلْمَاءِ ثُمَّ دَعَوْتَنِي لَجِئْتُ إِلَيْهَا سَادِراً لَا أَهَابُهَا فَأَصْبَحْتُ مَوْجُوداً عَلَيَّ مُلَوَّماً كَأَنْ نُضِيَتْ عَنْ حَائِضٍ لِي ثِيَابُهَا فَأَصْبَحْتُ مَوْجُوداً عَلَيَّ مُلَوَّماً كَأَنْ نُضِيَتْ عَنْ حَائِضٍ لِي ثِيَابُهَا

قالَ: فأرسلَ المنذرُ إلى الغِلمةِ ، وقد ماتَ ضمرةُ ، وكانَ صديقاً للمنذرِ ، فلمّا دخلَ عليهِ الغِلمةُ وكانَ يسمعُ بشِقّةَ ، ويُعجِبُهُ ما يَبلغُهُ عنهُ ، فلمّا رآهُ . . قالَ : تَسمعُ بالمُعيديِّ خيرٌ مِنْ أن تَراهُ ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ شِقَّةُ : أبيتَ اللعنَ وأسعدَكَ إللهُكَ ، إنَّ القومَ ليسوا بجُزْرِ ؛ يعني : الشاءَ ، إنَّما يعيشُ الرجلُ بأصغرَيهِ ؛ لسانِهِ وقلبِهِ ، فأعجبَ المنذرَّ كلامُهُ ، وسَرَّهُ كلُّ ما رأى منهُ ، قالَ : فسمّاهُ ضمرةَ باسمِ أبيهِ ، فهوَ ضمرةُ بنُ ضمرةَ ، وذهبَ قولُهُ : يعيشُ الرجلُ بأصغرَيهِ . . مثلاً ، وينشدُ على هاذا :

ظَنَنْتُ بِهِ خَيْراً فَقَصَّرَ دُونَهُ فَيَا رُبَّ مَظْنُونٍ بِهِ ٱلْخَيْرُ يُخْلِفُ

قلتُ (۲): وقريبٌ مِنْ هاذا ما يُحكى : أنَّ الحَجَّاجَ أرسلَ إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بكتابٍ معَ رجلٍ ، فجعلَ عبدُ الملكِ يقرأُ الكتابَ ، ثمَّ يسألُ الرجلَ ، فيشفيهِ بجوابِ ما يسألُهُ ، فيرفعُ عبدُ الملكِ رأسَهُ إليهِ فيراهُ أسودَ ، فلمَّا أعجبَهُ ظَرْفُهُ وبيانُهُ . . قالَ مُتمثِّلاً :

فَإِنَّ عَرَاراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أُحِبُّ ٱلْجَوْنَ ذَا ٱلْمَنْكِبِ ٱلْعَمَمْ

فقالَ لهُ الرجلُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ هل تدري مَنْ عرازٌ ؟ أنا واللهِ عرارُ بنُ عمرِو بنِ شاسِ الأسديِّ الشاعرِ (٣) .

⁽١) في الأصل و « مجمع الأمثال » : (إنك) ولا يستقيم وزنه .

⁽٢) القائل : هو العلامة الميداني صاحب (مجمع الأمثال) .

 $^{(\}Upsilon)$ انظر « مجمع الأمثال » ($\Upsilon \times \Upsilon \times \Upsilon = \Upsilon \times \Upsilon \times \Upsilon$) .

ترى الفتيانَ كالنَّخْلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ

الدَّخْلُ: العيبُ الباطنُ ، يُضرَبُ لذي المنظرِ لا خيرَ عندَهُ .

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ: عَثْمةُ بنتُ مطرودٍ البجيليَّةُ ، وكانَتْ ذَاتَ عقلٍ ورأي مُستمَع في قومِها ، وكانَتْ لها أختُ يُقالُ لها: خَوْدٌ ، وكانَتْ ذَاتَ جمالٍ وميسمٍ وعقلٍ ، وإنَّ سبعةَ إخوةٍ غِلمةٍ مِنْ بطنِ الأزدِ خطبوا خَوداً إلى أبيها ، فأتوهُ وعليهِمُ الحُللُ اليمانيَّةُ ، وتحتَهُمُ النَّجائبُ الفُرْهُ ، فقالوا: نحنُ بنو مالكِ بنِ غفيلةَ ذي النحيينِ ، فقالَ لهُمُ: انزلوا على الماءِ ، فنزلوا ليلتَهُم ، ثمَّ أصبحوا غادينَ في الحُللِ والهيئةِ ومعَهُم ربيبةٌ لهُم يُقالُ لها: الشعثاءُ كاهنةٌ ، فمرُّوا بوصيدِها يَتعرَّضون لها وكلُّهُم وسيمٌ جميلٌ ، وخرجَ الوها ، فجلسوا إليهِ ، فرحَّبَ بهِم ، فقالوا: بلغنا أنَّ لكَ بنتاً ، ونحنُ _ كما ترئ _ شبابٌ ، وكلُّنا يمنعُ الجانبَ ، ويمنحُ الراغبَ ، فقالَ أبوها: كلُّكُم خيارٌ ، فأقيموا نرئ رأينا .

ثمَّ دخلَ على بنتِهِ ، فقالَ : ما ترينَ ؟ فقد أتاكِ هلؤلاءِ القومُ ، فقالَتْ : أنكحْني على قدري ، ولا تَشطُطْ في مهري ؛ فإن تُخطِئْني أحلامُهُم . . لا تُخطِئْني أجسامُهُم ، لعلِّي أصيبُ ولداً ، وأكثرُ عدداً .

فخرجَ أبوها فقالَ : أخبروني عن أفضلِكُم ، قالَتْ ربيبتُهُمُ الشعثاءُ الكاهنةُ : اسمعْ أخبرُكَ عنهُم ، هم إخوةٌ ، وكلُّهُم أسوةٌ ، أمَّا الكبيرُ . . فمالكُ ، جريءٌ فاتكُ ، يتعبُ السنابكَ ، ويستصغرُ المهالكَ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فالغمرُ ، بحرٌ غمرٌ ، يقصرُ دونَهُ الفخرُ ، نهدٌ صقرٌ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فعلقمةُ ، صليبُ المعجمةِ ، منيعُ المشتمةِ ، قليلُ الجمجمةِ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فعاصمٌ ، سيدٌ ناعمٌ ، جَلدٌ صارمٌ ، أبيٌّ حازمٌ ، جيشُهُ غانمٌ ، وجارُهُ سالمٌ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فقابِ ، وأمَّا الذي الخابِ ، وأمَّا الذي الغابِ ، وأمَّا الذي الغابُ ، وأمَّا الذي الغابِ ، وأمَّا الذي الغابِ ، وأمَّا الذي الغابِ ، وأمَّا الذي الغابِ ، وأمَّا الذي الذي الغابِ ، وأمَّا الذي الغابِ ، وأمَّا الذي الذي الغابِ ، وأمَّا الذي الذي الغابِ ، وأمَّا الذي الذي

۸۰

الذي يليهِ . . فمُدْرِكُ ، بذولٌ لما يملكُ ، عزوبٌ عمَّا يتركُ ، يفني ويهلكُ ، وأمَّا الذي يليهِ . . فجندلٌ ، لقرنِهِ مجدلٌ ، مُقِلُّ لما يحملُ ، يعطي ويبذلُ ، وعن عدوّهِ لا ينكلُ .

فشاورَتْ أختَها فيهِم ، فقالَتْ أختُها عثمة : ترى الفتيانَ كالنخلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخُلُ ، اسمعي منِي كلمة : إنَّ شرَّ الغريبةِ يُعلَنُ ، وخيرَها يُدفَنُ ، انكحي في قومِكِ ولا تغررُكِ الأجسامُ ، فلم تقبلْ منها ، وبعثَتْ إلىٰ أبيها : أنكحْني مُدرِكاً ، فأنكحَها أبوها على مئةِ ناقةٍ ورعاتِها ، وحملَها مُدرِكٌ ، فلم تلبثْ عندَهُ إلاَّ قليلاً حتى صبَّحَهُم فوارسُ مِنْ بني مالكِ بنِ كنانةَ ، فاقتتلوا ساعةً ، ثمَّ إنَّ وَجَها وإخوتَهُ وبني عامرِ انكشفوا ، فسبَوْها فيمَنْ سبَوْا ، فبينا هي تسيرُ . بكَتْ ، فقالوا : ما يبكيكِ ؟ أعلىٰ فِراقِ زوجِكِ ؟ قالَتْ : قبَّحَهُ اللهُ ، قالوا : لقد بكنْ معملاً ، قالَتْ : قبَّحَ اللهُ ، قالوا : لقد كانَ جميلاً ، قالَتْ : قبَّحَ اللهُ عمالاً لا نفعَ معَهُ ، إنَّما أبكي على عصياني أختي ، وقولِها : ترى الفتيانَ كالنَّخْلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ ، وأخبرتُهُم كيفَ خطبوها ، فقالَ لها رجلٌ منهُم يُكنىٰ أبا نواسٍ ، شابٌ أسودُ أفوهُ مُضطرِبُ خطبوها ، فقالَ لها رجلٌ منهُم يُكنىٰ أبا نواسٍ ، شابٌ أسودُ أفوهُ مُضطرِبُ الخُلْقِ : أترضينَ بي علىٰ أن أمنعَكِ مِنْ ذئابِ العربِ ؟ فقالَتْ لأصحابِهِ : أكذالكَ الخَلْقِ : قالوا : نعم ؛ إنَّهُ معَ ما ترينَ لَيمنعُ الحليلةَ ، وتتقيهِ القبيلةُ ، قالَتْ : هذا أجملُ جمالٍ ، وأكملُ كمالٍ ، قد رضيتُ بهِ ، فزوَّجُوها منهُ (١) .

تعِسَتِ العجلةُ

أُوَّلُ مَنْ قَالَ هَاذَا : فِنْدُ مُولَىٰ عَائِشَةَ بِنتِ سَعِدِ بِنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَكَانَ أَحَدَ المُغنِّينَ] المُعنِّينَ :

قُلْ لِفِنْدٍ يُشَيِّع ٱلْأَظْعَانَا طَالَمَا سَرَّ عَيْشَنَا وَكَفَانَا

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٣٥٦/١ ـ ٣٥٨) .

وكانَتْ عائشةُ أرسلَتْهُ يأتيها بنار ، فوجدَ قوماً يخرجونَ إلى مصرَ ، فخرجَ معَهُم ، فأقامَ بها سنةً ، ثمَّ قدمَ فأخذَ ناراً وجاءَ يعدو ، فعثرَ وتَبدَّدَ الجمرُ ، فقالَ : تعسَتِ العجلةُ ، وفيهِ يقولُ الشاعرُ : [من الرمل]

مَا رَأَيْنَا لِغُرَابٍ مَثَلاً إِذْ بَعَثْنَاهُ يَجِي بِٱلْمِشْمَلَهُ عَيْرَ فِنْدٍ أَرْسَلُوهُ قَابِساً فَثَوَىٰ حَوْلاً وَسَبَّ ٱلْعَجَلَةُ

المِشْملةُ: كساءٌ تُجمَعُ فيهِ المِقدحةُ بآلاتِها ، وقالَ بعضُهُمُ: الروايةُ: المَشْملةُ بفتحِ الميمِ ، وهيَ مَهبُّ الشمالِ ؛ يعني: الجانبَ الذي بعثَ نوحٌ عليهِ السلامُ الغرابَ إليهِ ليأتيَهُ بخبرِ الأرضِ: أجفَّتْ أم لا.

تجمعين خِلابةً وصدوداً

يُضرَبُ لِمَنْ يَجمعُ بينَ خصلتَيْ شرِّ ، قالوا : هوَ مِنْ قولِ جريرِ بنِ عطيةَ ؛ وذلكَ أنَّ الحَجَّاجَ بنَ يوسفَ أرادَ قتلَهُ ، فمشَتْ إليهِ مُضَرُ فقالوا : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، لسانُ مضرَ وشاعرُها ، هبْهُ لنا ، فوهبَهُ لهُم .

وكانَتْ هندُ بنتُ أسماءَ بنِ خارجةً ممَّنْ طلبَ فيهِ ، فقالَتْ للحَجَّاجِ : ائذنْ لي فأسمعَ مِنْ قولِهِ ، قالَ : نعم ، فأمرَ بمجلسٍ لهُ وجلسَ فيهِ هوَ وهندٌ ، ثمَّ بعثَ إلىٰ جريرٍ ، فدخلَ وهوَ لا يعلمُ بمكانِ الحَجَّاجِ ، فقالَتْ : يا بنَ الخَطَفَىٰ ؛ أنشدْني قولَكَ في التشبيبِ ، قالَ : واللهِ ؛ ما شببتُ بامرأةٍ قطُّ ، وما خلقَ اللهُ شيئاً أبغضَ إليَّ مِنَ النساءِ ، وللكنِّي أقولُ في المديحِ ما بلغَكِ ، فإن خلقَ اللهُ شيئاً أبغضَ إليَّ مِنَ النساءِ ، وللكنِّي أقولُ في المديحِ ما بلغَكِ ، فإن شئتِ . . أسمعتُكِ ، قالَتْ : يا عدوَّ نفسِهِ ؛ فأينَ قولُكَ : [من الكامل]

يَجْرِي ٱلسِّوَاكُ عَلَىٰ أَغَرَّ كَأَنَّهُ بَرَدُ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ طَرَقَتْكَ ٱلرِّيَارَةِ فَٱرْجِعِي بِسَلَامِ طَرَقَتْكَ ٱلرِّيَارَةِ فَٱرْجِعِي بِسَلَامِ

لَوْ كُنْتِ صَادِقَةَ ٱلَّذِي حَدَّثْتِنَا لَوَصَلْتِ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامِ قَالَ جُرِيرٌ: لا واللهِ ؟ ما قلتُ هاذا ، وللكنِّي أقولُ ('): [من الطويل] لَقَدْ جَرَّدَ ٱلْحَجَّاجُ بِٱلْحَقِّ سَيْفَهُ أَلَا فَٱسْتَقِيمُوا لَا يَمِيلَنَّ مَائِلُ وَلَا خَجَّةُ ٱلْخَصْمَيْنِ حَقُّ وَبَاطِلُ وَلَا حُجَّةُ ٱلْخَصْمَيْنِ حَقُّ وَبَاطِلُ

فقالَتْ هندٌ : دعْ ذا عنكَ ، فأينَ قولُكَ :

خَلِيلَيَّ لَا تَسْتَشْعِرَا ٱلنَّوْمَ إِنَّنِي أُعِيذُكُمَا بِٱللهِ أَنْ تَجِدَا وَجْدِي ظَمِئْتُ إِلَى بَرْدِ ٱلشَّرَابِ وَغَرَّنِي جَدَا مُزْنَةٍ يُرْجَىٰ جَدَاهَا وَمَا تُجْدِي

قَالَ جريرٌ: بل أنا الذي أقولُ (٢): [وَمَنْ] يَأْمَنُ ٱلْحَجَّاجَ أَمَّا عِقَابُهُ فَـمُرُّ وَأَمَّا عَـقْدُهُ فَـوَثِـيـقُ

(٣) لَخِفْتُكَ حَتَّىٰ أَنْزَلَتْنِي مَخَافَتِي وَقَدْ كَانَ مِنْ دُونِي عَمَايَةُ نِيتُ

يُسِرُّ لَكَ ٱلْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقُ

قالَتْ : دعْ ذا عنكَ ، وللكنْ هاتِ قولَكَ (١٠) :

طَالَ ٱلْهَوَىٰ وَأَطَلْتُمَا ٱلتَّفْنِيدَا
فِي ٱلْحُبِّ مِنِّي مَا وَجَدْتُ مَزِيدَا
أَفَتَجْمَعِينَ خِلَابَةً [وَصُدُودَا]
حَجَراً أَصَمَّ وَأَنْ يَكُونَ حَدِيدَا

يَا عَاذِلَيَّ دَعَا ٱلْمَلَامَةَ وَٱقْصُرَا إِنِّي وَجَدْتُكِ لَوْ أَرَدْتِ زِيَادَةً أَخْلَيْتِنَا وَصَدَدْتِ أُمَّ مُحَمَّدٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَخُو ٱلصَّبَابَةِ أَنْ يُرَىٰ

⁽۱) انظر « دیوان جریر » (٤٠٣/١) .

⁽٢) انظر « ديوان جرير » (٢/٣٧٣ ـ ٣٧٤) .

⁽٣) كذا في الأصل ، وفي « ديوان جرير » : (وخفتك) .

⁽٤) انظر « ديوان جرير » (٣٣٧/١) .

أَتْيَهُ مِنْ فقيدِ ثقيفٍ

قالوا: كانَ بالطَّائفِ في أَوَّلِ الإسلامِ أخوانِ ، فتَزوَّجَ أحدُهُما امرأةً مِنْ بني كُنَّةَ ، ثمَّ رامَ سفراً ، فأوصى الأخَ بها ، فكانَ يَتعهَّدُها كلَّ يوم بنفسِهِ ، وكانَتْ مِنْ أحسنِ الناسِ وجهاً ، فذهبَتْ بقلبِهِ ، فضَنِيَ ، وأخذَتْ قُوَّتَهُ حتى عَجَزَ عنِ المشي ، ثم عَجَزَ عنِ القعودِ .

وقدمَ أخوهُ ، فلمَّا رآهُ بتلكَ الحالةِ . . قالَ : ما لكَ يا أخي ؟ ما تجدُ ؟ قالَ : ما أجدُ شيئاً غيرَ الضَّعفِ ، فبعثَ أخوهُ إلى الحارثِ بنِ كلدةَ طبيبِ العربِ ، فلمَّا حضرَ . . لم يجدُ بهِ عِلَّةً مِنْ مرضٍ ، ووقعَ لهُ أنَّ ما بهِ مِنْ عشقٍ ، فدعا بخمرٍ وفتَ فيها خبزاً فأطعمَهُ إيَّاهُ ، ثم أتبعَهُ بشربةٍ منها ، فتَحرَّكَ ساعةً ، ثمَّ نَغضَ رأسَهُ ورفعَ عقيرتَهُ بهاذهِ الأبياتِ :

أَلِمَّا بِي عَلَى ٱلْأَبْيَا تِ بِٱلْخَيْفِ نَـزُرْهُنَهُ غَــزَالٌ ثَــمَّ يَــحْـتَـلُّ بِـهَا دُورَ بَـنِـي كُـنَّـهُ غَــزَالٌ أَحْـوَرُ ٱلْعَـيْنَيْ بِنِ فِي مَـنْـطِـقِـهِ غُـنَّـهُ

فعرفَ أخوهُ ما بهِ ، فقالَ : يا أخي ؛ هيَ طالقٌ ثلاثاً ، فتَزوَّجُها ، فقالَ : هيَ طالقٌ يومَ أتزوَّجُها .

ثمَّ ثابَ إليهِ ثائبٌ مِنَ العقلِ والقُوَّةِ ، ففارقَ الطائفَ حضراً ، وهامَ في البرِّ

فما رُئِيَ بعدَ ذلكَ ، فمكثَ أخوهُ أياماً ، ثمَّ ماتَ كمداً على أخيهِ ، فضُرِبَ بهِ المثلُ ، وسُمِّيَ فقيدَ ثقيفٍ (١) ، وأمَّا قولُهُم :

أَتْيَهُ مِنْ أحمقِ ثقيفٍ

فهاندا مِنَ التيهِ الذي هوَ الصَّلَفُ ، وأحمقُ ثقيفٍ : هوَ يوسفُ بنُ عمرٍو ، وكانَ أميرَ العراقينِ مِنْ قِبَلِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، وكانَ أتيهَ وأحمقَ عربيٍّ أمرَ ونهىٰ في دولةِ الإسلام .

ومِنْ حمقِهِ: أَنَّ حَجَّاماً كَانَ يَحجُمهُ ، فلمَّا أَرَادَ أَن يَشْرِطَهُ . . ارتعدَتْ يدُهُ ، فأحسَّ بذلكَ يوسفُ ، وكانَ حاجبُهُ قائماً على رأسِهِ ، فقالَ لهُ : قلْ لهذا البائس : لا تخفْ .

وكانَ يوسفُ قصيراً جدّاً قميئاً ، فكانَ الخياطُ عندَ قطعِ ثيابِهِ إذا قالَ لهُ : يحتاجُ إلىٰ زيادةٍ . . أكرمَهُ وحباهُ ، وإذا قالَ : يفضلُ شيءٌ . . أهانَهُ وأقصاهُ (٢) .

ثُكُلٌ أَرْأَمَها ولداً

قالَهُ بيهسٌ المُلقَّبُ بنعامةَ لأُمِّهِ حينَ رجعَ إليها بعدَ إخوتِهِ الذين قتلوا .

قالَ المُفضَّلُ: كانَ مِنْ حديثِ بيهسٍ أنَّهُ كانَ رجلاً مِنْ بني فزارةَ بنِ ذبيانَ بنِ بغيضٍ ، وكانَ سابعَ سبعةِ إخوةٍ ، فأغارَ عليهِم ناسٌ مِنْ أشجعَ بينهُم وبينَهُم حربٌ وهم في إبلِهِم ، فقتلوا منهم ستةً ، وبقيَ بيهسٌ وكانَ يُحمَّقُ ، وكانَ أصغرَهُم ، فأرادوا قتلَهُ ، ثمَّ قالوا : وما تريدونَ مِنْ قتلِ هاذا ؟! يُحمَّقُ ، وكانَ أصغرَهُم ، فأرادوا قتلَهُ ، ثمَّ قالوا : وما تريدونَ مِنْ قتلِ هاذا ؟! يُحمَّتُ عليكُم برجلِ ولا خيرَ فيهِ ، فتركوهُ ، فقالَ : دعوني أتوصَّلْ معَكُم

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٣٨١/١ _ ٣٨٢) .

⁽Y) انظر « مجمع الأمثال » (٣٨٢/١ ـ ٣٨٣) .

إلى الحيِّ ، فإنَّكُم إن تركتُموني وحدي . . أكلَتْني السِّباعُ ، وقتلَني العطشُ ، ففعلوا ، فأقبلَ معَهُم .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ . . نزلوا فنحروا جَزوراً في يوم شديدِ الحرِّ ، فقالوا : ظلِّلُوا لحمَّ لا يفسدْ ، فقالَ بيهسٌ : للكنَّ بالأثلاثِ لحمٌ لا يُظلَّلُ ، فذهبَتْ مثلاً ، فلمَّا قالَ ذلك . . قالوا : إنَّهُ لمُنكِرٌ ، وهمُّوا أن يقتلوهُ ، ثمَّ تركوهُ ، وظلُّوا يشوونَ مِنْ لحم الجَزورِ ويأكلونَ ، فقالَ أحدُهُم : ما أطيبَ يومَنا وأخصبَهُ ، فقالَ بيهسٌ : للكنْ علىٰ بَلْدَحَ قومٌ عَجْفَىٰ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ انشعبَ طريقُهُم ، فأتى أُمَّهُ فأخبرَها الخبرَ ، قالَتْ : فما جاءَني بكَ مِنْ بينِ إخوتِكَ ؟! فقالَ بيهسٌ : لو خُيِّرتُ . . لاخترتُ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ إنَّ أُمَّهُ عطفَتْ عليهِ ورَقَّتْ لهُ ، فقالَ الناسُ : لقد أحبَّتْ أمُّ بيهسٍ بيهساً ، فقالَ بيهسٌ : ثكلٌ أرأَمَها ولداً ؛ أي : عَطَّفَها على ولدٍ ، فأرسلَها مثلاً .

ثمَّ إنَّ أُمَّهُ جعلَتْ تعطيهِ بعدَ ذلكَ ثيابَ إخوتِهِ ، فيَلبَسُها ويقولُ : يا حبَّذا التراثُ لولا الذِّلةُ ، فأرسلَها مثلاً .

ثم انّه أتى على ذلك ما شاء الله ، فمرّ بنسوةٍ مِنْ قومِهِ يصلحنَ المرأة منهُنّ يُرِدنَ أن يُهدِينَها لبعضِ القومِ الذينَ قتلوا إخوتَه ، فكشفَ ثوبَه عنِ استِهِ وغطّى بهِ رأسَه ، فقلنَ له : ويحَك !! ما تصنع يا بيهس ؟! فقال :

الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا إِلَّا بُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ أمرَ النساءَ مِنْ كنانةَ وغيرِها فصنعنَ لهُ طعاماً ، فجعلَ يأكلُ ويقولُ: حبَّذا كثرةُ الأيدي في غيرِ طعام ، فأرسلَها مثلاً ، فقالَتْ لهُ

أُمُّهُ: لا يَطلُبُ هاذا بثأر أبداً ، فقالَتِ الكنانيةُ: لا تأمني الأحمق وفي يدِهِ سِكِّينٌ ، فأرسلَتْها مثلاً.

ثم إنّه أُخبِرَ أنّ ناساً مِنْ أشجعَ فِي غارٍ يشربونَ فيهِ ، فانطلقَ بخالٍ لهُ يُقالُ لهُ: أبو حنشٍ ، فقالَ لهُ: هل لكَ في غارٍ فيهِ ظباءٌ لعلّنا نصيبُ منها ؟ ويُروىٰ : هل لكَ في غنيمةٍ باردةٍ ؟ فأرسلَها مثلاً ، ثمّ انطلقَ بيهسٌ بخالِهِ حتىٰ أقامَهُ علىٰ فم الغارِ ، ثمّ دفعَ أبا حنشٍ في الغارِ ، فقالَ : ضرباً أبا حنشٍ ، فقالَ بعضُهُم : إنّ أبا حنشٍ لبطلٌ ، فقالَ أبو حنشٍ : مُكرةُ أخوكَ لا بطلٌ ، فأرسلَها مثلاً .

قالَ المُتلمِّسُ في ذٰلكَ (١):

وَمَنْ طَلَبَ ٱلْأَوْتَارَ مَا حَزَّ أَنْفَهُ نَعَامَةُ لَمَّا صَرَّعَ ٱلْقَوْمُ رَهْ طَهُ

[من الطويل]

قَصِيرٌ وَخَاضَ ٱلْمَوْتَ بِٱلسَّيْفِ بَيْهَسُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ

جَرْيُ المُذكِّياتِ غِلابٌ

المُذكِّبةُ مِنَ الخيلِ: التي قد أتى عليها بعدَ قروحِها سنةٌ أو سنتانِ ، والغِلابُ : المغالبةُ ؛ أي : أنَّ المُذكِّي يغالبُ مُجاريهُ فيَغلِبُهُ لقُوَّتِهِ ، ويجوزُ والغِلابُ : المغالبةُ ؛ أي : أنَّ المُذكِّي يغالبُ مُجاريهُ فيعَلِبُهُ لقُوَّتِهِ ، ويجوزُ أن يُرادَ : أنَّ ثاني جريهِ أبداً أكثرُ مِنْ باديهِ ، وثالثهُ أكثرُ مِنْ ثانيهِ ، فكأنَّهُ يغالبُ بالثاني الأوَّلَ ، وبالثالثِ الثانيَ ، فجريهُ أبداً غِلابٌ ، وهذا معنى قولِ يغالبُ بالثاني الأوَّلَ ، وبالثالثِ الثانيَ ، فجريهُ أبداً غِلابٌ ، وهذا معنى قولِ أبي عبيدٍ حيثُ قالَ : (فهيَ تَحتمِلُ أن تُغالِبَ الجريَ غلاباً) (١٠) .

ويُروى : جريُ المُذكِّياتِ غِلاءٌ ، جمعُ غلوةٍ ؛ يعني : أنَّ جريَها يكونُ غَلَواتٍ ، ويكونُ شأوُها بطيناً ، لا كالجذع .

⁽١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ١١٣) .

⁽Y) انظر « مجمع الأمثال » ((Y) - (Y) انظر

⁽٣) الأمثال (ص ١٠٧) للقاسم بن سلام .

يُضرَبُ لِمَنْ يُوصَفُ بالتبريزِ على أقرانِهِ في حلبةِ الفضلِ (١).

جاورينا وأخبرينا

قالَ يونسُ : كانَ رجلانِ يَتعشَّقانِ امرأةً ، وكانَ أحدُهُما جميلاً وسيماً ، وكانَ الآخَرُ دميماً تَقتحِمُهُ العينُ ، فكانَ الجميلُ منهُما يقولُ : عاشرينا وانظري إلينا ، وكانَ الدميمُ يقولُ : جاورينا وٱخبُرينا ، فكانَتْ تدني الجميلَ .

فقالَتْ: لَأَختبرَنَّهُما ، فقالَتْ لكلِّ واحدٍ منهُما أن ينحرَ جَزوراً ، فأتتْهُما مُتنكِّرةً ، فبدأَتْ بالجميلِ فوجدَتْهُ عندَ القِدْرِ يَلحَسُ الدَّسمَ ويأكلُ الشحمَ ، فيقولُ : احتفظوا كلَّ بيضاءَ ليَهْ ؛ يعني : الشحمَ ، فاستطعمَتْهُ ، فأمرَ لها بثيلِ الجَزورِ ، فؤضِعَ في قصعتِها ، ثمَّ أتتِ الدَّميمَ ، فإذا هوَ يقسمُ لحمَ الجَزورِ ، ويعطي كلَّ مَنْ سألَهُ ، فسألتهُ ، فأمرَ لها بأطايبِ الجَزورِ ، فؤضِعَ في قصعتِها ، كلُّ واحدٍ منهُما علىٰ حدةٍ .

فلمَّا أصبحا . . غدَوا إليها ، فوضعَتْ بينَ يدَيْ كلِّ واحدٍ منهُما ما أعطاها ، وأقصَتِ الجميلَ ، وقَرَّبَتِ الدَّميمَ ، ويُقالُ : إنَّها تَزوَّجَتْهُ .

يُضرَبُ في القبيح المنظرِ الجميلِ المَخبرِ (٢).

جدعَ الحلالُ أنفَ الغَيرةِ

قالَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ليلةَ زُفَّتْ فاطمةُ إلىٰ عليِّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما ، وهاذا حديثٌ يُروىٰ عنِ الحَجَّاجِ بنِ منهالٍ يَرفعُهُ (٢٠).

⁽١) انظر «مجمع الأمثال» (٤٠٥/١).

⁽۲) انظر « مجمع الأمثال » (٤١٤/١) .

⁽٣) انظر «مجمع الأمثال» (٤١٧/١).

جَوِّعْ كلبَكَ يَتبعْكَ

ويُروى : أجعْ كلبَكَ ، وكلاهُما يُضرَبُ في معاشرةِ اللِّئامِ وما ينبغي أن يُعامَلوا بهِ .

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ: ملكٌ مِنْ ملوكِ حِمْيرَ ، كانَ عنيفاً على أهلِ مملكتِهِ ، يَغصِبُهُم أموالَهُم ، ويَسلُبُهُم ما في أيديهِم ، وكانَتِ الكَهَنَةُ تُخبِرُهُ [أنَّهُم] سيقتلونَهُ ، فلا يَحفِلُ بذلكَ ، وإنَّ امرأتَهُ سمعَتْ أصواتَ ألسُّوَّالِ] ، فقالَتْ : إنِّي لأرحمُ هلؤلاءِ لِمَا يَلقَونَ مِنَ الجَهدِ ونحنُ في العيشِ الرَّغدِ ، وإنِّي لأخافُ عليكَ أن يصيروا سِباعاً ، وقد كانوا لنا أتباعاً ، فردَّ عليها : جَوِّعْ كلبَكَ يتبعْكَ ، وأرسلَها مثلاً .

فلبث بذلك زماناً ، ثم أغزاهم ، فغنموا ، ولم يَقسِمْ فيهِم شيئاً ، فلمّا خرجوا مِنْ عندِهِ . . قالوا لأخيهِ وهو أميرُهُم : قد ترى ما نحنُ فيهِ مِنَ الجَهدِ ، ونحنُ نكرهُ خروجَ المُلْكِ منكم أهل البيتِ إلى غيرِكُم ، فساعدْنا على قتلِ أخيكَ واجلسْ مكانَهُ ، وكانَ قد عرفَ بغيَهُ واعتداءَهُ عليهِم ، فأجابَهُم إلى ذلك ، فوثبوا عليهِ فقتلوهُ ، فمرَّ بهِ عامرُ بنُ جذيمةَ وهوَ مقتولٌ وقد سمعَ بقولِهِ : جَوِّعْ كلبَكَ يتبعْكَ ، فقالَ : ربَّما أكلَ الكلبُ مُؤدِّبَهُ إذا لم ينلْ شبعهُ ، فأرسلَها مثلاً (۱) .

أجناؤها أبناؤها

قالَ أبو عبيدٍ: (الأجناءُ: همُ الجُناةُ ، والأبناءُ: البُناةُ ، والواحدُ جانٍ وبانٍ ، وهاذا جمعٌ عزيزٌ في الكلامِ أن يُجمَعَ « فاعلٌ » على « أفعالٍ » ، قالَ: وأصلُ المثلِ: أنَّ ملكاً مِنْ ملوكِ اليمن غزا وخَلَّفَ بنتاً ، وأنَّ ابنتَهُ أحدثَتْ

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٤٢١/١ ـ ٤٢٢) .

بعدَهُ بنياناً قد كانَ أبوها يكرهُهُ ، وإنَّما فعلَتْ ذلكَ برأيِ قومٍ مِنْ أهلِ مملكتِهِ أشاروا عليها وزينوهُ عندَها ، فلمَّا قدمَ الملكُ وأُخبِرَ بمشورةِ أولئكَ ورأيهِم . . أمرَهُم بأعيانِهِم أن يَهدِموهُ ، وقالَ عندَ ذلكَ : أجناؤُها أبناؤُها ، فذهبَتْ مثلاً) (١٠) .

يُضرَبُ في سوءِ المشورةِ والرأيِ ، وللرجلِ يعملُ الشيءَ بغيرِ رويَّةٍ ثمَّ يحتاجُ إلىٰ نقضِ ما عملَ وإفسادِهِ ، ومعنى المثلِ : أنَّ الذين جنَوا على هاذهِ الدارِ بالهدمِ همُ الذينَ عَمَرُوها بالبناءِ .

الجَرْعُ أروى ، والرشيفُ أنقعُ

الرَّشْفُ والرَّشيفُ: المَصُّ للماءِ ، والجَرْعُ: بَلعُهُ ، والنَّقْعُ: تسكينُ الماءِ للعطشِ ؛ أي: أنَّ الشرابَ الذي يُترشَّفُ قليلاً قليلاً . . أقطعُ للعطشِ وأنجعُ ، وإن كانَ فيهِ بطءٌ ، وقولُهُ: (أروى) أي: أسرعُ رِيّاً ، وقولُهُ: (أنقعُ) أي: أشبتُ وأدومُ ريّاً ؛ مِنْ قولِهم: سمُّ ناقعٌ ؛ أي: ثابتٌ .

يُضرَبُ لِمَنْ يقعُ في غنيمةٍ ، فيُؤمَرُ بالمبادرةِ والاقتطاعِ لِمَا قَدَرَ عليهِ قبلَ أن يأتيَهُ مَنْ ينازعُهُ ، وقيلَ : معناهُ : أنَّ الاقتصادَ في المعيشةِ أبلغُ وأدومُ مِنَ الإسرافِ فيها .

الجارُ ثمَّ الدارُ

هاذا كقولِهِم: الرفيقُ قبلَ الطريقِ ، وكلاهُما يُروىٰ عَنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ (٢).

⁽١) الأمثال (ص ٣٠٢) للقاسم بن سلام .

⁽٢) أخرجه الطبراتي في « المعجم الكبير » (٢٦٨/٤ _ ٢٦٩) عن سيدنا رافع بن خَديج رضي الله عنه .

قالَ أبو عبيدٍ: كانَ بعضُ فقهاءِ أهلِ الشامِ يُحدِّثُ بهاذا الحديثِ ويقولُ: معناهُ: إذا أردتَ شراءَ دارِ . . فسلْ عن جوارِها قبلَ شرائِها .

جفَّ حِجْرُكِ وطابَ نَشْرُكِ ، أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً

قالَ يونسُ بنُ حبيبٍ : كانَ مِنْ حديثِ هالدَينِ المثلَينِ : أنَّ امرأةً زارَتْها بنتُ أخيها وبنتُ أختِها ، فأحسنَتْ تزويرَهُما ، فلمَّا كانَ عندَ رجوعِهِما . قالَتْ لابنةِ أخيها : جفَّ حِجْرُكِ وطابَ نَشْرُكِ ، فسُرَّتِ الجاريةُ بما قالَتْ لها عمَّتُها ، وقالَتْ لابنةِ أخيها : أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً ، فوجدَتْ بذلكَ الصبيةُ وشقَّ عليها ما قالَتْ لها خالتُها .

فانطلقَتْ بنتُ الأخِ إلى أُمِّها مسرورةً ، فقالَتْ لها أُمُّها: ما قالَتْ لكِ عمَّتُكِ ؟ فقالَتْ: وكيفَ قالَتْ لكِ عمَّتُكِ ؟ فقالَتْ: قالَتْ لي خيراً ، ودعَتْ لي ، قالَتْ: وكيفَ قالَتْ لكِ ؟ قالَتْ: قالَتْ: أيْ بنيةُ ؛ ما لكِ ؟ قالَتْ: أيْ بنيةُ ؛ ما دعَتْ لكِ بخيرٍ ، وللكنْ دعَتْ بألَّا تَشمِّي ولداً أبداً فيَبَلَّ حِجْرَكِ ويُغيِّر نشرَكِ .

وانطلقَتِ الأخرى إلى أُمِّها ، فقالَتْ لها أُمُّها : ما قالَتْ لكِ خالتُكِ ؟ قالَتْ : وما عسى أن تقولَ لي !! دعَتِ الله عليَّ ، قالَتْ : وكيفَ قالَتْ لكِ ؟ قالَتْ : قالَتْ : أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً ، قالَتْ : بل دعَتِ الله لكِ يا بنيةُ أن يكثرَ ولدُكِ فينازعوكِ في المالِ ، ويُقمِّشوكِ حطباً (١٠).

حرِّكْ لها حُوَارَها . . تحنَّ

الحُوَارُ: ولدُ الناقةِ ، والجمعُ القليلُ: أَحوِرةٌ ، والكثيرُ: حُورانٌ وحِيرانٌ ،

⁽۱) انظر « مجمع الأمثال » (877 - 877) .

ولا يزالُ حُواراً حتىٰ يُفصَلَ ، فإذا فُصِلَ عن أُمِّهِ . . فهوَ فصيلٌ .

ومعنى المثل : ذَكِّرْهُ بعضَ أشجانِهِ [يَهِجْ] لهُ ، وهاذا لمثلٍ قالَهُ عمرُو بنُ العاصِ لمعاوية حينَ أرادَ أن يستنصرَ أهلَ الشام (١).

حسبُك مِنْ شرّ سماعُهُ

أي : اكتفِ مِنَ الشرِّ بسماعِهِ ، ولا تعاينْهُ ، ويجوزُ أن يريدَ : يكفيكَ سماعُ الشرِّ وإن لم تُقدِمْ عليهِ ولم تُنسَبْ إليهِ .

قالَ أبو عبيدٍ: (أخبرَني هشامُ بنُ الكلبيّ : أنَّ المثلَ لأُمِّ الربيعِ بنِ زيادٍ العبسيّ ؛ وذلكَ أنَّ ابنَها الربيعَ كانَ أخذَ مِنْ قيسِ بنِ زهيرِ بنِ جذيمةَ درعاً ، فعرَضَ قيسٌ لأُمِّ الربيعِ وهي على راحلتِها في مسيرٍ لها ، فأرادَ أن يذهبَ بها ليرتهنَها بالدِّرعِ ، فقالَتْ لهُ : أينَ عَزَبَ عنكَ عقلُكَ يا قيسُ ؟! أترى بني زيادٍ مصالحيكَ وقد ذهبتَ بأُمِّهِم يميناً وشمالاً ، وقالَ الناسُ ما قالوا أو شاؤوا ، وإنَّ حسبَكَ مِنْ شرِّ سماعُهُ ، فذهبَتْ كلمتُها مثلاً ، تقولُ : كفي بالمقالةِ عاراً وإن كانَ باطلاً) (٢٠) .

يُضرَبُ عندَ العارِ والمَقالةِ السيئةِ ، وما يُخافُ منها .

وقالَ بعضُ النساءِ الشواعرِ : [من مجزوء الكامل]

سَائِلْ بِنَا فِي قَوْمِنَا وَلْيَكُفِ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهُ

وكانَ المُفضَّلُ فيما حُكِيَ عنهُ يذكرُ هاذا الحديثَ ، ويُسمِّي أُمَّ الربيعِ ويقولُ : هيَ فاطمةُ بنتُ الخُرْشُبِ ، مِنْ بني أنمارِ بنِ بغيضِ (٣).

⁽١) انظر «مجمع الأمثال» (٤٧٩/١).

⁽٢) الأمثال (ص ٧٢) للقاسم بن سلام .

⁽٣) انظر « مجمع الأمثال » (٤٨٦/١) .

حِلْمي أصمُّ وأُذُني غيرُ صمَّاءَ

أي: أُعرِضُ عنِ الخَنا بحِلمي ، وإن سمعتُهُ بأُذُني (١).

حسبُكَ مِنْ غنى شبعٌ ورِيٌّ

أي : اقنعْ مِنَ الغنى بما يُشبِعُكَ ويُرْويكَ ، وجُدْ بما فضلَ ، وهـنذا المثلُ لامرئ القيسِ ، يذكرُ مِعْزىٰ كانَتْ لهُ ، فيقولُ (٢) : [من الوافر]

إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَىٰ كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا ٱلْعِصِيُّ فَرَونَ جِلَّتِهَا ٱلْعِصِيُّ فَرَيُّ فَتَمْلَأُ بَيْتَنَا أَقِطاً وَسَمْناً وَحَسْبُكَ مِنْ غِنى شِبَعٌ وَريُّ

قالَ أبو عبيدٍ: (وهاذا يَحتمِلُ معنيَينِ: أحدُهُما: يقولُ: أعطِ كلَّ ما كانَ لكَ وراءَ الشِّبَعِ والرِّيِّ ، والآخَرُ: القناعةُ باليسيرِ ، يقولُ: اكتفِ بهِ ، ولا تطلبُ ما سوىٰ ذلكَ) (٢٠).

والأوَّلُ الوجهُ ؛ لقولِهِ في شعرِ لهُ آخَرَ ؛ وهوَ (١٠): [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّمَا أَسْعَىٰ لِأَدْنَىٰ مَعِيشَةٍ كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ ٱلْمَالِ وَلَوْ أَنَّمَا أَسْعَىٰ لِأَدْنَىٰ مَعِيشَةٍ وَقَدْ يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي وَلَا كَنْمَا أَسْعَىٰ لِمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي وَلَا كَالْمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ ٱلْخُطُوبِ وَلَا آلِ

فقد أخبرَ ببُعْدِ هِمَّتِهِ وقَدْرِهِ في نفسِهِ (٥٠).

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٤٨٨/١) .

⁽۲) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٣٦ _ ١٣٧) .

⁽٣) الأمثال (ص ١٦٧) للقاسم بن سلام .

⁽٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٩) .

^(•) انظر « مجمع الأمثال » (٤٨٩/١ _ ٤٩٠) .

الحديثُ ذو شُجونٍ

أي: ذو طُرُقٍ ، الواحدُ: شَجْنٌ بسكونِ الجيمِ ، والشَّواجنُ: أوديةٌ كثيرةُ الشجرِ ، الواحدةُ شاجنةٌ ، وأصلُ هاذهِ الكلمةِ الاتصالُ والالتفافُ ، ومنهُ الشَّجْنةُ والشُّجْنة : الشجرةُ المُلتفَّةُ الأغصانِ .

يُضرَبُ هاذا المثلُ في الحديثِ يُتذكَّرُ بهِ غيرُهُ ، وقد نظمَ الشيخُ أبو بكرٍ عليُ بنُ الحسينِ القُهُسْتَانيُّ هاذا المثلَ ومثلاً آخَرَ في بيتٍ واحدٍ ، وأحسنَ ما شاءَ ؛ وهوَ :

تَذَكَّرَ نَجْداً وَٱلْحَدِيثُ شُجُونُ فَجُنَّ ٱشْتِياقاً وَٱلْجُنُونُ فُنُونُ

وأوّلُ مَنْ قالَ هاذا المثلَ : ضبةُ بنُ أُدِّ بنِ طابخةَ بنِ إلياسِ بنِ مُضَرَ ، وكانَ لهُ ابنانِ ؛ يُقالُ لأحدِهِما : سعدٌ ، وللآخرِ سعيدٌ ، فنَفَرَتْ إبلٌ لضَبّة تحتَ الليلِ ، فوجّه ابنيهِ في طلبِها ، فتفرّقا ، فوجدَها سعدٌ فردَّها ، ومضى سعيدٌ في طلبِها ، فلقيهُ الحارثُ بنُ كعبٍ وكانَ على الغلامِ بردانِ ، فسألهُ الحارثُ إيَّاهُما ، فأبى عليهِ ، فقتلَهُ وأخذَ برديهِ ، فكانَ ضَبَّةُ إذا أمسى فرأى تحتَ الليلِ سواداً . . قالَ : أسعدٌ أم سعيدٌ ؟ فذهبَ قولُهُ مثلاً يُضرَبُ في النجاح والخيبةِ ، فمكثَ ضَبَّةُ بذلكَ ما شاءَ اللهُ أن يمكثَ .

ثم إنّه حَجّ ، فوافئ عكاظ ، فلقي بها الحارث بن كعب ، ورأى عليه بردَي ابنِهِ سعيدٍ ، فعرفَهُما ، فقالَ له : هل أنت مخبري ما هاذانِ البردانِ البردانِ عليك ؟ قالَ : بلى ، لقيتُ غلاماً وهما عليهِ ، فسألتُهُ إيّاهُما ، فأبى علي ، فقتلتُهُ وأخذتُ بردَيهِ هاذَينِ ، فقالَ ضَبّةُ بسيفِكَ هاذا ؟ قالَ : نعم ، فقالَ : فأعطنيهِ أنظرْ إليهِ ؛ فإنّي أظنّهُ صارماً ، فأعطاهُ الحارثُ سيفَهُ ، فقالَ : فأعطنيهِ أنظرْ إليهِ ؛ فإنّي أظنّهُ صارماً ، فأعطاهُ الحارثُ سيفَهُ ، فلمّا أخذَهُ مِنْ يدِهِ . . هَزّهُ وقالَ : الحديثُ ذو شجونٍ ، ثمّ ضربَهُ بهِ حتى قتلَهُ ، فقيلَ له ؛ يا ضَبّةُ ؛ أفي الشهر الحرام ؟! فقالَ : سبق السيفُ العَذَلَ ،

9 2

فهوَ أُوَّلُ مَنْ سارَ عنهُ هاذهِ الأمثالُ الثلاثةُ ، قالَ الفرزدقُ ((): [من الطويل] (٢) (٢) [وَلا] تَأْمَنَنَّ ٱلْحَرْبَ إِنَّ ٱسْتِعَارَهَا كَضَبَّةَ إِذْ قَالَ ٱلْحَدِيثُ شُجُونُ

الحزمُ: حفظُ ما كُلِّفتَ ، وتركُ ما كُفِيتَ

هاذا مِنْ كلامِ أكثمَ بنِ صيفيٍّ ، وقريبٌ مِنْ هاذا قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَام ٱلْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » (").

خذِ الأمرَ بقوابلِهِ

أي : بمُقدِّماتِهِ ؛ يعني : دَبِّرْهُ قبلَ أن يفوتَكَ تدبيرُهُ ، والباءُ بمعنىٰ (في) أي : فيما يَستقبلُكَ منهُ ، يُقالُ : قَبَلَ الشيءُ وأقبلَ .

يُضرَبُ في الأمرِ باستقبالِ الأمورِ (١).

خطبٌ يسيرٌ في خطبِ كبيرٍ

قالَهُ قصيرُ بنُ سعدِ اللخميُّ لجَذِيمةَ بنِ مالكِ بنِ نصرٍ ، الذي يُقالُ لهُ: جَذِيمةُ الأبرشُ ، وجَذِيمةُ الوضَّاحُ ، والعربُ تقولُ للذي بهِ البَرَصُ: بهِ وَضَحٌ ؟ تفادياً مِنْ ذكرِ البرصِ .

وكانَ جَذِيمةُ مَلَكَ ما على شاطئ الفراتِ ، وكانَتِ الزَّبَّاءُ ملكة الجزيرةِ ، وكانَتْ مِنْ أَهلِ باجَرْمىٰ ، وتَتكلَّمُ بالعربيةِ ، وكانَ جَذِيمةُ قد وَتَرَها بقتلِ أبيها .

⁽۱) انظر « ديوان الفرزدق » (٥٩٦/٢) .

⁽۲) انظر « مجمع الأمثال » (٤٩٣/١ _ ٤٩٤) .

⁽٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

⁽٤) انظر «مجمع الأمثال» (٥٦٨/١).

فلمَّا استجمعَ أمرُها ، وانتظمَ شملُ مُلْكِها . . أحبَّتْ أن تغزوَ جَذِيمةَ ، ثمَّ رأتْ أن تكتبَ إليهِ أنَّها لم تجدْ مُلْكَ النساءِ إلَّا قبحاً في السماع ، وضعفاً في السُّلطانِ ، وأنَّها لم تجدْ لمُلْكِها موضعاً ولا لنفسِها كُفُؤاً . . غيرَكَ ، فأقبِلْ إليَّ لأجمعَ مُلْكي إلى مُلْكِكَ ، وأصلَ بلادي ببلادِكَ ، وتُقلَّدَ أمري معَ أمرِكَ ، تريدُ بذلكَ الغدرَ .

فلمّا أتى كتابُها جذيمةَ وقَدِمَ عليهِ رسلُها . استخفّهُ ما دعتْهُ إليهِ ، ورغبَ فيما أطمعَتْهُ فيهِ ، فجمعَ أهلَ الحِجا والرأيِ مِنْ ثقاتِهِ وهوَ يومَئذٍ ببَقّةَ مِنْ شاطئ الفراتِ ، فعَرَضَ عليهِ ما دعتْهُ إليهِ وعرضَتْ عليهِ ، فاجتمعَ رأيهُم على أن يسيرَ إليها فيستوليَ على مُلْكِها ، وكانَ فيهِم قصيرٌ ، وكانَ أريباً حازماً أثيراً عندَ جَذِيمةَ ، فخالفَهُم فيما أشاروا بهِ ، وقالَ : رأْيٌ فاترٌ ، وغدرٌ حاضرٌ ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً .

ثمَّ قالَ لجَذِيمةَ: الرأيُ أن تكتبَ إليها ، فإن كانَتْ صادقةً في قولِها . . فلتُقبِلْ إليكَ ، ولم تقعْ في حبالتِها وقد ولتُقبِلْ إليكَ ، وإلَّا . . لم تُمكِّنْها مِنْ نفسِكَ ، ولم تقعْ في حبالتِها وقد وتَرتَها وقتلتَ أباها ، فلم يوافقْ جَذِيمةَ ما أشارَ بهِ ، فقالَ قصيرٌ: [من البسيط] إنِّي ٱمْرُؤٌ لَا يُمِيلُ ٱلْعَجْزُ تَرْوِيَتِي إِذَا أَتَـتْ دُونَ شَـيْءٍ مِـرَّةُ ٱلْـوَذَمِ

فقالَ جَذِيمةُ: لا ، وللكنّكَ امرؤٌ رأيُكَ في الكِنّ لا في الضّحّ ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً ، ودعا جذيمةُ عمرو بنَ عديّ ابنَ أختِهِ ، فاستشارَهُ ، فشَجّعَهُ على المسيرِ وقالَ : إنّ قومي معَ الزّبّاءِ ، ولو قد رأَوْكَ . . صاروا معَكَ ، فأحبّ جذيمةُ ما قالَهُ ، وعصى قصيراً ، فقالَ قصيرٌ : لا يُطاعُ لقصيرٍ أمرٌ ، فذهبَتْ مثلاً ، واستخلفَ جذيمةُ عمرو بنَ عديّ على ملكِهِ وسلطانِهِ ، وجعلَ عمرو بنَ عديّ على ملكِهِ وسلطانِهِ ، وجعلَ عمرو بنَ عبدِ الجنِّ معَهُ على جنودِهِ وخيولِهِ .

وسارَ جذيمة في وجوهِ أصحابِهِ ، فأخذَ على شاطئ الفراتِ مِنَ الجانبِ

الغربيّ ، فلمّا نزلَ . . دعا قصيراً فقالَ : ما الرأيُ يا قصيرُ ؟ قالَ قصيرٌ : ببَقّة خَلَفتَ الرأيَ ، فذهبَتْ مثلاً ، قالَ : وما ظنّكَ بالزّبّاءِ ؟ قالَ : القولُ رِدافٌ ، والحَرْمُ عَثَرَاتُهُ تُخافُ ، فذهبَتْ مثلاً ، واستقبلَهُ رسلُ الزّبّاءِ بالهدايا والألطافِ ، فقالَ : يا قصيرُ ؛ كيفَ ترىٰ ؟ قالَ : خَطْبٌ يسيرٌ في خَطْبٍ كبيرٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، وستلقاكَ الخيولُ ، فإن سارَتْ أمامَكَ . . فالمرأةُ صادقةٌ ، وإن أخذَتْ مثلاً ، وستلقاكَ الخيولُ ، فإن سارَتْ أمامَكَ . . فالمرأةُ صادقةٌ ، وإن أخذَتْ جنبتَيكَ وأحاطَتْ بكَ مِنْ خلفِكَ . . فالقومُ غادرونَ بكَ ، فاركبِ العصا ، فإنّه لا يُشتَقُ غبارُها ، فذهبَتْ مثلاً ، وكانتِ العصا فرساً لجَذِيمةَ لا تُجارىٰ ، وإنّي راكبُها ومسايرُكَ عليها .

فلقيَتُهُ الخيولُ والكتائبُ ، فحالَتْ بينَهُ وبينَ العصا ، فركبَها قصيرٌ ونظرَ اليهِ جذيمةُ على متنِ العصا مُولِّياً ، فقالَ : [وَيْلُمِّهِ] حزماً على متنِ العصا ، فذهبَتْ مثلاً ، وجرتْ بهِ إلى غروبِ الشمسِ ، ثمَّ نفقَتْ وقد قطعَتْ أرضاً بعيدةً ، فبنى عليها برجاً يُقالُ لهُ : برجُ العصا ، وقالَتِ العربُ : خيرٌ ما جاءَتْ بهِ العصا ، فذهبَتْ مثلاً .

وسارَ جَذِيمةُ وقد أحاطَتْ بهِ الخيلُ حتى دخلَ على الزَّبَّاءِ ، فلمَّا رأتهُ . . تكشَّفَتْ ، فإذا هي مضفورةُ الإسْبِ ، فقالَتْ : يا جذيمةُ ؛ أدأب عروس ترىٰ ؟! فذهبَتْ مثلاً ، فقالَ جذيمةُ : بلغَ المدىٰ ، وجفَّ الثرىٰ ، وأمرَ غدر أرىٰ ، فذهبَتْ مثلاً ، ودعَتْ بالسيفِ والنِّطعِ ، ثمَّ قالَتْ : إنَّ دماءَ الملوكِ شفاءٌ مِنَ الكلّبِ ، فأمرَتْ بطست مِنْ ذهبٍ قد أعدَّتُهُ لهُ ، فسقتْهُ الخمرَ حتى سكرَ وأخذَتِ الخمرُ منهُ مأخذَها ، فأمرَتْ براهِ شَيْهِ فقُطِعا ، وقدَّمَتْ إليهِ الطَّسْتَ ، وقد قيلَ لها : إن قطرَ مِنْ دمِهِ شيءٌ في غيرِ الطَّسْتِ . . طُلِبَ بدمِهِ ، فكانَتِ الملوكُ لا تُقتَلُ بضربِ الأعناقِ إلَّا في القتالِ ؛ تكرِمةً للملكِ ، فلمَّا ضعفَتْ يداهُ . . سقطتا ، فقطرَ مِنْ دمِهِ في غيرِ الطَّسْتِ ، فقالَتْ : لا تُضيِّعوا ضعفَتْ يداهُ . . سقطتا ، فقطرَ مِنْ دمِهِ في غيرِ الطَّسْتِ ، فقالَتْ : لا تُضيِّعوا دماً ضيَّعهُ أهلُهُ ، فذهبَتْ مثلاً .

فهلك جذيمة ، وجعلَتِ الزَّبَّاءُ دمَهُ في ربعةٍ لها ، وخرجَ قصيرٌ مِنَ الحيّ الذي هلكَتِ العصا بينَ أظهرِهِم حتى قدمَ على عمرو بنِ عديّ وهو بالجيرة ، فقالَ لهُ قصيرٌ : أثائرٌ أنتَ ؟ قالَ : بل ثائرٌ سائرٌ ، فذهبَتْ مثلاً ، ووافق قصيرٌ الناسَ وقدِ اختلفوا ، فصارَتْ طائفةٌ معَ عمرو بنِ عديّ اللخميّ ، وجماعةٌ منهُم معَ عمرو بنِ عبدِ الجنِّ الجرميّ ، فاختلف بينَهُما قصيرٌ حتى اصطلحا وانقادَ عمرُو بنُ عبدِ الجنِّ لعمرو بنِ عديّ ، فقالَ قصيرٌ لعمرو بنِ عديّ : قالَ قصيرٌ لعمرو بنِ عديّ : تَهيّأ واستعدّ ، ولا تُطِلّنَ دمَ خالِكَ ، قالَ : وكيفَ لي بها وهي أمنعُ مِنْ عُقابِ الجوّ ؟! فذهبَتْ مثلاً .

وكانَتِ الزَّبَّاءُ سألَتْ كاهنةً لها عن هلاكِها ، فقالَتْ : أرى هلاككِ بسببِ غلامٍ مَهينٍ غيرِ أمينٍ ، وهوَ عمرُو بنُ عديٍّ ، ولن تموتي بيدِهِ ، وللكنْ حتفُكِ بيدِكِ ، ومِنْ قبلِهِ ما يكونُ ذلكَ ، فحَذِرَتْ عمراً ، واتخذَتْ لها نفقاً مِنْ مجلسِها الذي كانَتْ تجلسُ فيهِ إلى حصنٍ لها في داخلِ مدينتِها ، وقالَتْ : إن فجأني أمرٌ . . دخلتُ النفقَ إلى حصني ، ودعتْ رجلاً مُصوِّراً مِنْ أجودِ أهلِ بلادِهِم تصويراً ، وأحسنِهِم عملاً ، فجهَّزَتْهُ وأحسنَتْ إليهِ ، وقالَتْ : سِرْ حتى تقدَمَ على عمرو بنِ عديٍّ مُتنكِّراً ، فتخلو بحشمِهِ وتَنضمَّ إليهِم وتُخالطَهُم ، وتُعلِمهُم ما عندَكَ مِنَ العِلمِ بالصُّورِ ، ثمَّ أثبتْ لي عمرَو بن عديٍّ معرفةً ، فصوِّرهُ جالساً وقائماً وراكباً ومُتفضِّلاً ومُتسلِّحاً بهيئتِهِ ولُبستِهِ ولونِهِ ، فإذا أحكمتَ ذلكَ . . فأقبلْ إلىً .

فانطلقَ المُصوِّرُ حتىٰ قدمَ علىٰ عمرِو بنِ عديٍّ ، وصنعَ ما أمرَتْهُ بهِ الزَّبَّاءُ ، وبلغَ مِنْ ذلكَ ما أوصتْهُ بهِ ، ثمَّ رجعَ إلى الزَّبَّاءِ بعملِ ما وَجَّهَتْهُ لهُ مِنَ الصورةِ علىٰ ما وصفَتْ وأرادَتْ أن تَعرِفَ عمرَو بنَ عديٍّ ، فلا تراهُ علىٰ حالٍ إلَّا عرفَتْهُ وحَذِرَتْهُ وعلمَتْ علمَهُ .

فقالَ قصيرٌ لعمرِو بنِ عدي : اجدعْ أنفي ، واضربْ ظهري ، ودعْني وإيَّاها ،

فقالَ عمرٌو: ما أنا بفاعلٍ ، وما أنتَ لذلكَ مُستحِقًا عندي ، فقالَ قصيرٌ: حلِّ عنِّي إذاً وخلاكَ ذمٌ ، فذهبت مثلاً ، فقالَ لهُ عمرٌو: فأنت أبصرُ ، فجدعَ قصيرٌ أنفَهُ وأثَّرَ آثاراً بظهرِهِ ، فقالَتِ العربُ: لمكرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفَهُ ، وفي ذلكَ يقولُ المُتلمِّسُ (١٠):

وَفِي طَلَبِ ٱلْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَرَامَ ٱلْمَوْتَ بِٱلسَّيْفِ بَيْهَسُ

ثمَّ خرجَ قصيرٌ كأنَّهُ هاربٌ ، وأظهرَ أنَّ عمراً فعلَ ذلكَ بهِ ، وأنَّهُ زعمَ أنَّهُ مَكَرَ بخالِهِ جذيمةَ وغَرَّهُ مِنَ الزَّبَّاءِ ، فسارَ قصيرٌ حتىٰ قدمَ على الزَّبَّاءِ ، فقيلَ لها : إنَّ قصيراً بالبابِ فأمرَتْ بهِ ، فأُدخِلَ عليها ، فإذا أنفُهُ قد جُدِعَ ، وظهرُهُ قد ضُرِبَ ، فقالَتْ : ما الذي أرىٰ بكَ يا قصيرُ ؟! قالَ : زعمَ عمرُو أنِّي قد غررتُ خالَهُ ، وزَيَّنتُ لهُ المصيرَ إليكِ وغششتُهُ ومالأتُكِ ، ففعلَ بي ما ترينَ ، فأقبلتُ إليكِ وعرفتُ أنِّي لا أكونُ معَ أحدٍ هوَ أثقلُ عليهِ منكِ ، فأكرمَتهُ وأصابَتْ عندَهُ مِنَ الحزم والرأي ما أرادَتْ .

فلمّا عرفَ أنّها استرسلَتْ إليهِ ، ووثقَتْ بهِ . . قالَ : إنَّ لي بالعراقِ أموالاً كثيرةً وطرائف وثياباً وعطراً ، فابعثيني إلى العراقِ لأحملَ مالي وأحملَ إليكِ مِنْ بزوزِها وطرائفِها وثيابِها وطيبِها ، وتصيبينَ في ذلكَ أرباحاً عظاماً ، وبعضَ ما لا غنى بالملوكِ عنهُ ، وكانَ أكثرُ ما يُطرِفُها مِنَ التمرِ الصّرَفانَ ، وكانَ يعجبُها ، فلم يزلْ يُزيّنُ ذلكَ حتى أذنتْ لهُ ، ودفعَتْ لهُ أموالاً ، وجَهّزَتْ معَهُ عبيداً .

فسارَ قصيرٌ بما دفعَتْ إليهِ حتى قدمَ العراقَ ، وأتى الحِيرةَ مُتنكِّراً ، فدخلَ على عمرٍ و فأخبرَهُ الخبرَ ، وقالَ : جهِّزْني بصنوفِ البَزِّ والأمتعةِ ، لعلَّ اللهَ يُمكِّنُ مِنَ الزَّبَّاءِ فتصيبَ ثأرَكَ ، وتقتلَ عدوَّكَ ، فأعطاهُ حاجتَهُ ، فرجعَ بذلكَ

⁽۱) تقدم (۸۷/۳) .

إلى الزَّبَّاءِ ، فأعجبَها ما رأَتْ وسرَّها ، وازدادَتْ بهِ ثقةً ، وجَهَّزَتْهُ ثانيةً ، فسارَ حتى قدمَ على عمرو ، فجَهَّزَهُ وعادَ إليها .

ثمَّ عادَ الثالثةَ وقالَ لعمرِو: اجمعْ لي ثقاتِ أصحابِكَ ، وهَيِّئِ الغرائرَ والمُسوحَ ، واحملْ كلَّ رجلينِ على بعيرٍ في غرارتَينِ ، فإذا دخلوا مدينةَ الزَّبَاءِ . . أقمتُكَ على بابِ نفقِها ، وخرجَتِ الرجالُ مِنَ الغرائرِ ، فصاحوا بأهلِ المدينةِ ، فمَنْ قاتلَهُم . . قتلوهُ ، وإن أقبلَتِ الزَّبَّاءُ تريدُ النفقَ جَلَّلتَها بالسيف .

ففعلَ عمرٌو ذلكَ ، وحملَ الرجالَ في الغرائرِ بالسلاحِ ، وسارَ يَكمُنُ النهارَ ويسيرُ الليلَ ، فلمَّا صارَ قريباً مِنْ مدينتِها . . تَقدَّمَ قصيرٌ ، فبَشَّرَها وأعلمَها بما جاء بهِ مِنَ المتاعِ والطَّرائفِ ، وقالَ لها : آخِرُ البزِّ على القَلوصِ ، فأرسلَها مثلاً ، وسألَها أن تَخرجَ فتنظرَ إلى ما جاء بهِ ، وقالَ لها : جئتُ بما صاء وصمَتْ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ خرجَتِ الزبَّاءُ ، فأبصرَتِ الإبلَ تكادُ قوائمُها تَسوخُ في الأرضِ مِنْ ثقلِ أحمالِها ، فقالَتْ : يا قصيرُ : [من مشطور الرجز] تَسوخُ في الأرضِ مِنْ ثقلِ أحمالِها ، فقالَتْ : يا قصيرُ :

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا [أَمْ] صَرَفَاناً تَارِزاً شَدِيدَا

فقالَ قصيرٌ في نفسِهِ:

بَلِ ٱلرِّجَالُ قُبَّضًا قُعُودَا

فدخلَتِ الإبلُ المدينة ، حتى كانَ آخِرُها بعيراً مرَّ على بَوَّابِ المدينةِ ، وكانَ بيدِهِ مِنخسةٌ ، فنخسَ بها الغرارة ، فأصابَتْ خاصرة الرجلِ الذي فيها فضرط ، فقالَ البوَّابُ بالروميَّةِ : (بشنب ساقاً) يقولُ : شرُّ في الجوالق ،

فأرسلَها مثلاً ، فلمّا تَوسَّطَتِ الإبلُ المدينة . . أُنيخَتْ ، ودلَّ قصيرٌ عمراً على بابِ النفقِ الذي كانَتِ الزَّبَّاءُ تدخلُهُ وأرتْهُ إيَّاهُ قبلَ ذلك ، وخرجَتِ الرجالُ مِنَ الغرائرِ ، فصاحوا بأهلِ المدينةِ ، ووضعوا فيهمُ السلاحَ ، وقامَ عمرٌو على بابِ النفقِ ، وأقبلَتِ الزَّبَّاءُ تريدُ النفقَ ، فأبصرَتْ عمراً ، فعرفَتْهُ بالصُّورةِ التي صُورِدَتْ لها ، فمصَّتْ خاتمَها وكانَ فيهِ السُّمُّ ، وقالَتْ : بيدي لا بيدِ الني عديِّ ، فذهبَتْ كلمتُها مثلاً ، وتَلقًاها عمرُو ، فجلَّلَها بالسيفِ ، وقتلَها ، وأصابَ مِنَ المدينةِ وأهلِها ، وانكفاً راجعاً إلى العراقِ .

وفي بعضِ الرواياتِ مكانَ قولِها: أدأبَ عروس ترى : أَشَوَارَ عروسٍ ترى ؟ فقالَ جذيمة : أرى دأبَ فاجرةٍ غدورٍ بظراءَ تَفِلةٍ ، قالَتْ : لا مِنْ عدمٍ مَوَاسٍ ، ولا مِنْ قِلَّةٍ أواسٍ ، ولكئ شيمةٌ مِنْ أناسٍ ، فذهبَتْ مثلاً (١).

« الدينُ النصيحةُ »

الأصلُ في النصيحةِ: التلفيقُ بينَ الناسِ ؛ مِنَ النصحِ ؛ وهوَ الخياطةُ ؛ وذلكَ أن تُلفِّقَ بينَ التفاريقِ وهلذا مِنْ حديثٍ يُروىٰ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، وتمامُهُ: قالوا: لِمَنْ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ: « لِللهِ وَرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهمْ » (٢).

قالَتِ العلماءُ: النصيحةُ للهِ: أن يُخلِصَ العبدُ العملَ للهِ ، والنصيحةُ للهِ : أن يصفوَ قلبُهُ في قَبولِ دعوى النبوةِ ، ولا يُضمِرَ خلافَها ، والنصيحةُ للمسلمينَ: ألَّا يَتميَّزوا عنهُ في حالٍ مِنَ الأحوالِ ، وقيلَ: النصيحةُ لأئمَّةِ المسلمينَ: ألَّا يَشُقَ عصاهُم ، ولا يَعُقُّ فتواهُم (٣).

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٥٧٠/١ _ ٥٧٥) .

⁽٢) أخرجه مسلم (٩٥) عن سيدنا تميم الداري رضي الله عنه .

⁽٣) انظر «مجمع الأمثال» (٦٤٧/١).

ربَّ أخ لكَ لم تَلِدْهُ أُمُّكَ

يُروى هاذا المثلُ للقمانَ بنِ عادٍ ؛ وذلكَ أنَّهُ أقبلَ ذاتَ يومٍ ، فبينا هوَ يسيرُ . . إذ أصابَهُ عطشٌ ، فهجمَ على مِظلَّةٍ في فِنائِها امرأةٌ تُداعِبُ رجلاً ، فاستسقى لقمانُ ، فقالَتِ المرأةُ : اللَّبَنَ تبغي أمِ الماءَ ؟ قالَ لقمانُ : أيَّهُما كانَ ولا عداءَ ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً ، قالَتِ المرأةُ : أمَّا اللَّبنُ . . فخلفكَ ، وأمَّا الماءُ . . فأمامَكَ ، قالَ لقمانُ : المنعُ كانَ أوجزَ ، فذهبَتْ مثلاً .

قالَ: فبينا هوَ كذلكَ . . إذ نظرَ إلى صبيّ في البيتِ يبكي فلا يُكترَثُ لهُ ، ويستسقي فلا يُسقى ، فقالَ : إن لم يكنْ لكُم في هذا الصبيّ حاجةٌ دفعتُموهُ إليّ فكفلتُهُ ، فقالَتِ المرأةُ ، ذاكَ إلى هانئ ، وهانئ ووجُها ، فقالَ لقمانُ : وهانئ مِن العددِ ؟ فذهبَتْ مثلاً ، ثمّ قالَ لها : مَنْ هذا الشابُ إلى جنبِكِ ، فقد علمتُهُ ليسَ ببعلِكِ ؟ قالَتْ : هذا أخي ، قالَ لقمانُ : رُبَّ أَخٍ لكَ لم تلدهُ أُمُّكَ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ نظرَ إلىٰ أثرِ زوجِها في فتلِ الشعرِ ، فعرفَ في فتلِهِ شعرَ البناءِ أنَّهُ أعسرُ ، فقالَ : ثَكِلَتِ الأُعَيْسرَ أُمُّهُ ، لو يَعلمُ العلمَ . . لطالَ غَمُّهُ ، فذهبَتْ مثلاً ، فذعرَتِ المرأةُ مِنْ قولِهِ ذُعراً شديداً ، فعرضَتْ عليهِ الطعامَ والشرابَ ، فأبىٰ وقالَ : المبيتُ على الطَّوَىٰ حتىٰ تَنالَ بهِ كريمَ المثوىٰ . . خيرٌ مِنْ إتيانِ ما لا تَهوىٰ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ مضى ، حتى إذا كانَ معَ العِشاءِ . . إذا هوَ برجلٍ يَسوقُ إبلَهُ وهوَ يرتجزُ ويقولُ :

رُوحِي إِلَى ٱلْحَيِّ فَإِنَّ نَفْسِي رَوِي إِلَى ٱلْحَيِّ فَإِنَّ نَفْسِي رَهِينَةٌ فِيهِمْ بِخَيْرِ عِرْسِ

1.7

حَسَّانَةُ ٱلْمُقْلَةِ ذَاتُ أُنْسِ لَا يُشْتَرَى ٱلْيَوْمُ لَهَا بِأَمْسِ

فعرفَ لقمانُ صورتَهُ ولم يرهُ ، فهتفَ بهِ : يا هانئُ ، يا هانئُ ؛ فقالَ : ما بالُكَ ؟ فقالَ :

يَا ذَا ٱلْبِجَادِ ٱلْحَلِكَةُ وَٱلزَّوْجَةِ ٱلْمُشْتَرِكَةُ عَسَسٌّ رُوَيْداً إِبْلَكَةُ لَسْتَ لِمَنْ لَيْسَتْ لَكَةُ

فذهبَتْ مثلاً . قالَ هانئٌ : نوِّرْ نوِّرْ ، للهِ أبوكَ ، قالَ لقمانُ : عليَّ التنويرُ ، وعليكَ التغييرُ ، إنْ كانَ عندَكَ نكيرٌ ، كلُّ امرئ في بيتِهِ أميرٌ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ قالَ : إنِّي مررتُ وبي أوامٌ ، فدفعتُ إلى بيتٍ فإذا أنا بامرأتِكَ تغازلُ رجلاً ، فسألتُها عنهُ ، فزعمَتْهُ أخاها ، ولو كانَ أخاها . لحكىٰ عن نفسِهِ وكفاها الكلامَ ، فقالَ هانئُ : وكيفَ علمتَ أنَّ المنزلَ منزلي والمرأةَ امرأتي ؟ قالَ : عرفتُ عقائقَ هاذهِ النوقِ في البناءِ ، وبوهدةِ الخليةِ في الفِناءِ ، وسقبِ هاذهِ النابِ ، وأثرِ يدِكَ في الأطنابِ ، قالَ : صدقتني فداكَ أبي وأُمِّي ، وكذَّبَتْني نفسي ، فما الرأيُ ؟ قالَ : هل لكَ علمٌ ؟ قالَ : نعم ، بشأني ، قالَ لقمانُ : كلُّ امرئ بشأنِهِ عليمٌ ، فذهبَتْ مثلاً .

قالَ لهُ هانئٌ: هل بقيَتْ بعدَ هاذهِ ؟ قالَ لقمانُ: نعم ، قالَ: وما هوَ ؟ قالَ لهُ هانئٌ: فَسَكَ ، وتَحفظُ عِرْسَكَ ، قالَ هانئٌ: أفعلُ ، قالَ لقمانُ: مَنْ يفعل الخيرَ . يجدِ الخيرَ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ قالَ : الرأيُ أن تقلبَ الظَّهرَ بطناً ، والبطنَ ظهراً ، حتى يَتبيَّنَ لكَ الأمرُ أمراً ، قالَ : أفلا أعالجُها بكيَّةٍ توردُها المنيَّةَ ؟ فقالَ لقمانُ : آخرُ الدواءِ الكيُّ ، فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ انطلقَ الرجلُ حتى أتى امرأتَهُ ، فقصَّ عليها القصةَ ، وسلَّ سيفَهُ ، فلم يزلْ يضربُها بهِ حتى بردَتْ .

ربَّ عجلةٍ تَهَبُ رَيْثاً

ويُروى : تَهُبُّ رَيْثاً ، [قَالَهُ] أبو زيدٍ ، ورَيْثاً : نُصِبَ على الحالِ في هاذهِ الروايةِ ؛ أي : تَهُبُّ رائثةً ، فأُقيمَ المصدرُ مُقامَ الحالِ ، وفي الروايةِ الأُولى : نُصِبَ على المفعولِ بهِ .

وأوّلُ مَنْ قالَ ذلكَ فيما يحكي المُفضّلُ: مالكُ بنُ عوفِ بنِ أبي عمرو بنِ عوفِ بنِ عوفِ بنِ عوفِ بنِ عوفِ بنِ عوفِ بنِ مُحلّم الشيبانيُّ ، وكانَ سنانُ بنُ مالكِ بنِ أبي عمرو بنِ عوفِ بنِ مُحلّم شامَ غيماً ، فأرادَ أن يرحلَ بامرأتِهِ خُماعةَ بنتِ عوفِ بنِ أبي عمرو ، فقالَ لهُ مالكُ : أينَ تَظعَنُ يا أخي ؟ قالَ : أطلبُ موقعَ هاذهِ السحابةِ ، قالَ : لا تفعلْ ؛ فإنّهُ ربّما خيلَتْ وليسَ فيها قطرٌ ، وأنا أخافُ عليكَ بعضَ مقانبِ العرب ، قالَ : لاكتّي لستُ أخافُ ذلكَ ، فمضى .

وعرض لهُ مروانُ القرظُ ابنُ زنباعِ بنِ حذيفةَ العبسيُّ ، فأعجلَهُ عنها ، وانطلقَ بها ، وجعلَها بينَ بناتِهِ وأخواتِهِ ، ولم يكشف لها ستراً ، فقالَ مالكُ بنُ عوفٍ لسنانٍ : ما فعلَتْ أختي ؟ قالَ : نَفَتْني عنها الرماحُ ، فقالَ مالكُ : ربَّ عجلةٍ تَهَبُ ريثاً ، وربَّ فَروقةٍ يُدعىٰ ليثاً ، وربَّ غيثٍ لم يكنْ غيثاً ، فأرسلَها مثلاً .

يُضرَبُ للرجلِ يَشتدُّ حرصُهُ على حاجةٍ ويخرقُ فيها حتى تذهبَ كلُها (١).

ربَّ ساع لقاعدٍ

ويُروى معه : وآكلٍ غيرِ حامدٍ ، يُقالُ : إنَّ أَوَّلَ مَنْ قالَهُ : النابغةُ الذُّبيانيُّ ، وكانَ وفدَ إلى النعمانِ بنِ المنذرِ وفودٌ مِنَ العربِ ، فيهِم رجلٌ مِنْ عبسٍ يُقالُ له : شقيقٌ ، فماتَ عندَه ، فلمًا حبا النعمانُ الوفودَ . . بعثَ إلىٰ أهل

انظر « مجمع الأمثال » (٤٨/٢) .

شقيقٍ بمثلِ حباءِ الوفدِ ، فقالَ النابغةُ حينَ بلغَهُ ذلكَ : ربَّ ساعٍ لقاعدٍ ، وقالَ للنعمانِ (١٠) :

[وَأَبْقَيْتَ] لِلْعَبْسِيِّ فَضْلاً وَنِعْمَةً وَمَـُ وَمَـُ وَمَـُ وَمَـُ وَمَـُ وَمَـُ وَمَـُ وَمَا حَبَاءَ شَقِيقٍ فَوْقَ أَعْظُمٍ قَبْرِهِ وَمَا أَتَى أَهْلَهُ مِنْهُ حِبَاءٌ وَنِعْمَةٌ وَرُبَّ

وَمَحْمَدَةً مِنْ بَاقِيَاتِ ٱلْمَحَامِدِ
وَمَا كَانَ يُحْبَىٰ قَبْلَهُ قَبْرُ وَافِدِ
وَرُبَّ ٱمْرِئً يَسْعَىٰ لِآخَرَ قَاعِدِ

ويروى: اسلمي أُمَّ خالدٍ، ربَّ ساع لقاعدٍ، قالوا: إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذلك معاوية بنُ أبي سفيانَ ؛ وذلكَ أنَّهُ لمَّا أُخذَ مِنَ الناسِ البيعة ليزيدَ ابنِهِ.. قالَ لهُ: يا بُنَيَّ ؛ قد صيرتُكَ وليَّ عهدي بعدي ، وأعطيتُكَ ما تَمنَّيتَ ، فهل بقيتْ لكَ حاجةٌ أو في نفسِكَ أمرٌ تُحِبُّ أن أفعلَهُ ؟ قالَ يزيدُ: يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما بقيتْ لي حاجةٌ ، ولا في نفسي غُصَّةٌ ، ولا أمرٌ أُحِبُّ أن أنالَهُ.. إلَّا أمرٌ واحدٌ ، قالَ : وما ذاكَ يا بُنَيَّ ؟ قالَ : كنتُ أحبُّ أن أتزوَّجَ أُمَّ خالدٍ امرأة عبدِ اللهِ بنِ عامرِ بنِ كريزِ ، فهيَ غايتي ومُنيتي مِنَ الدنيا .

فكتبَ معاويةُ إلى عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ ، فاستقدمَهُ ، فلمّا قدمَ عليهِ . . أكرمَهُ وأنزلَهُ أياماً ، ثم خلا بهِ ، فأخبرَهُ بحالِ يزيدَ ومكانِهِ منهُ ، وإيثارِهِ هواهُ ، وسألَهُ طلاقَ أُمِّ خالدٍ على أن يطعمَهُ فارسَ خمسَ سنينَ ، فأجابَهُ إلى ذلك ، وكتبَ عهدَهُ وخلَّى عبدُ اللهِ سبيلَ أُمِّ خالدٍ ، فكتبَ معاويةُ إلى الوليدِ بنِ عتبةَ وهوَ عاملُ المدينةِ أن يُعلِمَ أُمَّ خالدٍ أنَّ عبدَ اللهِ قد طَلَّقَها لتعتدَّ ، فلمّا انقضَتْ عِدَّتُها . . دعا معاويةُ أبا هريرةَ ، فدفعَ إليهِ ستينَ ألفاً ، وقالَ لهُ : ارحلْ إلى المدينةِ حتى تأتيَ أُمَّ خالدٍ فتَخطُبَها على يزيدَ ، وتُعلِمَها أنَّهُ وليُّ ارحلْ إلى المدينةِ حتى تأتيَ أُمَّ خالدٍ فتَخطُبَها على يزيدَ ، وتُعلِمَها أنَّهُ وليُّ عهدِ المسلمينَ ، وأنَّهُ سخيٌّ كريمٌ ، وأنَّ مهرَها عشرونَ ألفَ دينارٍ ، وكرامتُها عشرونَ ألفَ دينارٍ ، وهديتُها عشرونَ ألفَ دينارٍ .

⁽١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٨٩) .

فقدمَ أبو هريرةَ المدينةَ ليلاً ، فلمَّا أصبحَ . . أتىٰ قبرَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فلقيّهُ الحسنُ بنُ عليٍّ ، فسَلَّمَ عليهِ ، وسألَهُ : متىٰ قدمتَ ؟ قالَ : قدمتُ البارحةَ ، قالَ : وما أقدمَكَ ؟ فقصَّ عليهِ القصَّةَ ، فقالَ لهُ الحسنُ : فاذكرْني لها ، قالَ : نعم .

ثمَّ مضى ، فلقيَهُ الحسينُ بنُ عليِّ وعبيدُ اللهِ بنُ العباسِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُم ، فسألاهُ عن مَقْدَمِهِ ، فقصَّ عليهِما القصة ، فقالا لهُ: اذكرْنا لها ، قالَ : نعم .

ثمَّ مضى ، فلقيَهُ عبدُ اللهِ بنُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ ، وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ ، وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ ، وعبدُ اللهِ بنُ مطيعِ بنِ الأسودِ ، فسألوهُ عن مَقْدَمِهِ ، فقصَّ عليهِمُ القصةَ ، فقالوا : اذكرْنا لها ، قالَ : نعم .

ثمَّ أقبلَ حتىٰ دخلَ عليها ، فكلَّمَها بما أمرَ بهِ معاوية ، ثمَّ قالَ لها : إنَّ الحسنَ والحسينَ ابنَيْ عليِّ وعبدَ اللهِ بنَ جعفرٍ وعبيدَ اللهِ بنَ العباسِ وابنَ مطيعِ سألوني أن أذكرَهُم لكِ ، قالَتْ : أمَّا همِّي . . فالخروجُ إلىٰ بيتِ اللهِ ، والمجاورةُ لهُ حتىٰ أموتَ ، أو تشيرَ عليَّ بغيرِ ذلكَ ، قالَ أبو هريرةَ : أمَّا أنا . . فلا أختارُ لكِ هاذا ، قالَتْ : فاخترْ لي ، قالَ : اختاري لنفسِكِ ، قالَتْ : لا ، بل اخترْ أنتَ لي ، قالَ لها : أمَّا أنا . . فقدِ اخترتُ لكِ سيِّديْ شبابِ أهلِ الجنةِ ، فقالَتْ : قد رضيتُ بالحسنِ بنِ عليّ .

فخرجَ إليهِ أبو هريرة ، فأخبرَ الحسنَ بذلكَ ، وزَوَّجَها منه ، وانصرفَ إلى معاوية بالمالِ ، وقد كانَ بلغَ معاوية قِصَّتُه ، فلمَّا دخلَ عليهِ . . قالَ لهُ : إنَّما بعثتُكَ خاطباً ، ولم أبعثُكَ مُحْتَسِباً ، قالَ أبو هريرة : إنَّها استشارَتْني ، والمُستشارُ مُؤتمَنٌ ، فقالَ معاوية عندَ ذلك : اسلمي

أُمَّ خالدٍ ، رُبَّ ساع لقاعدٍ ، وآكلٍ غيرِ حامدٍ ، فذهبَتْ مثلاً (١).

ربَّ زارع لنفسِهِ حاصدٌ سواهُ

قالَ ابنُ الكلبيّ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلك : عامرُ بنُ الظَّرِبِ ؛ وذلك أنَّهُ خطبَ اللهِ صعصعةُ ؛ إنَّكَ جئتَ تشتري منِّي اللهِ صعصعةُ ؛ إنَّكَ جئتَ تشتري منِّي كبدي ، وأرحمَ ولدي عندي ، منعتُكَ أو بعتُكَ ، النكاحُ خيرٌ مِنَ الأيمةِ ، والحسيبُ كفؤُ الحسيبِ ، والزوجُ الصالحُ يُعَدُّ أباً ، وقدْ أنكحتُكَ خشيةَ ألَّا أجدَ مثلكَ .

ثمَّ أقبلَ على قومِهِ فقالَ: يا معشرَ عدوانَ ، أخرجتُ مِنْ بينِ أظهرِكُم كريمتَكُم على غيرِ رغبةٍ عنكم ، ولكنْ مَنْ خُطَّ لهُ شيءٌ . . جاءه ، ربَّ زارِع لنفسِهِ حاصدٌ سواه ، ولولا قسمُ الحظوظِ على غيرِ الحدودِ . . ما أدركَ الآخِرُ مِنَ الأولِ [شيئاً] يعيشُ بهِ ، وللكنَّ الذي أرسلَ الحيا أنبتَ المرعى ، ثمَّ قسمَهُ أكلاً ، لكلِّ فم بقلةٌ ، ومِنَ الماءِ جرعةٌ ؛ إنَّكُم ترون ولا تعلمونَ ، لن يرىٰ ما أصفُ لكُم إلَّا كلُّ ذي قلبٍ واعٍ ، ولكلِّ شيءٍ راعٍ ، ولكلِّ رزقٍ ساعٍ ؛ إمَّا أكيسُ ، وإمَّا أحمقُ ، وما رأيتُ شيئاً قطُّ إلَّا سمعتُ حِسَّهُ ، ووجدتُ مَسَّهُ ، وما رأيتُ موضوعاً إلَّا مصنوعاً ، وما رأيتُ جائياً إلَّا داعياً ، ولا غانماً إلَّا خائباً ، ولا نعمةً إلَّا ومعَها بؤسٌ ، ولو كانَ يميتُ الناسَ الداءُ . . لأحياهُم الدواءُ ، فهل لكُم في العلمِ العليمِ ؟ قيلَ : ما هوَ ؟ قد قلتَ فأصبتَ ، وأخبرتَ فصدقتَ ، فقالَ : أموراً شتَّىٰ ، وشيئاً شيّاً ، حتىٰ يرجعَ الميتُ حيّاً ويعودَ لا شيءٌ شيئاً ، ولذلك خُلِقَتِ الأرضُ والسماءُ ، فتولَّوا عنهُ راجعينَ ، فقالَ : شياً ، ولذلك خُلِقَتِ الأرضُ والسماءُ ، فتولَّوا عنهُ راجعينَ ، فقالَ : في ويلَها نصيحةً لو كانَ مَنْ يَقبلُها (٢٠) .

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٥٩/٢) .

^{. (} $\Lambda \Lambda = \Lambda \Lambda / \Upsilon$) انظر « مجمع الأمثال » ($\Lambda \Lambda = \Lambda \Lambda / \Upsilon$) .

زينب سترةٌ

قالوا: هي زينبُ بنتُ عبدِ اللهِ بنِ عكرمةَ بنِ عبدِ الرحمانِ المخزوميّ، وكانَتْ عجوزاً كبيرةً، ولها جَوَارٍ مُغنِيّاتٌ، وكانَ ابنُ زهيمةَ المدنيُّ الشاعرُ وكانَ ابنُ زهيمةَ المدنيُّ الشاعرُ واسمُهُ محمدٌ _ مولى خالدِ بنِ أسيدٍ يَتعشَّقُ بعضَ جواريها، ويُشبِّبُ بها، ويغنيهِ يونسُ الكاتبُ، ويلقيهِ على جواريها، فيُسَرُّ بذلكَ، ويصلُها ويكسوها، فمِنْ قولِهِ فيها:

أَقْصَدَتْ زَيْنَبُ قَلْبِي بَعْدَمَا ذَهَبَ ٱلْبَاطِلُ مِنِّي وَٱلْغَزَلْ

ولهُ فيها أشعارٌ ، ثمَّ إنَّ زينبَ حجبَتْها لشيءٍ بلغَها ، فقالَ ابنُ هيمةَ :

وَجْداً شَدِيداً مُتْعِبَا أُدْعَى ٱلشَّقِيَّ ٱلْمُسْهَبَا عَمْداً لِكَيْلَا تَغْضَبَا وَكَنَيْتُ أَمْراً مُعْجَبَا وَجَدَ ٱلْفُ وََادُ بِ زَيْنَ بَا أَمْ سَيْتُ مِنْ كَلَفٍ بِهَا أَمْ سَيْتُ مِنْ كَلَفٍ بِهَا وَلَـقَدْ كَنَيْتُ عَنِ ٱسْمِهَا وَلَـقَدْ كَنَيْتُ عَنِ ٱسْمِهَا وَجَعَلْتُ زَيْنَ بَ سُتْرَةً

يُضرَبُ عندَ الكنايةِ عن الشيءِ (١).

زُرْ غبّاً . . تَزدَدْ حبّاً

قالَ المُفضَّلُ: أَوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ معاذُ بنُ صرمِ الخزاعيُّ ، وكانَتْ أُمُّهُ مِنْ عكِّ ، وكانَتْ أُمُّهُ مِنْ عكِّ ، وكانَ فارسَ خزاعة ، وكانَ يكثرُ زيارةَ أخوالِهِ ، قالَ : فاستعارَ منهُم فرساً وأتىٰ قومَهُ ، فقالَ لهُ رجلٌ يُقالُ لهُ : جُحيشُ بنُ سودة ، وكانَ لهُ عدوًا : تسابقُني علىٰ أنَّ مَنْ سبقَ صاحبَهُ أخذَ فرسَهُ ؟ فسابقَهُ ، فسبقَ معاذٌ ، وأخذَ

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٠٢/٢ _ ١٠٣) .

فرسَ جُحيشٍ ، وأرادَ أن يغيظَهُ ، فطعنَ أيطلَ الفرسِ بالسيفِ فسقطَ ، فقالَ : لا أُمَّ لكَ ، قتلتَ فرساً خيراً منكَ ومِنْ والدَيكَ ، فرفعَ معاذٌ السيفَ فضربَ مَفرِقَهُ فقتلَهُ ، ثمَّ لحقَ بأخوالِهِ .

وبلغَ الحيَّ ما صنعَ ، فركبَ أخٌ لجُحيشِ وابنُ عمِّ لهُ ، فلحقاهُ ، فشدَّ على أحدِهِما فطعنَهُ فقتلَهُ ، وقالَ في على أحدِهِما فطعنَهُ فقتلَهُ ، وشدَّ على الآخرِ فضربَهُ بالسيفِ فقتلَهُ ، وقالَ في ذلكَ :

وَلَكِنْ بِصَافٍ ذِي طَرَائِقَ مُسْتَكِّ وَكُنْتُ قَدِيماً فِي ٱلْحَوَادِثِ ذَا فَتْكِ فَخَرَّ صَرِيعاً مِثْلَ عَائِرَةِ ٱلنُّسْكِ خُزَاعَةُ أَجْدَادِي وَأُنْمَىٰ إِلَىٰ عَكِّ وَجَرَّبْتَنِي إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِي شَكِّ خَضِيبَ دَم جَارَاتُهُ حَوْلَهُ تَبْكِي وَتَقْشِرُ جِلْدَيْ مَحْجِرَيْهَا مِنَ ٱلْحَكِّ وَيُزْرِي بِقَوْم إِنْ تَرَكْتُهُمُ تَرْكِي وَعِطْرِي غُبَارُ ٱلْحَرْبِ لَا عَبَقُ ٱلْمِسْكِ كَتَوْقِ ٱلْقَطَا تَسْمُو إِلَى ٱلْوَشَلِ ٱلرَّكِّ وَلَا فِي نَوَادِي ٱلْقَوْمِ بِٱلضَّيِّقِ ٱلْمَسْكِ وَسَابِغَةٍ بَيْضَاءَ مُحْكَمَةِ ٱلسَّكِّ

ضَرَبْتُ جُحَيْشاً ضَرْبَةً لَا لَئِيمَةً قَتَلْتُ جُحَيْشاً بَعْدَ قَتْل جَوَادِهِ قَصَدْتُ لِعَمْرِو بَعْدَ بَدْرِ بِضَرْبَةٍ لِكَيْ يَعْلَمَ ٱلْأَقْوَامُ أَنِّيَ صَارِمٌ فَقَدْ ذُقْتَ يَا جَحْشَ بْنَ سَوْدَةَ ضَرْبَتِي تَرْكُتُ جُحَيْشاً ثَاوِياً ذَا نَوَائِح تَرنُّ عَلَيْهِ أُمُّهُ بِٱنْتِحَابِهَا لِيَرْفَعَ أَقْوَاماً حُلُولِيَ فِيهِمُ وَحِصْنِي سَرَاةُ ٱلطَّرْفِ وَٱلسَّيْفُ مَعْقِلِي تَتُوقُ غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ نَفْسِي إِلَى ٱلْوَغَىٰ وَلَسْتُ برعْدِيدٍ إِذَا رَاعَ مُعْضِلٌ وَكَمْ مَلِكٍ جَدَّلْتُهُ بِمُهَنَّدٍ

قالَ: فأقامَ في أخوالِهِ زماناً ، ثمَّ إنَّهُ خرجَ معَ بني أخوالِهِ في جماعةٍ مِنْ فتيانِهِم يَتصيَّدونَ ، فحملَ معاذٌ على عَيْرٍ ، فلحقَهُ ابنُ خالٍ لهُ يُقالُ

لهُ: الغضبانُ ، فقالَ : حلِّ عنِ العَيرِ ، فقالَ : لا ، ولا نعمَتْ عينٌ ، فقالَ لهُ الغضبانُ : أَمَا واللهِ ؛ لو كانَ فيكَ خيرٌ . . لَمَا تركتَ قومَكَ ، فقالَ معاذُ : زُرْ غبّاً . . تزددْ حبّاً ، فأرسلَها مثلاً ، ثم أتى قومَهُ ، فأرادَ أهلُ المقتولِ قتلَهُ ، فقالَ لهُم قومُهُ : لا تقتلوا فارسَكُم وإن ظلمَ ، فقبلوا منهُ الديةَ .

ومِنْ هاذا المثلِ قالَ الشاعرُ:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَىٰ فَزُرْ مُتَوَاتِراً

وقالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِإِغْبَابِ ٱلزِّيَارَةِ إِنَّهَا أَلَى اللَّهِ الْخَبَابِ ٱلزِّيَارَةِ إِنَّهَا أَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَائِماً

[من الطويل]

وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبًّا

إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى ٱلْهَجْرِ مَسْلَكَا (١) ويُسْأَلُ بِٱلْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا

زوجٌ مِنْ عودٍ خيرٌ مِنْ قعودٍ

هاذا المثلُ لبعضِ نساءِ الأعرابِ ، قالَ المُبرِّدُ: (حدَّثَني عليُّ بنُ عبدِ اللهِ عن ابنِ عائشةَ قالَ: كانَ ذو الإصبَعِ العَدْوانيُّ رجلاً غَيُوراً ، ولهُ بناتٌ أربعٌ ، وكانَ لا يُزوِّجُهُنَّ غَيرةً ، فاستمعَ عليهِنَّ يوماً وقد خَلَوْنَ يَتحدَّثْنَ ، فقالَتْ قائلةٌ منهُنَّ: لتقلْ كلُّ واحدةٍ منَّا ما في نفسِها ، ولنصدقْ جميعاً ، فقالَتْ كُبراهُنَّ:

حَدِيثُ شَبَابٍ طَيِّبُ ٱلنَّشْرِ وَٱلذِّكْرِ خَلِيفَةُ حَانٍ لَا يُقِيمُ عَلَىٰ هَجْرِ [من الطويل]

لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقَىٰ بِهَا ٱلنِّيبُ وَٱلْجُزْرُ

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي غِنىً لَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي غِنىً لَلَّهُ لَلْمُ وَقُ بِأَكْبَادِ ٱلنِّيسَاءِ كَأَنَّهُ وَقَالَتِ الثانيةُ:

أَلَا لَيْتَهُ يُعْطَى ٱلْجَمَالَ بَدِيهَةً

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٠٨/٢ _ ١٠٩) .

لَهُ حَكَمَاتُ ٱلدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كَبْرَةٍ تَشِينُ فَلَا وَانٍ وَلَا ضَرَعٌ غُمْرُ

فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تريدينَ سيداً ، وقالَتِ الثالثةُ : [من الطويل]

أَلَا هَلْ تَرَاهَا مَرَّةً وَحَلِيلُهَا أَشَمُّ كَنَصْلِ ٱلسَّيْفِ عَيْنِ ٱلْمُهَنَّدِ وَلَا هَا ٱنْتَمَىٰ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَحْتِدِي عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ ٱلنِّسَاءِ وَرَهْطُهُ إِذَا مَا ٱنْتَمَىٰ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَحْتِدِي

فقلنَ لها : أنتِ تريدينَ ابنَ عمّ لكِ ، قد عرفنَهُ .

وقلنَ للصغرى : ما تقولينَ ؟ قالَتْ : لا أقولُ شيئاً ، فقلنَ : لا ندعُكِ وذاكَ ؛ إنَّكِ قدِ اطلعتِ على أسرارِنا وتكتمينَ سِرَّكِ ، فقالَتْ : زوجٌ مِنْ عُودٍ خيرٌ مِنْ قُعودٍ .

فخُطِبنَ ، فزُوِّجنَ أجمعُ ، ثمَّ أمهلَهُنَّ حولاً ، ثمَّ زارَ الكبرى ، فقالَ لها : كيف رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالَتْ : خيرُ زوجٍ ، يُكرِمُ أهلَهُ ، وينسى فضلَهُ ، قالَ : فما مالُكُم ؟ قالَتِ : الإبلُ ، قالَ : وما هي ؟ قالَتْ : نأكلُ لُحمانَها مَزْعاً ، ونشربُ ألبانَها جَرْعاً ، وتحملُنا وضعفتنا معاً ، فقالَ : زوجٌ كريمٌ ، ومالٌ عميمٌ .

ثمَّ زارَ الثانية ، فقال : كيف رأيتِ زوجَكِ ؟ قالَتْ : يُكرِمُ الحليلة ، ويُقرِّبُ الوسيلة ، قال : وما هي ؟ قالَتْ : ويُقرِّبُ الوسيلة ، قال : وما هي ؟ قالَتْ : تألفُ الفِناء ، وتملأُ الإناء ، وتودكُ السقاء ، ونساءٌ مع نساء ، فقال : رضيتِ فحظيت .

ثمَّ زارَ الثالثة ، فقالَ : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ، فقالَتْ : لا سَمْحٌ بَذِرٌ ، ولا بخيلٌ حَكِرٌ ، قالَ : وما هي ؟ قالَتْ : بخيلٌ حَكِرٌ ، قالَ : وما هي ؟ قالَتْ : لو كنَّا نُولِّدُها فُطُماً ، ونسلخُها أَدَماً . . لم نبغِ بها نَعَماً ، فقالَ : جَذْوٌ مغنيةٌ .

ثمَّ زارَ الرابعة ، فقالَ : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالَتْ : شرُّ زوجٍ ، يُكرِمُ نفسَهُ ، ويهينُ عِرْسَهُ ، قالَ : فما مالُكُم ؟ قالَتْ : شرُّ مالٍ ؛ الضَّائُ ، قالَ : وما هي ؟ قالَتْ : جُوفٌ لا يشبعنَ ، وهِيمٌ لا ينقعْنَ ، وصُمُّ لا يسمعنَ ، وأمرَ مغويتِهِنَّ يتبعنَ ، فقالَ : أشبة امرؤٌ بعضَ بَزِّهِ .

قالَ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ: قلتُ لابنِ عائشةَ: ما قولُها: وأمرَ مغويتِهِنَّ يتبعنَ ؟ قالَ: أما تراهُنَّ يمررنَ فتسقطُ الواحدةُ منهُنَّ في ماءٍ أو وَحَلٍ أو غيرِ ذلكَ .. فيتبعنَها عليهِ ؟!) (١٠).

وقولُهُ: (جَذْقٌ مغنيةٌ) جمعُ جَذْوةٍ ؛ وهي القطعةُ (٢).

سقطَ العَشاءُ بهِ على سِرْحانٍ

قالَ أبو عبيدٍ: (أصلُهُ: أنَّ رجلاً خرجَ يلتمسُ العَشاءَ فوقعَ علىٰ ذئبٍ ، فأكلَهُ ، وقالَ الأصمعيُّ: أصلُهُ: أنَّ دابَّةً خرجَتْ تطلبُ العَشاءَ ، فلقيهَا ذئبٌ فأكلَها) (٣).

وقالَ ابنُ الأعرابيِّ: أصلُ هاذا: أنَّ رجلاً مِنْ غَنِيٍّ (') يُقالُ لهُ: سِرحانُ بنُ هزلةَ ، كانَ بطلاً فاتكاً ، يَتقيهِ الناسُ ، فقالَ رجلٌ يوماً: واللهِ ؛ لأرعينَّ إبلي هاذا الواديَ ، ولا أخافُ سِرحانَ بنَ هزلةَ ، فوردَ بإبلِهِ ذلكَ الواديَ ، فوجدَ بهِ سِرحانَ ، وهجمَ عليهِ فقتلَهُ وأخذَ إبلَهُ ، وقالَ : [من الكامل]

سَقَطَ ٱلْعَشَاءُ بِهِ عَلَىٰ سِرْحَانِ طَلْقِ ٱلْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِطِعَانِ

أَبْلِغْ نَصِيحَةَ أَنَّ رَاعِيَ أَهْلِهَا سَقَطَ ٱلْعَشَاءُ بِهِ عَلَىٰ مُتَغَشْمِرٍ

⁽۱) الكامل (۲/۸۷۲ _ ۱۸۰) .

^{. (} 1.0/7) $^{\circ}$ (1.0/7) .

⁽٣) انظر « مجمع الأمثال » (١٢١/٢) .

⁽٤) حيٌّ من غطفان .

يُضرَبُ في طلبِ الحاجةِ يُؤدِّي صاحبَها إلى التَّلَفِ (١).

أساء سمعاً فأساء جَابَةً

ويُروئ: ساء سمعاً فأساء إجابة ، و(ساء) في هاذا الموضع تعمل عمل بئس ؛ نحوُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ سَاءَ مَثَلًا ﴾ (١) ، ونُصِبَ (سمعاً) على التمييزِ ، و(أساء سمعاً) نُصِبَ على المفعولِ بهِ ؛ تقولُ : أسأتُ القولَ ، وأسأتُ العملَ ، وقولُهُ : (فأساء جابة) هي بمعنىٰ (إجابة) يُقالُ : أجابَ إجابة وجواباً وجِيبة ، ومثلُ (الجَابة) في موضع (الإجابة) : الطّاعة والطّاقة ، والغارة والعارة ، قالَ المُفضَّلُ : هاذه خمسة أحرفِ جاءَتْ هاكذا .

قلتُ (٢): وكلُّها أسماءٌ وُضِعَتْ في موضعِ المصادرِ.

قالَ المُفضَّلُ: إِنَّ أُولَ مَنْ قالَ ذَلكَ: سهيلُ بنُ [عمرو] أخو بني عامرِ بنِ لؤيّ ، وكانَ تزوَّجَ صفيةَ بنتَ أبي جهلِ بنِ هشام ، فولدَتْ لهُ أنسَ بنَ سهيلٍ ، فخرجَ معَهُ ذاتَ يومٍ وقد خَرَجَ وجههُ ؛ يريدُ الْتَحَىٰ ، فوقفا بحَزْوَرَةِ مكة ، فأقبلَ الأخنسُ بنُ شَرِيقِ الثقفيُّ فقالَ: مَنْ هاذا ؟ قالَ سهيلٌ: ابني ، مكة ، فأقبلَ الأخنسُ : حيَّاكَ اللهُ يا فتى [أينَ أَمُّكَ ؟] ؟ قالَ: لا واللهِ ، ما أُمِّي في قالَ الله يا فتى [أينَ أَمُّكَ ؟] ؟ قالَ: لا واللهِ ، ما أُمِّي في البيتِ ، انطلقَتْ إلىٰ أُمِّ حنظلةَ تَطحَنُ دقيقاً ، فقالَ: أساءَ سمعاً فأساء جابةً ، فأرسلَها مثلاً .

فلمَّا رجعا . . قالَ أبوهُ : فضحَني ابنُكِ اليومَ عندَ الأخنسِ ، قالَ كذا وكذا !!

⁽١) انظر «مجمع الأمثال» (١٢١/٢ _ ١٢٢) .

⁽٢) سورة الأعراف : (١٧٧) .

⁽٣) القائل: هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

فقالَتِ الأُمُّ: إنَّما ابني صبيٌّ ، قالَ سهيلٌ : أشبهَ امرؤٌ بعضَ بَرِّهِ ، فأرسلَها مثلاً (١) .

سمِّنْ كلبَكَ يأكلْكَ

ويُروئ : (أسمِنْ) ، قالوا : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلك : حازمُ بنُ المنذرِ الحِمَّانيُّ ؟ وذلك أنَّهُ مرَّ بمَحَلَّةِ هَمْدانَ ، فإذا هوَ بغلام ملفوفٍ في المعاوزِ ، فرحمَهُ وحملَهُ على مُقدَّم سرجِهِ ، حتى أتى بهِ منزلَهُ ، وأمرَ أَمَةً لهُ أن تُرضِعَهُ ، فأرضَعَتْهُ حتى فُطِمَ ، وأدركَ وراهقَ الحلمَ ، فجعلَهُ راعياً لغنمِهِ ، وسمَّاه جُحَيشاً ، فكانَ يرعى الشاءَ والإبلَ ، وكانَ زاجراً عائفاً ، فخرجَ ذاتَ يومٍ ، فعَرَضَتْ لهُ عقابٌ ، فعافَها ، ثمَّ مرَّ بهِ غُدافٌ ، فزجرَهُ ، وقالَ : [من مشطور الرجز]

تُخْبِرُنِي شَواحِجُ ٱلْغُدْفَانْ وَٱلْخُطْبُ يَشْهَدْنَ مَعَ ٱلْعِقْبَانْ أَنِّي جُحَيْشٌ مَعْشَرِي هَمْدَانْ وَلَسْتُ عَبْداً لِبَنِي حِمَّانْ

فلا يزالُ يَتغنَّىٰ بهاذهِ الأبياتِ ، وإنَّ ابنةً لحازمٍ يقالُ لها : رَعُومُ ، هَوِيَتِ الغلامَ وهَوِيَها ، وكانَ الغلامُ ذا منظرٍ وجمالٍ ، فاتبعَتْهُ رَعُومُ ذاتَ يومٍ حتى انتهىٰ إلىٰ موضعِ الكلا ، فسرحَ الشاءَ فيهِ واستظلَّ بشجرةٍ واتَّكاً علىٰ يمينِهِ ، وأنشاً يقولُ :

وَلَا أَنْتَ ذُو وَالِدٍ يُعْرَفُ جُحَدِشَ فُ جُحَدِشً فُ أَنِي حَرْشَ فُ وَأَنَّ أَبِي حَرْشَ فُ وَشَاهِدُهُ جَاهِداً يَحْلِفُ

أَمَا لَكُ أُمُّ فَتُدْعَى لَهَا أَمَّ وَتُدْعَى لَهَا أَرَى الطَّيْرَ تُخْبِرُنِي أَنَّنِي يَا لَكُونِي أَنَّنِي يَتُولُ غُرَابٌ غَدَا سَانِحاً يَتُولُ غُرَابٌ غَدَا سَانِحاً

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٢٦/٢ _ ١٢٧) .

بِأَنِّي لِهَ مُدَانَ فِي غُرِّهَ اللَّهِ مَانَ فِي غُرِّهَ اللَّهَ وَمَا أَنَا جَافٍ وَلَا أَهْمَيَ فُ وَلَا كَنَّنِي مِنْ كِرَامِ ٱلرِّجَالِ إِذَا ذُكِرَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْأَشْرَفُ وَلَا كَنَّنِي مِنْ كِرَامِ ٱلرِّجَالِ إِذَا ذُكِرَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْأَشْرَفُ وَلَا كَمَنَتْ لَهُ رَعُومُ تنظرُ ما يصنعُ ، فرفعَ صوتَهُ أيضاً يَتغنَّىٰ وقد كَمَنَتْ لَهُ رَعُومُ تنظرُ ما يصنعُ ، فرفع صوتَهُ أيضاً يَتغنَّىٰ ويقولُ:

يَا حَبَّذَا رَبِيبَ تِي رَعُومُ وَحَبَّذَا مَنْ طِقُهَا ٱلرَّخِيمُ وَرِيحُ مَا يَأْتِي بِهِ ٱلنَّسِيمُ إِنِّي بِهَا مُكَلَّفٌ أَهِيمُ إِنِّي بِهَا مُكَلَّفٌ أَهِيمُ لَوْ تَعْلَمِينَ ٱلْعِلْمَ يَا رَعُومُ أَنِّي مِنْ هَمْذَانِهَا صَحِيمُ

فلمَّا سمعَتْ رَعُومُ شِعرَهُ . . ازدادَتْ فيهِ رغبةً وبهِ إعجاباً ، فدنَتْ منهُ وهي تقولُ :

طَارَ إِلَـــُ كُمْ عَـرَضاً فُــوَّادِي وَقَــلَّ مِــنْ ذِكْــرَاكُــمُ رُقَــادِي وَقَــدْ جَـفَا جَـنْبِي عَـنِ ٱلْـوِسَادِ أبيــتُ قَـدْ حَالَـفَنِي سُـهَـادِي

فقامَ إليها جُحَيْشٌ فعانقَها وعانقَتْهُ ، وقعدا تحتَ الشجرةِ يَتغازلانِ ، فكانا يفعلان ذلكَ أياماً .

ثمَّ إنَّ أباها افتقدَها يوماً ، وفَطِنَ لها ، فرصدَها ، حتى إذا خرجَتْ . . تبعَها ، فانتهى إليهما وهُما على سوءةٍ ، فلمَّا رآهُما . . قالَ : سَمِّنْ كلبَكَ

يَأْكُلُكَ ، فأرسلَها مثلاً ، وشدَّ على جُحيش بالسيفِ فأفلتَ ولحقَ بقومِهِ هَمْدانَ ، وانصرفَ حازمٌ إلى ابنتِهِ وهوَ يقولُ : موتُ الحُرَّةِ خيرٌ مِنَ العُرَّةِ ، فأرسلَها مثلاً ، فلمَّا وصلَ إليها . . وجدَها قدِ اختنقَتْ فماتَتْ ، فقالَ حازمٌ : هانَ عليَّ الثُّكُلُ لسوءِ الفعلِ ، فأرسلَها مثلاً : وأنشأَ يقولُ : [من الكامل]

قَدْ هَانَ هَاذَا ٱلثُّكُلُ لَوْلَا أَنَّنِي أَحْبَبْتُ قَتْلَكِ بِٱلْحُسَامِ ٱلصَّارِمِ وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذَاكَ لَوْلَا أَنَّنِي شَمَّرْتُ فِي قَتْلِ ٱللَّعِينِ ٱلظَّالِمِ فَعَلَيْكِ مَقْتُ ٱللهِ مِنْ غَدَّارَةٍ وَعَلَيْكِ لَعْنَتُهُ وَلَعْنَةُ حَازِمِ

وقالَ قومٌ: إنَّ رجلاً مِنْ طَسْمِ ارتبطَ كلباً ، فكانَ يُسمِّنُهُ ويطعمُهُ رجاءَ أن يصيدَ بهِ ، فاحتبسَ عليهِ بطعمِهِ يوماً ، فدخلَ عليهِ صاحبُهُ ، فوثبَ عليهِ فافترسَهُ ، قالَ عوفُ بنُ الأحوص:

أُرَانِي [وَعَوْفاً] كَالْمُسَمِّنِ كَلْبَهُ فَخَدَّشَهُ أَنْيَابُهُ وَأَظَافِرُهُ وَأَظَافِرُهُ وَأَظَافِرُهُ وَالْمَاسِرِ] وقالَ طرفةُ (١٠):

كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ يَعُلُّهُ بِٱلْحَلِيبِ فِي ٱلْغَلَسِ ظَلَّ عَلَيْهِ طَيْهِ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ إِلَّا يَلُغْ فِي ٱلدِّمَاءِ يَنْتَهِ (بَّ) ظَلَّ عَلَيْهِ يَوْماً [يُفَرْفِرُهُ] إِلَّا يَلَغْ فِي ٱلدِّمَاءِ يَنْتَهِ سِ

السَّليمُ لا ينامُ ولا يُنيمُ

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ: إلياسُ بنُ مُضَرَ، وكانَ مِنْ حديثِ ذَلكَ فيما ذكرَ الكلبيُّ عنِ الشرقيِّ بنِ القطاميِّ: أنَّ إبلَ إلياسَ نَدَّتْ ليلاً، فنادىٰ ولدَهُ وقالَ: إنِّي طالبٌ الإبلَ في هنذا الوجهِ، وأمرَ عمراً ابنَهُ أن

⁽١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ١٦٥) .

⁽٢) في الأصل: (بقرقره) ، ويفرفره: يمزّقه .

⁽٣) انظر « مجمع الأمثال » (١٣٣/٢ _ ١٣٥) .

يطلبَ في وجه آخر ، وترك عامراً ابنه لعلاجِ الطعامِ ، قال : فتَوجَه إلياسُ وعمرٌو ، وانقطعَ عُمَيرٌ ابنه في البيتِ مع النساءِ ، فقالَتْ ليلىٰ بنتُ حلوانَ امرأتُه لإحدىٰ خادميها : اخرجي في طلبِ أهلِكِ ، وخرجَتْ ليلىٰ ، فلقيها عامرٌ مُحتقِباً صيداً قد عالجَه ، فسألَها عن أبيهِ وأخيهِ ، فقالَتْ : لا علم عامرٌ مُحتقِباً صيداً قد عالجَه ، فسألها عن أبيهِ وأخيهِ ، فقالَتْ . قالَ لي ، فأتى عامرٌ المنزلَ وقالَ للجاريةِ : قُضِي أثرَ مولاكِ ، فلمَّا ولَّتْ . قالَ لها : تقرصعي - أي : اتئدي وانقبضي - فلم يلبثوا أن أتاهُمُ الشيخُ وعمرٌو ابنهُ قد أدركَ الإبلَ ، فوضعَ لهُمُ الطعامَ ، فقالَ إلياسُ : السَّليمُ لا ينامُ ولا ينيمُ ، فأرسلَها مثلاً ، وقالَتْ ليلى امرأتُهُ : واللهِ ؛ إن زلتُ أُخندِفُ في طلبِكُما والهة ، قالَ الشيخُ : فأنتِ خِنْدِفُ ، قالَ عامرٌ : وأنا واللهِ كنتُ أدابُ في صيدٍ وطبخ ، قالَ : فأنتَ طابخةُ ، قالَ عمرٌو : فما فعلتُ أنا أفضلُ ، أدركتُ الإبلَ ، قالَ : فأنتَ مُدركةُ ، وسمَّىٰ عُمَيراً قَمْعَةَ ؛ لانقماعِهِ في البيتِ ، فغلبَتْ الألقابُ علىٰ أسمائِهِم .

يضربُ مثلاً لِمَنْ لا يستريحُ ولا يريحُ غيرَهُ (١).

اسعَ بجَدِّكَ لا بكَدِّكَ

قالوا: إنَّ أُوَّلَ مَنْ قالَ ذَلكَ: حاتمُ بنُ عميرةَ الهَمْدانيُّ ، وكانَ بعثَ ابنيهِ الحِسْلَ وعاجنةَ إلى تجارةٍ ، فلقيَ الحِسْلُ قوماً مِنْ بني أسدٍ ، فأخذوا مالَهُ وأسروهُ ، وسارَ عاجنةُ أياماً ، ثمَّ وقعَ على مالٍ في طريقِهِ مِنْ قبلِ أن يبلغَ موضعَ مَتجرِهِ ، فأخذهُ ورجعَ ، وقالَ في ذلكَ :

كَفَانِي ٱللهُ بُعْدَ ٱلسَّيْرِ أَنِّي رَأَيْتُ ٱلْخَيْرَ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلْقَرِيبِ رَأَيْتُ ٱلْجُعْدَ فِيهِ شَقاً وَنَأْيُ وَوَحْشَةُ كُلِّ مُنْفَرِدٍ غَرِيبِ

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٤٥/٢) .

فَأَسْرَعْتُ ٱلْإِيَابَ بِخَيْرِ حَالٍ إِلَىٰ حَوْرَاءَ خَرْعَبَةٍ لَعُوبِ وَإِنِّي لَيْسَ يَثْنِينِي إِذَا مَا رَحَلْتُ سُنُوحُ شَحَّاجِ نَعُوبِ

فلمَّا رجع . . تباشرَ بهِ أهلُهُ ، وانتظروا الحِسْلَ ، فلمَّا جاءَ إبَّانُهُ الذي كانَ يجيءُ فيهِ ولم يرجعْ . . رابَهُم أمرُهُ ، وبعثَ أبوهُ أخاً لهُ لم يكنْ مِنْ أُمِّهِ كانَ يجيءُ فيهِ ولم يرجعْ . . رابَهُم أمرُهُ ، وبعثَ أبوهُ أخاً لهُ لم يكنْ مِنْ الأرضِ التي بها _ يُقالُ لهُ : شاكرٌ _ في طلبِهِ والبحثِ عنهُ ، فلمَّا دنا شاكرٌ مِنَ الأرضِ التي بها الحِسْلُ ، وكانَ الحِسْلُ عائفاً يزجرُ الطيرَ ، فقالَ : [من المتقارب]

تُخَبِّرُنِي بِٱلنَّجَاةِ ٱلْقَطَاةُ وَقَوْلُ ٱلْخُرَابِ بِهَا شَاهِدُ تَـقُولُ ٱلْاَقَدْ دَنَا نَازِحٌ فِدَاءٌ لَهُ ٱلطَّرْفُ وَٱلتَّالِدُ أَخْ لَـمْ تَـكُونْ أُمُّنَا أُمَّهُ وَلَكِنْ أَبُسونَا أَبٌ وَاحِدُ تَـدَارَكَنِي رَأْفَةً حَاتِمٌ فَنِعْمَ ٱلْمُرَبِّبُ وَٱلْوَالِدُ

ثمَّ إِنَّ شاكراً سألَ عنهُ ، فأُخبِرَ بمكانِهِ ، فاشتراهُ ممَّنْ أسرَهُ بأربعينَ بعيراً ، فلمَّا رجعَ بهِ . . قالَ لهُ أبوهُ : اسعَ بجَدِّكَ لا بكَدِّكَ ، فذهبَتْ مثلاً (١١) .

سِرْ عنكَ

قالوا: إِنَّ أُولَ مَنْ قَالَ ذَٰلكَ: خِداشُ بِنُ حابسِ التميميُّ ، وكَانَ قد تَزوَّجَ جاريةً مِنْ بني سَدوسٍ يُقالُ لها: الربابُ ، وغابَ عنها بعدَما ملكَها أعواماً ، فعَلِقَها آخَرُ مِنْ قومِها يُقالُ لهُ: سَلْمٌ ، ففضحَها .

وإنَّ سَلْماً شردَتْ لهُ إبلٌ ، فركبَ في طلبِها ، فوافاهُ خِداشٌ في الطريقِ ، فلمَّا علمَ بهِ خِداشٌ . كتمَهُ أمرَ نفسِهِ ؛ ليعلمَ علمَ امرأتِهِ ، وسارا ، فسألَ سَلْمٌ خِداشاً : ممَّنِ الرجلُ ؟ فخَبَّرَهُ بغيرِ نسبِهِ ، فقالَ سَلْمٌ : [من الوافر] أَغِبْتَ عَنِ ٱلرَّبَابِ وَهَامَ سَلْمٌ بيهِ اللهُ اللهُ المِعْ الرَّبَابِ وَهَامَ سَلْمٌ بيهِ اللهُ اللهُ

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٤٦/٢) .

فَيَالَكَ بَعْلَ جَارِيَةٍ هَوَاهَا وَيَالَكَ بَعْلَ جَارِيَةٍ كَعُوبٍ وَكُنْتُ بِهَا أَخَاعَطَشٍ شَدِيدٍ فَاإِنْ أَرْجِعْ وَيَأْتِيهَا خِدَاشٌ

صَبُورٌ حِينَ تَضْطَرِبُ ٱلْكِبَاشُ تَـنِيدُ لَـذَاذَةً دُونَ ٱلـرِّيَـاشِ وَقَدْ يَرْوَىٰ عَلَى ٱلظَّمَأُ ٱلْعِطَاشُ سَيُحْبِرُهُ بِـمَا لَاقَى ٱلْفِرَاشُ سَيُحْبِرُهُ بِـمَا لَاقَى ٱلْفِرَاشُ

فعرفَ خِداشٌ الأمرَ عندَ ذلكَ ، ثمّ دنا منهُ فقالَ : حدِّثنا يا أخا بني سدوسٍ ، فقالَ سَلْمٌ : علقتُ امرأةً غابَ عنها زوجُها ، فأنا أنعمُ أهلِ الدنيا بها ، وهي لذَّةُ عيشي ، فقالَ خِداشٌ : سِرْ عنكَ ، فسارَ ساعةً ، ثمّ قالَ : حدِّثنا يا أخا بني سدوسٍ عن خليلتِكَ ، قالَ : تَسدَّيتُ خِباءَها ليلاً ، فبتُ بأقرِّ ليلةٍ ، يا أخا بني سدوسٍ عن خليلتِكَ ، قالَ : تَسدَّيتُ خِباءَها ليلاً ، فبتُ بأقرِّ ليلةٍ ، أعلو وأُعلي ، وأعانقُ وأفعلُ ما أهوى ، فقالَ خِداشٌ : سِرْ عنكَ ، وعرفَ الفضيحة ، فتأخَّرَ واخترطَ سيفَهُ وغطَّاهُ بثوبِهِ ، ثمَّ لحقَهُ وقالَ : ما آيةُ ما بينكُما إذا جئتَها ؟ قالَ : أذهبُ ليلاً إلىٰ مكانِ كذا مِنْ خبائِها وهيَ تخرجُ بينكُما إذا جئتَها ؟ قالَ : أذهبُ ليلاً إلىٰ مكانِ كذا مِنْ خبائِها وهيَ تخرجُ فتقولُ :

يَا لَيْلُ هَلْ مِنْ سَاهِرٍ فِيكَ طَالِبٌ هَوَىٰ خُلَّةٍ لَا يَنْزَحَنْ مُلْتَقَاهُمَا فأُجاوبُها:

نَعَمْ سَاهِرٌ قَدْ كَابَدَ ٱللَّيْلَ هَائِمٌ بِهَائِمَةٍ مَا هُوِّمَتْ مُقْلَتَاهُمَا

فتعرفُ أنِّي أنا هوَ ، ثمَّ قالَ خِداشٌ : سِرْ عنكَ ، ودنا حتى قرنَ ناقتَهُ بناقتِهِ ، وضربَهُ بسيفِهِ فأطارَ قحفَهُ وبقيَ سائرُهُ فوقَ رحلِهِ يَضطرِبُ .

ثمَّ انصرفَ فأتى المكانَ الذي وصفَهُ سَلْمٌ ، فقعدَ فيهِ ليلاً ، وخرجَتِ الربابُ وهيَ تَتكلَّمُ بذلكَ البيتِ ، فجاوبَها بالآخرِ ، فدنَتْ منهُ وهيَ ترىٰ أنَّهُ سَلْمٌ ، فقنَّعَها بالسيفِ ففلقَ ما بينَ المَفرِقِ إلى الزورِ ، ثمَّ ركبَ وانطلقَ .

يُضرَبُ في التغابي والتغاضي عنِ الشيءِ .

قلتُ (۱): بقي معنى قولِهِ (سِرْ عنكَ) قيلَ: معناهُ: دعْني واذهبْ عنِي ، وقيلَ: معناهُ: لا تربعْ على نفسِهِ . . فقدْ سارَ عنها ، وقيلَ: معناهُ: لا تربعْ على نفسِهِ . . فقدْ سارَ عنها ، وقيلَ: العربُ تزيدُ في الكلامِ (عن) ، فتقولُ: دعْ عنكَ الشكَّ ؛ أي : دع الشكَّ ، وقيلَ: أرادوا به (عنك) : لا أبا لكَ ، وأنشدَ: [من مشطور الرجز]

فَصَارَ وَٱلْيَوْمُ لَهُ بَلَابِلُ مِنْ حُبِّ جُمْلٍ عَنْكَ مَا يُزَايِلُ

أي: لا أبا لكَ ، فعلى هذا: معناهُ: سِرْ لا أبا لكَ ، على عادتِهِم في الدعاءِ على الإنسانِ مِنْ غيرِ إرادةِ الوقوع (٢).

صدقَني سِنَّ بَكْرِهِ

البَكْرُ: الفتيُّ مِنَ الإبلِ، ويُقالُ: صدقتُهُ الحديثَ وفي الحديثِ، يُضرَبُ مثلاً في الصدقِ، وأصلُهُ: أنَّ رجلاً ساومَ رجلاً في بَكْرٍ، فقالَ: ما سنَّهُ ؟ مثلاً في الصدقِ، وأصلُهُ: أنَّ رجلاً ساومَ رجلاً في بَكْرٍ، فقالَ: ما سنَّهُ ؟ فقالَ صاحبُهُ: هِدَعْ هِدَعْ ، وهاذهِ فقالَ صاحبُهُ: هِدَعْ هِدَعْ ، وهاذهِ لفظةٌ يُسكَّنُ بها الصِّغارُ مِنَ الإبلِ، فلمَّا سمعَ المشتري هاذهِ الكلمةَ.. قالَ: صدقني سنَّ بَكْرِهِ ، ونصبَ (سنَّ) على معنى : عَرَّفني سِنَّ ، ويجوزُ أن يُقالُ: أرادَ: صدقني حبرَ سنِّ ، ثمَّ حُذِفَ المُضافُ ، ويُروى : صدقني سنُّ بالرفع ، جعلَ الصدقَ للسنِّ توسُّعاً.

قالَ أبو عبيدٍ : (وهذا المثلُ يُروىٰ عن عليٍّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ أنَّهُ أُتِيَ فقيلَ لهُ : إنَّ بني فلانٍ وبني فلانٍ اقتتلوا ، فغلبَ بنو فلانٍ ، فأنكرَ ذلكَ ، ثمَّ

⁽١) القائل: هو العلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

⁽٢) انظر « مجمع الأمثال » (١٤٧/٢ _ ١٤٨) .

أَتَاهُ آتٍ فَقَالَ : بل غلبَ بنو فلانٍ ؛ للقبيلةِ الأُخرىٰ ، فقالَ عليٌّ : صدقَني سنَّ بَكْرهِ) (١) .

وقالَ أبو عمرو: دخلَ الأحنفُ على معاوية بعدَما مضى عليٌّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ ، فعاتبَهُ معاويةُ وقالَ لهُ: أما إنِّي لم أنسَ ولم أجهلِ اعتزالَكَ يومَ الجملِ ببني سعدٍ ، ونزولَكَ بهِم سفوانَ وقريشٌ تذبحُ بناحيةِ البصرةِ ذبحَ الحَيرانِ ، ولم أنسَ طلبَكَ إلى ابنِ أبي طالبٍ أن يدخلَكَ في الحكومةِ أن تزيلَ عنِّي أمراً جعلَهُ اللهُ لي وقضاهُ ، ولم أنسَ تحضيضَكَ بني تميمٍ يومَ صفينَ على نصرةِ عليّ ، كلُّ يبكتُهُ (۱).

قالَ: فخرجَ الأحنفُ مِنْ عندِهِ ، فقيلَ لهُ: ما صنعَ بكَ ؟ وما قالَ لكَ ؟ قالَ: صدقَني سنَّ بكرِهِ ؛ أي: خَبَّرَني بما في نفسِهِ وما انطوَتْ عليهِ ضُلوعُهُ.

صارَتِ الفتيانُ حُمَماً

هاذا مِنْ قولِ الحمراءِ بنتِ ضمرة بنِ جابرٍ ؛ وذلك أنَّ بني تميمٍ قتلوا سعد بنَ هندٍ أخا عمرو بنِ هندٍ الملكِ ، فنذرَ عمرُ و ليقتلَنَّ بأخيهِ مئةً مِنْ بني تميمٍ ، فجمعَ أهلَ مملكتِهِ ، فسارَ إليهِم ، فبلغَهُمُ الخبرُ ، فتفرَّقوا في نواحي بلادِهِم ، فأتىٰ دارَهُم ، فلم يجدُ إلَّا عجوزاً كبيرةً ؛ وهيَ الحمراءُ بنتُ ضمرة ، فلمّا نظرَ إليها وإلىٰ حمرتِها . . قالَ لها : إنِّي لأحسبُكِ أعجميةً ، فقالَتْ : لا ، والذي أسألُهُ أن يخفض جناحَكَ ، ويهد عمادَكَ ، ويضعَ وسادَكَ ، ويسلبَكَ بلادِكَ ؛ ما أنا بأعجميةٍ .

قالَ : فَمَنْ أَنتِ ؟ قالَتْ : أَنَا بِنتُ ضمرةَ بِنِ جابِرٍ ، سادَ مَعدًّا كابراً عن

⁽١) الأمثال (ص ٤٩) للقاسم بن سلام .

⁽۲) في « مجمع الأمثال » (۲٥٤/۲) : (يبكيه) .

كابر، وأنا أختُ ضمرة بنِ ضمرة ، قال : فمَنْ زوجُكِ ؟ قالَتْ : هوذة بنُ جرولٍ ، قال : وأينَ هو الآنَ ؟ أَمَا تعرفينَ مكانَهُ ؟ قالَتْ : هاذه كلمة أحمق ، لو كنتُ أعلمُ مكانَهُ حالَ بينَكَ وبيني ، قال : وأيُّ رجلٍ هوَ ؟ قالَتْ : هاذهِ أحمقُ مِنَ الأُولى ، أعن هوذة يُسأَلُ ؟ هوَ واللهِ طيبُ العرقِ ، قالَتْ : هاذهِ أحمقُ مِنَ الأُولى ، أعن هوذة يُسأَلُ ؟ هوَ واللهِ طيبُ العرقِ ، سمينُ العَرْقِ ، لا ينامُ ليلةَ يخافُ ، ولا يشبعُ ليلةَ يُضافُ ، يأكلُ ما وجدَ ، ولا يَسألُ عمّا فقدَ .

فقالَ عمرٌو: أَمَا واللهِ لولا أنِّي أَحافُ أَن تلدي مثلَ أبيكِ وأحيكِ وزوجِكِ . . لاستبقيتُكِ ، فقالَتْ : وأنتَ واللهِ لا تقتلُ إلَّا نساءً أعاليها ثُدِيٌّ ، وأسافلُها دُمِيٌّ ، واللهِ ؛ ما أدركتَ ثاراً ، ولا محوتَ عاراً ، وما مَنْ فعلتَ هاذهِ بهِ بغافلٍ عنكَ ، ومعَ اليومِ غدٌ ، فأمرَ بإحراقِها ، فلمَّا نظرَتْ إلى النارِ . . قالَتْ : ألا فتى مكانَ عجوزٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ مكثَتْ ساعةً ، فلم يُفدِها أحدٌ ، فقالَتْ هيهاتَ ، صارَتِ الفتيانُ حُمَماً ، فذهبت مثلاً ، ثمَّ ألقيتَتْ في النارِ .

ولبثَ عمرٌ و عامَّة يومِهِ لا يَقدِرُ على أحدٍ ، حتى إذا كانَ في آخرِ النهارِ . . أقبلَ راكبٌ يُسمَّىٰ عمَّاراً تُوضَعُ بهِ راحلتُهُ ، حتى أناخَ إليهِ ، فقالَ لهُ عمرٌ و : مَنْ أنتَ ؟ قالَ : أنا رجلٌ مِنَ البراجمِ ، قالَ : فما جاء بكَ إلينا ؟ قالَ : سطعُ الدخانِ ، وكنتُ قد طويتُ منذُ أيامٍ ، فظننتُهُ طعاماً ، فقالَ عمرٌ و : إنَّ الشقيَّ وافدُ البراجمِ ، فذهبَت مثلاً ، وأمر بهِ فألقِيَ في النارِ ، فقالَ بعضُهُم : ما بلغَنا وأفدُ البراجمِ ، فذهبَت مثلاً ، وإنَّما أحرقَ النساءَ والصبيانَ ، وفي ذلكَ يقولُ جريرٌ (١٠) :

وَأَخْزَاكُمُ عَمْرُو كَمَا قَدْ خَزِيتُمُ وَأَدْرَكَ عَمَّاراً شَقِيَّ ٱلْبَرَاجِمِ

⁽۱) انظر « دیوان جریر » (۱۰۰۷/۲) .

ولذُلكَ عُيِّرَتْ بنو تميمٍ بحبِّ الطعامِ ؛ لِمَا لقيَ هنذا الرجلُ ، قالَ الشاعرُ :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتُ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ بِخُبْزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوِ ٱلشَّيْءِ ٱلْمُلَفَّفِ فِي ٱلْبِجَادِ بِخُبْزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَو ٱلشَّيْءِ ٱلْمُلَفَّفِ فِي ٱلْبِجَادِ تَرَاهُ يَنْ قُبُ ٱلْآفَاقَ حَوْلاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقُمَانَ بُنِ عَادِ

صُغراهُنَّ شُرَّاهُنَّ

ويُروىٰ : صغراها شُرَّاها ، ويُروىٰ : مُرَّاها ، وأوَّلُ مَنْ قالَ ذلك : امرأةٌ كانَتْ في زمنِ لقمانَ بنِ عادٍ ، وكانَ لها زوجٌ يُقالُ لهُ : الشَّجيُّ ، وخليلٌ يُقالُ لهُ : الشَّجيُّ ، وخليلٌ يُقالُ لهُ : الضَّجيُّ ، فنزلَ لقمانُ بهِم ، فرأىٰ هلذهِ المرأةَ ذاتَ يومِ انتبذَتْ مِنْ بيوتِ الحيِّ ، فارتابَ لقمانُ بأمرِها فتبعَها ، فرأىٰ رجلاً عرضَ لها ، ومضيا جميعاً ، وقضيا حاجتَهُما ، ثمَّ إنَّ المرأةَ قالَتْ للرجلِ : إنِّي أتماوتُ ، فإذا أسندوني في رَجَمِي ، فأتني ليلاً فأخرجْني ، ثمَّ اذهبْ إلىٰ مكانٍ لا يَعرِفُنا أهلُهُ ، فلمَّا سمعَ لقمانُ ذلكَ . . قالَ : ويلٌ للشجيّ مِنَ الخليّ ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ رجعَتِ المرأةُ إلى مكانِها ، وفعلَتْ ما قالَتْ ، فأخرجَها الرجلُ ، وانطلق بها أياماً إلى مكانٍ آخَرَ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ إلى الحيِّ بعدَ برهةٍ ، فبينا هي ذات يومٍ قاعدةٌ . . مَرَّتْ بها بناتُها ، فنظرَتْ إليها الكبرىٰ ، فقالَتْ : أُمِّي واللهِ ، فقالَتِ المواقِ . مَرَّتْ بها بناتُها ، فنظرَتْ إليها الكبرىٰ ، فقالَتْ : أُمِّي واللهِ ، فقالَتِ الوسطىٰ : صدقتِ واللهِ ، قالَتِ المرأةُ : كذبتُما ، ما أنا لكما بأمٍ ، ولا لأبيكما بامرأةٍ ، فقالَتْ لهُما الصُّغرىٰ : أما تعرفانِ محيّاها ، وتَعلَّقَتْ بها ، وصرختْ ، بامرأةٍ ، فقالَتِ الأُمُّ حينَ رأَتْ ذلكَ : صغراهُنَّ شُرَّاهن ، فذهبَتْ مثلاً .

ثمَّ إِنَّ الناسَ اجتمعوا ، فعرفوها ، فرفعوا القصَّةَ إلى لقمانَ بنِ عادٍ ،

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٢٥٧/٢ _ ٢٥٩) .

وقالوا له: اقضِ بيننا ، فلمّا نظرَ لقمانُ إلى المرأةِ .. عرفَها ، فقالَ : عندَ جهينةَ الخبرُ اليقينُ ـ يعني نفسهُ ، وما عاينَ منها ـ فأخبرَ لقمانُ الزوجَ بما عرفَ ، وأقبلَ على المرأةِ فقصَّ عليها قصتَها كيف صنعَتْ ، وكيفَ قالَتْ لصديقِها ، فلمّا أتاها بما لا تُنكِرُ . قالَتْ : ما كانَ هاذا في حسابي ، فأرسلَتْها مثلاً ، فقيلَ للقمانَ : احكمْ فيها ، فقالَ : ارجموها كما رجمَتْ نفسَها في حياتِها ، فرُجِمَتْ ، فقالَ الشَّجيُّ : احكمْ بيني وبينَ الخَليِّ ؛ فقد فرّقَ بيني وبينَ أهلي ، فقالَ : يُفرّقُ بينَ ذَكرِهِ وأُنثيَيهِ كما فَرَّقَ بينَكُ وبينَ أهلي ، فقالَ : يُفرّقُ بينَ ذَكرِهِ وأُنثيَيهِ كما فَرَّقَ بينَكُ وبينَ أنثاكَ ، فأُخِذَ الخَليُّ فجُبَّ ذَكرُهُ .

صحيفة المُتلمِّس

قالَ المُفضَّلُ: كانَ مِنْ حديثِها: أنَّ عمرَو بنَ المنذرِ بنِ امرئ القيسِ كانَ يُرشِّحُ أَخاهُ قابوسَ - وهُما لهندِ بنتِ الحارثِ بنِ عمرو الكنديِّ آكلِ المِرارِ - ليملكَ بعدَهُ ، فقدمَ عليهِ المُتلمِّسُ وطرفةُ ، فجعلَهُما في صحابةِ قابوسَ ، وأمرَهُما بلزومِهِ ، وكانَ قابوسُ شابًا يعجبُهُ اللَّهوُ ، وكانَ يركبُ يوماً في الصيدِ ، فيركضُ ويتصيَّدُ وهُما معَهُ يركضانِ حتى رجعا عشيةً وقد لغبا ، في الصيدِ ، فيركضُ ويتصيَّدُ وهُما معَهُ يركضانِ حتى رجعا عشيةً وقد لغبا ، فيكونُ قابوسُ مِنَ الغدِ في الشرابِ ، فيقفانِ ببابِ سرادقِهِ إلى العشيِّ ، وكانَ قابوسُ يوماً على الشرابِ ، فوقفا ببابِهِ النهارَ كلَّهُ ، ولم يصلا إليهِ ، فضجرَ طرفةُ وقالَ (۱):

رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ وَضَرَّتُهَا مُركَّنَةٌ دَرُورُ وَتَعْلُوهَا ٱلْكِبَاشُ فَمَا تَنُورُ

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ ٱلْمَلْكِ عَمْرٍو مِنَ ٱلرَّمِرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا يُشَارِكُنَا لَنَا رِخْلَانِ فِيهَا

⁽١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ١٠١ ـ ١٠٣) .

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ ٱبْنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نُوكُ كَثِيرُ قَسَمْتَ ٱلدَّهْرَ فِي زَمَنٍ رَخِيٍ كَذَاكَ ٱلْحُكْمُ يُقْصَدُ أَوْ يَجُورُ لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرَوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ ٱلْبَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ لَلْبَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ فَيَا يَوْمُ هُنَ فَيَوْمُ سُوءٍ يُطَارِدُهُنَّ بِٱلْحَدَبِ ٱلصُّقُورُ وَأَمَّا يَوْمُ نَا فَنَظُلُ رَكْباً وُقُوفاً مَا نَحُلُّ وَلَا نَسِيرُ وَأُمَّا يَوْمُنَا فَنَظَلُ رَكْباً وُقُوفاً مَا نَحُلُّ وَلَا نَسِيرُ

وكانَ طرفةُ عدوًا لابنِ عمِّهِ عبدِ عمرو ، وكانَ كريماً على عمرو ابن هندٍ ، وكانَ سميناً بادناً ، فدخلَ معَ عمرو الحمَّامَ ، فلمَّا تَجرَّدَ . . قالَ عمرُو النُ سميناً بادناً ، فدخلَ معَ عمرو الحمَّامَ ، فلمَّا تَجرَّدَ . . قالَ عمرُو ابنُ هندٍ : لقد كانَ ابنُ عمِّكَ طرفةُ رآكَ حينَ قالَ ما قالَ ، وكانَ طرفةُ هجا عبدَ عمرو فقالَ (۱) :

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غِنى وَأَنَّ لَهُ كَشْحاً إِذَا قَامَ أَهْضَمَا تَظَلُّ نِسَاءُ ٱلْحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ يَقُلْنَ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةِ مَلْهَمَا لَهُ شَرْبَتَانِ بِٱلْعَشِيِّ وَشَرْبَةٌ مِنْ ٱللَّيْلِ حَتَّىٰ آضَ جَبْساً مُورَّمَا وَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَعْمِرَ ٱلْمَحْضُ قَلْبَهُ فَإِنْ أَعْطَهُ أَتْرُكُ لِقَلْبِي مَحْثَمَا وَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَعْمِرَ ٱلْمَحْضُ قَلْبَهُ فَإِنْ أَعْطَهُ أَتْرُكُ لِقَلْبِي مَحْثَمَا

فلمَّا قالَ لهُ ذلك . . قالَ عبدُ عمرِو : إنَّهُ قالَ ما قالَ ، وأنشدَهُ : (فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عمرٍو) ، فقالَ عمرُو : ما أُصَدِّقُكَ عليهِ ، وقد صَدَّقَهُ ، ولكنْ خافَ أن ينذرَهُ وتدركَهُ الرحمةُ ، فمكثَ غيرَ كثيرٍ ، ثمَّ دعا المُتلمِّسَ وطرفةَ ، فقالَ : لعلَّكُما قدِ اشتقتُما إلى أهلِكُما ، وسَرَّكُما أن تنصرفا ؟ قالا : نعم ، فكتبَ لهُما إلى أبي كربٍ عاملِهِ على هجرٍ أن يَقتلَهُما ، وأخبرَهُما أنّهُ قد كتبَ لهُما بحباءٍ ومعروفٍ ، وأعطى كلَّ واحدٍ منهُما شيئًا ، فخرجا .

وكانَ المُتلمِّسُ قد أسنَّ ، فمرَّا بنهرِ الجِيرةِ على غلمانٍ يلعبونَ ، فقالَ

⁽۱) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٩٩ _ ١٠٠) .

المُتلمِّسُ: هل لكَ في كتابينا ، فإن كانَ فيهِما خيرٌ . . مضينا لهُ ، وإن كانَ شرُّ . . اتقيناهُ ، فأبئ طرفةُ عليهِ ، فأعطى المُتلمِّسُ كتابَهُ بعضَ الغلمانِ ، فقرأَهُ عليهِ ، فإذا فيهِ السوءةُ ، فألقىٰ كتابَهُ في الماءِ ، وقالَ لطرفةَ : أطعْني وألقِ كتابَكُ ، فأبى طرفةُ ومضىٰ بكتابِهِ ، قالَ : ومضى المُتلمِّسُ حتىٰ لحقَ بملوكِ بني جفنةَ بالشام ، وقالَ المُتلمِّسُ في ذلكَ : [من الكامل]

مَنْ مُبْلِغُ ٱلشَّعَرَاءِ عَنْ أَحَوَيْهِمِ نَبَأً فَتَصْدُقَهُمْ بِذَاكَ ٱلْأَنْفُسُ أَوْدَى ٱلَّذِي عَلِقَ ٱلصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ ٱلْمُتَلَمِّسُ أَوْدَى ٱلَّذِي عَلِقَ ٱلصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا وَخَنَاءُ مُجْمَرَةُ ٱلْمَنَاسِمِ عِرْمِسُ أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتُ كُورَهُ وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ ٱلْمَنَاسِمِ عِرْمِسُ عَيْرَانَةٌ طَبَحَ ٱلْهَوَاجِرُ لَحْمَهَا فَكَأَنَّ نُقْبَتَهَا أَدِيمٌ أَمْلَسُ عَيْرَانَةٌ طَبَحَ ٱلْهَوَاجِرُ لَحْمَهَا فَكَأَنَّ نُقْبَتَهَا أَدِيمٌ أَمْلَسُ أَلْقِ السَّعَ الْحَبَاءِ ٱلنِقْرِسُ أَلْقِ ٱللَّهِ اللَّهُ اللْعُلِيْكُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَ

ومضى طرفةُ بكتابِهِ إلى العاملِ ، فقتلَهُ .

وروى عبيدٌ راويةُ الأعشى قالَ: حدَّثَني الأعشى قالَ: حدَّثَني المُتلمِّسُ وروى عبيدٌ راويةُ الأعشى قالَ: قدمتُ أنا وطرفةُ بنُ العبدِ على عمرِو ابنِ هندٍ ، وكانَ طرفةُ غلاماً مُعجَباً تائهاً ، فجعلَ يتخلَّجُ في مشيهِ بينَ يدَيهِ ، فنظرَ إليهِ نظرةً كادَتْ تَقتلعُهُ مِنْ مجلسِهِ ، وكانَ عمرُو لا يَتبسَّمُ ولا يضحكُ ، وكانَ عمرُو لا يَتبسَّمُ ولا يضحكُ ، وكانَ تِ العربُ تُسمِّيهِ : مُضَرِّطَ الحجارةِ ؛ لشدَّةِ ملكِهِ ، وملكَ يضحكُ ، وخمسينَ سنةً .

وكانَتِ العربُ تهابُهُ هيبةً شديدةً ، وهوَ الذي يقولُ لهُ الذهابُ العجليُّ ؟ واسمُهُ مالكُ بنُ جندلِ بنِ سلمةَ ، من بني عجلٍ ، ولُقِّبَ بالذهابِ لقولِهِ : [من الطويل]

وَمَا سَيْرُهُنَّ إِذْ عَلَوْنَ قُرَاقِراً بِنِي أَمَمٍ وَلَا ٱلنَّاهَابُ ذَهَابُ

[قالَ] :

[من الطويل]

أَبَى ٱلْقَلْبُ أَنْ يَأْتِي ٱلسَّدِيرَ وَأَهْلَهُ وَإِنْ قِيلَ عَيْشٌ بِٱلسَّدِيرِ غَرِيرُ بِيرُ بِ السَّدِيرِ غَرِيرُ بِيرُ الْبَقُ وَٱلْبُ مَّى وَأُسْدُ خَفِيَّةٌ وَعَمْرُو ٱبْنُ هِنْدٍ يَعْتَدِي وَيَجُورُ

قالَ المُتلمِّسُ: فقلتُ لطرفةَ حينَ قمنا: يا طرفةُ ؛ إنِّي أخافُ عليكَ مِنْ نظرتِهِ إليكَ معَ ما قلتَ لأخيهِ ، قالَ : كلَّ ، قالَ : فكتبَ إلى المُكعبرِ وكانَ عاملَهُ على البحرينِ وعُمانَ لي كتاباً ولطرفةَ كتاباً ، فخرجنا ، حتىٰ إذا هبطنا بذي الركابِ مِنَ النجفِ . . إذا أنا بشيخٍ عن يساري يَتبرَّزُ ومعَهُ إذا هبطنا بذي الركابِ مِنَ النجفِ . . إذا أنا بشيخٍ عن يساري يَتبرَّزُ ومعَهُ كِسرةٌ يأكلُها ويقصعُ القملَ ، فقلتُ : تاللهِ إن رأيتُ شيخاً أحمقَ وأضعفَ وأقلَّ عقلاً منكَ !! قالَ : ما تنكرُ ؟ قلتُ : تَتبرَّزُ وتأكلُ وتقصعُ القملَ !! قالَ : أخرِجُ خبيثاً ، وأُدخِلُ طيِّباً ، وأقتلُ عدواً ، وأحمقُ منِّي وألأمُ حاملُ حتفِهِ بيمينِهِ لا يدري ما فيهِ ، فنبَّهني ، وكأنَّما كنتُ نائماً ، فإذا أنا بغلامٍ مِنْ أهلِ الحِيرةِ يسقي غُنيمةً لهُ مِنْ نهرِ الحِيرةِ ، فقلتُ : يا غلامُ ؛ أتقرأُ ؟ قالَ : نعم ، قلتُ : اقرأ ، فإذا فيهِ : باسمِكَ اللهمَّ ، مِنْ عمرو ابنِ هندٍ ، إلى المُكعبرِ ، إذا ألكَ كتابي هاذا معَ المُتلمِّسِ . . فاقطعْ يدَيهِ ورجليهِ ، وادفنْهُ حَيّاً ، فألقيتُ الصَّحيفةَ في النهرِ ، وذلكَ حينَ أقولُ (١٠) :

أَلْقَيْتُهَا بِٱلثِّنْيِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَٰلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلِّلِ رَضِيتُ لَهَا لَمَّا رَأَيْتُ مِدَادَهَا يَجُولُ بِهِ ٱلتَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلِ

وقلتُ : يا طرفةُ ؛ معَكَ واللهِ مثلُها ، قالَ : كلًّا ، ما كانَ ليكتبَ بمثلِ ذلكَ في عقرِ دارِ قومي ، فأتى المكعبرَ ، فقطعَ يدّيهِ ورجلَيهِ ، ودفنَهُ حيّاً .

يُضرَبُ لمَنْ يسعى بنفسِهِ في حَيْنِها ويُغرِّرُها (٢).

⁽١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ٦٥ ـ ٦٧) .

⁽Y) انظر « مجمع الأمثال » (۲۲۷/۲ _ ۲۷۰) .

طالَ الأبدُ علىٰ لُبَدٍ

يعنونَ: آخرَ نسورِ لقمانِ بنِ عادٍ ، وكانَ قد عُمِّرَ عُمُرَ سبعةِ أنسرٍ ، وكانَ يعنونَ : آخرَ نسورِ فيجعلُهُ في جوبةٍ في الجبلِ الذي هوَ في أصلِهِ ، فيعيشُ الفرخُ خمسَ مئةِ سنةٍ أو أقلَّ أو أكثرَ ، فإذا ماتَ . . أخذَ آخرَ مكانَهُ ، حتى هلكَتْ كلُّها إلَّا السابعَ ، أخذَهُ فوضعَهُ في ذلكَ الموضعِ وسمَّاهُ [لبداً] ، وكانَ أطولَها عُمُراً ، فضربَتِ العربُ بهِ المثلَ ، فقالوا : طالَ الأبدُ على لُبدٍ ، قالَ الأعشى :

وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَلْهَيْتَ قَيْلاً بِكَاسِهِ وَلُقْمَانَ إِذْ خَيَّرْتَ لُقْمَانَ فِي ٱلْعُمْرِ لِنَفْسِكَ أَنْ تَخْتَارَ سَبْعَةَ أَنْسُرٍ إِذَا مَا مَضَىٰ نَسْرٌ خَلَوْتَ إِلَىٰ نَسْرِ فَعُرِّتَ لَعْمُونَ إِلَىٰ نَسْرِ فَعُرِّ رَحَتَّىٰ خَالَ أَنَّ نُسُورَهُ خُلُودٌ وَهَلْ تَبْقَى ٱلنَّفُوسُ عَلَى ٱلدَّهْرِ

فعاشَ لقمانُ _ زعموا _ ثلاثةَ آلافٍ وخمسَ مئةِ سنةٍ ، قالَ النابغةُ (١) :

أَخْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَىٰ عَلَىٰ لُبَدِ

وقالَ ليدُ (٢):

وَلَقَدْ جَرَىٰ لُبَدُ فَأَدْرَكَ جَرْيَهُ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَكَانَ غَيْرَ مُثَقَّلِ لَكَ اللَّهَ وَكَانَ غَيْرَ مُثَقَّلِ لَكَ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَادِمَ كَٱلْفَقِيرِ ٱلْأَعْزَلِ لَمَّا رَأَىٰ لُبَدُ ٱلنَّهُ مَانُ أَلَّا يَأْتَلِي مِنْ تَحْتِهِ لُقْمَانُ يَرْجُو نَهْضَهُ وَلَقَدْ يَرَىٰ لُقْمَانُ أَلَّا يَأْتَلِي

قالَ أبو عبيدةً : هوَ لقمانُ بنُ عاديا بنِ لجينِ بنِ عادِ بنِ عوصِ بنِ إرمَ بنِ

⁽١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٦) ، وهو عجز بيت ، والبيت بتمامه : أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَىٰ أَهْلُهَا ٱحْتَمَلُوا الْخَنَىٰ عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَىٰ عَلَىٰ لُبَدِ

⁽٢) انظر « ديوان لبيد » رضى الله عنه (ص ٢٧٤ _ ٢٧٥) .

سامِ بنِ نوحٍ ، كأنَّهُ جعلَ عادياً وعاداً اسمَيْ رجلٍ ، والعربُ تزعمُ أنَّ لقمانَ خُيِّرَ بينَ بقاءِ سبعِ بعراتٍ سُمْرٍ مِنْ أظبٍ عُفْرٍ في جبلٍ وعرٍ لا يمسُّها القطرُ ، وبينَ بقاءِ سبعةِ أنسرٍ ، كلّما هلكَ نسرٌ . . خلفَ بعدَهُ نسرٌ ، فاستحقرَ الأبعارَ ، واختارَ النسورَ ، فلمَّا لم يبقَ غيرُ السابعِ . . قالَ ابنُ أخٍ لهُ : يا عمُّ ؛ ما بقيَ مِنْ عمرِكَ إلّا عمرُ هاذا ، فقالَ لقمانُ : هاذا لُبدٌ ولبدٌ بلسانِهِم : الدَّهرُ ، فلمَّا انقضىٰ عمرُ لُبدٍ . . رآهُ لقمانُ واقعاً ، فناداهُ : انهضْ لُبدُ ، فذهبَ لينهضَ فلم يستطعْ ، فسقطَ وماتَ ، وماتَ لقمانُ معَهُ ، فضُرِبَ بهِ المثلُ ، فقيلَ : طالَ الأبدُ علىٰ لبدٍ ، وأتىٰ أبدُ علىٰ لبدٍ (١) .

أظنُّ ماءَكُم هاذا ماءَ عِناقٍ

قالوا: كانَ مِنْ حديثِهِ: أنَّ رجلاً بينا هوَ يستقي وبيتُهُ تِلقاءَ وجهِهِ، فنظرَ فإذا هوَ برجلِ معانقِ امرأتَهُ يُقبِّلُها، فأخذَ العصا وأقبلَ مسرعاً لا يَشُكُّ فيما رأى ، فلمَّا رأتُهُ امرأتُهُ . . جعلَتِ الرجلَ في خالفةِ البيتِ بينَ الخالفةِ والمتاعِ ، فنظرَ يميناً وشمالاً فلم يرَ شيئاً ، وخرجَ فنظرَ في الأرضِ فلم يرَ شيئاً ، فكذَّب بصرَهُ ، فقالَتِ المرأةُ كأنَها تريهِ أنَّها قدِ استنكرَتْ مِنْ أمرِهِ شيئاً : ما دهاكَ يا أبا فلانٍ ؟ أرعبَكَ شيءٌ ؟ فكتمَها الذي رأى ، ومضى لحاجتِهِ .

فلمّا كانَ في الوردِ الثاني . . قالَتْ : يا أبا فلانِ ؛ هل لكَ أن أكفيَكَ السَّقيَ وتُودِّعَ اليومَ ؟ فإنِّي قد أشفقتُ عليكَ ، قالَ : نعم ، إن شئتِ ، فأقامَ في المنزلِ ، فانطلقَتْ تسقي وتَحَيَّنَتْ منهُ غفلةً ، فأخذَتِ العصا ثمّ أقبلَتْ حتى تفلقَ بها رأسَهُ فشَجَّتُهُ ، فقالَ : ويلَكِ !! ما لكِ وما دهاكِ ؟! قالَتْ : وما دهاني يا فاسقُ ، أينَ المرأةُ التي كانَتْ معَكَ تعانقُها ؟! فقالَ : لا واللهِ ما كانَتْ عندي امرأةٌ وما عانقتُ اليومَ امرأةً ، قالَتْ : بليٰ ، أنا نظرتُ إليها ما كانَتْ عندي امرأةٌ وما عانقتُ اليومَ امرأةً ، قالَتْ : بليٰ ، أنا نظرتُ إليها

بعيني وأنا على الماءِ ، فتحالفَها ، فلمَّا أكثرَتْ . . قالَ : إن تكوني صادقةً . . فإنَّ ماءَكُم هلذا ماءُ عِناقِ .

يُضرَبُ مثلاً في الدواهي ، قالَهُ أبو عمرو ، وروى غيره : عَناقٌ بفتحِ العينِ ، وقالَ : العَناقُ والعَناقة : الخَيبة ، وأنشدَ :

سَرَىٰ لَكَ بِٱلْعَنَاقَةِ مِنْ سُعَادٍ خَيَالٌ فَٱجْتَنَىٰ ثَمَرَ ٱلْفُوَادِ

وهُما مستعارانِ للخيبةِ والأمرِ المظلمِ ؛ مِنْ عَناقِ الأرضِ ، ومنهُ قولُهُم : لقيتُ منهُ أُذنَىْ عَناقِ ؛ لأنَّهُما مسودانِ ، ولا يفارقُهُما السوادُ (١) .

عندَ الصباح يَحمَدُ القومُ السُّرَىٰ

قالَ المُفضَّلُ: إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذلكَ: خالدُ بنُ الوليدِ ؛ لمَّا بعثَ إليهِ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما وهوَ باليمامةِ : أن سِرْ إلى العراقِ ، فأرادَ سلوكَ المفازةِ ، فقالَ لهُ رافعٌ الطائيُّ : قد سلكتُها في الجاهليةِ ؛ هيَ خمسٌ للإبلِ الواردةِ ، ولا أظنُّكَ تَقدِرُ عليها إلَّا أن تَحمِلَ مِنَ الماءِ ، فاشترىٰ مئةَ شارفٍ ، فعَطَّشَها ، ثمَّ سقاها الماءَ حتىٰ رَوِيَتْ ، ثمَّ كتبَها وكعمَ أفواهَها ، ثمَّ سلكَ المفازةَ ، حتىٰ إذا مضىٰ يومانِ وخافَ العطشَ على الناسِ والخيلِ ، وخشيَ أن يذهبَ ما في بطونِ الإبلِ . . نحرَ الإبلَ ، واستخرجَ ما في بطونِها مِنَ الماءِ فسقى الناسَ والخيلَ ، ومضىٰ .

فلمَّا كانَ في الليلةِ الرابعةِ . . قالَ رافعٌ : انظروا هل ترون سدراً عظيماً ؟ فإن رأيتمُوها ، وإلَّا . . فهوَ الهلاكُ ، فنظرَ الناسُ ، فرأَوُا السدرَ ، فأخبروهُ ، فكَبَّرَ وكَبَّرَ الناسُ ، ثم هجموا على الماءِ ، فقالَ خالدٌ : [من مشطور الرجز]

لِللهِ دَرُّ رَافِ عِ أَنَّى ٱهْ تَ دَي

⁽١) في هامش نسخة الأصل : (عناق الأرض : دابة سوداء) ، وانظر « مجمع الأمثال » (٣٥٧/٢ ـ ٣٥٨) .

فَ وَ وَ مِ نَ قُ رَاقِ رِ إِلَ عَ سُوَىٰ فَ مَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى مَا سَارَهَا مِنْ قَبْلِهِ إِنْ سُنْ يُرَىٰ مَا سَارَهَا مِنْ قَبْلِهِ إِنْ سُنْ يُرَىٰ عَالَى اللَّهِ اللَّهُ وَمُ السَّرَىٰ عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ اللَّهُ وَمُ السَّرَىٰ وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غَيَابَاتُ الْكَرَىٰ وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غَيَابَاتُ الْكَرَىٰ يُصْرَبُ للرجلِ يَحتمِلُ المَشْقَّةَ رجاءَ الراحةِ (۱).

عندَ جُهَينةَ الخبرُ اليقينُ

قالَ هشامُ بنُ الكلبيّ : كانَ مِنْ حديثِهِ : أنَّ حصينَ بنَ عمرِو بنِ معاويةً بنِ كلابٍ خرجَ ومعَهُ رجلٌ مِنْ جُهَينةً يُقالُ لهُ : الأخنسُ بنُ كعبٍ ، وكانَ الأخنسُ قد أحدثَ في قومِهِ حدثاً ، فخرجَ هارباً ، فلقيَهُ الحصينُ ، فقالَ لهُ : مَنْ أنتَ ثكلَتْكَ أُمُّكَ ؟ فقالَ لهُ الأخنسُ : بل مَنْ أنتَ ثكلَتْكَ أُمُّكَ ؟ فردَّدَ هذا القولَ حتى قالَ الأخنسُ : أنا الأخنسُ بنُ كعبٍ ، فأخبرْني مَنْ أنتَ ، وإلَّ . . أنفذتُ قلبَكَ بهاذا السِّنانِ ، فقالَ لهُ الحصينُ : أنا الحصينُ بنُ عمرٍ و وإلَّ . . أنفذتُ قلبَكَ بهاذا السِّنانِ ، فقالَ لهُ الحصينُ : أنا الحصينُ بنُ عمرٍ و فما الذي تريدُ ؟ قالَ : خرجتُ لما يخرجُ لهُ الفتيانُ ، قالَ الأخنسُ : وأنا خرجتُ لما يخرجُ لهُ الفتيانُ ، قالَ الأخنسُ : وأنا خرجتُ لمثلِ ذلكَ ، فقالَ لهُ الحصينُ : هل لكَ أن نتعاقدَ ألَّا نلتقيَ أحداً مِنْ عشرتِكَ أو عشيرتي إلَّا سلبناهُ ؟ قالَ : نعم ، فتعاقدا علىٰ ذلكَ ، وكلاهُما فاتكُ يَحذَرُ صاحبَهُ .

فلقيا رجلاً ، فسلباهُ ، فقالَ لهُما : هل لكما أن تردًّا عليَّ بعضَ ما أخذتُما

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٣٦٩/٢ _ ٣٧٠) .

منِّي وأدلُّكُما على مغنم ؟ قالا: نعم ، فقالَ: هاذا رجلٌ مِنْ لخم قد قدمَ مِنْ عندِ بعضِ الملوكِ بمغنم كثيرٍ ، وهوَ خلفي في موضع كذا وكذا ، فردًّا عليهِ بعض مالِهِ وطلبا اللخميّ ، فوجداهُ نازلاً في ظلِّ شجرةٍ وقدامَهُ طعامٌ وشرابٌ ، فحيياهُ وحيًّاهُما ، وعَرَضَ عليهِما الطعامَ ، فكرهَ كلُّ واحدٍ أن ينزلَ قبلَ صاحبِهِ فيفتكَ بهِ ، فنزلا جميعاً ، فأكلا وشربا مع اللخميّ .

ثمَّ إنَّ الأخنسَ ذهبَ لبعضِ شأنِهِ ، فرجعَ واللخميُّ يَتشحَّطُ في دمِهِ ، فقالَ الجهنيُّ _ وهوَ الأخنسُ _ وسلَّ سيفَهُ ؛ لأنَّ سيفَ صاحبِهِ كانَ مسلولاً : ويحَكَ ويحَكَ !! فتكتَ برجلٍ قد تحرَّمْنا بطعامِهِ وشرابِهِ ، فقالَ : اقعدْ يا أخا جُهَينةَ ، فلهاذا وشبههِ خرجنا ، فشربا ساعةً وتحدَّثا .

ثم إن الحصين قال : يا أخا جُهينة ؛ أتدري ما [صعلة وما صَعْلٌ] ؟ قالَ الجهنيّ الجهنيّ : هاذا يوم شربٍ وأكلٍ ، فسكت الحصين ، حتى إذا ظنّ أنّ الجهنيّ قد نسي ما يُرادُ بهِ . . قال : يا أخا جهينة : هل أنت للطيرِ زاجرٌ ، قال : وما ذاك ؟ قال : ما تقولُ هاذهِ العُقابُ الكاسرُ ، قالَ الجهنيُّ : وأينَ تراها ؟ قال : هي ذِهِ ، وتطاولَ ورفعَ رأسَهُ إلى السماءِ ، فوضعَ الجهنيُّ بادرة السيفِ في نحرِهِ فقالَ : أنا الزاجرُ والناحرُ ، واحتوىٰ علىٰ متاعِهِ ومتاعِ اللخميّ ، وانصرفَ راجعاً إلىٰ قومِهِ .

فمرَّ ببطنينِ مِنْ قيسٍ يُقالُ لهُما: مراحٌ وأنمارٌ ، فإذا هوَ بامرأةٍ تَنشُدُ الحصينِ ، الحصينَ بنَ سبيع ، فقالَ لها: مَنْ أنتِ ؟ قالَتْ: أنا صخرةُ امرأةُ الحصينِ ، قالَ : أنا قتلتُهُ ، فقالَتْ كذبتَ ، ما مثلُكَ يقتلُ مثلَهُ ، أَمَا لو لم يكنِ الحيُّ قالَ : أنا قتلتُهُ ، فقالَتْ كذبتَ ، ما مثلُكَ يقتلُ مثلَهُ ، أَمَا لو لم يكنِ الحيُّ خلواً . ما تكلَّمتَ بهاذا ، فانصرفَ إلىٰ قومِهِ ، فأصلحَ أمرَهُم ، ثمَّ جاءَهُم فوقفَ حيث يُسمِعُهُم وقالَ :

وَكَمْ مِنْ ضَيْغَمٍ وَرْدٍ هَمُوسٍ أَبِي شِبْلَيْنِ مَسْكَنُهُ ٱلْعَرِينُ

فَأَضْحَىٰ فِي ٱلْفَلَاةِ لَهُ سُكُونُ الْعَيْدَ [هُدُوءِ لَيْلَتِهَا رَنِينُ] الْعَيْدِ أَهُ سُكُونُ إِذَا شَخَصَتْ لِمَوْقِعِهِ ٱلْعُيُونُ وَأَنْمَارٍ وَعِلْمُهُمَا ظُنُونُ وَأَنْمَارٍ وَعِلْمُهُمَا ظُنُونُ وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ لِصَاحِبِهِ ٱلْبَيَانُ ٱلْمُسْتَبِينُ لِصَاحِبِهِ ٱلْبَيَانُ ٱلْمُسْتَبِينُ لِمَا يَهُونُوا إِذَا طَلَبُوا ٱلْمَعَالِي لَمْ يَهُونُوا إِذَا طَلَبُوا ٱلْمَعَالِي لَمْ يَهُونُوا

عَلَوْتُ بَيَاضَ مَفْرِقِهِ بِعَضْبِ وَأَضْحَتْ عِرْسُهُ وَلَهَا عَلَيْهِ وَكَمْ مِنْ فَارِسٍ لَا تَزْدَرِيهِ كَصَخْرَةَ إِذْ تُسَائِلُ فِي مَرَاحٍ تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنِ كُلَّ رَكْبٍ فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنْهُ فَعِنْدِي جُهَيْنَةُ مَعْشَري وَهُمُ مُلُوكُ

قالَ الأصمعيُّ وابنُ الأعرابيِّ : هوَ جُفينةُ بالفاءِ ، وكانَ عندَهُ خبرُ رجلٍ مقتولٍ ، وفيهِ يقولُ الشاعرُ : [من الوافر]

تُسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا كُلَّ رَكْبٍ وَعِنْدَ جُفَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ

قالَ: فسألوا جفينة ، فأخبرَ هُم خبرَ القتيلِ ، وقالَ بعضُهُم: هوَ حُفينةُ بالحاءِ المهملةِ .

يُضرَبُ في معرفةِ الشيءِ حقيقةً (١).

العاشيةُ تُهَيِّجُ الآبيةَ

يُقالُ: عشوتُ في معنىٰ تَعشَّيتُ ، وغدوتُ في معنىٰ تَغدَّيتُ ، ورجلٌ عشيانُ ؛ أي: مُتعشِّ ، وقالَ ابنُ السكيتِ : عَشِيَ الرجلُ ، وَعَشِيَتِ الإبلُ تَعشَىٰ عشى ؛ إذا تَعشَّتْ ، قالَ أبو النجمِ (٢): [من مشطور الرجز]

يَعْشَىٰ إِذَا أَظْلَمَ عَنْ عَشَائِهِ

^{. (} $\Upsilon V T = \Upsilon V \cdot / \Upsilon$) ($\Upsilon V T = \Upsilon V \cdot / \Upsilon$) .

⁽Y) انظر « ديوان أبي النجم العجلي » (ص ٦٧) .

يقولُ: يَتعشَّىٰ وقتَ الظلمةِ ، قالَ المُفضَّلُ: خرجَ السليكُ بنُ السلكةِ ، واسمُهُ الحارثُ بنُ عمرِ وبنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم ، وكانَ أنكرَ العربِ وأشعرَهُم ، وكانَتُ أُمُّهُ أَمَةً سوداءَ ، وكانَ يُدعىٰ سليكَ المقانبِ ، وكانَ أدلَّ الناسِ وكانَتُ أُمُّهُ أَمَةً سوداءَ ، وكانَ يُدعىٰ سليكَ المقانبِ ، وكانَ يقولُ : اللهمَّ ؛ إنَّكَ بالأرضِ ، وأعداهُم علىٰ رجلِهِ ، لا تعلقُ بهِ الخيلُ ، وكانَ يقولُ : اللهمَّ ؛ إنَّكَ تُهيِّئُ ما شئتَ لِمَا شئتَ إذا شئتَ ، إنِّي لو كنتُ ضعيفاً . لكنتُ عبداً ، ولو كنتُ امرأةً . لكنتُ أمَةً ، اللهمَّ ؛ إني أعوذُ بكَ مِنَ الخيبةِ ، فأمَّا الهيبةُ . . فلا هيبةَ ؛ أي : لا أهابُ أحداً .

زعموا أنّهُ خرجَ يريدُ أن يغيرَ في ناسٍ مِنْ أصحابِهِ ، فمرّ على بني شيبانَ في ربيعٍ والناسُ مُخصِبونَ في عشيَّةٍ فيها ضبابٌ ومطرٌ ، فإذا هو ببيتٍ قدِ انفردَ مِنَ البيوتِ عظيمٍ وقد أمسىٰ ، فقالَ لأصحابِهِ : كونوا بمكانِ كذا وكذا حتىٰ آتي هاذا البيتَ ، فلعلِّي أصيبُ خيراً أو آتيكم بطعامٍ ، فقالوا لهُ : افعلْ ، فانطلقَ إليهِ ، وجَنَّ عليهِ الليلُ ، فإذا البيتُ بيتُ يزيدَ بنِ رويمٍ الشيبانيِّ ، وإذا الشيخُ وامرأتُهُ بفِناءِ البيتِ ، فاحتالَ سليكُ حتىٰ دخلَ البيتَ مِنْ مُؤخرِهِ ، فلم يلبثُ أن أراحَ ابنُ الشيخِ بإبلِهِ في الليلِ ، فلمًا رآهُ الشيخُ . . غضبَ وقالَ : يلبثُ أن أراحَ ابنُ الشيخِ عابلِهِ في الليلِ ، فلمًا رآهُ الشيخُ . . غضبَ وقالَ يزيدُ : إنَّها أبتِ العشاءَ ، فقالَ يزيدُ : إنَّ العاشيةَ [تهيّجُ] الآبيةَ ، فأرسلَها مثلاً .

ثمَّ نفضَ الشيخُ ثوبَهُ في وجهِها ، فرجعَتْ إلى مراتعِها ، وتبعَها الشيخُ حتى مالَتْ لأدنى روضةٍ ، فرتعَتْ فيها ، وقعدَ الشيخُ عندَها يَتعشَّىٰ وقد خنسَ وجهَهُ في ثوبِهِ مِنَ البردِ ، وتبعَهُ السليكُ [حينَ] رآهُ انطلقَ ، فلمَّا رآهُ مُغترًا . . ضربَهُ مِنْ ورائِهِ بالسيفِ ، فأطارَ رأسَهُ ، وأطردَ إبلَهُ ، وقد بقي أصحابُ السليكِ وقد ساءَ ظنَّهُم وخافوا عليه ، فإذا بهِ يطردُ الإبلَ فأطردُوها معَهُ ، فقالَ سليكِ في ذلك :

وَعَاشِيَةٍ [رُخٍّ] بِطَانٍ ذَعَرْتُهَا بِصَوْتِ قَتِيلٍ وَسْطَهَا يَتَسَيَّفُ

أي: يُضرَبُ بالسيفِ.

كَأَنَّ عَلَيْهِ لَوْنَ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ إِذَا مَا أَتَاهُ صَارِخٌ مُتَلَهِ فُ يَالَةً فَ يَرِيدُ بقولِهِ : (لونَ بردٍ مُحبَّرٍ) : طرائقَ الدمِ على القتيلِ ، وبالصارخِ : الباكيَ المُتحزِّنَ لهُ .

فَبَاتَ لَهَا أَهْلٌ خَلاَءٌ فِنَاؤُهُمْ وَمَرَّتْ بِهِمْ طَيْرٌ فَلَمْ يَتَعَيَّفُوا أي: لم يزجروا الطيرَ فيعلموا مِنْ جملتِها: أَيُقتَلُ هاذا أَو يَسلَمُ.

وَبَاتُوا يَظُنُّونَ ٱلظُّنُونَ وَصُحْبَتِي إِذَا مَا عَلَوْا نَشْزاً أَهَلُّوا وَأَوْجَفُوا أَي غَلَوْا نَشْزاً أَهَلُّوا وَأَوْجَفُوا أي : حملوها على الوجيفِ ؛ وهو ضربٌ مِنَ السير .

وَمَا نِلْتُهَا حَتَّىٰ تَصَعْلَكْتُ حِقْبَةً وَكِدْتُ لِأَسْبِابِ ٱلْمَنِيَّةِ أَعْرِفُ أي: أصبرُ.

وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ ٱلْجُوعَ بِٱلصَّيْفِ ضَرَّنِي إِذَا قُمْتُ يَغْشَانِي ظِلَالٌ فَأَسْدِفُ

خصَّ الصيفَ دونَ الشتاءِ ؛ لأنَّ بالصيفِ لا يكادُ يجوعُ أحدٌ ؛ لكثرةِ اللبنِ ، فإذا جاعَ هوَ . . دلَّ على أنَّهُ كانَ لا يملكُ شيئًا ، وقولُهُ : (أسدفُ) يريدُ : أدورُ فأدخلُ في السدفةِ ؛ وهيَ الظلمةُ ؛ يعني : يظلمُ بصري مِنْ شدةِ الجوع .

يُقالُ: إنَّهُ كَانَ افتقرَ حتىٰ لم يبقَ عندَهُ شيءٌ ، فخرجَ على رجلَيهِ رجاءَ أن يصيبَ غرةً مِنْ بعضِ مَنْ يمرُّ عليهِ فيذهبَ بإبلِهِ ، حتىٰ إذا أمسىٰ في ليلةٍ مِنْ ليالي الشتاء باردةٍ مقمرةٍ . . اشتملَ الصَّمَّاءَ ؛ وهوَ أن يَرُدَّ فضلَ ثوبِهِ علىٰ عضدِهِ اليمنىٰ ثمَّ ينامَ عليها ، فبينا هوَ نائمٌ . . إذ جثمَ عليهِ رجلٌ ، فقالَ لهُ : استأسرْ ، فرفعَ سليكٌ رأسهُ وقالَ : الليلُ طويلٌ وأنتَ مقمرٌ ، فذهبَ قولُهُ مثلاً ، ثمَّ جعلَ الرجلُ يلهزُهُ ويقولُ : يا خبيثُ ؛ استأسرْ ، فلمَّا آذاهُ . . أخرجَ مثلاً ، ثمَّ جعلَ الرجلُ يلهزُهُ ويقولُ : يا خبيثُ ؛ استأسرْ ، فلمَّا آذاهُ . . أخرجَ

سليكٌ يدَهُ فضمَّ الرجلَ ضمَّةً ضرطَ منها ، فقالَ : أضرطاً وأنتَ الأعلىٰ ؟ فذهبَتْ مثلاً ، وقد ذكرتُهُ في بابِ الضادِ .

ثمَّ قالَ لهُ سليكُ : مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : أنا رجلٌ افتقرتُ ، فقلتُ لأخرجَنَّ فلا أرجعُ حتى أستغنيَ ، قالَ : فانطلقْ معي ، فانطلقا ، حتى وجدا رجلاً قصتُهُ مثلُ قصتِهِما ، فاصطحبوا جميعاً ، حتى أتوا الجوف جوف مرادِ الذي باليمنِ ، إذا نَعَمٌ قد ملاً كلَّ شيءٍ مِنْ كثرتِهِ ، فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقُهُم الحيُّ ، فقالَ لهُما سليكُ : كونا قريباً حتى آتي الرعاءَ ، فأعلمَ لكما علمَ الحيِّ أقريبُ هم أم بعيدٌ ، فإن كانوا قريباً . . رجعتُ إليكما ، وإن كانوا بعيداً . . قلتُ لكما قولاً أجيءُ بهِ لكما فأغيرا .

فانطلقَ ، حتى أتى الرعاءَ فلم يزلْ يَتسقَّطُهُم حتى أخبروهُ بمكانِ الحيِّ ، فإذا هم بعيدٌ ، إن طلبوا . لم يدركوا ، فقالَ السليكُ : ألا أُغنِيكُم ؟ قالوا : بلى ، فتغنَّىٰ بأعلىٰ صوتِهِ :

يَا صَاحِبَيَّ أَلَا لَا حَيَّ بِٱلْوَادِي إِلَّا عَبِيدٌ وَآمٍ بَيْنَ أَذْوَادِ أَا صَاحِبَيَّ أَلَا لَا حَيَّ بِٱلْوَادِي أَمُّ تَغْدُوَانِ فَإِنَّ ٱلرِّيحَ لِلْغَادِي أَتُنْظِرَانِي قَلِيلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَمْ تَغْدُوَانِ فَإِنَّ ٱلرِّيحَ لِلْغَادِي

الوآمُ: الوفاقُ والمباهاةُ (١) ، فلمَّا سمعا ذلكَ . . أتياهُ ، فأطردوا الإبلَ ، فذهبوا بها ، ولمْ يبلغ الصريخُ الحيَّ حتى مضَوْا بما معَهُم (٢) .

في بيتِهِ يُؤتى الحكمُ

هنذا ممَّا زعمَتِ العربُ عن ألسنِ البهائم ؛ قالوا: إنَّ الأرنبَ التقطَّتْ

⁽١) لعل شرح الكلمة سبق قلم ؛ لأن المراد : (الآم) جمع (أُمَةٍ) وهي المملوكة خلاف الحرة ، كما في

[«] لسان العرب » (٤٥/١٤) ، لا كما شرحه المؤلف رحمه الله تعالى .

⁽۲) انظر « مجمع الأمثال » (۳۸۱/۲ _ ۳۸۶) .

تمرة ، فاختلسها الثعلبُ فأكلَها ، وانطلقا يختصمانِ إلى الضّبِ ، فقالَتِ الأرنبُ : يا [أبا] الحِسْلِ ؛ فقالَ : سميعاً دعوتِ ، قالَتْ : أتيناكَ لنختصمَ الله وقالَ : عادلاً حَكَّمتُما ، قالَتْ : فاخرجْ إلينا ، قالَ : في بيتِهِ يُؤتى اليكَ ، قالَ : عادلاً حَكَّمتُما ، قالَتْ : فاخرجْ إلينا ، قالَ : في بيتِهِ يُؤتى الحَكَمُ ، قالَتْ : إنِّي وجدتُ تمرةً ، قالَ : حلوةً فكليها ، قالَتْ : فاختلسَها الثعلبُ : قالَ : لنفسِهِ بغى الخيرَ ، قالَتْ : فلطمتُهُ ، قالَ : بحقّكِ أخذتِ ، قالَتْ : فلطمتُهُ ، قالَ : بحقّكِ أخذتِ ، قالَتْ : فلطمتُه ، قالَ : قد قضيتُ ، قالَ : قد قضيتُ ، قالَ : قد قضيتُ ، قالَهُ كلُّها أمثالاً .

قلتُ (١): وممّا يشبهُ هاذا ما حُكِي : أنّ خالدَ بنَ الوليدِ لمَّا تُوجّه مِنَ الحجازِ إلى أطرافِ العراقِ . . دخلَ عليهِ عبدُ المسيحِ بنُ عمرِو بنِ نفيلة ، فقالَ لهُ خالدٌ : أينَ أقصى أثرِكَ ؟ قالَ : ظهرُ أبي ، قالَ : مِنْ أينَ خرجتَ ؟ قالَ : مِنْ بطنِ أُمِّي ، قالَ : على الأرضِ ، قالَ : فيمَ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ بطنِ أُمِّي ، قالَ : فيمَ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ خلفِي ، قالَ : أينَ تريدُ ؟ قالَ : في ثيابي ، قالَ : فمِنْ أينَ أقبلتَ ؟ قالَ : مِنْ خلفِي ، قالَ : أينَ تريدُ ؟ قالَ : أمامي ، قالَ : أبنُ كم أنتَ ؟ قالَ : ابنُ رجلٍ واحدٍ ، قالَ : أتعقلُ أنتَ ، قالَ : نعم ، وأقيّدُ ، قالَ أحربُ أنتَ أم سلمٍ ؟ قالَ : سلمٌ ، قالَ : فما بالُ هاذهِ الحصونِ ؟ قالَ : بنيناها لسفيهٍ حتى يجيءَ حليمٌ فينهاهُ .

ومثلُ هاذا: أنَّ عديَ بنَ أرطأةَ أتى إياسَ بنَ معاويةَ قاضيَ البصرةِ في مجلسِ حكمِهِ وعديٌّ أميرُ البصرةِ ، وكانَ أعرابيَّ الطبعِ ، فقالَ : [لإياسِ] مجلسِ حكمِهِ وعديٌّ أميرُ البصرةِ ، وكانَ أعرابيَّ الطبعِ ، فقالَ : [لإياسِ] يا هناه ؛ أينَ أنتَ ؟ قالَ : بينَكَ وبينَ الحائطِ ، قالَ : فاسمعْ منِّي ، قالَ : للاستماعِ جلستُ ، قالَ : إنِّي تَزوَّجتُ امرأةً ، قالَ : بالرفاءِ والبنينَ ، قالَ : وشرطتُ لأهلِها ألَّا أخرجَها مِنْ بينِهِم ، قالَ : أوفِ لهُم بالشرطِ ، قالَ : فأنا أريدُ الخروجَ ، قالَ : في حفظِ اللهِ ، قالَ : فاقض بيننا ، قالَ : قد فعلتُ ، قالَ :

⁽١) القائل: هو العلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

فعلىٰ مَنْ حكمتَ ؟ قالَ : على ابنِ أخي عمِّكَ ، قالَ : بشهادةِ مَنْ ؟ قالَ : بشهادةِ مَنْ ؟ قالَ : بشهادةِ ابنِ أختِ خالتِكَ (١).

في سبيلِ اللهِ سرجي وبغلي

أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : المِقدامُ بنُ عاطفِ العجليُّ ، وكانَ قد وفدَ على كسرىٰ فأكرمَهُ ، فلمَّا أرادَ الانصرافَ . . حملَهُ على بغلٍ مُسرَجٍ مِنْ مراكبِهِ ، فلمَّا وصلَ إلىٰ قومِهِ . . قالوا : ما هاذا الذي أتيتَنا بهِ ؟ فأنشأَ يقولُ : [من الوافر]

أَقَبَّ حَمُولَةِ ٱلْمَلِكِ ٱلْهُمَامِ كَمَا جَالَ ٱلْمُفَدَّحُ ذُو ٱللِّجَامِ إِذَا مَا مَسَّهُ عَرَقُ ٱلْحِزَامِ أَبُوهُ مِنَ ٱلْمُسَوَّمَةِ ٱلْكِرَامِ وَكَانَ أَبُوهُ ذَا دَبَر دَوَامِي أَتَيْتُكُمُ بِبَغْلٍ ذِي مَرَاحِ يَجُولُ [إذَا] حَمَلْتَ عَلَيْهِ سَرْجاً وَمَا يَرْدَادُ إِلَّا فَضْلَ جَرْيٍ وَلَيْسَتْ أُمُّهُ مِنْهُ وَمَا إِنْ لَهُ أُمُّ مُهُ فَدَّحَةٌ صَفُونٌ

وكانَ يَروضُهُ رياضةَ الخيلِ ، فرمحَهُ رمحةً كسرَ بها شراسيفَهُ ، فمرضَ مِنْ ذَلكَ برهةً ، وأمرَ بالبغلِ ، فحُمِلَ عليهِ الكورُ وأمتعةُ الحيِّ ولم يُعلَفْ ، فنَفَقَ البغلُ ، وبرئَ المقدامُ مِنْ مرضِهِ ، فركبَ إلى الصيدِ ، وحملَ السرجَ على ناقةٍ لهُ عَلوقٌ ، فلمَّا ركبَها ومسَّها وقعُ الركابينِ . . هوتْ بهِ قيدَ رمحَينِ ، وطارَتْ بهِ في الأرضِ ، فلم يَقدِرْ عليها ، وتَقطَّعَ السرجُ ، فقالَ المقدامُ : [من الرمل] بهِ في الأرضِ ، فلم يَقدِرْ عليها ، وتَقطَّعَ السرجُ ، فقالَ المقدامُ : [من الرمل] نَفَقَ ٱلنبَعْ لُ وَأُودَى سَرْجُ نَا في سَبِيلِ ٱللهِ سَرْجِي وَبَعْ لِي يُضرَبُ في التسلِّي عمَّا يَهلِكُ ويُودي بهِ الزمانُ (٣) .

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٠٠/٢ - ٥١١) .

⁽٢) في « تاج العروس » (٣٦/٢٦) ، مادة : (ن ف ق) ، وفيه : (وبَغَلْ) بدل (وبَغْلي) .

⁽٣) انظر « مجمع الأمثال » (١٨/٢ ٥ _ ٥١٩) .

قد حيلَ بينَ العَيْر والنَّزَوَانِ

أوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ: صخرُ بنُ عمرٍو أخو الخنساءِ ، قالَ ثعلبُ: غزا صخرُ بنُ عمرٍو بني أسدِ بنِ خزيمةَ ، فاكتسحَ إبلَهُم ، فجاءَهُم الصريخُ ، فركبوا ، فالتقوَّا بذاتِ الأثلِ ، فطعنَ أبو ثورِ الأسديُّ صخراً طعنةً في جنبِهِ ، وأفلتَ الخيلُ فلم يقعصْ مكانَهُ ، وجوىٰ منها ، فمرضَ حولاً حتىٰ مَلَّهُ أهلهُ ، فسمعَ امرأةً تقولُ لامرأتِهِ سلمىٰ : كيفَ بعلُكِ ؟ فقالَتْ : لا حيُّ فيرجىٰ ، ولا ميتُ فينعیٰ ، لقد لقینا منهُ الأمرَّينِ ، فقالَ صَخرٌ : [من الطویل]

أَرَىٰ أُمَّ صَخْرٍ لَا تَـمَـلُ عِيَادَتِي

وفي روايةٍ أخرى: فمرضَ زماناً حتى مَلَّنهُ امرأتُهُ ، وكانَ يكرمُها ، فمرَّ بها رجلٌ وهي قائمةٌ وكانَتْ ذاتَ خلقٍ وإدراكٍ ، فقالَ لها: يُباعُ الكفلُ ؟ فقالَتْ: نعم ، عمَّا قليلٍ ، وكانَ ذلكَ يسمعُهُ صخرٌ ، فقالَ : أَمَا واللهِ ؛ لئن قَدَرْتُ . . لأقدمنَّكِ قبلي ، ثمَّ قالَ لها : ناوليني السيفَ أنظرْ إليهِ : هل تُقِلُّهُ يدي ، فناولتُهُ ، فإذا هوَ لا يُقِلُّهُ ، فقالَ :

وَمَلَّتْ سُلَيْمَىٰ مَضْجَعِي وَمَكَانِي فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقًا وَهَوَانِ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ ٱلْعَيْرِ وَٱلنَّزَوَانِ عَلَيْكِ وَمَنْ يَغْتَرُّ بِٱلْحَدَثَانِ مُعَرَّسُ يَعْسُوبٍ بِرَأْسِ سِنَانِ وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ أَرَىٰ أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي فَأَيُّ ٱمْرِئَ سَاوَىٰ بِأُمِّ حَلِيلَةً أَهُمُّ بِأَمْرِ ٱلْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَمَا كُنْتُ أَخْشَىٰ أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ كَأَنَّهَا لَعَمْري لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِماً

قالَ أبو عبيدة : فلمَّا طالَ بهِ البلاءُ وقد نتأَتْ قطعةٌ مِنْ جنبِهِ مثلُ اللبدِ في موضع الطعنةِ . . قيلَ لهُ : لو قطعتَها . . لرجونا أن تبرأ ، فقالَ : شأنكُم ، وأشفقَ عليهِ قومٌ ، فنهَوهُ ، فأبى ، فأخذوا شفرةً فقطعوا ذلكَ الموضعِ ، فيئسَ مِنْ نفسِهِ وقالَ :

أَجَارَتَنَا إِنَّ ٱلْحُتُوفَ تَنُوبُ عَلَى ٱلنَّاسِ كُلَّ ٱلْمُخْطِئِينَ تُصِيبُ أَجَارَتَنَا إِنْ تَسْأَلِينِي فَإِنَّنِي مُقِيمٌ لَعَمْرِي مَا أَقَامَ عَسِيبُ كَأَنِّي وَقَدْ أَدْنُو لِحَزِّ شِفَارِهِمْ مِنَ ٱلصَّبْرِ دَامِي ٱلصَّفْحَتَيْنِ نَكِيبُ

ثمَّ ماتَ ، فدُفِنَ إلى جنبِ عسيبٍ ؛ وهوَ جبلٌ يقربُ مِنَ المدينةِ ، وقبرُهُ معلمٌ هناكَ (١) .

قد أنصفَ القارة مَنْ راماها

القارةُ: قبيلةٌ ؛ وهُم عَضَلٌ والدِّيشُ ابنا الهونِ بنِ خزيمةَ ، وإنَّما سُمُّوا قارةً لاجتماعِهِم والتفافِهِم لمَّا أرادَ الشداخُ أن يُفرِّقَهُم في بني كنانةَ ، فقالَ شاعرُهُم :

دَعَوْنَا قَارَةً لَا تَنْفِرُونَا فَنُجْفِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ ٱلظَّلِيم

وهي رماةُ الحدقِ في الجاهليةِ ، وهُمُ اليومَ في اليمنِ ، ويزعمونَ أنَّ رجلَينِ التقيا ؛ أحدُهُما قاريُّ ، فقالَ القاريُّ : إن شئتَ . . صارعتُكَ ، وإن شئتَ . . سابقتُكَ ، وإن شئتَ . . راميتُكَ ، فقالَ الآخَرُ : قدِ اخترتُ المراماةَ ، فقالَ القاريُّ : قد أنصفتني ، وأنشأ يقولُ : [من مشطور الرجز]

قَدْ أَنْصَفَ ٱلْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا إِنَّا إِذَا مَا فِئَةٌ نَلْقَاهَا تَصرُدُّ أُولَاهَا عَلَى أُخْرَاهَا

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٥٥٨/٢ _ ٥٥٩) .

ثمَّ انتزعَ لهُ بسهمِ فشكَّ بهِ فؤادَهُ .

قالَ أبو عبيدٍ: (أصلُ القارةِ: الأكمةُ، وجمعُها: قُورٌ، قالَ ابنُ [واقدٍ]: وإنَّما قيلَ: «أنصفَ القارةَ مَنْ راماها» في حربٍ كانَتْ بينَ قريشٍ وبينَ بكرِ بنِ عبدِ [مناة] بنِ كنانةَ، قالَ: وكانَتِ القارةُ معَ قريشٍ، وهُم قومٌ رماةٌ، فلمَّا التقى الفريقانِ.. راماهُمُ الآخرونَ، فقيلَ: قد أنصفَهُم هاؤلاءِ إذ ساوَوْهُم في العملِ الذي هوَ شأنهُم وصناعتُهُم، وفي بعضِ الآثارِ: ألا أخبرُكُم بأعدلِ الناسِ ؟ قيلَ: بلى ، قالَ: مَنْ أنصفَ مِنْ نفسِهِ ، وفي بعضِها أيضاً: أشدُّ الأعمالِ ثلاثةٌ: إنصافُ الناسِ مِنْ نفسِكَ ، والمواساةُ بالمالِ ، وذكرُ اللهِ تعالىٰ علىٰ كلّ حالٍ) (١٠).

قد قيلَ ذلكَ إِنْ حقًّا وإنْ كذباً

قالوا: إنَّ أُوَّلَ مَنْ قالَ ذَلكَ: النعمانُ بنُ المنذرِ اللخميُّ للربيعِ بنِ زيادٍ العبسيِّ ، وكانَ لهُ صديقاً ونديماً ، وإنَّ عامراً ملاعبَ الأَسِنَّةِ وعوفَ بنَ الأحوصِ وسهيلَ بنَ مالكِ ولبيدَ بنَ ربيعةَ ، وشماساً الفزاريَّ ، وقلابةَ الأحوصِ وسهيلَ بنَ مالكِ ولبيدَ بنَ ربيعة ، وشماساً الفزاريَّ ، وقلابةَ الأسديَّ . . قدموا على النعمانِ ، وخَلَّفوا لبيداً يراعي إبلَهُم ، وكانَ أحدثَهُم سناً ، وجعلوا يغدونَ إلى النعمانِ ويروحونَ ، فأكرمَهُم وأحسنَ نُزُلَهُم ، غيرَ الربيعَ كانَ أعظمَ عندَهُ قدراً .

فبينَما هُم ذاتَ يومٍ عندَ النعمانِ . . إذ رجزَ بهِمُ الربيعُ وعابَهُم ، وذكرَهُم بأقبحِ ما قَدَرَ عليهِ ، فلمَّا سمعَ القومُ ذلكَ . . انصرفوا إلى رحالِهِم وكلُّ إنسانٍ منهُم مُقبِلٌ على بَتِّهِ ، ورَوَّحَ لبيدٌ [الشَّولَ] ، فلمَّا رأى أصحابَهُ وما بهِم مِنَ الكَابةِ . . سألَهُم : ما لكُم ؟ فكتموهُ ، فقالَ لهُم : واللهِ ؛ لا أحفظُ

⁽١) الأمثال (ص ١٣٧) للقاسم بن سلام ، وانظر «مجمع الأمثال » (١٦٥/٢ _ ٥٦٦) .

لكُم متاعاً ، ولا أُسرِّحُ لكُم إبلاً أو تخبروني بالذي كنتُم فيهِ ، وإنَّما كتموا عنهُ ؛ لأنَّ أُمَّ لبيدٍ امرأةٌ مِنْ بني عبسٍ ، وكانَتْ يتيمةً في حجرِ الربيعِ ، فقالوا : خالُكَ قد غلبَنا على الملكِ ، وصدَّ بوجهِهِ عنَّا ، فقالَ لبيدٌ : هل فيكُم مَنْ يكفيني الإبلَ وتدخلونني على النعمانِ معَكُم ، فواللَّاتِ والعُزَّىٰ ؛ لأدعَنَّهُ لا ينظرُ إليهِ أبداً .

فَخَلَّفُوا في إِبلِهِم قلابة الأسديّ ، وقالوا للبيد : أوَعندَكَ خيرٌ ؟ قالَ : سترونَ ، قالوا : إنَّا نبلوكَ في هاذهِ البقلةِ _ لبقلةٍ بينَ أيديهِم دقيقةِ الأغصانِ ، قليلةِ الأوراقِ ، لاصقةٍ بالأرضِ ، تُدعى التربة _ صفْها لنا واشتُمْها ، فقالَ : هاذهِ التربةُ التي لا تذكي ناراً ، ولا تُؤهِلُ داراً ، ولا تَسُرُّ جاراً ، عودُها ضئيلٌ ، وفرعُها كليلٌ ، وخيرُها قليلٌ ، شرُّ البقولِ مرعى ، وأقصرُها فرعاً ، فتعساً لها وجدعاً ، القَوْا بي أخا عبسٍ . . أردُّهُ عنكُم بتعسٍ ، وأدعْهُ مِنْ أمرِهِ في لبسٍ ، قالوا : نصبحُ فنرى رأينا .

فقالَ لهُم عامرٌ: انظروا هاذا الغلام ؛ فإن رأيتُموهُ نائماً . . فليسَ أمرُهُ بشيءٍ ، إنَّما يتكلَّمُ بما جاءَ على لسانِهِ ، ويَهذي بما يهجسُ في خاطرِهِ ، وإن رأيتُموهُ ساهراً . . فهوَ صاحبُكُم ، فرمقوهُ ، فرأَوْهُ قد ركبَ رحلاً حتى أصبحَ .

فخرجَ القومُ وهوَ معَهُم ، حتى دخلوا على النعمانِ وهوَ يَتغدَّىٰ والربيعُ يأكلُ معَهُ ، فقالَ لبيدٌ : أبيتَ اللعنَ ، أتأذنُ لي في الكلامِ ؟ فأذنَ لهُ ، فأنشأَ يقولُ :

يَا رُبَّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَهُ أَكُلَّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَرَّعَهُ نحن بَنُو أُمِّ ٱلْبَنِينَ ٱلْأَرْبَعَهُ وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَهُ

الْمُطْعِمُونَ ٱلْجَفْنَةَ ٱلْمُدَعْدَعَهُ

وَالضَّارِبُونَ ٱلْهَامَ تَحْتَ ٱلْخَيْضَعَهُ

يَا وَاهِبَ ٱلْخَيْرِ ٱلْكَثِيرِ مِنْ سَعَهُ

إلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلَاداً مَسْبَعَهُ

إلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلَاداً مَسْبَعَهُ

نُحْبِرُ عَنْ هَلَا أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ لَا تَأْكُلُ مَعَهُ

مَهْ للا أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ لَا تَأْكُلُ مَعَهُ

إنَّ ٱسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ [مُلَمَّعَهُ

وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ

وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ

كَأَنَّهُ يُطْلُبُ شَيْعًا أَطْمَعَهُ

كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْعًا أَطْمَعَهُ

ويُروئ: (ضَيَّعَهُ)، فلمَّا سمعَ النعمانُ الشعرَ.. أَفَّفَ ورفعَ يدَهُ مِنَ الطعامِ، وقالَ للربيعِ: أكذاكَ أنتَ ؟! قالَ: لا واللَّاتِ، لقد كذبَ ابنُ الفاعلةِ، قالَ النعمانُ: لقد خَبُثَ عليَّ طعامي، فغضبَ الربيعُ وقامَ وهوَ يقولُ: [من البسط] لَئِنْ رَحَلْتُ رِكَابِي إِنَّ لِي سَعَةً مَا مِثْلَهَا سَعَةٌ عَرْضاً وَلَا طُولَا لَئِنْ رَحَلْتُ رِكَابِي إِنَّ لِي سَعَةً مَا وَازَنُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمْوِيلَا وَلَوْ جَمَعْتُ بَنِي لَخْمِ بِأَسْرِهِمِ مَا وَازَنُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمْوِيلَا فَابُرُقْ بِأَرْضِكَ يَا نُعْمَانُ مُتَّكِئاً مَعَ ٱلنِّطَاسِيِّ طَوْراً وَٱبْنِ تَوْفِيلَا وقالَ: لا أبرحُ أرضَكَ حتى تبعثَ إليَّ مَنْ يُفتِّشُني فتعلمَ أَنَّ الغلامَ وقالَ: لا أبرحُ أرضَكَ حتى تبعثَ إليَّ مَنْ يُفتِشُني فتعلمَ أَنَّ الغلامَ كاذبٌ، فأجابَهُ النعمانُ:

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنْكَ ٱلْأَبَاطِيلَا

فَقَدْ رَمَیْتَ بِدَاءٍ لَسْتَ غَاسِلَهُ مَا جَاوَرَ ٱلنِّیلَ یَوْماً أَهْلُ إِبْلِیلَا قَدْ قِیلَ ذَٰلِكَ إِنْ حَقًا وَإِنْ كَذِباً فَمَا ٱعْتِذَارُكَ عَنْ شَيْءٍ إِذَا قِیلَا

قولُهُ: (بنو أُمِّ البنينَ الأربعهُ) هم خمسةٌ: مالكُ بنُ جعفرٍ ملاعبُ الأسنَّةِ ، وطفيلُ بنُ مالكٍ أبو عامرِ بنِ الطفيلِ ، وربيعةُ بنُ مالكٍ ، وعبيدةُ بنُ مالكٍ ، وهم أشرافُ بني عامرٍ ، فجعلَهُم أربعةً لأجلِ مالكٍ ، ومعاويةُ بنُ مالكٍ ، وهُم أشرافُ بني عامرٍ ، فجعلَهُم أربعةً لأجلِ القافيةِ .

وسَمْوِيلُ: أحدُ أجدادِ الربيعِ ؛ وهوَ في الأصلِ اسمُ طائرٍ ، وأرادَ بالنِّطاسيِّ: روميًّا يُقالُ لهُ: سرحونُ ، وابنُ توفيلَ: روميٌّ آخَرُ ، كاناً ينادمانِ النعمانَ (١٠).

كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبةٌ

يُضرَبُ في عجبِ الرجلِ برهطِهِ وعشيرتِهِ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ : العجفاءُ بنتُ علقمةَ السعديُّ ؛ وذلكَ أنَّها وثلاثَ نسوةٍ مِنْ قومِها خرجنَ ، فاتَّعَدنَ بروضةٍ يَتحدَّثنَ فيها ، فوافينَ بها ليلاً في قمر زاهر ، وليلةٍ طلقةٍ ساكنةٍ ، [وروضةٍ] (٢) معشبةٍ خصبةٍ ، فلمَّا جلسنَ . قلنَ : ما رأينا كالليلةِ ليلةً ، ولا كهاذهِ الروضةِ روضةً ، أطيبَ ريحاً ولا أنضرَ ، ثمَّ أفضنَ في الحديثِ ، فقلنَ : أيُّ النساءِ أفضلُ ؟

قَالَتْ إحداهُنَّ : الخَرودُ الوَدودُ الوَلودُ .

قالَتِ الأخرى : خيرُهُنَّ ذاتُ الغَناءِ ، وطيبِ الثناءِ ، وشدَّةِ الحياءِ .

قالَتِ الثالثةُ: خيرُهُنَّ السَّموعُ الجَموعُ النَّفوعُ غيرُ المنوع.

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٥٧٠/٢ _ ٥٧٢) .

⁽٢) في الأصل : (ورضة) .

قالَتِ الرابعةُ: خيرُهُنَّ الجامعةُ لأهلِها الوادعةُ ، الرافعةُ لا الواضعةُ .

قلنَ : فأيُّ الرجالِ أفضلُ ؟

قالَتْ إحداهُنَّ : خيرُهُمُ الحَظيُّ الرَّضيُّ ، غيرُ الحظالِ ولا التبالِ .

قالَتِ الثانيةُ: خيرُهُمُ السيدُ الكريمُ ، ذو الحَسَبِ العميم ، والمجدِ القديم .

قالَتِ الثالثةُ: خيرُهُمُ السَّخيُّ الوفيُّ الرَّضيُّ ، الذي لا يُغيِّرُ الحُرَّةَ ، ولا يَتَخِذُ الضَّرَّةَ .

قالَتِ الرابعةُ: وأبيكُنَّ ؛ إنَّ في أبي لنعتَكُنَّ ؛ كرمُ الأخلاقِ والصدقُ عندَ التلاقِ ، والفلجُ عندَ السباقِ ، ويَحمَدُهُ أهلُ الرفاقِ ، قالَتِ [العجفاءُ] عندَ ذلكَ : كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبةٌ .

وفي بعضِ الرواياتِ: أنَّ إحداهُنَّ قالَتْ: إنَّ أبي يُكرِمُ الجارَ، ويعظمُ النارَ، وينحرُ العِشارَ بعدَ الحِوار، ويَحملُ الأمورَ الكبارَ.

فقالَتِ الثانيةُ: إنَّ أبي عظيمُ الخطرِ ، منيعُ الوزرِ ، عزيزُ النفرِ ، يُحمَدُ منهُ الوردُ والصَّدرُ .

فقالَتِ الثالثةُ : إنَّ أبي صدوقُ اللسانِ ، كثيرُ الأعوانِ ، يروي السِّنانَ عندَ الطعانِ .

قالَتِ الرابعةُ: إِنَّ أبي كريمُ النزالِ ، منيفُ المقالِ ، كثيرُ النوالِ ، قليلُ السؤالِ ، كريمُ الفَعالِ .

ثمَّ تَنافَرْنَ إلى كاهنةٍ معَهُنَّ في الحيِّ ، فقلنَ لها: اسمعي ما قلنا ، واحكمي بيننا ، واعدلي ، ثمَّ أعدنَ عليها قولَهُنَّ ، فقالَتْ لهُنَّ: كلُّ واحدةٍ منكُنَّ ماردةٌ على الإحسانِ جاهدةٌ ، لصواحباتِها حاسدةٌ ، ولكنِ اسمعنَ قولي: خيرُ النساءِ المبقيةُ على بعلِها ، الصابرةُ على الضَّرَّاءِ مخافةَ أن ترجعَ قولي: خيرُ النساءِ المبقيةُ على بعلِها ، الصابرةُ على الضَّرَّاءِ مخافةَ أن ترجعَ

إلىٰ أهلِها مطلقة ، فهي تؤثرُ حظَّ زوجِها علىٰ حظِّ نفسِها ، فتلكَ الكريمةُ الكاملةُ ، وخيرُ الرجالِ الجوادُ البطلُ ، القليلُ الفشلِ ، إذا سألَهُ الرجلُ . . ألفاهُ قليلَ العللِ ، كثيرَ النفلِ ، ثمَّ قالَتْ : كلُّ واحدةٍ منكُنَّ بأبيها معجبةٌ (١٠) .

كلُّ شاةٍ برجلِها مُعلَّقةٌ

قالَ ابنُ الكلبيّ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ: وكيعُ بنُ سلمةَ بنِ زهيرِ بنِ إيادٍ ، وكانَ وليَ أمرَ البيتِ بعدَ جُرْهُمَ ، فبنى صَرحاً بأسفلِ مكةَ عندَ سوقِ الخيَّاطينَ اليومَ ، وجعلَ فيهِ أَمَةً يُقالُ لها: [حَزْوَرَةُ] ، وبها سُمِّيَتْ [حَزْوَرَةُ] مكةَ ، وجعلَ في الصَّرحِ سُلَّماً ، فكانَ يَرقاهُ ويزعمُ أنَّهُ يناجي اللهَ تعالى ، مكةَ ، وجعلَ في الصَّرحِ سُلَّماً ، فكانَ يَرقاهُ ويزعمُ أنَّهُ يناجي اللهَ تعالى ، وكانَ يَنطِقُ بكثيرٍ مِنَ الخيرِ ، وكانَ علماءُ العربِ يزعمونَ أنَّهُ صِدِّيقٌ مِنَ الصِّدِيقِينَ ، وكانَ مِنْ قولِهِ : مرضعةٌ أو فاطمةٌ ، ووادعةٌ وقاصمةٌ ، والقطيعةُ والفجيعةُ ، وصلةُ الرحمِ وحسنُ الكلمِ .

ومِنْ كلامِهِ: زعمَ ربُّكُم ليَجزِيَنَّ بالخيرِ ثواباً ، وبالشرِّ عقاباً ؛ إنَّ مَنْ في الأرضِ عبيدٌ لِمَنْ في السماءِ ، هلكَتْ جُرْهُمُ وربلَتْ [إيادٌ] ، وكذلكَ الصلاحُ والفسادُ .

فلمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . جمعَ إياداً ، فقالَ لهُمُ : اسمعوا وصيَّتي ؛ الكلامُ كلمتانِ ، والأمرُ بعدَ البيانِ ، مَنْ رشدَ . . فاتبعوهُ ، ومَنْ غوى . . فارفضوهُ ، وكلُّ شاقٍ برجلِها مُعلَّقةُ ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ : وماتَ وكيعٌ ، فنُعِيَ على الحبالِ ، وفيهِ يقولُ بشيرُ بنُ الحجيرِ الإياديُّ : [من المتقارب]

وَنَحْنُ إِيَادٌ عِبَادُ ٱلْإِلَهِ وَرَهْ طُ مُنَاجِيهِ فِي سُلَّمِ وَنَحْنُ وِلَاةً حِجَابِ ٱلْعَتِيقِ زَمَانَ ٱلنُّخَاعِ عَلَىٰ جُرْهُم

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٣/٣ _ ١٥) .

يُقالُ: إِنَّ اللهَ سَلَّطَ على جرهمَ داءً يقالُ لهُ: النخاعُ ، فهلكَ منهُم ثمانونَ كهلاً في ليلةٍ واحدةٍ سوى الشبَّانِ ، وفيهِم قالَ بعضُ العربِ: [من الخفيف] هَلَكَتْ جُرْهُمُ ٱلْكِرَامُ فِعَالاً وَوُلاَةُ ٱلْبَنِيَةِ ٱلْحُجَابُ فَي لَيْلَةً ثَمَانُونَ كَهْلاً وَشَبَاباً كَفَى بهمْ مِنْ شَبَاب نَعْدَا اللهَ عَلَى اللهَ مَنْ شَبَاب أَكَفَى بهمْ مِنْ شَبَاب أَكَفَى بهمْ مِنْ شَبَاب أَكَفَى بهمْ مِنْ شَبَاب

كيفَ أُعاودُكَ وهاذا أثرُ فأسِكَ

أصلُ هاذا المثلِ على ما حكتُهُ العربُ على لسانِ الحيَّةِ: أنَّ أخوَينِ كانا في إبلٍ لهُما ، فأجدبَتْ بلادُهُما ، وكانَ بالقربِ منهُما وادٍ خصيبٌ ، وفيه حيَّةٌ تحميهِ مِنْ كلِّ أحدٍ ، فقالَ أحدُهُما للآخرِ: يا فلانُ ؛ لو أنِّي أتيتُ هاذا الواديَ المكلئَ فرعيتُ فيهِ إبلي وأصلحتُها ، فقالَ لهُ أخوهُ: إنِّي أخافُ عليكَ الحيَّةَ ، ألا ترى أنَّ أحداً لا يهبطُ ذلكَ الواديَ إلَّا أهلكَتْهُ ؟! قالَ : فواللهِ ؛ لأفعلنَ ، فهبطَ الواديَ ، ورعى بهِ إبلهُ زماناً ، ثمَّ إنَّ الحيةَ نهشَتُهُ فقتلَتُهُ ، فقالَ أخوهُ : واللهِ ؛ ما في الحياةِ بعدَ أخي خيرٌ ، فلأطلبَنَ الحيةَ ولأقتلَنَها ، أو لأتَبعَنَ أخى .

فهبطَ ذلكَ الوادي ، وطلبَ الحيَّة ليقتلَها ، فقالَتِ الحيَّة له : ألستَ ترىٰ أَنِي قتلتُ أخاكَ ، فهل لكَ في الصُّلحِ فأدعَكَ بهلذا الوادي تكونُ فيهِ وأعطيَكَ كلَّ يوم ديناراً ما بقيتَ ؟ قالَ : أوَفاعلةٌ أنتِ ؟ قالَتْ : نعم ، قالَ : إنِّي أفعلُ ، فحلفَ لها ، وأعطاها المواثيقَ لا يَضُرُّها ، وجعلَتْ تعطيهِ كلَّ يوم ديناراً ، فكثرُ مالهُ ، حتى صارَ مِنْ أحسنِ الناس حالاً .

ثمَّ إنَّهُ ذكرَ أخاهُ ، فقالَ : كيفَ ينفعُني العيشُ وأنا أنظرُ إلى قاتلِ أخي ، فعَمَدَ إلىٰ فأسِ فأخذَها ، ثمَّ قعدَ لها ، فمَرَّتْ بهِ ، فتبعَها ، فضربَها ،

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٣٠/٣ _ ٣١) .

فأخطأها ، ودخلَتِ الجحرَ ، ووقعَتِ الفأسُ بالجبلِ فوقَ جحرِها فأثَّرَتْ فيهِ ، فلمَّا رأتْ ما فعلَ . . قطعَتْ عنهُ الدينارَ ، فخافَ الرجلُ شرَّها وندمَ ، فقالَ لها : هل لكِ في أن نتواثقَ ونعودَ إلىٰ ما كنَّا عليهِ ؟ فقالَتْ : كيفَ أعاودُكَ وهاذا أثرُ فأسِكَ ؟!

يُضرَبُ لِمَنْ لا يفي بالعهدِ ، وهنذا مِنْ مشاهيرِ أمثالِ العربِ ، قالَ نابغةُ بنى ذبيانَ (١):

وَمَا أَصْبَحَتْ تَشْكُو مِنَ ٱلشَّجْوِ سَاهِرَهُ وَكَانَتْ تُرِيهِ ٱلْمَالَ غِبّاً وَظَاهِرَهُ وَكَانَتْ تُرِيهِ ٱلْمَالَ غِبّاً وَظَاهِرَهُ وَأَثّلَ مَ وْجُوداً وَسَدَّ مَ فَاقِرَهُ مُذَكَّرَةٍ مِنَ ٱلْمَعَاوِلِ بَاتِرَهُ لِيَقْتُلَهَا أَوْ تُخْطِئُ ٱلْكَفُّ بَادِرَهُ وَلِي قَتْلَهَا أَوْ تُخْطِئُ ٱلْكَفُّ بَادِرَهُ وَلِي قَلْلَمَ مَا لَنَا أَوْ تُخْطِئُ ٱلْكَفُ نَاظِرَهُ عَلَىٰ مَا لَنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آجِرَهُ وَلَىٰ مَا لَنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آجِرَهُ وَضَرْبَةُ فَأْسٍ فَوْماً يَمِينُكَ فَاجِرَهُ وَضَرْبَةُ فَأْسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ وَضَرْبَةُ فَأْسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ وَصَرْبَة فَاسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ

وَإِنِّي لَأَلْقَىٰ مِنْ ذُوِي ٱلْغَيِّ مِنْهُمُ كَمَا لَقِيَتْ ذَاتُ ٱلصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ ثَـمَّرَ ٱللهُ مَالَهُ فَلَمَّ عَلَىٰ فَأْسٍ يَحُدُّ غُرَابَهَا فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ فَلَا مَنْ فَوْقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ فَلَاللهُ ضَرْبَةَ فَأْسِهِ فَقَالَ تَعَالَيْ نَجْعَلِ ٱللهُ بَيْنَنَا فَقَالَ تَعَالَيْ نَجْعَلِ ٱللهُ بَيْنَنَا فَقَالَ تَعَالَيْ نَجْعَلِ ٱللهُ بَيْنَنَا فَقَالَتْ يَمِينَ ٱللهِ أَفْعَلُ إِنَّنِي فَقَالَتْ يَمِينَ ٱللهِ أَفْعَلُ إِنَّنِي فَقَالِكِي لَيْ لَيْ لَكُ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي أَبِي لَيْ اللهِ مَقَابِلِي

كلاهما وتمرأ

ويروى : (كلّيهِما) ، أوَّلُ مَنْ قالَ ذلك : عمرُو بنُ حمرانَ الجعديُّ ، وكانَ حمرانُ رجلاً لَسِناً مارداً ، وإنَّهُ خطبَ صدوف ؛ وهي امرأةٌ كانَتْ تؤبدُ

⁽١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٥٤ ـ ١٥٦) .

⁽٢) انظر « مجمع الأمثال » (٣٥/٣ _ ٣٦) .

الكلامَ ، وتسجعُ في المَنطِقِ (١) ، وكانَتْ ذاتَ مالٍ كثيرٍ ، وقد أتاها قومٌ كثيرٌ يَخطُبونَها ، فردَّتْهُم ، وكانَتْ تَتعنَّتُ خُطَّابَها في المسألةِ ، وتقولُ : لا أتزوَّجُ إلَّا مَنْ يَعلمُ ما أسألُهُ عنهُ ، ويجيبُني بكلام علىٰ حدِّهِ لا يعدوهُ .

فلمَّا انتهىٰ إليها حمرانُ . . قامَ قائماً لا يجلسُ ، وكانَ لا يأتيها خاطبٌ إلَّا جلسَ قبلَ إذنِها ، فقالَتْ : ما يمنعُكَ مِنَ الجلوسِ ؟ قالَ : حتىٰ يُؤذَنَ لي ، قالَتْ : وهل عليكَ أميرٌ ؟ قالَ : ربُّ المنزلِ أحقُّ بفِنائِهِ ، وربُّ الماءِ أحقُّ بسقائِهِ ، وكلُّ لهُ ما في وعائِهِ ، فقالَتِ : اجلسْ ، فجلسَ .

قَالَتْ لَهُ: مَا أَرِدَتَ ؟ قَالَ: حَاجَةً وَلَمْ آتَكِ لَحَاجَةٍ ، قَالَتْ: تُسِرُّهَا أَمْ تَعَلَّنُ ، قَالَ: قَضَاؤُهَا هَيِّنٌ ، أَمْ تَعَلَّنُ ، قَالَ: قَضَاؤُها هَيِّنٌ ، وأَمْرُها بَيِّنٌ ، وأَنْتِ بِهَا أَخِبُرُ ، وبنُجْحِها أَبْصِرُ ، قَالَتْ: فأخبرُ ني بها .

قالَ: قد عَرَّضتُ ، وإن شئتِ . . بَيَّنتُ ، قالَتْ : مَنْ أنتَ ؟ قالَ : أنا بَشَرٌ ، ولدتُ صغيراً ، ونشأتُ كبيراً ، ورأيتُ كثيراً ، قالَتْ : فما اسمُكَ ؟ قالَ : مَنْ شاءَ أحدثَ اسماً ، وقالَ ظُلماً ، ولم يكنِ الاسمُ عليهِ حتماً ، قالَتْ : فمَنْ أبوكَ ؟ قالَ : والدي الذي ولدَني ، ووالدهُ جدِّي ، فلم يعشْ بعدي ، قالَتْ : فما مالُكُ ؟ قالَ : بعضُهُ ورثتُهُ ، وأكثرُهُ اكتسبتُهُ ، قالَتْ : فممَنْ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ بشرٍ كثيرٍ عددُهُ ، معروفٍ ولدُهُ ، قليلٍ صعدُهُ ، يفنيهِ فممَنْ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ بشرٍ كثيرٍ عددُهُ ، معروفٍ ولدُهُ ، قليلٍ صعدُهُ ، يفنيهِ أبدُهُ ، قالَتْ : فأينَ الهمم ، قالَتْ : فأينَ تنزلُ ؟ قالَ : على بساطٍ واسعِ في بلدٍ شاسعِ ، قريبُهُ بعيدٌ ، وبعيدُهُ قريبُ ، قالَتْ : فمَنْ قومُكَ ؟ قالَ : الذين أنتمي إليهِم ، وأجني عليهِم ، ووُلِدتُ لديهم .

قالَتْ: فهل لكَ امرأةٌ ؟ قالَ: لو كانَتْ لي لم أطلبْ غيرَها ، ولم أُضيّعْ

⁽١) في «مجمع الأمثال » : (تؤيد الكلام وتشجع في المنطق) .

خيرَها ، قالَتْ : كأنَّكَ ليسَتْ لكَ حاجةٌ ؟ قالَ : لو لم تكنْ لي حاجةٌ . . لم أُنِحْ ببابِكِ ، ولم أتعرَّضْ لجوابِكِ ، وأتعلَّقْ بأسبابِكِ ، قالَتْ : إنَّكَ لم أُنِحْ ببابِكِ ، ولم أتعرَّضْ لجوابِكِ ، قالَ : إنَّ ذلكَ ليُقالُ ، فأنكحَتْهُ نفسَها ، وفَوَّضَتْ إليهِ أمرَها .

ثمَّ إنَّها ولدَتْ لهُ غلاماً ، فسمَّاهُ عمراً ، فنشأَ مارداً مُفوَّها ، فلمَّا أدركَ . . جعلَهُ أبوهُ راعياً يرعىٰ لهُ الإبلَ ، فبينا هوَ يوماً : إذ رُفِعَ إليهِ رجلٌ قد أضرَّ بهِ العطشُ والسّغوبُ وعمرو قاعدٌ وبينَ يدَيهِ زبدٌ وتمرٌ وتامكٌ ، فدنا منهُ الرجلُ فقالَ : أطعمْني مِنْ هاذا الزبدِ والتامكِ ، فقالَ عمرٌو : نعم ، كلاهُما وتمراً ، فأطعمَ الرجلَ حتى انتهىٰ ، وسقاه لبناً حتىٰ رَوِيَ ، وأقامَ عندَهُ أياماً ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً .

ورفع (كلاهُما) أي: لك كلاهما، ونصبَ (تمراً) على معنى، وأزيدُكَ تمراً، ومَنْ روى (كليهِما) فإنَّما نصبَهُ على معنى: أطعمُكَ كليهِما وتمراً، ومَنْ روى (كليهِما) فإنَّما نصبَهُ على معنى: أطعمُكَ كليهِما وتمراً، وقالَ قومٌ: مَنْ رفعَ . . حكى أنَّ الرجلَ قالَ : أنلني ممَّا بينَ يدَيكَ ، فقالَ عمرٌو: أيُّما أحبُّ إليكَ : زبدٌ أم سنامٌ ؟ فقالَ الرجلُ : كلاهُما وتمراً ؛ أي : مطلوبي كلاهما وأزيدُ معَهُما تمراً، أو وزدْني تمراً (١).

لن يَهلِكَ امرُؤٌ عرفَ قَدْرَهُ

قالَ المُفضَّلُ: إنَّ أُوَّلَ مَنْ قالَ ذلكَ: أكثمُ بنُ صيفيٍّ في وصيَّةٍ كتبَ بها إلىٰ طيءٍ ؛ كتبَ إليهِم: أوصيكم بتقوى اللهِ ، وصلةِ الرحمِ ، وإيَّاكُم ونكاحَ الحمقاءِ ؛ فإنَّ نكاحَها غررٌ ، وولدَها ضياعٌ ، وعليكُم بالخيلِ فأكرموها ؛ فإنَّ نكاحَها غررٌ ، ولا تضعوا رقابَ الإبلِ في غيرِ حقِّها ؛ فإنَّ فيها ثمنَ فإنَّها حصونُ العربِ ، ولا تضعوا رقابَ الإبلِ في غيرِ حقِّها ؛ فإنَّ فيها ثمنَ الكريمةِ ، ورقوءَ الدم ، وبألبانِها يتحفُ الكبيرُ ، ويُغذَى الصغيرُ ، ولو أنَّ

⁽۱) انظر « مجمع الأمثال » ($8 \sqrt{7}$ _ $8 \sqrt{3}$) .

الإبلَ كُلِّهَتِ الطَّحنَ . لطحنَتْ ، ولن يهلكَ امرُوُّ عرفَ قَدْرَهُ ، والعدمُ عدمُ العقلِ ، لا عدمُ المالِ ، ولَرجلٌ خيرٌ مِنْ ألفِ رجلٍ ، ومَنْ عتبَ على الدهرِ . . طالَتْ معيشتُهُ ، وآفةُ الرأي الهوىٰ ، طالَتْ معيشتُهُ ، وآفةُ الرأي الهوىٰ ، والعادةُ أملكُ ، والحاجةُ مع المحبةِ خيرٌ مِنَ البغضِ معَ الغنىٰ ، والدنيا دولٌ ، والعادةُ أملكُ ، والحاجةُ مع المحبةِ خيرٌ مِنَ البغضِ معَ الغنىٰ ، والدنيا دولٌ ، فما كانَ علىٰ . . أتاكَ علىٰ ضعفِكَ ، وما كانَ عليكَ . . لم تدفعهُ بقُوّتِكَ ، والحسدُ داءٌ ليسَ لهُ دواءٌ ، والشَّماتةُ تعقبُ ، ومَنْ يرَ يوماً . . يرهُ ، قبلَ الرماءِ تُملَأُ الكنائنُ ، الندامةُ معَ السفاهةِ ، دعامةُ العقلِ الحلمُ ، خيرُ الأمورِ مَغبَّةُ الصَّبرِ ، بقاءُ المودَّةِ عدلُ التعاهدِ ، مَنْ يزرْ غبًا . . يزدْ حبًا ، التغريرُ مفتاحُ البؤسِ ، مِنَ التواني والعجزِ نُتِجَتِ الهلكةُ ، لكلِّ شيءٍ ضراوةٌ ، فضرِّ لسانكَ البؤسِ ، مِنَ التواني والعجزِ نُتِجَتِ الهلكةُ ، لكلِّ شيءٍ ضراوةٌ ، فضرِّ لسانكَ بالخيرِ ، عيُّ الصمتِ أحسنُ مِنْ عيِّ المنطقِ ، الحزمُ حفظُ ما كُلِّفتَ وتركُ ما كُفيتَ ، كثيرُ التنصُّحِ يهجمُ على كثيرِ الظِنَّةِ ، مَنْ ألحفَ في المسألةِ . . ما كُفيتَ ، كثيرُ التنصُّحِ يهجمُ على كثيرِ الظِنَّةِ ، مَنْ ألحفَ في المسألةِ . . ثقُلَ ، مَنْ سألَ فوقَ قدرِهِ . . استحقَّ الحرمانَ ، الرفقُ يُمْنُ ، والخرقُ شؤمٌ ، خيرُ السخاءِ ما وافقَ الحاجةَ ، خيرُ العفو ما كانَ بعدَ القدرةِ .

فهاذه خمسةٌ وثلاثونَ مثلاً في نظامٍ واحدٍ (١١).

لا ماءَكِ أبقيتِ ، ولا حركِ أنقيتِ

ويروى: (ولا درنكِ) أصلُهُ: أنَّ رجلاً كانَ في سفرٍ ومعَهُ امرأتُهُ وكانَتْ عاركاً فطهرَتْ ، وكانَ معَهُما ماءٌ يسيرٌ ، فاغتسلَتْ ، فلم يكفِها لغسلِها ، وأنفدَتِ الماءَ ، فبقيا عطشانينِ ، فعندَها قالَ لها هاذا القولَ .

وقالَ المُفضَّلُ: أَوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ: الضَّبُّ بنُ أروى الكلاعيُّ ؛ وذلكَ أنَّهُ خرجَ تاجراً مِنَ اليمنِ إلى الشامِ ، فسارَ أياماً ، ثمَّ حادَ عن أصحابِهِ ، فبقيَ مُفرَداً في تيهٍ مِنَ الأرضِ ، حتى سقطَ إلىٰ قومِ لا يدري مَنْ هُم ، فسألَ عنهُم ،

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١١٤/٣ _ ١١٥) .

فأُخبِرَ أَنَّهُم هَمْدانُ ، فنزلَ بِهم ، وكانَ طريراً ظريفاً ، وإنَّ امرأةً منهُم يُقالُ لها : عمرةُ بنتُ سبيع هَوِيَتْهُ وهَوِيَها ، فخطبَها الضَّبُّ إلى أهلِ بيتِها ، وكانوا لا يُزوِّجونَ إلَّا شاعراً ، أو عائفاً ، أو عالماً بعيونِ الماءِ ، فسألوهُ عن ذلك ، فلم يَعرِف منها شيئاً ، فأبوا تزويجَهُ ، فلمْ يزلْ بهِم حتى أجابوهُ ، فتزوَّجَها .

ثم ان حياً مِنْ أحياءِ العربِ أرادوا الغارة عليهِم، فتطيّروا بالضّبِ ، فأخرجوهُ وامرأتَهُ وهي طامثٌ ، فانطلقا ومع الضّبِ سقاءٌ مِنْ ماءٍ ، فسارَ يوماً وليلةً وأمامَهُما عينٌ يظنّانِ أنّهُما يُصبّحانِها ، فقالَتْ لهُ: ادفع إليّ هاذا السّقاءَ حتى أغتسلَ ، فقد قاربْنا العينَ ، فدفع إليها السّقاءَ ، فاغتسلَتْ بما فيهِ ولم يكفِها ، ثمّ صبّحا العينَ ، فوجداها ناضيةً ، وأدركَهُما العطشُ ، فقالَ لها الضّبُ : لا ماءَكِ أبقيتِ ، ولا حركِ أنقيتِ ، ثمّ استظلّا بشجرةٍ حيالَ العين ، فأنشأ الضّبُ يقولُ :

بَعْ اللَّ سِوَايَ قَوَارِعُ ٱلْعَطَبِ

ا طَلَبُوهُ إِذاً مِنَ ٱلضَّبِ

وَيُخْبِرَ ٱلنَّاسَ مَنْطِقَ ٱلْخُطَبِ

دَارَتْ بِشُوْمٍ لَهُمْ عَلَى ٱلْقُطْبِ

تَ اللهِ مَا طَلَّةٌ أَصَابَ بِهَا وَأَيُّ مَ هُ رٍ يَكُونُ أَثْقَالَ مِمَّ أَنْ يَعْرِفَ ٱلْمَاءَ تَحْتَ صُمِّ ٱلصَّفَا أَنْ يَعْرِفَ ٱلْمَاءَ تَحْتَ صُمِّ ٱلصَّفَا أَخْرَجَنِي قَوْمُهَا بِأَنَّ ٱلرَّحَا

فلمَّا سمعَتِ امرأتُهُ ذلكَ . . فرحَتْ وقالَتِ : ارجعْ إلى القوم ؛ فإنَّكَ شاعرٌ ، فانطلقا راجعَينِ ، فلمَّا وصلا . . خرجَ القومُ إليهِما وقصدوا ضربَهُما وردَّهُما ، فقالَ لهُمُ الضَّبُّ : اسمعوا شعري ثمَّ اقتلوني ، فأنشدَهُم شعرَهُ ، فنجا ، وصارَ فيهِم آثرَ مِنْ بعضِهِم ، قالَ الفرزدقُ : [من الطويل]

وَكُنْتُ كَذَاتِ ٱلْحَيْضِ لَمْ تُبْقِ مَاءَهَا وَلَا هِيَ مِنْ مَاءِ ٱلْعُذَابَةِ طَاهِرُ

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٨٨/٣ _ ١٨٩).

لا يكنْ حبُّكَ كَلَفاً ، ولا بُغضُكَ تَلَفاً

ويُروى عن بعضِ الحكماءِ أنَّهُ قالَ: لا تكنْ في الإخاءِ مكثراً ثمَّ تكونَ فيهِ مدبراً ، فيُعرَفَ سرفُكَ في الإكثار بجفائِكَ في الإدبار .

ومنهُ الحديثُ : « أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا » (١) ، ومنهُ قولُ مَا ، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوماً مَا » (١) ، ومنهُ قولُ النمرِ بنِ تولبِ :

أَحْبِبْ حَبِيبَكَ حُبّاً رُوَيْداً فَلَيْسَ يَعُولُكَ أَنْ تَصْرِمَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضاً رُوَيْداً إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضاً رُوَيْداً إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِخَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ مَنْ يُخَالِلُ » (٢) ، وقريبٌ منهُ بيتُ عديِّ بنِ زيدٍ: [من الطويل] عَنِ ٱلْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَإِنَّ ٱلْقَرِينَ بِٱلْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

لا ناقتي في هذا ولا جملي

أصلُ المثلِ للحارثِ بنِ عُبادٍ حينَ قتلَ جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ كُليباً ، وهاجَتِ الحربُ بينَ الفريقينِ ، وكانَ الحارثُ اعتزلَهُما ، قالَ الراعي: [من البسيط] وَمَا هَجَرْتُكِ حَتَّىٰ قُلْتِ مُعْلِنَةً لَا نَاقَةٌ لِيَ فِي هَلْذَا وَلَا [جَمَلُ]

يُضرَبُ عندَ التبرِّي مِنَ الظلمِ والإساءةِ ، وذكروا أنَّ محمدَ بنَ عميرِ بنِ عطاردِ بنِ حاجبٍ [شُووِرَ] لمَّا خرجَ الناسُ على الحَجَّاجِ ، فقالَ : لا ناقتي في ذا ولا جملي ، فلمَّا دخلَ بعدَ ذلكَ على الحَجَّاجِ . . قالَ : أنتَ القائلُ :

⁽١) أخرجه الترمذي (١٩٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضى الله عنه .

⁽٢) أخرجه أبو داوود (٤٨٠٠) ، والترمذي (٢٣٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

⁽٣) انظر « مجمع الأمثال » (١٨٩/٣ _ ١٩٠) .

لا ناقتي في ذا ولا جملي ؟! لا جعلَ اللهُ لكَ فيهِ ناقةً ولا جملاً ولا رحلاً ، فشمتَ بهِ حجارُ بنُ أبجرَ العجليُّ وهوَ عندَ الحَجَّاجِ ، فلمَّا دعا بغدائِهِ . . جاؤوا [بفرنيَّةٍ] ، فقالَ : ضعوها بينَ يدَيْ أبي عبدِ اللهِ ؛ فإنَّهُ لبنيٌّ يُحِبُّ اللَّبَنَ ، أرادَ أن يدفعَ عنهُ شماتةَ حجار .

وقالَ بعضُهُم: إنَّ أُوَّلَ مَنْ قالَ ذَلكَ: الصَّدوفُ بنتُ حليسِ العذريةُ ، وكانَ لزيدٍ بنتٌ وكانَ مِنْ شأنِها أنَّها كانَتْ عندَ زيدِ بنِ الأخنسِ العذريِّ ، وكانَ لزيدٍ بنتٌ مِنْ غيرِها يُقالُ لها: الفارعةُ ، وإنَّ زيداً عزلَ ابنتَهُ عنِ امرأتِهِ في خباءٍ لها وأخدمَها خادماً ، وخرجَ زيدٌ إلى الشامِ ، وإنَّ رجلاً مِنْ عذرةَ يُقالُ لهُ: شبثُ ، هوينها وهوينهُ ، ولم يزلْ بها حتى طاوعَتْهُ ، فكانَتْ تأمرُ راعيَ أبيها أن يُعجِّلَ ترويحَ إبلِهِ ، وأن يحلبَ لها حلبةَ إبلِها قَيْلاً ، فتشربَ اللّبنَ نهاراً ، حتى إذا أمستْ وهداً الحيُّ . . رُحِلَ لها جملٌ كانَ لأبيها ذَلولٌ ، فقعدَتْ عليهِ وانطلقا ، حتى كانا ينتهيانِ إلى متيهةٍ مِنَ الأرضِ ، فيكونانِ بها ليلتَهُما ، ثمَّ يقبلانِ في وجهِ الصبح ، فكانَ ذَلكَ دأبَهُما .

فلمَّا فصلَ أبوها مِنَ الشامِ . . مرَّ بكاهنةٍ على طريقِهِ ، فسألَها عن أهلِهِ ، فنظرَتْ لهُ وقالَتْ : أرى جملَكَ يُرحَّلُ ليلاً ، وحلبةٌ تَحْلبُ إبلَكَ قيلاً ، وأرى نَعَماً وخيلاً ، فلا لبثَ ، فقد كانَ حدثٌ ، بآلِ شبثٍ .

فأقبل زيدٌ لا يلوي على شيء حتى أتى أهلَهُ ليلاً ، فدخلَ على امرأتِهِ ، وخرجَ مِنْ عندِها مسرعاً ، حتى دخلَ خباءَ ابنتِهِ ، فإذا هي ليسَتْ فيهِ ، فقالَ لخادمِها : أينَ الفارعةُ ثكلَتْكِ أُمُّكِ ؟ قالَتْ : خرجَتْ تمشي وهي حرودٌ ، وائرةٌ تعودُ ، لم ترَ بعدَكَ شمساً ، ولا شَهِدَتْ عرساً ، فانفتلَ عنها إلى امرأتِهِ ، فلمَّا رأتهُ . . عرفَتِ الشرَّ في وجهِهِ ، فقالَتْ : يا زيدُ ؛ لا تعجلْ واقْفُ الأثرَ ، فلا ناقةٌ لى في هاذا ولا جملٌ ، فهي أوّلُ مَنْ قالَ ذلكَ (١) .

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٩٣/٣ _ ١٩٤) .

لا تراهنْ على الصَّعبةِ ، ولا تُنشِدِ القريضَ حتىٰ يحيلَ

هاذا المثلُ للحطيئةِ ، لمَّا حضرَتُهُ الوفاةُ . . اكتنفَهُ أهلُهُ وبنو عمِّهِ ، فقيلَ لهُ : يا حُطَيْءُ ؛ أوصِ ، قالَ : وبمَ [أوصي] مالي بينَ بنيَّ ، قالوا : قد علمنا أنَّ مالَكَ بينَ بنيكَ ، فأوصِ ، فقالَ : ويلُّ للشعرِ مِنْ راويةِ السوءِ ، فأرسلَها مثلاً ، فقالوا : أوصِ ، فقالَ : أخبروا أهلَ ضابئ بنِ الحارثِ أنَّهُ كانَ شاعراً حيثُ يقولُ :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِي وَجَدْتُ جَدِيدَ ٱلْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ

ثمَّ قالَ: لا تراهنْ على الصَّعبةِ ، ولا تُنشِدِ القريضَ حتىٰ يُحِيلَ ، فأرسلَها مثلاً ، يُضرَبُ في التحذيرِ .

وفي بعضِ الرواياتِ أنَّهُ قيلَ لهُ: يا أبا مليكةَ ؛ أوصِهْ ، قالَ : مالي للذُّكورِ دونَ الإناثِ ، قالوا : إنَّ اللهَ لم يأمرْ بذا ، قالَ : فإنِّي آمرَ ، قالَ : أوصِهْ ، قالَ : أخبروا آلَ الشمَّاخ أنَّ أخاهُم أشعرُ العربِ حيثُ يقولُ (١) : [من الطويل]

وَظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ صِيَاماً كَأَنَّهَا وِمَاحٌ نَحَاهَا وِجْهَةَ ٱلرِّيحِ رَاكِزُ

قالوا: أوصِهْ ؛ فإنَّ هاذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ: أبلغوا كندةَ أنَّ أخاهُم أشعرُ العربِ حيثُ يقولُ:

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَىٰ صُمِّ جَنْدَلِ يعني : امرَأَ القيس (٢) ، قالوا : أوصِهْ ؛ فإنَّ هاذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ :

100

⁽۱) انظر « ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني » (ص ٢٠١) .

⁽٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩) ، وقد تبع المؤلف الميداني في « مجمع الأمثال » في رواية هلذا البيت ، وهما بيتان في « ديوان امرئ القيس » الصدر من بيت ، والعجز من البيت الثاني ، وهما :

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَاأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ ٱلْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

كَانَّ ٱلثُّرِيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بَاأَمْ رَاس كَتَّانِ إلَىٰ صُمِّ جَنْدَلِ

أخبروا الأنصارَ أنَّ أخاهُم أمدحُ العربِ حيثُ يقولُ ('': [من الكامل] يُغْشَوْنَ حَتَّىٰ مَا تَهِرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ ٱلسَّوَادِ ٱلْمُقْبِلِ يُغْشَوْنَ حَتَّىٰ مَا تَهِرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ ٱلسَّوَادِ ٱلْمُقْبِلِ قَالَ : أوصيكُم بالشعرِ خيراً ، قالوا: أوصيكُم بالشعرِ خيراً ، قالوا: أوصيكُم بالشعرِ خيراً ، ثمَّ أنشاً يقولُ: [من مشطور الرجز]

اَلشِّعْرُ صَعْبُ وَطَوِيلٌ سُلَّمُهُ إِذَا اُرْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ وَالشِّعْرُ لَا يُطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ وَلَمْ يَزَلْ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي يَحْرِمُهُ مَنْ يَسِمِ ٱلْأَعْدَاءَ يَبْقَى مِيسَمُهُ

قالوا: أوصِهْ ؛ فإنَّ هاذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ: [من مشطور الرجز] كُنْتُ أَحْيَاناً شَدِيدَ ٱلْمُعْتَمَدُ وَكُنْتُ أَحْيَاناً عَلَىٰ خَصْمِي أَلَدُ وَكُنْتُ أَحْيَاناً عَلَىٰ خَصْمِي أَلَدُ قَدْ وَرَدَتْ نَفْسِى وَمَا كَادَتْ تَردْ

قالوا: أوصِهْ ؛ فإنَّ هاذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ: وا جزعاهْ على المديح الجيدِ يمدحُ بهِ مَنْ ليسَ مِنْ أهلِهِ ، قالوا: أوصِهْ ؛ فإنَّ هاذا لا يغني عنكَ شيئاً ، فبكي ، قالوا: وما يبكيكَ ؟ قالَ: أبكى الشعرَ الجيدَ مِنْ راويةِ السوءِ ،

⁽١) ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه (٧٤/١) .

^{. (} \mathbf{y}) \mathbf{y} (\mathbf{y}) (\mathbf{y}) . (\mathbf{y}) \mathbf{y}) .

قالوا: أوصِ للمساكينِ بشيءٍ ، قالَ: أوصيهِم بالمسألةِ ، وأوصي الناسَ ألَّا يعطوهُم ، قالوا: أعتقْ غلامَكَ ؛ فإنَّهُ قد رعىٰ عليكَ ثلاثينَ سنةً ، قالَ: هوَ عبدٌ ما بقيَ على الأرضِ عبسيُّ ، ثمَّ قالَ: احملوني علىٰ حماري ، ودوروا بي حولَ هاذا التلِّ ؛ فإنَّهُ لم يمتْ على الحمارِ كريمٌ ، فعسىٰ ربِّي أن يرحمني ، فحملهُ ابناهُ ، وأخذا بضبعَيهِ ، ثمَّ جعلا يَسوقانِ الحمارِ حولَ التلِّ وهوَ يقولُ :

قَدْ عَجَّلَ ٱلدَّهْرُ وَٱلْأَحْدَاثُ يُتْمَكُمَا فَٱسْتَغْنِيَا بِوَشِيكٍ إِنَّنِي فَانِ وَدُلِّيَانِيَ فَانِ وَدُلِّيَانِيَ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ كَمَا تُدَلَّىٰ [دِلَاءٌ] بينَ أَشْطَانِ

قالوا: يا أبا مليكة ؛ مَنْ أشعرُ العربِ ؟ قالَ : هنذا الجحيرُ ، إذا طمع بخيرٍ ، وأشارَ بيدِهِ إلىٰ فيهِ ، وكانَ آخِرَ كلامِهِ ، فماتَ وكانَ لهُ عشرونَ ومئةُ سنةٍ ؛ منها سبعونَ في الجاهليةِ ، وخمسونَ في الإسلام .

ويُروى : أنَّهُ أرادَ سفراً ، فلمَّا قدمَ راحلتَهُ . . قالَتْ لهُ امرأتُهُ : متىٰ ترجعُ ؟ فقالَ :

عُدِّي ٱلسِّنِينَ لِغَيْبَتِي وَتَصَبَّرِي وَدَعِ ٱلشُّهُ ورَ فَإِنَّهُ نَّ قِصَارُ فَالِثُّهُ وَ فَإِنَّهُ نَ

أُذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَٱرْحَمْ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ

قالوا: وما مدحَ قوماً إلَّا رفعَهُم ، وما هجا قوماً إلَّا وضعَهُم ، وقالَ يهجو نفسَهُ وقد نظرَ في المرآةِ وكانَ دميماً:

بِسُوءٍ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ (١) فَقُبّحَ مِنْ وَجْهٍ وَقُبّحَ حَامِلُهُ

أَبَتْ شَفَتَايَ ٱلْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّماً أَرَىٰ لِيَ وَجْها شَوَّهَ ٱللهُ خَلْقَهُ

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (١٩٨/٣ _ ٢٠١) .

لا غزوَ إلَّا التعقيبُ

يُقالُ: عَقَّبَ الرجلُ؛ وهوَ أَن يغزوَ مَرَّةً ، ثمَّ يثني مِنْ سنتِهِ ، قالَ طفيلٌ يصفُ الخيلَ (١):

طِوَالُ ٱلْهَوَادِي وَٱلْمُتُونُ صَلِيبَةٌ مَغَاوِيرُ فِيهَا لِلْأَرِيبِ مُعَقَّبُ

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : حجرُ بنُ الحارثِ بنِ عمرٍ و آكلُ المرارِ ؛ وذلكَ أنَّ الحارثَ بنَ مندلةَ ملكَ الشامِ ، وكانَ مِنْ ملوكِ سليحٍ ، مِنْ ملوكِ الضجاعمِ ، وهوَ الذي ذكرَهُ مالكُ بنُ [جوينٍ] الطائيُّ في شعرِهِ فقالَ : [من الطويل]

هُنَالِكَ لَا أُعْطِي رَئِيساً مَقَادَةً وَلَا مَلِكاً حَتَّىٰ يَؤُوبَ ٱبْنُ مَنْدَلَهُ

وكانَ قد أغارَ على أرضِ نجدٍ ؛ وهي أرضُ حجرِ بنِ الحارثِ هاذا ؛ وذلكَ على عهدِ بهرامَ جورَ ، وكانَ بها أهلُ حجرٍ ، فوجدَ القومَ خُلُوفاً ، ووجدَ حجراً قد غزا أهلَ نجرانَ ، فاستاقَ ابنُ مندلةَ مالَ حجرٍ ، وأخذَ امرأتَهُ هندَ الهنودِ ، ووقعَ بها ، فأعجبَها ، وكانَ آكلُ المرارِ شيخاً كبيراً ، وابنُ مندلةَ شابّاً جميلاً ، فقالَتْ لهُ : النجاءَ النجاءَ ؛ فإنَّ وراءَكَ طالباً حثيثاً ، وجمعاً كثيراً ، ورأياً صليباً ، وحزماً وكيداً .

فخرجَ ابنُ مندلةَ مُغِذًا إلى الشامِ ، وجعلَ يقسمُ المرباعَ نهارَهُ أجمعَ ، فإذا كانَ الليلُ . . أُسرجَتْ لهُ السرجُ يقسمُ عليها .

فلمَّا رجعَ حجرٌ . . وجدَ مالَهُ قدِ استيقَ ، ووجدَ هنداً قد أُخِذَتْ ، فقالَ : مَنْ أَغَارَ عليكُم ؟ قالوا : ابنُ مندلةَ ، قالَ : مذ كم ؟ فقالوا : مذ ثمانِ ليالٍ ، فقالَ حجرٌ : ثمانٌ في ثمانٍ ، لا غزوَ إلَّا التعقيبُ ، فأرسلَها مثلاً ؛ يعني : غزوَهُ الأوَّلَ والثاني .

⁽۱) انظر « ديوان طفيل الغنوي » (ص ٥٨) .

قلتُ (١): قولُهُ: (ثمانٌ في ثمانٍ) يعنى: ثمانَ ليالٍ أُدخِلَتْ في ثمانٍ أخرىٰ ؛ إذ كانَتْ غزوةُ نجرانَ كذا ، فقرنَتْ بمثلِها مِنْ هلذا الغزو الآخر ، أو أرادَ ثمانَ ليالٍ في أثر ثمانِ ليالٍ ؟ يعني : أنَّهُ سبقَهُ بثمانِ ليالٍ حين أغارَ على قومِهِ ، وسيلحقُهُ في ثمانِ ليالٍ ، ثمَّ أقبلَ مُجِدًّا في طلب ابن مندلة ، حتى دفعَ إلى وادٍ دونَ منزلِ ابن مندلة ، فكَمَنَ فيه ، وبعثَ سدوسَ بنَ شيبانَ بن ذُهل بنِ ثعلبةً ، وكانَ مِنْ مناكير العربِ ، فقالَ لهُ حجرٌ : اذهبْ مُتنكِّراً إلى القوم حتىٰ تعلمَ لنا علمَهُم ، فانطلقَ سدوسٌ حتى انتهىٰ إلى ابن مندلةً ، وقد نزلَ في سفح الجبلِ ، وأوقد ناراً ، وأقبلَ يقسمُ المرباعَ ، ونثرَ تمراً ، وقالَ : مَنْ جاءَ بحزمةِ حطب ، فذهبَ سدوسٌ وأتى بحزمةِ حطب وألقاها على النار ، وأخذَ قبضةً مِنْ تمر فألقاها في كنانتِهِ ، وجلسَ معَ القوم يستمعُ إلىٰ ما يقولونَ وهندٌ خلفَ ابنِ مندلةَ تُحدِّثُهُ ، فقالَ ابنُ مندلةَ : يا هندُ ؛ ما ظنُّك الآن بحجر ؟ قالَتْ : أراهُ ضارباً بجوشنهِ على واسطةِ رحلهِ وهوَ يقولُ : سيروا سيروا ، لا غزوَ إلَّا التعقيبُ ، وذلكَ مثلَ ما قالَ زوجُها سواءً ، ثمَّ قالَتْ هندٌ لابن مندلةَ : والله ؟ ما نامَ حجرٌ قطُّ إلَّا وعضوٌ منهُ حيٌّ ، قالَ ابنُ مندلةَ : وما علمُكِ بذلكَ ؟! وانتهرَها ، قالَتْ : بلي ، كنتُ لهُ فاركاً ، فبينَما هوَ ذاتَ يوم في منزلٍ لهُ قد أخرجَ إليهِ رابعاً ، فضربَتْ لهُ قبةٌ مِنْ قبابهِ ، ثمَّ أمرَ بجُزُر فنُحِرَتْ ، وبشاءٍ فذُبحَتْ ، فصنعَ ذلكَ ، ثم أرسلَ للناس فدعاهُم فأطعمَهُم ، فلمَّا طعموا وخرجوا . . نامَ كما هوَ مكانَهُ وأنا جالسةٌ عندَ باب القُبَّةِ ، فأقبلَتْ حيَّةٌ وهوَ نائمٌ باسطٌ رجلَهُ ، فذهبَتِ الحيَّةُ لتنهشَهُ ، فقبضَ رجلَهُ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ مِنْ قبل يدِهِ لتنهشَهُ ، فقبضَ يدَهُ إليهِ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ مِنْ قِبَل رأسِهِ ، فلمَّا دنَتْ منهُ وهوَ يَغِطُّ . . قعدَ جالساً ، فنظرَ إلى الحيَّةِ ، فقالَ : ما هـنده يا هند ؟! فقلتُ : ما فطنتُ لها حتى جلستَ ، قالَ : لا والله ، وذلكَ

⁽١) القائل : هو العلامة الميداني صاحب " مجمع الأمثال " .

كلُّهُ بمسمعِ سدوسٍ ، فلمَّا سمعَ الحديثَ . . رجعَ إلىٰ حجرٍ ، فنثرَ التمرَ مِنَ الكنانةِ بينَ يدَيهِ وقالَ :

أَتَاكَ ٱلْمُرْجِفُونَ بِأَمْرِ غَيْبٍ عَلَىٰ دَهَشٍ وَجِئْتُكَ بِٱلْيَقِينِ

فلمَّا حدَّثَهُ بحديثِ امرأتِهِ معَ ابنِ مندلةً . . عرفَ أنَّهُ قد صدقَهُ ، فضربَ بيدِهِ على المرارِ ـ وهي شجرةٌ مُرَّةٌ إذا أكلَتْ منها الإبلُ . . قلصَتْ مشافرُها ـ فأكلَ منها مِنَ الغضبِ ، فلم يَضُرُّهُ ، فسَمَّتْهُ العربُ : آكلَ المِرارِ .

ثمَّ خرجَ حتى أغارَ على ابنِ مندلة ، فنذرَ بهِ ابنُ مندلة ، فوثبَ على فرسِهِ ووقف ، فقالَ لهُ: آكلُ المرارِ: هل لكَ في المبارزةِ ، فأيُّنا قتلَ صاحبَهُ . . انقادَ لهُ جندُ المقتولِ ؟ قالَ لهُ ابن مندلة : أنصفت ، وذلكَ بعينِ هندٍ ، فاختلفا بينهُما بطعنتَينِ ، فطعنَهُ آكلُ المِرارِ طعنةً جندلَهُ بها عن فرسِهِ ، فوثبَتْ هندُ إلى ابنِ مندلة تفديهِ ، وانتزَعَتِ الرمحَ مِنْ نحرِهِ وخرجَتْ نفسُهُ ، فظفرَ آكلُ المِرارِ بجندِهِ ، واستنقذَ جميعَ ما كانَ ذهبَ بهِ مِنْ مالِهِ ومالِ أهلِ بلادِهِ ، وأخذَ هنداً فقتلَها مكانَهُ ، وأنشاً يقولُ :

لَمْ يَنَمْ غَيْرُ مُصْطَلٍ مَقْرُورُ بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُورُ آيَةَ ٱلْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورُ

لِمَنِ ٱلنَّارُ أُوقِدَتْ بِحَفِيرٍ إِنَّ مَنْ يَأْمَنُ ٱلنِّسَاءَ بِشَيْءٍ كُلُّ أُنْثَىٰ وَإِنْ تَبَيَّنْتَ مِنْهَا

لا تَجزعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَها

قالوا: إِنَّ أُوَّلَ مَنْ قَالَ ذَٰلكَ: خَالدُ ابنُ أَخْتِ أَبِي ذَوْيْبِ الهذليِّ ؛ وذَٰلكَ أَنَّ أَبا ذَوْيْبِ كَانَ قَد نزلَ في بني عامرِ بنِ صعصعةَ علىٰ رجلٍ يُقالُ لهُ:

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٢٤٥/٣ _ ٢٤٧) .

عبدُ عمرِو بنِ عامرٍ ، فعشقَتْهُ امرأةُ عبدِ عمرٍو وعشقَها ، [فخبَّبَها] على زوجِها ، وحملَها وهربَ بها إلىٰ قومِهِ ، فلمَّا قدمَ منزلَهُ . . تَخوَّفَ أهلَهُ ، فأسَرَها منهُم في موضع لا يُعلَمُ ، وكانَ يختلفُ إليها إذا أمكنَهُ ، وكانَ الرسولُ بينَها وبينَهُ ابنَ أختٍ لهُ يُقالُ لهُ : خالدٌ ، وكانَ غلاماً حَدَثاً لهُ منظرٌ وصباحةٌ ، فمكثَ بذلكَ برهةً مِنْ دهرٍ ، وشبَّ خالدٌ وأدركَ ، فعشقَتْهُ المرأةُ ، ودعتْهُ إلىٰ نفسِها ، فأجابَها وهويَها ، ثمَّ إنَّهُ حملَها مِنْ مكانِها ذلكَ ، فأتى بها مكاناً غيرَهُ ، وجعلَ يختلفُ إليها فيهِ ، ومنعَ أبا ذؤيبٍ عنها ، فأنشأ أبو ذؤيبٍ يقولُ (١٠) :

مَا حُمِّلَ ٱلْبُخْتِيُّ عَامَ [غِيَارِهِ] عَلَيْهِ ٱلْوُسُوقُ بُرُّهَا وَشَعِيرُهَا بِأَعْظَمَ مِمَّا كُنْتُ حَمَّلْتُ خَالِداً وَبَعْضُ أَمَانَاتِ ٱلرِّجَالِ غُرُورُهَا فَلَا عُرُورُهَا فَلَا عُرُورُهَا فَلَمَّا تَرَامَاهُ ٱلشَّبَابُ وَغَيُّهُ وَتُبِّعَ مِنْهُ فِتْنَةٌ وَفُجُورُهَا لَلَّ مَانَاتُ اللَّهَ عَنْهُ فِي اللَّهِ عَلَيْهُ وَقُلْبُ وَغَيُّهُ وَتُبِّعَ مِنْهُ فِيتَنَةٌ وَفُجُورُهَا لَلَّ مَا اللَّهُ عَنَّا وَمَالَ بِوُدِهِ الْمَاهُ اللَّهُ عَنَّا وَمَالَ بِوُدِهِ اللَّهُ عَنْهُ وَيُهَا يَزُورُهَا لَلَهُ عَنْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ الللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللللْهُ اللَّهُ الللللْهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الل

فلمَّا بلغَ ذلكَ ابنَ أختِهِ خالداً . . أنشأ يقولُ : [من الطويل]

سِوَاكَ خَلِيلاً دَائِماً تَسْتَجِيرُهَا وَهِيْ هَمُّهَا فِي نَفْسِهَا وَسَجِيرُهَا فَأُوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا حَدِيدَةُ [حَتْفٍ] دَائِباً يَسْتَثِيرُهَا فَهَلْ أَنْتَ إِمَّا أُمُّ عَمْرٍ و تَبَدَّلَتْ فَرَرْتَ بِهَا مِنْ عِنْدِ عَمْرِ و بْنِ عَامِرٍ فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا وَلَا تَكُ كَٱلثَّوْر ٱلَّذِي دُفِنَتْ لَهُ

⁽١) انظر « ديوان الهذليين » (١٥٤/١ _ ١٥٥) .

⁽Y) رواية البيت في « شرح أشعار الهذلين » (ص (Y)

أَلَـمْ تَتَنَقَّذُهَا مِنِ ٱبْنِ عُوَيْمِرٍ وَأَنْـتَ صَفِيٌّ نَفْسِهِ وَسَجِيرُهَا

ما وراءَكِ يا عصامُ

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ: الحارثُ بنُ عمرٍ و ملكُ كندة ؛ وذلكَ أنّهُ لمَّا بلغَهُ جمالُ ابنةِ عوفِ بنِ مُحلِّم الشيبانيِّ وكمالُها وقُوَّةُ عقلِها.. دعا امرأةً مِنْ كندة يُقالُ لها: عصامُ ، ذاتُ عقلٍ ولسانٍ ، وأدبٍ وبيانٍ ، وقالَ لها: اذهبي حتى تعلمي لي علمَ ابنةِ عوفٍ ، فمضَتْ حتى انتهَتْ إلى أُمِّها ؛ وهي أُمامةُ ابنةُ الحارثِ ، فأعلمتُها ما قدمَتْ لهُ ، فأرسلَتْ أُمامةُ إلى ابنتِها ، وقالَتْ : أي بنيَّةُ ؛ هاذهِ خالتُكِ أتتْكِ لتنظرَ إليكِ ، فلا تستري عنها شيئاً إن وقالَتْ النظرَ مِنْ وجهٍ أو خلفٍ ، وناطقيها إنِ استنطقَتْكِ ، فدخلَتْ إليها ، فنظرَتْ إلى ما لم تر قطُّ مثلَهُ ، فخرجَتْ مِنْ عندِها وهي تقولُ : تركَ الخداعَ من كشفَ القناعَ ، فأرسلَتْها مثلاً .

ثمَّ انطلقَتْ إلى الحارثِ ، فلمَّا رآها مقبلةً . . قالَ لها : ما وراءكِ يا عصامُ ؟ قالَتْ : صَرَّحَ المخضُ عنِ الزبدِ ؛ رأيتُ جبهةً كالمرآةِ المصقولةِ ، يزينُها شعرٌ حالكٌ كأذنابِ الخيلِ ، إن أرسلَتُهُ . . خلتهُ السلاسلَ ، وإن مشطَتْهُ . . قلتَ : عنقيدُ جلَّاها الوابلُ ، وحاجبَينِ كأنَّما خُطَّا بقلمٍ أو سُوِّدا بحمم ، تقوَّسا على عنقيدُ جلَّها الوابلُ ، وحاجبَينِ كأنَّما خُطَّا بقلمٍ أو سُوِّدا بحمم ، تقوَّسا على مثلِ عينَيْ ظبيةٍ عبهرةٍ ، بينَهُما أنفٌ كحدِّ السيفِ الصنيعِ ، خُفَّتْ بهِ وجنتانِ كالأُرجوانِ ، في بياضِ كالجمانِ ، شُقَّ فيهِ فمٌ كالخاتمِ لذيذُ المبتسمِ ، فيهِ ثنايا غُرُّ ذاتُ أشرٍ ، تَقلَّبَ فيهِ لسانٌ ذو فصاحةٍ وبيانٍ ، بعقلٍ وافرٍ ، وجوابٍ حاضرٍ ، تلتقي فيهِ شفتانِ حمراوانِ تحلبانِ ريقاً كالشَّهدِ إذا دلكَ ، في رقبةٍ بيضاءَ كالفضةِ ، رُكِّبَتْ في صدرٍ كصدرِ تمثالِ دميةٍ ، وعضدانِ مدمجانِ بيضاءَ كالفضةِ ، رُكِّبَتْ في صدرٍ كصدرِ تمثالِ دميةٍ ، وعضدانِ مدمجانِ عيضاً بهما ذراعانِ ليسَ فيهِما عظمٌ يُمَسُّ ، ولا عرقٌ يُحَسُّ ، رُكِّبَتْ فيهِما عظمٌ يُمَسُّ ، ولا عرقٌ يُحَسُّ ، رُكِّبَتْ فيهِما ذلكَ الصدرِ ثديانِ كالرُّمَّانتَينِ يَخرِقانِ عليها ثيابَها ، تحتَ ذلكَ بطنٌ طُويَ في القباطيّ المدمجةِ ، كُسِرَ عُكُناً كالقراطيسِ المدرجةِ ، تحيطُ بتلكَ العُكُنِ طيً القباطيّ المدمجةِ ، كُسِرَ عُكُناً كالقراطيسِ المدرجةِ ، تحيطُ بتلكَ العُكُنِ عليً القباطيّ المدمجةِ ، كُسِرَ عُكُناً كالقراطيسِ المدرجةِ ، تحيطُ بتلكَ العُكُنِ

سرَّةُ كالمدهنِ المَجلةِ ، خلفَ ذٰلكَ ظهرٌ فيهِ كالجدولِ ، ينتهي إلىٰ خصرٍ لولا رحمةُ اللهِ . . لانبترَ ، لها كفلٌ يقعدُها إذا نهضَتْ ، وينهضُها إذا قعدَتْ ؟ كأنَّهُ دعصُ الرملِ ، لبَّدَهُ سقوطُ الطلِّ ، يحملُهُ فخذانِ لُفًا كأنَّما قُلِبا على نضدِ جمانٍ ، تحتَهُما ساقانِ خدلتانِ كالبَرْديَّتينِ ، وُشِيتا بشعرٍ أسودَ كأنَّهُ حلقُ الزردِ ، يحملُ ذٰلكَ قدمانِ كحذوِ اللسانِ ، فتباركَ اللهُ معَ صغرِهِما كيفَ يطيقانِ حملَ ما فوقَهُما !!

فأرسلَ الملكُ إلى أبيها، فخطبَها، فزَوَّجَها إيَّاهُ، وبعثَ بصَداقِها، فجُهِّزَتْ، فلمَّا أرادوا أن يحملوها إلى زوجِها. قالَتْ لها أُمُّها: أي بنيةُ ؛ إنَّ الوصيةَ لو تُرِكَتْ لفضلِ أدبٍ . تُرِكَتْ لذلكَ منكِ ، وللكنَّها تذكرةٌ للغافلِ، ومعونةٌ للعاقلِ ، ولو أنَّ امرأةً استغنَتْ عنِ الزوجِ لغنى أبوَيها وشدَّةِ حاجتِهِما إليها . كنتِ أغنى الناسِ عنهُ ، وللكنَّ النساءَ للرجالِ خُلِقْنَ ، ولهنَّ خُلِقَ الرجالُ .

أي بنيةُ ؛ إنَّكِ فارقتِ الجوَّ الذي منهُ خرجتِ ، وخَلَّفتِ العُشَّ الذي فيهِ درجتِ ، وخَلَّفتِ العُشَّ الذي فيهِ درجتِ ، إلى وَكْرٍ لم تعرفيهِ ، وقرينٍ لم تألفيهِ ، فأصبحَ بملكِهِ عليكِ رقيباً ومليكاً ، فكوني لهُ أَمَةً . . يكنْ لكِ عبداً وشيكاً .

يا بنية ؛ احملي عنِّي عشر خصالٍ . . تكنْ لكِ ذخراً وذكراً ؛ الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسنِ السمعِ والطاعة ، والتعهُّدُ لموقعِ عينهِ ، والتفقدُ لموضعِ أنفِهِ ، فلا تقعُ عينهُ منكِ على قبيحٍ ، ولا يَشَمُّ منكِ إلَّا طيبَ ريحٍ ، المحصلُ أحسنُ الحسنِ ، والماءُ أطيبُ الطيبِ المفقودِ ، والتعهُّدُ لوقتِ طعامِهِ ، والهدْءُ عنهُ عندَ منامِهِ ، فإنَّ حرارة الجوعِ ملهبةٌ ، وتنغيصُ النومِ مبغضةٌ ، والاحتفاظُ ببيتِهِ ومالِهِ ، والإرعاءُ على نفسِهِ وحشمِهِ وعيالِهِ ؛ فإنَّ مبخضةٌ ، والاحتفاظُ بالمالِ حسنُ التقديرِ ، والإرعاءُ على العيالِ والحشمِ جميلٌ حسنُ التدبيرِ ، ولا تفشي لهُ سرّاً ، ولا تعصي لهُ أمراً ؛ فإنَّكِ إن أفشيتِ سِرَّهُ . . لم

تأمني غدرَهُ ، وإن عصيتِ أمرَهُ . . أوغرتِ صدرَهُ ، ثمَّ اتقي معَ ذلكَ الفرحَ إن كانَ تَرِحاً ، والاكتئابَ عندَهُ إن كانَ فَرِحاً ؛ فإنَّ الخصلة الأُولى مِنَ التقصيرِ ، والثانية مِنَ التكديرِ ، وكوني أشدَّ ما تكونينَ لهُ إعظاماً . . يكنْ أشدَّ ما يكونُ لكِ إكراماً ، وأشدَّ ما تكونينَ لهُ موافقةً . . يكنْ أطولَ ما تكونينَ لهُ مرافقةً ، واعلمي : أنَّكِ لا تصلينَ إلى ما تحبينَ حتى تؤثري رضاهُ على رضاكِ ، وهواهُ على هواكِ ، فيما أحببتِ وكرهتِ ، واللهُ يخيرُ لكِ ، فحُمِلَتْ ، فسُلِّمَتْ إليهِ ، فعظمَ موقعُها منهُ ، وولدَتْ لهُ الملوكَ السبعةَ الذينَ ملكوا بعدَهُ اليمنَ .

وروى أبو عبيدٍ: (ما وراءَكَ؟) على التذكيرِ، وقالَ: (يُقالُ: إنَّ المُتكلِّمَ بهِ النابغةُ الذبيانيُّ، قالَهُ لعصامِ بنِ شهيرٍ حاجبِ النعمانِ، وكانَ مريضاً) (١)، وقد أُرجِفَ بموتِهِ، فسألَهُ النابغةُ عن حالِ النعمانِ، فقالَ: ما وراءَكَ يا عصامُ ؟ ومعناهُ: ما خَلَّفتَ مِنْ أمرِ العليلِ، أو ما أمامَكَ مِنْ حالِهِ، و(وراءَ) مِنَ الأضدادِ.

قلتُ (٢): يجوزُ أن يكونَ أصلُ المثلِ ما ذكرتُ ، ثمَّ اتفقَ الاسمانِ ، فخُوطِبَ كلُّ بما استحقَّ مِنَ التذكير والتأنيثِ (٢).

مقتلُ الرجلِ بينَ فكَّيهِ

المقتلُ: القتلُ، وموضعُ القتلِ أيضاً، ويجوزُ أن يجعلَ اللسانُ قتلاً مبالغةً في وصفِهِ بالإفضاءِ إليهِ، قالَ (ف) : [من البسيط]

..... [فَإِنَّمَا] هِي إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

⁽١) الأمثال (ص ٢٠٥) للقاسم بن سلام .

⁽ Υ) القائل : هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال » .

⁽٣) انظر « مجمع الأمثال » (٢٨٠/٣ _ ٢٨٢) .

⁽٤) عجز بيت للخنساء رضي الله عنها ، انظر « ديوانها » (ص ٣٨٣) ، والبيت بتمامه :

ويجوزُ أن يُجعَلَ موضعَ القتلِ ؛ أي: بسببِهِ يَحصُلُ القتلُ ، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى القاتل.

فالمصدرُ ينوبُ عن الفاعل ؛ كأنَّهُ قالَ : قاتلُ الرجل بينَ فكَّيهِ .

قَالَ المُفضَّلُ: أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلكَ: أكثمُ بنُ صيفيٍّ في وصيةٍ لبنيهِ ، وكانَ جمعَهُم فقالَ:

- تبارُّوا ؛ فإنَّ البِرَّ يبقى عليهِ العددُ ، وكُفُّوا ألسنتَكُم ؛ فإنَّ مَقتلَ الرجلِ بينَ فكَّيهِ .
 - إنَّ قولَ الحقِّ لم يدعْ لي [صديقاً].
 - _ الصدقُ منجاةٌ .
 - لا ينفعُ التوقِّي ممَّا هوَ واقعٌ .
 - في طلبِ المعالي يكونُ العَناءُ .
 - الاقتصادُ في السعْيِ أبقىٰ للجمامِ .
- مَنْ لم يأسَ على ما فاتَهُ . . وَدَّعَ بدنَهُ ، ومَنْ قنعَ بما هوَ فيهِ . . قَرَّتْ عبنُهُ .
 - _ التقدُّمُ قبلَ التندُّم .
 - أُصبِحُ عندَ رأسِ الأمرِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أن أُصبِحَ عندَ ذَنبِهِ .
 - _ لم يَهلِكْ مِنْ مالِكَ ما وعظَكَ .
 - ـ ويلٌ لعالمِ أمرٍ مِنْ جاهلِهِ .

تَوْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّىٰ إِذَا ٱذَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

- يتشابهُ الأمرُ إذا أقبلَ ، وإذا أدبرَ عرفَهُ الكيسُ والأحمقُ .
 - البطرُ عندَ الرخاءِ حمقٌ ، والعجزُ عن البلاءِ أمنٌ .
 - لا تغضبوا مِنَ اليسير ؛ فإنَّهُ يجني الكثيرَ .
- لا تجيبوا فيما لا تُسأَلُوا عنهُ ، ولا تضحكوا ممَّا لا يُضحَكُ منهُ .
- تناءَوا في الديار ، ولا تباغضوا ؛ فإنَّهُ مَنْ يجتمعْ . . يقعقعْ عندَهُ .
 - ألزموا النساء المهانة .
 - نِعْمَ لَهُوُ الْغِرَّةِ الْمِغْزِلُ .
 - حيلةُ مَنْ لا حيلةَ لهُ الصَّبرُ.
 - إن تعشْ . . ترَ ما لم ترَهُ .
 - المِكثارُ كحاطبِ ليلٍ .
 - _ مَنْ أكثر . . أسقط .
 - لا تجعلوا سرًّا إلى أُمَةٍ .

فهاند تسعة وعشرون مثلاً ، منها قد مرَّ ذكره فيما سبقَ مِنَ الكتابِ ، ومنها ما يأتي إن شاءَ الله تعالى .

وقد أحسنَ مَنْ قالَ: رحمَ اللهُ امراً أطلقَ ما بينَ كفَّيهِ ، وأمسكَ ما بينَ فكَّيهِ ، وأمسكَ ما بينَ فكَّيهِ ، وللهِ درُّ أبي الفتحِ البستيّ حيثُ يقولُ في هذا المثل (١٠):

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَٱلسُّكُوتُ جَمَادُ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلاً سَدِيداً تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْر ٱلسَّدَادِ سَدَادُ

⁽١) انظر « ديوان أبي الفتح البستي » (ص ١٢٦) .

واحتذاهُ القاضي أبو أحمدَ منصورُ بنُ محمدٍ الهرويُّ ، فقالَ : [من الطويل] إِذَا كُنْتَ ذَا عِلْم وَمَارَاكَ جَاهِلٌ فَأَعْرِضْ فَفِي تَرْكِ ٱلْجَوَابِ جَوَابُ

وَإِنْ لَمْ تُصِبْ فِي ٱلْقَوْلِ فَٱسْكُتْ فَإِنَّمَا سُكُوتُكَ عَنْ غَيْرِ ٱلصَّوَابِ صَوَابُ

وضَمَّنَ الشيخُ أبو سهلِ النيليُّ شرائطَ الكلام قولَهُ: [من الكامل]

أُوصِيكَ فِي نَظْمِ ٱلْكَلَامِ بِخَمْسَةٍ إِنْ كُنْتَ لِلْمُوصِي ٱلشَّفِيقِ مُطِيعًا لَا تُغْفِلَنْ سَبَبَ ٱلْكَلَامِ وَوَقْتَهُ وَٱلْكَيْفَ وَٱلْكَمْ وَٱلْمَكَانَ جَمِيعًا

« مَنْ صدقَ الله . . نجا »

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وسَلَّم أنَّهُ قالَ:
« إِنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرِ ٱنْطَلَقُوا إِلَى ٱلصَّحْرَاءِ ، فَمَطَرَتْهُمُ ٱلسَّمَاءُ ، فَلَجَؤُوا إِلَى كَهْفِ فِي جَبَلٍ يَنْتَظِرُونَ إِقْلَاعَ ٱلْمَطَرِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ . . إِذْ هَبَطَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ وَجَثَمَتْ عَلَىٰ بَابِ ٱلْغَارِ ، فَيَئِسُوا مِنَ ٱلْحَيَاةِ وَٱلنَّجَاةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : الْمَخَبَلِ وَجَثَمَتْ عَلَىٰ بَابِ ٱلْغَارِ ، فَيَئِسُوا مِنَ ٱلْحَيَاةِ وَٱلنَّجَاةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : لِيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ إِلَىٰ أَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَمَلِ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرُهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، عَمَلِ عَمِلَ أَنْ يَرْحَمَنَا وَيُنَجِينَا .

فَقَالَ أَحَدُهُمُ: ٱللَّهُمَّ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ بَارًا بِوَالِدَيَّ ، وَكُنْتُ آتِيهِمَا بِغَبُوقِهِمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ بِغَبُوقِهِمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَوْ فَعُرُ اللَّهُ بِغَبُوقِهِمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ كُنْتُ أُوقِظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ ٱلرُّجُوعَ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَاكَ دَأْبِي حَتَّىٰ طَلَعَ ٱلْفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَلِكَ لِوَجْهِكَ . . فَٱفْرُجْ عَنَا ، فَمَالَتِ ٱلصَّخْرَةُ عَنْ مَكَانِهَا حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَيْهِمُ ٱلضَّوْءُ .

وَقَالَ ٱلْآخَرُ: ٱللَّهُمَّ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي هَوِيتُ ٱمْرَأَةً ، وَلَقِيتُ فِي شَأْنِهَا أَهْوَالاً حَتَّىٰ ظَفِرْتُ بِهَا ، وَقَعَدْتُ مِنْهَا مَقْعَدَ ٱلرَّجُلِ مِنَ ٱلْمَرْأَةِ ، قَالَتْ: إِنَّهُ لَا يَجِلُّ لَكَ ظَفِرْتُ بِهَا ، وَقَعَدْتُ مِنْهَا مَقْعَدَ ٱلرَّجُلِ مِنَ ٱلْمَرْأَةِ ، قَالَتْ: إِنَّهُ لَا يَجِلُّ لَكَ اللَّهُ أَنْهُ مَا حَمَلَنِي لَكَ أَنْ تَفُضَّ خَاتَمِي إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا حَمَلَنِي

عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِلَّا مَخَافَتُكَ . . فَٱفْرُجْ عَنَّا ، فَٱنْفَرَجَتِ ٱلصَّخْرَةُ حَتَّىٰ لَوْ شَاءَ ٱلْقَوْمُ أَنْ يَخْرُجُوا لَقَدَرُوا .

وَقَالَ ٱلثَّالِثُ: اللَّهُمَ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي ٱسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ ، فَعَمِلُوا لِي ، فَوَقَّيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً تَرَكَ أَجْرَهُ عِنْدِي وَخَرَجَ مُغَاضِباً ، فَرَبَيْتُ أَجْرَهُ عِنْدِي وَخَرَجَ مُغَاضِباً ، فَرَبَيْتُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ نَمَا وَبَلَغَ مَبْلَغاً ، ثُمَّ جَاءَ ٱلْأَجِيرُ فَطَلَبَ أُجْرَتَهُ ، فَقُلْتُ : هَاكَ مَا تَرَىٰ مِنَ ٱلْمَالِ ، فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَلِكَ لَكَ . . فَٱفْرُجْ عَنَا ، فَمَالَتِ ٱلصَّخْرَةُ ، وَٱنْطَلَقُوا سَالِمِينَ » .

فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: «مَنْ صَدَقَ ٱلله .. نَجَا » (١) ، ومعنى (صدق الله): لقى الله بالصدق ؛ وهو أن يُحقِّقَ قولَهُ فعله .

منكَ أَنْفُكَ وإن كَانَ أَجِدعَ

يُضرَبُ لِمَنْ يلزمُكَ خيرُهُ وشرُّهُ وإن كانَ ليسَ بمستحكم القربِ.

وأوّلُ مَنْ قالَ ذلك : قنفذُ بنُ جعونة المازنيُّ للربيعِ بنِ كعبِ المازنيِّ ؟ وذلك أنَّ الربيعَ دفعَ فرساً كانَ قد أبرَّ على الخيلِ كرماً وجودةً إلىٰ أخيهِ كميشٍ ليأتيَ بهِ أهلَهُ ، وكانَ كميشٌ أَنْوَكَ مشهوراً بالحمقِ ، وقد كانَ رجلٌ مِنْ بني مالكِ يُقالُ لهُ : قرادُ بنُ جرمٍ ، قدمَ على أصحابِ الفرسِ ليصيبَ منهُم عرَّةً فيأخذَها ، فكانَ داهيةً ، فمكثَ فيهِم مقيماً لا يَعرِفونَ نسبَهُ ولا يظهرُهُ هوَ ، فلمَّا نظرَ إلىٰ كميشٍ راكباً الفرسَ . . ركبَ ناقتَهُ ، ثمَّ عارضَهُ فقالَ : يا كميشُ ؛ هل لكَ في عانةٍ لم أرَ مثلَها سمناً ولا عظماً ، وعَيْرٌ معَها مِنْ ذهبِ ؟ فأمًا الأتنُ . . فتروحُ بها إلىٰ أهلِكَ فتملأُ قدُورَهُم ، وتُفرِحُ صُدورَهُم ، وأمَّا الغيْرُ . . فلا افتقارَ بعدَهُ ؟ قالَ لهُ كميشٌ : وكيفَ لنا بهِ ؟ قالَ : أنا لكَ

⁽١) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (١٩٦) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفئ رضي الله عنهما .

بهِ ، وليسَ يُدرَكُ إلَّا على فرسِكَ هاذا ، ولا يُرى إلَّا بليلٍ ، ولا يراهُ غيري ، قالَ كميشٌ : فدونكه ، قالَ : نعم ، وأمسكْ أنتَ راحلتي ، فركبَ قرادٌ الفرسَ وقالَ : انتظرْني في هاذا المكانِ إلىٰ هاذهِ الساعةِ مِنْ غدٍ ، قالَ : نعم ، ومضىٰ قُرادٌ ، فلمَّا توارىٰ . . أنشأ يقولُ :

ضَيَّعْتَ فِي ٱلْعَيْرِ ضَلَالاً مُهْرَكَا لِتُطْعِمَ ٱلْحَيَّ جَمِيعاً عَيْرَكَا فَسَوْفَ تَأْتِي بِٱلْهَوَانِ أَهْلَكَا وَقَبْلَ هَاذَا مَا خَدَعْتُ ٱلْأَنْوَكَا

فلم يزلْ كميشٌ ينتظرُه حتى أمسى مِنْ غدِهِ وجاعَ ، فلمّا لم يرَ لهُ أثراً . . انصرفَ إلى أهلِهِ وقالَ في نفسِهِ : إن سألني أخي عنِ الفرسِ . قلتُ : تَحوَّلَ ناقةً ، فلمّا رآهُ أخوهُ الربيعُ . . عرفَ أنَّهُ خُدِعَ عنِ الفرسِ ، فقالَ لهُ : أينَ الفرسُ ؟ قالَ : تَحوَّلَ ناقةً ، قالَ : فما فعلَ السرجُ ؟ قالَ : لم أذكرِ السرجَ الفرسُ لهُ عِلَّةً ، فصرعَهُ الربيعُ ليقتلَهُ ، فقالَ لهُ قنفذُ بنُ جعونةَ : ٱللهُ عمّا فاتكَ ؛ فإنَّ أنفكَ منكَ وإن كانَ أجدع ، فذهبَتْ مثلاً ، وقدمَ قُرادُ بنُ [جرم] على أهلِهِ بالفرس ، وقالَ في ذلكَ :

وَلَمْ أَرَ نَوْكاً قَبْلَ ذَٰلِكَ يَنْفَعُ فَهَلْ كَانَ لِي فِي غَيْرِ ذَٰلِكَ مَطْمَعُ خِدَاعاً لَهُ إِذْ ذُو ٱلْمَكَايِدِ يَخْدَعُ وَأَصْبَحَ تَحْتِي ذُو أَفَانِينَ جُرْشُعُ فَلَيْسَ وَلَوْ أَقْحَمْتَهُ ٱلْوَعْرَ يَكْسَعُ

رَأَيْتُ كَمِيشاً نَوْكُهُ لِيَ نَافِعٌ يُعْوِمُ لِيَ نَافِعٌ يُعْوِمُ لِيَ نَافِعٌ يُعْوِمُ لِيَ نَافِعٌ يُؤمِّلُ عَيْراً مِنْ نُضَارٍ وَعَسْجَدٍ وَقُلْتُ لَهُ أَمْسِكْ قَلُوصِي وَلَا تَرُمْ فَقُلْتُ لَهُ أَمْسِكْ قَلُوصِي وَلَا تَرُمْ فَأَصْبَحَ يَرْمِي ٱلْخَافِقَيْنِ بِطَرْفِهِ فَأَصْبَحَ يَرْمِي ٱلْخَافِقَيْنِ بِطَرْفِهِ أَبُرُّ عَلَى [ٱلْجُرْدِ] ٱلْعَنَاجِيج كُلِّهَا

⁽¹⁾ انظر « مجمع الأمثال » (77./7 _ 777) .

مَنْ يَرَ يوماً . . يُرَ بهِ

قَالَ المُفضَّلُ: أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلْكَ: كلحبُ بنُ شُوبوبِ الأسديُّ ، وكانَ يغيرُ على طيءٍ وحدَهُ ، فدعا حارثةُ بنُ لأم الطائيُّ رجلاً مِنْ قومِهِ يُقالُ لهُ: عترمٌ ، وكانَ بطلاً شجاعاً ، فقالَ لهُ: أما تستطيعُ أن تكفيني هذا الخبيثَ ؟ فقالَ: بلى ، ثمَّ أرسلَ معَهُ عشرةً مِنَ العيونِ حتى علموا مكانَهُ .

وانطلق إليهِ الرجلُ في جماعةٍ ، فوجدوهُ نائماً في ظلِّ أراكةٍ وفرسُهُ مشدودةٌ عندَهُ ، فنزلَ عندَهُ الرجلُ ومعَهُ آخَرُ إليهِ ، فأخذَ كلُّ واحدٍ منهُما بإحدىٰ يدَيهِ ، فانتبهَ ، فنزعَ يدَهُ اليمنىٰ مِنْ ممسكِها وقبضَ علىٰ حَلْقِ الآخرِ فقتلهُ ، وبادرَ الباقونَ إليهِ فأخذوهُ وشدُّوهُ وثاقاً ، فقالَ لهم أبنُ المقتولِ وهوَ حوذة بنُ عترم: دعوني أقتلهُ كما قتلَ أبي ، قالوا: حتىٰ نأتيَ بهِ حارثة ، فأبىٰ ، فقالوا لهُ: والله ؛ لئن قتلتَهُ لنقتُلنَّكَ .

وأتوا بهِ حارثةَ بنَ لَأْمٍ ، فقالَ لهُ حارثةُ : يا كلحبُ ؛ إن كنتَ أسيراً . . فطالما أسرتَ ، فقالَ كلحبُ : مَنْ يَرَ يوماً . . يُرَ بهِ ، فأرسلَها مثلاً ، وقالَ حوذةُ لحارثةَ : أعطنيهِ أقتلُهُ كما قتلَ أبي ، قالَ : دونَكَهُ ، وجعلوا يُكلِّمونَهُ وهوَ يعالجُ كتافَهُ حتى انحلَّ ثمَّ وثبَ على رجليهِ يجاريهِم ، وتواثبوا على الخيلِ واتبعوهُ فأعجزَهُم ، فقالَ حوذةُ في ذلكَ : [من الطويل]

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو أَنْ أَوُّوبَ وَقَدْ ثَوَىٰ قَتِيلاً فَأَوْدَىٰ سَيِّدُ ٱلْقَوْمِ عَتْرَمُ فَمَاتَ ضَيَاعاً هَاكَذَا بِيَدِ ٱمْرِئ لَئِيمٍ فَلَوْلا قِيلَ ذُو ٱلْوِتْرِ مُعْلِمُ فأجابَهُ كلحبٌ:

أَحَوْذَةُ إِنْ تَفْخَرْ وَتَزْعُمُ أَنَّنِي لَئِيمٌ فَمِنِّي عَتْرَمُ ٱللَّوْمِ أَلْأَمُ فَأُقْسِمُ بِٱلْبَيْتِ ٱلْمُحَرَّم مِنْ مِنى الْكِيَّةِ بَرِّ صَادِقٍ حِينَ يُقْسِمُ خَمُوعٌ وَيَرْبُوعُ ٱلْفَلَا مِنْكَ أَكْرَمُ وَخَالُكَ يَرْبُوعٌ وَجَدُّكَ شَيْهَمُ صَبُورٌ عَلَىٰ مَا نَابَ جَلْدٌ صَلَخْدَمُ فَإِنِّي ٱبْنُ شُؤْبُوبٍ جَسُورٍ غَشَمْشَمُ

لَضَبُّ بِقَفْرٍ مِنْ قَفَارٍ وَضَبَّةُ فَهَارٍ وَضَبَّةٌ فَهَارٍ وَضَبَّةٌ فَهَارُ أَنْتَ إِلَّا خُنْفُسَاءُ لَجِيمَةٌ أَتُوعِ دُنِي بِٱلْمُنْكَرَاتِ وَإِنَّنِي فَإِنْ أَفْنَ أَوْ أُعْمَرُ إِلَىٰ وَقْتِ هَاذِهِ فَإِنْ أَفْنَ أَوْ أُعْمَرُ إِلَىٰ وَقْتِ هَاذِهِ

مَنْ يشتري سيفي وهلذا أثرُهُ

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ: الحارثُ بنُ ظالمِ المريُّ ؛ وذلكَ أنَّ خالدَ بنَ جعفرِ بنِ كلابٍ لمَّا قتلَ زهيرَ بنَ جذيمةَ العبسيَّ . . ضاقَتْ بهِ الأرضُ ، وعلمَ أنَّ غطفانَ غيرُ تاركيهِ ، فخرجَ حتى أتى النعمانَ ، فاستجارَ بهِ ، فأجارَهُ ومعَهُ أخوهُ عتبةُ بنُ جعفرٍ ، ونهضَ قيسُ بنُ زهيرٍ فاستعدَّ لمحاربةِ بني عامرٍ ، وهجمَ الشتاءُ ، فقالَ الحارثُ بنُ ظالمٍ : يا قيسُ ؛ أنتُم أعلمُ وحربَكُم ، وأنا رائحٌ إلىٰ خالدٍ حتى أقتلَهُ ، قالَ قيسٌ : قد أجارَهُ النعمانُ ، قالَ الحارثُ : لأقتلَنَهُ ولو كانَ في حجرهِ .

وكانَ النعمانُ قد ضربَ على خالدٍ وعلى أخيهِ قُبَّةً ، وأمرَهُما بحضورِ طعامِهِ ومُدامِهِ ، فأقبلَ الحارثُ ومعَهُ تابعٌ لهُ مِنْ بني محاربٍ ، فأتى بابَ النعمانِ ، فاستأذنَ ، فأذنَ لهُ النعمانُ وفرحَ بهِ ، فدخلَ الحارثُ وكانَ مِنْ أحسنِ الناسِ وجهاً وحديثاً ، وأعلمِ الناسِ بأيامِ العربِ ، فأقبلَ النعمانُ عليهِ بوجهِهِ وحديثِهِ وبينَ أيديهِم تمرٌ يأكلونَهُ ، فلمَّا رأىٰ خالدٌ إقبالَ النعمانِ على الحارثِ . . غاظَهُ ، فقالَ : يا أبا ليلىٰ ؛ ألا تشكرُني ؟ قالَ : فيماذا ؟ قالَ : قتلتُ زهيراً فصرتَ بعدَهُ سيدَ غطفانَ ، وفي يدِ الحارثِ تمراتُ ، فاضطربَتْ يدُهُ ، وجعلَ يُرعِدُ ويقولُ : أنتَ قتلتَهُ ؟ والتمرُ يسقطُ مِنْ يدِهِ ، ونظرَ النعمانُ إلىٰ ما بهِ مِنَ الزمع ، فنخسَ خالداً بقضيبهِ وقالَ : هنذا يقتلُكَ .

111

وافترقَ القومُ ، وبقيَ الحارثُ عندَ النعمانِ ، وأشرجَ خالدٌ قُبَّتَهُ عليهِ وعلى أخيهِ ، وناما ، وانصرفَ الحارثُ إلى رحلِهِ ، فلمَّا هدأَتِ العيونُ . . خرجَ الحارثُ بسيفِهِ شاهرَهُ حتى أتى قبَّةَ خالدٍ ، فهتكَ شرجَها بسيفِهِ ودخلَ ، فواى خالداً نائماً وأخوهُ إلى جنبِهِ ، فأيقظَ خالداً واستوى قائماً ، فقالَ لهُ الحارثُ : يا خالدُ ؛ أظننتَ أنَّ دمَ زهيرٍ كانَ سائغاً لكَ وعلاهُ بسيفِهِ حتى قتلَهُ ، وانتبهَ عتبةُ ، فقالَ لهُ الحارثُ : لئن نبستَ . . لَأُلحقنَّكَ بهِ ، وانصرفَ الحارثُ وركبَ فرسَهُ ومضى على وجهِهِ .

وخرجَ عتبةُ صارحاً ، حتى أتى بابَ النعمانِ ، فنادى : يا سوءَ جواراهُ !! فأجيبَ : لا روعَ عليكَ ، فقالَ : دخلَ الحارثُ على خالدِ فقتلَهُ وأخفرَ الملكَ ، فوجَّهَ النعمانُ فوارسَ في طلبِهِ ، فلحقوهُ سَحَراً ، فعطفَ عليهِم فقتلَ منهُم جماعةً ، وكثروا عليهِ فجعلَ لا يقصدُ جماعةً إلَّا فرَّقَها ، ولا لفارسٍ إلَّا قتلَهُ ، وهوَ يرتجزُ ويقولُ :

أَنَا أَبُو لَيْلَىٰ وَسَيْفِي ٱلْمَعْلُوبْ مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَلْذَا أَثَرُهْ وَاللَّهُ وَالْمَعْلُوبُ وَالْمَعْلُوبُ وَالْمَعْلُوبُ وَالْمَعْلُوبُ وَالْمُعْلُوبُ وَالْمُعْلُونُ وَالْمُعْلُوبُ وَالْمُعْلُوبُ وَالْمُعْلُوبُ وَالْمُعْلُوبُ وَالْمُعْلُوبُ وَالْمُعْلُوبُ وَالْمُعْلُوبُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِي وَالْمُعْلَى وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلُوبُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلَالُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ والْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمِعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمِعْلِمُ وَالْمِعْلِمُ وَالْمِعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمِعْلِمُ وَالْمِعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمِعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعِلَّمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعِلَّمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعِلَامُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُع

يُضرَبُ في المحاذرةِ مِنْ شيءٍ قدِ ابتُلِيَ بمثلِهِ مَرَّةً ، قالَ الأعلبُ العجليُّ : [من الرجز]

قَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ مَا تُسَطِّرُهْ مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَلْذَا أَثَرُهُ

« انصرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً »

يُروىٰ : أَنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ هاذا ، فقيلَ : يا رسولَ اللهِ ؟

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٣٧٧/٣ _ ٣٧٨) .

هاذا ننصرُهُ مظلوماً ، فكيفَ ننصرُهُ ظالماً ؟! فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « تَرُدُّهُ عَنِ ٱلظُّلْمِ » (١) .

قالَ أبو عبيدٍ: (أمَّا الحديثُ . . فهاكذا ، وأمَّا العربُ . . فكانَ مذهبُها في المثل نصرتَهُ على كلّ حالٍ) (٢٠) .

قالَ المُفضَّلُ: أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ: جندبُ [بنُ] العنبرِ بنِ تميمِ بنِ عمرٍو، وكانَ رجلاً دميماً فاحشاً، وكانَ شجاعاً، وأنَّهُ جلسَ هوَ وسعدُ بنُ زيدِ مناةَ يشربانِ، فلمَّا أخذَ الشرابُ فيهِما.. قالَ جندبُ لسعدٍ وهوَ يمازحُهُ: يا سعدُ ؛ لَشربُ لبنِ اللقاحِ ، وطولُ النكاحِ ، وحسنُ المزاحِ .. أحبُّ إليكَ مِنَ الكفاحِ ، ودعسِ الرماحِ ، وركضِ الوقاحِ ، قالَ سعدٌ : كذبتَ واللهِ ؛ إنِّي مِنَ الكفاحِ ، ودعسِ الرماحِ ، وركضِ الوقاحِ ، قالَ سعدٌ : كذبتَ واللهِ ؛ إنِّي أَنْكُ لتعلمُ العاملَ ، وأنحرُ البازلَ ، وأسكِتُ القائلَ ، قالَ جندبٌ : إنَّكَ لَتعلمُ أنَّكَ لو فزعتَ .. دعوتني عَجِلاً ، وما ابتغيتَ لي بدلاً ، ولَرأيتني بطلاً ، أركبُ العزيمةَ ، وأمنعُ الكريمةَ ، وأحمي الحريمةَ ، فغضبَ سعدٌ وأنشأَ يقولُ :

له وَأَمْسَىٰ قِرَاهُ غَيْرَ عَتِيدِ نَاطِقاً قَالَ قَوْلَ غَيْرِ سَدِيدِ

هَلْ يَسُودُ ٱلْفَتَىٰ إِذَا قَبُحَ ٱلْوَجْ وَإِذَا ٱلنَّاسُ فِي ٱلنَّدِيِّ رَأَوْهُ فأجابَهُ جندتُ:

لَيْسَ زَيْنُ ٱلْفَتَى ٱلْجَمَالَ وَلَكِنْ زَيْنُهُ ٱلضَّرْبُ بِٱلْحُسَامِ ٱلتَّلِيدِ إِنْ يَنَدُ ٱلْفَتَى ٱلْجَنَى فَزَيْنٌ وَإِلَّا رُبَّمَا ضَنَّ بِٱلْيَسِيرِ ٱلْعَتِيدِ

قالَ سعدٌ وكان عائفاً: أَمَا والذي أَحلِفُ بهِ ؟ لتأسرنَّكَ ظعينةٌ ، بينَ العرينةِ

⁽١) أخرجه البخاري (٢٤٤٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

⁽٢) الأمثال (ص ١٨١) للقاسم بن سلام .

والدهينةِ ، ولقد أخبرَني طيري ؛ أنَّهُ لا يَفكُّكَ غيري ، فقالَ جندبٌ : كلَّ ، إنَّكَ لَجبانٌ ، تكرهُ الطِّعانَ ، وتُحِبُّ القيانَ .

فتَفرَّقا علىٰ ذلك ، فغبرا حيناً ، ثمَّ إنَّ جندباً خرجَ علىٰ فرسٍ لهُ يَطلبُ القنصَ ، فأتىٰ علىٰ أمةٍ لبني تميمٍ يُقالُ : إنَّ أصلَها مِنْ جُرْهُمَ ، فقالَ لها : لتُمكِّنِنِي مسرورةً ، أو تُقهَرينَ مجبورةً ، قالَتْ : مهلاً ؛ فإنَّ المرءَ مِنْ نَوْكِهِ . . يشربُ مِنْ سِقاءٍ لم يوكِهِ ، فنزلَ إليها عن فرسِهِ مُدِلّاً ، فلمَّا دنا منها . . قبضَتْ علىٰ يديهِ بيدٍ واحدةٍ ، فما زالَتْ تعصرُهُما حتىٰ صارَ لا يستطيعُ أن يُحرِّكَهُما ، ثمَّ كتفَتْهُ بعنانِ فرسِهِ ، وراحَتْ بهِ معَ غنمِها وهيَ تحدو بهِ وتقولُ :

لَا تَا أُمَنَ نَ بَعْدَهَا ٱلْوَلَائِدَا فَسَوْفَ تَلْقَى بَاسِلاً مَوَارِدَا وَحَيَّةً تُضْحِي لِحَيِّ رَاصِدَا

قالَ : فمرَّ بسعدٍ في إبلِهِ ، فقالَ : يا سعدُ ؛ أغثني ، قالَ سعدٌ : إنَّ الجبانَ لا يغيثُ ، فقالَ جندبٌ :

يَا أَيُّهَا ٱلْمَرْءُ ٱلْكَرِيمُ ٱلْمَشْكُومُ ٱلْمَشْكُومُ ٱلْكَرِيمُ ٱلْمَشْكُومُ ٱلْصَرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُومُ

فأقبلَ إليهِ سعدٌ فأطلقَهُ ، ثمَّ قالَ : لولا أن يُقالَ : قتلَ امرأةً . . لَقتلتُكِ ، وأقبلَ إليهِ سعدٌ فأطلقَهُ ، ثمَّ قالَ : [قالَتُكِ ، ويَصدُقَ غيرُكَ ، قالَ : صدقت .

قولُهُ: (انصرْ أخاكَ ظالماً) يجوزُ أن يكونَ (ظالماً أو مظلوماً) حالَين

⁽١) في الأصل: (قال).

مِنْ قولِهِ : (أَخَاكَ) ، ويجوزُ أَن يكونا حالَينِ مِنَ الضَّميرِ المُستكنِّ في الأمرِ ؛ يعني : انصرْهُ ظالماً إِن كنتَ خصمَهُ ، أو مظلوماً مِنْ جهةِ خصمِهِ ؛ أي : لا تسلمهُ في أيِّ حالٍ كنتَ (١).

ويلٌ للشجيّ مِنَ الخليّ

ذكرتُ قصتَهُ في حرفِ الصَّادِ ؛ عندَ قولِهِم : صُغْراها شُرَّاها ('') ، وهاذه روايةٌ أخرى : قالَ المدائنيُّ ومحمدُ بنُ سلَّمِ الجمحيُّ : أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : أكثمُ بنُ صيفيٍّ التميميُّ ، وكانَ مِنْ حديثِهِ أنَّهُ لمَّا ظهرَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بمكة ، ودعا الناسَ إلى الإسلامِ . . بعثَ أكثمُ بنُ صيفيٍّ ابنَهُ حُبَيشاً ، والسلامُ بمكة ، ودعا الناسَ إلى الإسلامِ . . بعثَ أكثمُ بنُ صيفيٍّ ابنَهُ حُبَيشاً ، فأتاهُ بخبرهِ ، فجمعَ بني تميم وقالَ : يا بني تميم ؛ لا تُحضروني سفيهاً ، فأتَاهُ بخبرهِ ، فجمعَ بني تميمٍ وقالَ : يا بني تميم ؛ لا تُحضروني سفيهاً ، فإنَّهُ مَنْ يسمعْ . . يَخَلُ ؛ إنَّ السفية يوهنُ مَنْ فوقَهُ ، ويثبتُ مَنْ دونَهُ ، لا غقلَ لهُ ، كبرَتْ سنِّي ، ودخلَتْني ذلةٌ ، فإذا رأيتُم منِّي حسناً . . فقوِّمُوني أستقمْ ، إنَّ ابني شافة هاذا للجلوهُ ، وإن رأيتُم منِّي غيرَ ذلكَ . . فقوِّمُوني أستقمْ ، إنَّ ابني شافة هاذا للجلوهُ ، وإن رأيتُم منِّي عيرَ ذلكَ . . فقوِّمُوني أستقمْ ، إنَّ ابني شافة هاذا للجلوهُ بالنيرانِ ، وقدعرة وكتابِهِ ؛ يأمرُ فيهِ بالمعروفِ ، وينهي عن المنكرِ ، ويأخذُ فيهِ بمحاسنِ الأخلاقِ ، ويدعو إلىٰ توحيدِ اللهِ تعالىٰ ، وخلعِ الأوثانِ ، ويأخذُ فيهِ بالنيرانِ ، وقد عرفَ ذَوُو الرأي منكُم أنَّ الفضلَ فيما يدعو إليهِ ، وأنَّ الرأي تركُ ما ينهيٰ عنهُ .

إِنَّ أَحقَّ الناسِ بمعونةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ومساعدتِهِ على أمرِهِ . . أنتُم ، فإن يكنِ الذي يدعو إليهِ حقًا . . فهوَ لكُم دونَ الناسِ ، وإن يكنْ باطلاً . . كنتُم أحقَّ الناسِ بالكفِّ عنهُ ، وبالسترِ عليهِ ، وقد كانَ أُسقُفُّ نجرانَ يُحدِّثُ بصفتِهِ ، وكانَ سفيانُ بنُ مجاشع يُحدِّثُ بهِ قبلَهُ ، وسمَّى ابنَهُ

⁽۱) انظر « مجمع الأمثال » (877/8 - 873) .

⁽٢) تقدم (١٢٣/٣) ، والسياق للعلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

محمداً ، فكونوا في أمرِهِ أوَّلاً ، ولا تكونوا آخراً ، ائتوا طائعينَ قبلَ أن تأتوا كارهينَ .

إِنَّ الذي يدعو إليهِ محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لو لم يكنْ ديناً . كانَ في أخلاقِ الناسِ حسناً ، أطيعوني واتبعوا أمري . . أسألْ لكُم أشياءَ لا تُنزَعُ منكم أبداً ، وأصبحتُم أعزَّ حيِّ في العربِ ، وأكثرَهُم عدداً ، وأوسعَهُم داراً ، فإنِّي أرى أمراً لا يجتنبُهُ عزيزٌ إلَّا ذلَّ ، ولا يلزمُهُ ذليلٌ إلَّا عزَّ ، إنَّ الأوَّلَ لم يدعْ للآخِرِ شيئاً ، وهاذا أمرٌ لهُ ما بعدَهُ ، مَنْ سبقَ إليهِ . . عمرَ المعاليَ ، واقتدى بهِ التالي ، والعزيمةُ حزمٌ ، والاختلافُ عجزٌ .

فقالَ مالكُ بنُ نويرةَ : قد خَرِفَ شيخُكُم ، فقالَ أكثمُ : ويلٌ للشجيِّ مِنَ الخليِّ ، وا لهفي على أمرٍ لم أشهدهُ ولم يسعني !!

هلمَّ جرّاً

قالَ المُفضَّلُ: أي: تعالَوا على هينتِكُم كما يسهلُ عليكُم، وأصلُ ذلكَ مِنَ الجرِّ في السوقِ ؛ وهو أن تُترَكَ الإبلُ والغنمُ ترعىٰ في سيرِها، قالَ الراجزُ:

[من مشطور الرجز]

لَطَالَمَا جَرَدْتُ كُنَّ جَرًا حَتَّىٰ نَوَى ٱلْأَعْجَفُ وَٱسْتَمَرًا فَالْيَوْمَ لَا ٱللَّو ٱلرِّكَابَ شَرًا

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذَلكَ : المستطعمُ عمرَو بنَ حمرانَ الجعديَّ زبداً وتامكاً ، حتى قالَ لهُ عمرُو : كلاهما وتمراً ، وقد مرَّ ذكرُهُما في حرفِ الكافِ (١) ، واسمُ

⁽١) تقدم (١٤٨/٣) ، والسياق للعلامة الميداني في « مجمع الأمثال » .

ذلكَ الرجلِ عائذٌ ، وكانَ لهُ أخٌ يُسمَّىٰ : جندلة ، وهما ابنا يزيدَ اليشكريِّ ، ولمَّا رجعَ عائذٌ . . قالَ لهُ أخوهُ جندلةُ : [من الوافر]

أَعَائِلُ لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ فَلَمْ يَكُ يُوتَجَى لَكُمُ إِيَابٌ فَلَمْ يَكُ يُوتَجَى لَكُمُ إِيَابٌ فَقَدْ كَانَ ٱلْفِرَاقُ أَذَابَ جِسْمِي وَكَمْ قَاسَيْتُ عَائِذُ مِنْ فَظِيعٍ وَكَمْ قَاسَيْتُ عَائِذُ مِنْ فَظِيعٍ إِذَا جَاوَزْتُهَا ٱسْتَقْبَلْتُ أُخْرَىٰ

فأجابَهُ عائذٌ فقالَ:

أَجَنْدَلُ كَمْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ أَرْضاً قَطَعْتُ إِلَيْكَ أَرْضاً قَطَعْتُ وِلَامِعَاتُ ٱلْآلِ تَجْرِي وَطَامِسَةُ ٱلْمُتُونِ ذُعِرْتُ فِيهَا وَطَامِسَةُ ٱلْمُتُونِ ذُعِرْتُ فِيهَا وَإِنْ جَاوَزْتُ مُقْفِرةً رَمَتْ بِي فَإِنْ جَاوَزْتُ مُقْفِرةً رَمَتْ بِي فَلَمَّا لَاحَ لِي سَغَبٌ وَلُوحٌ فَي لَكَمَّا لَاحَ لِي سَغَبٌ وَلُوحٌ فَي فَلَمَّا وَزُبْداً أَوْ سَنَاماً فَقَدَّمَ لِلْقِرَىٰ شَطْباً وَزُبْداً أَوْ سَنَاماً فَقَدَّمَ لِلْقِرَىٰ شَطْباً وَزُبْداً

[من الوافر]
رَمَتْ بِكَ بَعْدَمَا قَدْ غِبْتَ دَهْرَا
وَلَمْ نَعْرِفْ لِدَارِكَ مُسْتَ قَرَا
وَكَانَ ٱلْعَيْشُ بَعْدَ ٱلصَّفْوِ كَدْرَا
وَكَانَ ٱلْعَيْشُ بَعْدَ ٱلصَّفْوِ كَدْرَا
وَكَانَ ٱلْعَيْشُ بَعْدَ ٱلصَّفْوِ كَدْرَا
وَكَانَ مُشْمَخِرًا السَّمْ فُقْشَعِرًا

[من الوافر]

يَمُوتُ بِهَا أَبُو ٱلْأَشْبَالِ ذُعْرَا وَقَدْ أَوْتَرْتُ فِي ٱلْمُومَاتِ كَدْرَا خَوَاضِبُ ذَاتُ أَرْآلٍ وَغُبْرَا خَوَاضِبُ ذَاتُ أَرْآلٍ وَغُبْرَا إِلَى أُخْرَىٰ كَتِلْكَ هَلُمَّ جَرَّا وَقَدْ مَتَعَ ٱلنَّهَارُ لَقِيتُ عَمْرَا فَقَالَ كِلَاهُمَا وَتُزَادُ تَمْرَا وَظِلْتُ لَدَيْهِ عَشْراً ثُمَّ عَشْراً

يسارُ الكواعب

كَانَ مِنْ حديثِهِ: أنَّهُ كَانَ عبداً أسودَ يرعى لأهلِهِ إبلاً ، وكانَ معَهُ

⁽١) أي : جوع وعطش .

⁽۲) انظر « مجمع الأمثال » (۵۷۷/۳ _ ۵۷۸) .

عبدٌ يراعيهِ ، وكانَ لمولى يسارٍ بنتُ ، فمرَّتْ يوماً بإبلِهِ وهيَ ترتعُ في روضٍ معشبٍ ، فجاءَ يسارٌ بعلبةِ لبنٍ فسقاها ، وكانَ أفحجَ الرجلَينِ ، فنظرَتْ إلى فحجِهِ فتبسَّمَتْ ، ثمَّ شربَتْ وجزتْهُ خيراً ، فانطلقَ فرحاً حتى أتى العبدَ المراعيَ ، وقصَّ عليهِ القصَّةَ ، وذكرَ لهُ فرحَها وتبسُّمَها ، فقالَ لهُ صاحبُهُ : يا يسارُ ؛ كُلْ مِنْ لحمِ الحوارِ ، واشربُ لبنَ العشارِ ، وإيَّاكَ وبناتِ الأحرارِ ، فقالَ : دحكَتْ إليَّ دحكةً لا أُخيِّبُها ، يقولُ : ضحكَتْ ضحكةً .

ثمَّ قامَ إلى علبةٍ فملأَها وأتى بها ابنةَ مولاه ، فنبَّهها فشربَتْ ، ثمَّ اضجعَتْ ، وجلسَ العبدُ حذاءَها ، فقالَتْ : ما جاء بكَ ؟ فقالَ : ما خفي عليكِ ما جاء بي ، فقالَتْ : وأيُّ شيءٍ هوَ ؟ قالَ : دحكُكِ الذي دحكتِ إليَّ ، فقالَتْ : حيَّاكَ الله ، وقامَتْ إلى سفطٍ لها ، فأخرجَتْ منه بخوراً ودهناً ، وتعمَّدَتْ إلى موسى ، ودعَتْ بمِجمرةٍ وقالَتْ له : إنَّ ريحَكَ ريحُ الإبلِ ، وهاذا دهنُ طيِّبُ ، فوضعَتِ البخورَ تحتَهُ ، وتطأطأَتْ كأنَّها تصلحُ البخورَ ، وأخذَتْ مذاكيرَهُ وقطعَتْها بالموسى ، ثمَّ شممَتْهُ الدهنَ ، فسلتَتْ أنفَهُ وأذنيهِ ، وتركَتْهُ ، فصارَ مثلاً لكلّ جانٍ على نفسِهِ ومُتعدِّ طورَهُ ، قالَ الفرزدقُ لجرير :

وَإِنِّي لَأَخْشَىٰ إِنْ خَطَبْتَ إِلَيْهِمُ عَلَيْكَ ٱلَّذِي لَاقَىٰ يَسَارُ ٱلْكَوَاعِبِ وَيُقَالُ أَيْضًا: يسارُ النساءِ ، وكانَ مِنَ العبيدِ الشعراءِ ، ولهُ ابنٌ شاعرٌ يُقالُ لهُ: إسماعيلُ بنُ يسار النساءِ ، وكانَ مُفْلِقاً (١).

^{* * *}

⁽١) انظر « مجمع الأمثال » (٥٩٨/٣ م - ٥٩٩) .

[نُخَبٌ مِنْ كلام الفصحاءِ والبلغاءِ]

هادياً ، ولمرآةِ ذهنِكَ جالياً ، وله بالأمثالِ شبه .. ما صدرَ عن أولي الألبابِ ؛ مِنْ صحابةِ الأنبياءِ ، وغيرهِم مِنَ الحكماءِ ، وهنأنا مثبتُ أنموذجَ ذلكَ :

مِنْ كلامِ أميرِ المؤمنينَ عليِّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ

- قال : وأكثرُ ما كانَ يقولُ ذلكَ إذا فرغً مِنْ صلاةِ الليلِ : (أشهدُ أنَّ السماواتِ والأرضَ وما بينَهُما آياتٌ تدلُّ عليكَ ، وشواهدُ تشهدُ بما إليهِ دعوتَ ، كلُّ يُؤدِّي عنكَ الحُجَّة ، ويشهدُ لكَ بالربوبيةِ ، موسومٌ بآثارِ نعمتِكَ ، ومعالمِ تدبيرِكَ ، علوتَ بها عن خلقِكَ ، فأوصلتَ إلى القلوبِ مِنْ معرفتِكَ ما آنسَها مِنْ وحشةِ الفكرِ ، وكفاها رجمَ الاحتجاجِ ، فهيَ معَ معرفتِكَ بكَ ، وولهِها إليكَ . . شاهدةٌ بأنَّكَ لا تأخذُكَ الأوهامُ ، ولا تدركُكَ العقولُ ولا الأبصارُ ، أعوذُ بكَ أن أشيرَ بقلبٍ أو لسانٍ أو يدٍ إلى غيرِكَ ، لا إللهَ إلَّا أنتَ ، واحداً أحداً ، فرداً صمداً ، ونحنُ لكَ مسلمونَ) (١٠) .

- وقالَ : (إلنهي ؛ كفاني فخراً أن تكونَ لي ربّاً ، وكفاني عزّاً أن أكونَ لكَ عبداً ، أنتَ كما أريدُ ، فاجعلْني كما تريدُ) (٢).

_ وقالَ : (ما خابَ امرؤٌ عدلَ في حكمِهِ ، وأطعمَ مِنْ قُوتِهِ ، ودخرَ مِنْ دنياهُ لآخرته) (٣) .

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٥/٢٠) لابن أبي الحديد .

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٥/٢٠).

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٥/٢٠) .

- وقالَ : (أفضِلْ على مَنْ شئتَ . . تكنْ أميرَهُ ، واستغنِ عمَّنْ شئتَ . . تكنْ نظيرَهُ ، واحتَجْ إلى مَنْ شئتَ . . تكنْ أسيرَهُ) (١) .
- وقالَ: (لولا ضَعفُ اليقينِ . . ما كانَ لنا أن نشكوَ مِحنةً يسيرةً نرجو في العاجلِ سرعة زوالِها ، وفي الآجلِ عظيمَ ثوابِها ، بينَ أضعافِ نِعَم لوِ اجتمعَ أهلُ السماواتِ والأرضِ على إحصائِها . . ما وَفَوا [بها] ، فضلاً عنِ القيامِ بشكرها) (۱۲) .
- وقال : (مِنْ علاماتِ المأمونِ على دينِ اللهِ بعدَ الإقرارِ والعملِ : الحزمُ في أمرِهِ ، والصدقُ في قولِهِ ، والعدلُ في حكمِهِ ، والشفقةُ على رعيتِهِ ، لا تخرجُهُ القدرةُ إلى خُرقٍ أي : حمقٍ ولا اللينُ إلى ضَعفٍ ، ولا تمنعُهُ العزةُ مِنْ كرمِ عفوٍ ، ولا يدعوهُ العفوُ إلى إضاعةِ حقٍّ ، ولا يدخلُهُ الإعطاءُ في سَرَفٍ ، ولا يتخطَّى بهِ القصدُ إلى بخلٍ ، ولا تأخذُهُ نعمةٌ للهِ ببطرٍ) (٢).
 - _ وقالَ : (الفسقُ نجاسةٌ في الهمَّةِ ، وكلبٌ في الطبيعةِ) (كلبُ الفسقُ الطبيعةِ) . . .
- وقالَ : (قلوبُ الجُهَّالِ تستفزُّها الأطماعُ ، وترتهنُ بالأمانيِّ ، وتتعلَّقُ بالخدائعِ ، وكثرةُ الصمتِ زمامُ اللسانِ ، وحسمُ الفطنةِ ، وإماطةُ الخاطرِ ، وعذابُ الحِسِّ) (٥٠) .
- _ وقال : (عداوةُ الضُّعفاءِ للأقوياءِ ، والسُّفهاءِ للحكماءِ ، والأشرارِ للأخيار . . طبعٌ لا يُستطاعُ تغييرُهُ) (٢٠) .

⁽۱) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲۵٥/۲۰) .

⁽۲) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۰٥/۲۰).

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٥/٢٠ _ ٢٥٦) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٦/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٦/٢٠) .

⁽٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٦/٢٠) .

- _ وقالَ : (العقلُ في القلبِ ، والرحمةُ في الكبدِ ، والنفسُ في الرئةِ) (١) .
- _ وقالَ : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً . . حالَ بينَهُ وبينَ شهوتِهِ ، وحجزَ بينَهُ وبينَ شهوتِهِ ، وحجزَ بينَهُ وبينَ قلبِهِ ، وإذا أرادَ اللهُ بهِ شرّاً . . وَكَلَهُ إلىٰ نفسِهِ) (٢) .
 - _ وقالَ : (الصَّبرُ مطيةٌ لا تكبو ، والقناعةُ سيفٌ لا ينبو) (٣) .
- وقالَ : (رحمَ الله عبداً اتقىٰ ربَّهُ ، وناصحَ نفسَهُ ، وقَدَّمَ توبتَهُ ، وغلبَ شهوتَهُ ؛ فإنَّ أجلَهُ مستورٌ عنهُ ، وأملَهُ خادعٌ لهُ ، والشيطانَ مُوكَّلٌ بهِ) (١٠) .
- _ وقالَ: (ثلاثٌ منجياتٌ: خشيةُ اللهِ في السرِّ والعلانيةِ، والقصدُ في الفقر والغنى، والعدلُ في الغضبِ والرضا) (ف).
- وقالَ : (إِيَّاكُم والفحشَ ؛ فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفحشَ ، وإِيَّاكُم والشُّحَّ ؛ فإنَّهُ أهلكَ مَنْ كانَ قبلَكُم ، هوَ الذي سفكَ دماءَ الرجالِ ، وهوَ الذي قطعَ أرحامَها ، فاجتنبوهُ) (٢٠) .
 - _ وقالَ : (إذا فعلتَ كلَّ شيءٍ . . فكنْ كمَنْ لم يفعلْ شيئاً) (٧) .
- وقالَ : وقد سألَهُ رجلٌ فقالَ : بماذا أَسُوءُ عدوِّي ؟ فقالَ : (أَن تكونَ علىٰ غايةِ الفضائلِ ؛ لأنَّهُ إِن كَانَ يَسوءُهُ أَن يكونَ لكَ فرسٌ فارهٌ ، أو كلبٌ صَيودٌ . . فهوَ لأِن تُذكَرَ بالجميلِ ويُنسَبَ إليكَ . . أشدُّ مساءةً) (^^) .

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٦/٢٠) .

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٦/٢٠) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٦/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٦/٢٠).

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٧/٢٠).

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

⁽٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

⁽٨) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

- وقالَ : (إذا قُذِفتَ بشيءٍ . . فلا تَتهاونْ بهِ وإن كانَ كذباً ، بل تَحرَّزْ مِنْ طرقِ القذفِ جهدَكَ ، فإنَّ القولَ وإن لم يثبتْ . . يُوجِبُ ريبةً وشَكَّاً) (١٠) .
- _ وقالَ : (عدمُ الأدبِ سببُ كلِّ شرِّ ، والجهلُ بالفضائلِ عدلُ الموتِ) (٢٠) .
- _ وقالَ : (ما أصعبَ على مَن استعبدَتْهُ الشهواتُ أن يكونَ فاضلاً) (٢) .
 - _ وقالَ : (مَنْ لم يقهرْ حسدَهُ . . كانَ جسدُهُ قبراً لنفسِهِ) (عَنْ اللهُ عَبْدَاً النفسِهِ) (المُ
- وقالَ: (احمدْ مَنْ يغلظُ عليكَ [ويعظُكَ]، لا مَنْ يزكِّيكَ ويَعظُكَ]، لا مَنْ يزكِّيكَ ويَتملَّقُكَ) (°°).
- _ وقالَ : (اخترْ أن تكونَ مغلوباً وأنت منصفٌ ، ولا تخترْ أن تكونَ غالباً وأنتَ ظالمٌ) (١٠ .
 - _ وقالَ : (لا تهضمنَّ محاسنَكَ بالفخر والتكبُّر) $^{(\vee)}$.
- _ وقالَ : (لا تنفكُ المدينةُ مِنْ شرِّ حتىٰ تجتمعَ معَ قُوَّةِ السُّلطانِ قُوَّةُ دينِهِ وقُوَّةُ حكمتِهِ) (^) .
- _ وقالَ : (إذا أردتَ أن تُحمَد . . فلا يظهرْ منكَ حرصٌ على الحمدِ) (1 .
- وقالَ : (مَنْ كَثْرَ هَمُّهُ . . سقمَ بدنُهُ ، ومَنْ ساءَ خُلُقُهُ . . عَذَّبَ نفسَهُ ،

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

⁽٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲٥٨/٢٠) .

⁽٨) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠).

⁽٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

ومَنْ لاحى الرجالَ . . سقطَتْ مروءتُهُ ، وذهبَتْ كرامتُهُ ، وأفضلُ إيمانِ العبدِ أن يرى الله معه حيث كان)(١).

_ وقالَ : (في التجارِبِ علمٌ مستأنفٌ ، والاعتبارُ يفيدُكَ الرشادَ ، وكفاكَ أدباً لنفسِكَ ما كرهتَهُ مِنْ غيرِكَ ، وعليكَ لأخيكَ مثلُ الذي عليهِ لكَ) (٢٠).

- وقالَ : (الغضبُ يثيرُ كامنَ الحقدِ ، ومَنْ عرفَ الأيامَ . . لم يُغفِل الاستعداد ، ومَنْ أمسكَ عن الفُضولِ . . عَدَّلَتْ رأيهُ العقولُ) (٢٠) .

- وقالَ : (اسكتْ واسترْ . . تسلمْ ، وما أحسنَ العلمَ يزينُهُ العملُ !! وما أحسنَ العملَ يزينُهُ الرفقُ !!).

- وقالَ : (أكبرُ الفخر ألَّا تفخرَ) (· · · .

 $_{-}$ وقالَ : (ما أصعبَ اكتسابَ الفضائل وأيسرَ إتلافِها !!) $^{(\circ)}$.

_ وقالَ : (لا تنازعْ جاهلاً ، ولا تشايعْ وامِقاً ، ولا [تعادِ] مسلطاً) (١٠٠٠ .

- وقالَ : (ما كنتَ كاتمَهُ عدوَّكَ مِنْ سرّ . . فلا يَطَّلِعَنَّ عليهِ صديقُكَ ، واعرفْ قَدْرَكَ يستعلِ أمرُكَ ، وكفي ما مضي مخبراً عمَّا بقي) (٧).

وَٱحْذَرْ صَدِيةً كَ أَلْفَ مَرَّهُ

⁽١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠).

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠) .

⁽V) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲٦٠/٢٠) .

⁽٨) البيتان من مجزوء الكامل ، وانظر « شرح نهج البلاغة » (٣٩/١٩) دون نسبة لسيدنا على رضي الله عنه .

- وقالَ : (لا تَعِدَنَّ عِدةً تحقرُها قِلَّةُ الثقةِ بنفسِكَ ، ولا يَغُرَّنَّكَ المرتقى السهلُ إذا كانَ المنحدرُ وَعْراً) (١) .
- وقالَ : (اتقِ العواقبَ عالماً بأنَّ للأعمالِ جزاءً وأجراً ، واحذرْ تبعاتِ الأمورِ بتقديم الحزم فيها) (١٠) .
- وقالَ : (مَنِ استرشدَ غيرَ العقلِ . . أخطاً منهاجَ الرأي ، ومَنْ أخطاً ثُهُ وجوهُ المطالبِ . . خذلَتْهُ الحيلُ ، ومَنْ أخلَّ بالصَّبرِ . . أخلَّ بهِ حسنُ العاقبةِ ؛ فإنَّ الصَّبرَ قُوَّةٌ مِنْ قُوى العقلِ ، وبقدرِ موادِّ العقلِ وقُوَّتِها يَقوى الصَّبرُ) (٢٠) .
- وقالَ : (الخطأُ في إعطاءِ مَنْ لا ينبغي ، ومَنْع مَنْ ينبغي . . واحدٌ) (· · ·) .
 - $_{-}$ وقالَ : (العشقُ مرضٌ ليسَ فيهِ أجرٌ ولا عوضٌ) $^{(\circ)}$.
 - _ وقالَ : (الخصومةُ تَمحقُ الدِّينَ) () .
- وقالَ : (الجهادُ ثلاثةٌ : جهادٌ باليدِ ، وجهادٌ باللسانِ ، وجهادٌ بالقلبِ ؛ فأوَّلُ ما يغلبُ عليهِ مِنَ الجهادِ يدُكَ ، ثمَّ لسانُكَ ، ثمَّ يصيرُ إلى القلبِ ، فإن كانَ لا يعرفُ معروفاً ولا ينكرُ منكراً . . نكسَ ، فجُعِلَ أعلاهُ أسفلَهُ) (٧) .
- وقالَ : (ما أنعمَ اللهُ على عبدٍ نعمةً فشكرَها بقلبِهِ . . إلَّا استوجبَ المزيدَ عليها قبلَ ظهورها على لسانِهِ) (^) .

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .

⁽٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠).

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠).

⁽٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٠/٢٠) .

⁽٨) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

_ وقالَ: (الحاجةُ مسألةٌ ، والدعاءُ زيادةٌ ، والحمدُ شكرٌ ، والندمُ توبةٌ) (١٠) .

_ وقالَ : (لِنْ واحلُمْ تنبلْ ، ولا تكنْ مُعجَباً فتُمقَتَ وتُمتهَنَ) (١) .

- وقالَ: (ما لي أرى الناسَ إذا قُرِّبَ إليهِمُ الطعامُ ليلاً.. تَكلَّفوا إنارةَ المصابيحِ ؛ ليبصروا ما يدخلونَ في بطونِهِم ، ولا يَهتمُّونَ بغذاءِ النفسِ بأن ينيروا مصابيحَ ألبابِهِم بالعلمِ ؛ ليسلموا مِنْ لواحقِ الجهالةِ والذُّنوبِ في اعتقاداتِهِم وأعمالِهِم ؟!) (٣).

- وقال : (الفقرُ هوَ أصلُ حسنِ سياسةِ الناسِ ؛ وذلكَ أنَّهُ إذا كانَ مِنْ حسنِ السياسةِ أن يكونَ بعضُ الناسِ يَسوسُ ، وبعضُهُم يُساسُ ، وكانَ مَنْ يُساسُ لا يستقيمُ أنْ يُساسَ مِنْ غيرِ أن يكونَ فقيراً محتاجاً . . فقد تَبيَّنَ أنَّ الفقرَ هوَ السببُ الذي بهِ يقومُ حسنُ السياسةِ) (1) .

- وقال : (لا تَتكلَّمْ بينَ يدَيْ أحدٍ مِنَ الناسِ دونَ أن تَسمعَ كلامَهُ ، وتَقيسَ ما في نفسِكَ مِنَ العلمِ إلى ما في نفسِهِ ؛ فإن وجدتَ ما في نفسِهِ أكثرَ . . فحينَئذٍ ينبغي لكَ أن تَرومَ زيادةَ الشيءِ الذي بهِ يَفضُلُ على ما عندَكَ) (•) .

- وقالَ : (إذا كانَ اللسانُ آلةً لترجمةِ ما يَخطُرُ في النفسِ . . فليسَ ينبغي أن تَستعمِلَهُ فيما لم يَخطُرُ فيها) (١٠) .

⁽۱) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۲۱/۲۰) .

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

⁽٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

⁽٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠) .

_ وقالَ: (إذا كانَ الآباءُ هُمُ السببَ في الحياةِ . . فمُعلِّمو الحكمةِ [والدِّين] هُمُ السببُ في جودتِها) (١٠) .

- وقالَ وشكا إليهِ رجلٌ تَعنُّرَ الرزقِ فقالَ: (لا تجاهدِ الرزقَ جهادَ المغالبِ ، ولا تتكلْ على القَدَرِ اتكالَ المستسلمِ ؛ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ مِنَ السُّنَّةِ ، والإجمالَ في الطَّلبِ مِنَ العِفَّةِ ، وليسَتِ العِفَّةُ دافعةً رزقاً ، ولا الحرصُ جالباً فضلاً ؛ لأنَّ الرزقَ مقسومٌ ، وفي شدةِ الحرصِ اكتسابُ المآثم) (١٠).

_ وقالَ ^(٣) : [من الوافر]

- _ وقالَ : (مَنْ رضيَ بما قسمَ اللهُ لهُ . . استراحَ قلبُهُ وبدنُهُ) (٥٠ .
- _ وقالَ : (أبعدُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربّهِ إذا كانَ همُّهُ بطنَهُ وفرجَهُ) (٦٠ .
- وقالَ : (ليسَ في الحواسِّ الظاهرةِ شيءٌ أشرفَ مِنَ العينِ ، فلا تعطوها سُؤْلَها فتشغلَكُم عن ذكر اللهِ) (٧) .
 - _ وقالَ : (ارحموا ضُعفاءَكُم ؛ فالرحمةُ لهُم سببُ رحمةِ اللهِ لكُم) (^).

⁽۱) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲٦١/۲۰) .

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠ _ ٢٦٢) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٢/٢٠) .

⁽٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٢/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٢/٢٠) .

⁽٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٢/٢٠) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٢/٢٠) .

⁽٨) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٢/٢٠) .

- وقالَ : (إزالةُ الجبالِ أسهلُ مِنْ إزالةِ دولةٍ قد أقبلَتْ ، فاستعينوا باللهِ واصبروا ؛ فإنَّ الأرضَ للهِ يورثُها مَنْ يشاءُ) (١) .
- وقالَ: (ليسَ المُوسِرُ مَنْ كانَ يسارُهُ باقياً عندَهُ زماناً يسيراً ، ويمكنُ أن يَغتصِبَهُ غيرُهُ منهُ ، ولا يبقى بعدَ موتِهِ لهُ ، للكنِ اليسارُ على الحقيقةِ هوَ الباقي دائماً عندَ مالكِهِ ، ولا يمكنُ أن يُؤخَذَ منهُ ، ويبقىٰ لهُ بعدَ موتِهِ ؛ وذلكَ هوَ الحكمةُ) (١٠) .
 - وقالَ : (الشَّرفُ اعتقادُ المننِ في أعناقِ الرجالِ) (٢٠) .
- وقالَ: (يضرُّ الناسُ أنفسَهُم في ثلاثةِ أشياءَ: الإفراطُ في الأكلِ اتكالاً على الصحَّةِ ، وتكلُّفُ حملِ ما لا يُطاقُ اتكالاً على القُوَّةِ ، والتفريطُ في العمل اتكالاً على القدر)(؛).
- وقال : (أحزمُ الناسِ مَنْ ملكَ جدُّهُ هزلَهُ ، وقهرَ رأيه هواهُ ، وأعربَ عن ضميرِهِ فعلهُ ، لم يختدعه رضاه عن حظِّهِ ، ولا غضبه عن كيده) (٥٠) .
 - وقالَ : (مَنْ لم يُصلِحْ خلائقَهُ . . لم ينفع الناسَ تأديبُهُ) (١٦) .
- وقالَ : (مَنِ اتبعَ هواهُ . . ضلَّ ، ومَنْ جادَ . . سادَ ، وخمودُ الذِّكرِ أجملُ مِنْ ذميم الذكرِ) (٧٠ .

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٢/٢٠) .

⁽٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٢/٢٠) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٢/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠).

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

- وقالَ : (لهبُ الشُّوقِ أخفُّ محملاً مِنْ مقاساةِ الملالةِ) (١) .
- وقالَ : (بالرفقِ تُنالُ الحاجةُ ، وبحسن التأنِّي تَسهُلُ المطالبُ) (٢٠) .
- وقالَ : (بعزيمةِ الصَّبرِ تُطفَأُ نارُ الهوىٰ ، وبنفيِ العجبِ يُؤمَنُ كيدُ الحُسَّادِ) (٣) .

- وقال : (بحسبِ مجاهدةِ النفوسِ ، وردِّها عن شهَواتِها ، ومنعِها عن مسافحةِ لذَّاتِها ، ومنعِ ما أدَّتْ إليهِ العيونُ الطامحةُ مِنْ لحظاتِها . . تكونُ المثوباتُ والعقوباتُ ، والحازمُ مَنْ ملكَ هواهُ فكانَ بملكِهِ لهُ قاهراً ، ولِمَا قدحَتِ الأفكارُ مِنْ سوءِ الظنونِ زاجراً ؛ فمتىٰ لم تُردَّ النفسُ عن ذلك . . هجمَ عليها الفكرُ بمطالبةِ ما [شُغِفَتْ] بهِ ، فعندَ ذلكَ تأنسُ [بالآراءِ] الفاسدةِ ، والأمانيّ المتلاشيةِ .

وكما أنَّ البصرَ إذا اعتلَّ رأى أشباحاً أو خيالاتٍ لا حقيقة لها.. كذلك النفسُ إذا اعتلَّتْ بحُبِ الشهواتِ وانطوَتْ على قبيحِ الإراداتِ رأتِ الآراءَ الكاذبة، فإلى اللهِ سبحانَهُ نرغبُ في إصلاحِ ما فسدَ مِنْ قلوبنا، وبهِ نستعينُ على إرشادِ نفوسِنا؛ فإنَّ القلوبَ بيدِهِ يُصرِّفُها كيفَ يشاءً) (1).

- _ وقالَ : (ما شيءٌ أحقُّ بطولِ سجنِ مِنْ لسانٍ) (٥) .
- _ وقالَ : (لا نذرَ في معصيةٍ ، ولا يمينَ في قطيعةٍ) (١) .

⁽١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

⁽٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٤/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠).

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠).

- وقالَ : (لكلِّ شيءٍ ثمرةٌ ، وثمرةُ المعروفِ تعجيلُ السراح) (١١) .
- _ وقالَ : (إِيَّاكُم والكسلَ ؛ فإنَّهُ مَنْ كَسِلَ . . لمْ يؤدِّ اللهِ حقًّا) (٢) .
- _ وقالَ : (احسُبوا كلامَكُم مِنْ أعمالِكُم ، وأقلُّوهُ إلَّا في الخير) (٢٠) .
- وقالَ : (أُحسِنوا صحبة النِّعمِ ؛ فإنَّها تزولُ ، وتشهدُ على صاحبِها بما عملَ فيها) (،) .
- وقالَ: (لا تُؤاخيَنَ الفاجرَ ؛ فإنّه يُزيّنُ لكَ فعلَهُ ، ويودُّ لو أنّكَ مثلهُ ، ويُحسِّنُ لكَ أقبحَ خصالِهِ ، ومدخلُهُ ومخرجُهُ مِنْ عندِكَ شينٌ وعارٌ ونقصٌ ، ولا الأحمقَ ؛ فإنّه يجهدُ لكَ نفسَهُ ، ولا ينفعُكَ ، وربّما أرادَ أن يَنفعَكَ فضرَّكَ ، سكوتُهُ خيرٌ لكَ مِنْ نطقِهِ ، وبُعْدُهُ خيرٌ لكَ مِنْ قُربِهِ ، وموتُهُ خيرٌ لكَ مِنْ حياتِهِ ، ولا الكذّابَ ؛ فإنّهُ لا يَنفعُكَ معَهُ عيشٌ ، يَنقلُ حديثَكَ وينقلُ الحديثَ إليكَ ؛ حتى إنّهُ لَيُحدِّثُ بالصِّدقِ فلا يُصدّقُ) (٥٠).
- وقالَ : (ما استقصىٰ كريمٌ قطُّ ؛ قالَ تعالىٰ في وصفِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَغْرَضَ عَنْ بَعْضِ ﴾) (٦٠) .
- وقالَ : (ربَّ كلمةٍ يجترعُها حليمٌ مخافة ما هوَ شرُّ منها ، وكفىٰ بالحلمِ ناصراً) (٧٠) .
- _ وقالَ : (مَنْ جمعَ ستَّ خصالٍ . . لم يدعْ للجنَّةِ مطلباً ، ولا عنِ النارِ

⁽۱) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲٦٣/٢٠) .

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

⁽٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٤/٢٠) .

⁽٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٤/٢٠) ، والآية من سورة التحريم : (٣) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٤/٢٠).

مهرباً ؛ مَنْ عرفَ الله فأطاعَه ، وعرفَ الشيطانَ فعصاه ، وعرفَ الحقَّ فاتبعَه ، وعرفَ الحقَّ فاتبعَه ، وعرفَ الباطلَ فاتقاه ، وعرفَ الدنيا فرفضَها ، وعرفَ الآخرةَ فطلبَها) (١١).

- وقالَ : (مَنِ استحيا مِنَ الناسِ ولم يستحيِ مِنْ نفسِهِ . . فليسَ لنفسِهِ عندَهُ قَدْرٌ) (۲) .

- وقالَ : (غايةُ الأدبِ أن يستحييَ الإنسانُ مِنْ نفسِهِ) (٣) .
- وقالَ : (البلاغةُ البصرُ بالحُجَّةِ ، والمعرفةُ بمواضعِ الفُرْصةِ ، ومِنَ البصرِ بالحُجَّةِ : أن يدعَ الإفصاحَ بها إلى الكنايةِ عنها إذا كانَ الإفصاحُ أوعرَ طريقةً ، وكانَتِ الكنايةُ أبلغَ في الدَّرَكِ ، وأحقَّ بالظَّفَرِ) (أ) .

- وقالَ : (إيَّاكَ والشهَواتِ ، وليكنْ ممَّا تستعينُ بهِ على كفِّها علمُكَ بأنَّها ملهيةٌ لعقلِكَ ، مهجنةٌ لرأيكَ ، شائنةٌ لعِرْضِكَ ، شاغلةٌ لكَ عن معاظم أمورِكَ ، مُشتدَّةٌ بها التبعةُ عليك في آخرتِكَ ، إنَّما الشهواتُ لعبٌ ، فإذا حضرَ اللعبُ . غابَ الجدُّ ، ولن يُقامَ الدِّينُ وتصلحَ الدنيا إلَّا بالجدِّ ، فإذا نازعَتْكَ نفسُكَ إلى اللهوِ واللذَّاتِ . . فاعلمْ : أنَّها قد نزعَتْ بكَ إلى شرِ منزع ، وأرادَتْ بكَ أفضحَ الفضوحِ ، فغالبْها مغالبةَ ذلكَ ، وامتنعْ منها امتناعَ ذلكَ ، وليكنْ مرجعُكَ منها إلى الحقِّ ؛ فإنَّها مهما تتركُ مِنَ الحقِّ . لا تتركُهُ إلَّا إلى الباطلِ ، ومهما تدعْ مِنَ الصَّوابِ . . لا تدعْهُ إلَّا إلى الخطأ ، قلا تداهنَنَّ هواكَ في اليسير ، فيطمعَ منكَ فِي الكثير .

وليسَ شيءٌ ممَّا أوتيتَ فاضلاً عمَّا يصلحُكَ ، وليسَ لعمرِكَ وإن طالَ

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٤/٢٠) .

⁽۲) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۲۰/۲۰).

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٥/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٥/٢٠) .

فضلٌ عمّا ينوبُكَ مِنَ الحقِّ اللازمِ لكَ ، ولا بمالِكَ وإن كَثُرَ فضلٌ عمّا يجبُ عليكَ فيهِ ، ولا بقُوَّتِكَ وإن تَمَّتْ فضلٌ عن أداءِ حقِّ اللهِ عليكَ ، ولا برأيك وإن حزمَ فضلٌ عمّا لا تُعذَرُ بالخطأ فيهِ ، فليمنعَنَّكَ علمُكَ بذلكَ مِنْ أن تبطلَ لكَ عمراً في غيرِ نفع ، أو تُضيِّعَ لكَ مالاً في غيرِ حقٍّ ، أو أن تُصرَفَ لكَ قُوَّةٌ في غيرِ عبادةٍ ، أو تَعدِلَ لكَ رأياً في غيرِ رشدٍ ، فالحفظ [الحفظ] لِمَا قُوتِيتَ ؛ فإنَّ بكَ إلى صغيرِ ما أوتيتَ والكبيرِ منهُ أشدَّ الحاجةِ ، وعليكَ بما أضعتَهُ منهُ أشدَّ المرزأةِ ، ولا سيَّما العمرُ الذي كلُّ منفدِ (١) سواهُ مستخلفٌ ، وكلُّ ذاهبِ بعدَهُ مرتجعٌ .

فإن كنتَ شاغلاً نفسَكَ بلذَّةٍ . . [فلتكنْ] لذتُكَ في محادثةِ العلماءِ ، ودرسِ كتبِهِم ؛ فإنَّهُ ليسَ سرورُكَ بالشهواتِ بالغاً منكَ مبلغاً إلَّا وإكبابُكَ على ذلكَ ونظرُكَ فيهِ بالغُهُ منكَ ، غيرَ أنَّ ذلكَ يَجمعُ إلى عاجلِ السُّرورِ على ذلكَ وخلافُ ذلكَ يَجمعُ إلى عاجلِ السُّرورِ تمامَ السعادةِ ، وخلافُ ذلكَ يَجمعُ إلى عاجلِ الغيِّ وخامةَ العاقبةِ ، وقديماً قيلَ : أسعدُ الناسِ أدركُهُم لهواهُ إذا كانَ هواهُ في رشدِهِ ، فإذا كانَ هواهُ في غيرِ رشدِهِ . . فقد شقيَ بما أدركَ منهُ ، وقديماً قيلَ : عَوِّدْ نفسَكَ الجميلَ ، فباعتيادكَ إيَّاهُ يعودُ لذيذاً) (٢٠) .

_ وقالَ : (وُكِّلَ ثلاثٌ بثلاثٍ : الرزقُ بالحمقِ ، والحرمانُ بالعقلِ ، والبلاءُ بالمَنطِق) (٢٠) .

_ وقالَ : (ثلاثةٌ إن لم تظلمْهُم . . ظلموكَ : عبدُكَ ، وزوجتُكَ ، وابنُكَ) ﴿ أَ .

_ وقالَ : (للمنافقينَ علاماتٌ يُعرَفونَ بها : تحيتُهُم لعنةٌ ، وطعامُهُم تُهَمَّةٌ ،

⁽١) في « شرح نهج البلاغة » : (منفذ) .

⁽٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٥/٢٠) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٦/٢٠).

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٦/٢٠) .

وغنيمتُهُم غُلولٌ ، لا يَعرِفونَ المساجدَ إلا هُجراً ، ولا يأتونَ الصلاةَ إلَّا دبراً ، مستكبرينَ ، لا يَألفونَ ولا يُؤلفونَ ، خُشُبٌ بالليلِ ، صُخُبٌ بالنهار) (١٠ .

- وقالَ : (الحسدُ حزنٌ لازمٌ ، وعقلٌ هائمٌ ، ونَفَسٌ دائمٌ ، والنعمةُ على المحسودِ نعمةٌ ، وهي على الحاسدِ نقمةٌ) (١) .

- وقال : (يا حملة العلم ؛ لم تحملونه ؟! فإنّما العلم لم لم ن علم ، ثمّ عمل بما علم ، ووافق عمله علمه ، وسيكون أقوامٌ يحملون العلم لا يجاوز تراقيه م ، تخالف سريرتُه م علانيتَه م ، ويخالف علمه م عمله م ، يقعدون حِلقا ، فيباهي بعضه م بعضا ، حتى إنّ الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله سبحانه) (٣) .

- وقالَ : (تَعلَّموا العلمَ صغاراً . . تسودوا بهِ كباراً ، وتَعلَّموا العلمَ ولو لغيرِ اللهِ ؛ فإنَّهُ سيصيرُ للهِ ، العلمُ ذَكَرٌ لا يُحِبُّهُ إلَّا ذكرٌ مِنَ الرجالِ) (أ) .

- وقال : (ليسَ شيءٌ أحسنَ مِنْ عقلٍ زانَهُ علمٌ ، ومِنْ علمٍ زانَهُ حِلْمٌ ، ومِنْ علمٍ زانَهُ حِلْمٌ ، ومِنْ حِلْمٍ زانَهُ تقوى ، إنَّ ومِنْ حِلْمٍ زانَهُ صدقٌ ، ومِنْ صدقٌ ، ومِنْ رفقٍ زانَهُ تقوى ، إنَّ مِلاكَ العقلِ ومكارمِ الأخلاقِ صونُ العِرْضِ ، والجزاءُ بالقرضِ (°) ، والأخذُ بالفضلِ ، والوفاءُ بالعهدِ ، والإنجازُ للوعدِ ، ومَنْ حاولَ أمراً بالمعصيةِ . . كانَ أقربَ إلىٰ ما يَخافُ ، وأبعدَ ممّا يرجو) (٢) .

⁽۱) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲٦٦/٢٠) .

⁽٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

⁽٥) في « شرح نهج البلاغة » : (القرض) .

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

- وقالَ : (إذا جرَتِ المقاديرُ بالمكارهِ . . سبقَتِ الآفةُ إلى العقلِ فحَيَّرَتْهُ ، وانطلقَتِ الألسنُ بما فيهِ تلفُ الأنفس) (١٠) .
- وقال: (لا تصحبوا الأشرار؛ فإنَّهُم يَمنُّونَ عليكُم بالسلامةِ منهُم) (٢).
- _ وقالَ : (لا تَقسِروا أولادَكُم علىٰ آدابِكُم ؛ فإنَّهُم مخلوقونَ لزمانٍ غيرِ زمانِكُم) (٣) .
- وقالَ : (لا تطلب سرعةَ العملِ ، واطلبْ تجويدَهُ ؛ فإنَّ الناسَ لا يَسألونَ في كم فرغَ مِنَ العملِ ، إنَّما يَسألونَ عن جودةِ صنعتِهِ) (1) .
- وقالَ : (ليسَ كلُّ ذي عينٍ يبصرُ ، ولا كلُّ ذي أُذنِ يسمعُ ، فتَصدَّقوا على ذوي العقولِ الزمنةِ والألبابِ الحائرةِ بالعلومِ التي هيَ أفضلُ صدقاتِكُم ، ثمَّ تلى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكَنُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّتَهُ لِلتَّاسِ فِ ٱلْكِتَابِ أُولَتِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّعِنُونَ ﴾) () .
- وقالَ : (المؤمنُ لا تختلُهُ كثرةُ المصائبِ وتواترُ النوائبِ عنِ التسليمِ لربِّهِ ، والرضاءِ بقضائِهِ ؛ كالحمامةِ التي تُؤخَذُ فراخُها مِنْ وَكرِها ثمَّ تعودُ الله) (١٠) .
 - وقالَ : (ما ماتَ مَنْ أحيا علماً ، ولا افتقرَ مَنْ ملكَ فهماً) (v) .

⁽١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠) .

⁽٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٧/٢٠ ـ ٢٦٨) ، والآية من سورة البقرة : (١٥٩) .

⁽٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٨/٢٠) .

 $^{(\}lor)$ انظر « شرح نهج البلاغة » (۲٦٨/۲۰) .

- وقالَ : (العلمُ صبغُ النفسِ ، وليسَ يفوقُ صبغُ الشيءِ حتى يَنْظُفَ مِنْ كلِّ دنسِ) (١).
- وقالَ : (اعلمْ : أنَّ الذي مدحَكَ بما ليسَ فيكَ إنَّما هوَ مُخاطِبٌ غيرَكَ ، وثوابُهُ وجوابُهُ قد سقطا عنكَ) (٢٠ .
- وقالَ : (إحسانُكَ إلى الحرِّ يُحرِّكُهُ على المكافأةِ ، وإحسانُكَ إلى النذلِ يبعثُهُ على معاودةِ المسألةِ) (٢) .
- وقالَ : (الأشرارُ يتبعونَ مساويَ الناسِ ، ويتركونَ محاسنَهُم ؛ كما يتبعُ الذبابُ المواضعَ الفاسدةَ مِنَ الجسدِ ، ويتركُ الصحيحَ منهُ) (أ أ) .
 - _ وقالَ : (موتُ الرُّؤَساءِ أسهلُ مِنْ رئاسةِ [السَّفِلَةِ]) () .
- وقالَ: (ينبغي لِمَنْ وليَ أمرَ قومٍ أن يبدأَ بتقويمِ نفسِهِ قبلَ أن يشرعَ في تقويمِ رعيتِهِ ، وإلا . . كانَ بمنزلةِ مَنْ رامَ استقامةَ ظلِّ العُودِ قبلَ أن يستقيمَ ذلكَ العُودُ) (٢٠) .
- وقالَ : (إذا قويَ الوالي في عملِهِ . . حَرَّكَتْهُ ولايتُهُ على حَسَبِ ما هوَ مركوزٌ في طبعِهِ مِنَ الخيرِ والشرِّ) (٧) .
- وقالَ : (ينبغي للوالي أن يعملَ بخصالٍ ثلاثٍ : تأخيرُ العقوبةِ في سلطانِ الغضبِ ، والأناةُ فيما يَرتئيهِ مِنْ رأي ، وتعجيلُ مكافأةِ المحسنِ

⁽۱) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲٦٨/٢٠) .

⁽٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٨/٢٠) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٨/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .

⁽٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .

بالإحسانِ ؛ فإنَّ في تأخيرِ العقوبةِ إمكانَ العفوِ ، وفي تعجيلِ المكافأةِ بالإحسانِ طاعةَ الرعيةِ ، وفي الأناةِ انفساخَ الرأيِ ، وحمدَ العاقبةِ ، ووضوحَ الصَّواب) (۱).

وقالَ: (مِنْ حقِّ العالمِ على المُتعلِّمِ: ألَّا يكثرَ عليهِ السؤالَ، ولا يُعنِّتُهُ في الجوابِ، ولا يُلِحَّ عليهِ إذا كَسِلَ، ولا يُفشِيَ لهُ سرّاً، ولا يَعتابَ عندَهُ أحداً، ولا يطلبَ عثرتَهُ، فإذا زلَّ.. تأنَّيْتَ أوبتَهُ، وقبلتَ مَعذِرتَهُ، وأن تُعظِّمَهُ وتُوقِّرَهُ ما حفظَ أمرَ اللهِ وعَظَّمَهُ، وألَّا تجلسَ أمامَهُ، وإن كانَتْ لهُ حاجةٌ.. سبقتَ غيرَكَ إلىٰ خدمتِهِ فيها، ولا تَضجرَنَّ مِنْ صحبتِهِ، فإنَّما هوَ بمنزلةِ النخلةِ تنتظرُ متىٰ يسقطُ عليكَ منها منفعةٌ، وخُصَّهُ بالتحيةِ، واحفظْ شاهدَهُ وغائبَهُ، وليكنْ ذلكَ كلَّهُ للهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّ العالمَ أفضلُ مِن الصائمِ القائمِ المجاهدِ في سبيلِ اللهِ، وإذا ماتَ العالمُ .. ثُلِمَ في مِن الصائمِ القائمِ المحاهدِ في سبيلِ اللهِ، وإذا ماتَ العالمُ .. ثُلِمَ في الإسلامِ ثُلْمَةٌ لا يَسُدُّها إلَّا خَلَفٌ منهُ، وطالبُ العلمِ تُشيِّعُهُ الملائكةُ حتىٰ يرجعَ) (٢).

- وقالَ : (وَصُولٌ مُعدِمٌ خيرٌ مِنْ جافٍ مكثرٍ ، ومَنْ أرادَ أن ينظرَ ما لهُ عندَ اللهِ . . فلينظرُ ما للهِ عندَهُ) (٣٠ .

- وقالَ : (لقد سبقَ إلى جنَّاتِ عدنٍ أقوامٌ ما كانوا أكثرَ الناسِ صلاةً ولا صياماً ولا حَجّاً ولا اعتماراً ، وللكنْ عقلوا عنِ اللهِ أمرَهُ ، فحَسُنَتْ طاعتُهُم ، وصحَّ وَرَعُهُم ، وكَمُلَ يقينُهُم ، ففاقوا غيرَهُم بالحُظْوةِ ورفيع المنزلةِ) (' ') .

- وقالَ : (إِنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى أدَّبَ نبيَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ فقالَ لهُ :

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .

⁽٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷۰/۲۰) .

﴿ خُذِ ٱلْعَفُو وَأَمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَهِلِينَ ﴾ ('') ، فلمَّا علمَ أَنَّهُ قد تَأَدَّبَ . . قالَ لهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ('') ، فلمَّا استحكمَ لهُ مِنْ رسولِهِ ما أحبَّ . . قالَ : ﴿ مَا ءَاتَنَكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَنَكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾) (") .

- وقالَ : كنتُ أنا والعباسُ وعمرُ نتذاكرُ المعروفَ ؛ فقلتُ أنا : خيرُ المعروفِ بسترُهُ ، وقالَ عمرُ : خيرُهُ تعجيلُهُ ، وقالَ عمرُ : خيرُهُ تعجيلُهُ ، فخرجَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « فِيمَ أَنْتُمْ ؟ » فذكرنا لهُ ، فقالَ : « خَيْرُهُ أَنْ يَكُونَ هَلذَا كُلُّهُ فِيهِ » (١٠) .

- وقالَ : (العفوُ يفسدُ مِنَ اللئيم بقَدْرِ ما يُصلِحُ مِنَ الكريم) (٥٠).

_ وقالَ : (إذا خبثَ الزمانُ . . كَسَدَتِ الفضائلُ وضَرَّتْ ، ونفقَتِ الرذائلُ ونفعَتْ ، وكانَ خوفُ الموسرِ أشدَّ مِنْ خوفِ المعسرِ) (١٠) .

- وقالَ : (انظرْ إلى المُتنصِّحِ إليكَ ، فإن دخلَ مِنْ حيثُ يُضارُّ الناسُ . . فلا تقبلْ نصيحتَهُ ، وتَحرَّزْ منهُ ، وإن دخلَ مِنْ حيثُ العدلُ والصلاحُ . . فاقبلُها منهُ) (٧) .

- وقالَ : (أعداءُ الرجلِ قد يكونونَ أنفعَ مِنْ إخوانِهِ ؟ لأنَّهُم يبدونَ إليهِ عيوبَهُ فيتجنَّبُها ، ويَخافُ شماتتَهُم بهِ فيَضبطُ نعمتَهُ ، ويَتحرَّزُ مِنْ زوالِها بغايةِ طوقِهِ) (^).

⁽١) سورة البقرة : (٦٧) .

⁽٢) سورة القلم : (٤).

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) ، والآية من سورة الأعراف : (١٩٩) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) .

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠) .

⁽V) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲۷۰/۲۰ _ ۲۷۱) .

⁽۸) انظر « شرح نهج البلاغة » ($\Upsilon V 1/\Upsilon V$) .

- وقالَ : (المِرآةُ التي ينظرُ الإنسانُ فيها إلىٰ أخلاقِهِ هيَ الناسُ ؛ لأنَّهُ يرىٰ محاسنَهُ مِنْ أوليائِهِ منهُم ، ومساوية مِنْ أعدائِهِ فيهِم) (١١) .
- _ وقالَ : (انظرْ وجهَكَ كلَّ وقتٍ في المِرآةِ ؛ فإن كانَ حسناً . . فاستقبحْ أن تَجمعَ أن تضيفَ إليهِ فعلاً قبيحاً وتشينَهُ بهِ ، وإن كانَ قبيحاً . . فاستقبحْ أن تَجمعَ بينَ قبيحَين) (٢٠) .
- وقالَ : (موقعُ الصَّوابِ مِنَ الجُهَّالِ مثلُ موقعِ الخطأ مِنَ العلماءِ) (^{""} .
 - _ وقالَ : (ذَكِّ قلبَكَ بالأدبِ كما تُذكَّى النارُ بالحطبِ) (ث .
 - _ وقالَ : (لا تَصرِمْ أخاكَ على ارتيابٍ ، ولا تَقطعْهُ دونَ استعتابٍ) () .
 - _ وقالَ : (خيرُ المَقالِ ما صَدَّقَهُ الفِعالُ) (٦٠ .
 - _ وقالَ : (إذا لم تُرزَقْ غنيً . . فلا تُحْرَمَنْ مِنْ تقوىٰ) (٧) .
 - _ وقال : (مَنْ عرف الدنيا . . لم يحزنْ للبلوى) (^) .
 - _ وقالَ : (دع الكذبَ تَكرُّماً إن لم تدعْهُ تأثُّماً) (١٠) .
 - _ وقالَ : (المعتذرُ مِنْ غيرِ ذنبٍ يُوجِبُ على نفسِهِ الذنبَ) (١٠٠ .

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

⁽Y) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲۷۱/۲۰) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

⁽٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲۷۱/۲۰) .

⁽٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷۱/۲۰) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷۱/۲۰) .

⁽٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

⁽٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲۷۱/۲۰) .

⁽١٠) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧١/٢٠) .

- وقالَ : (كثرةُ الجدالِ تُوجِبُ الشكَّ) (١).
 - **-** وقالَ : (خيرُ القلوب أوعاها) (` ` .
- وقالَ : (الحياءُ لباسٌ سابغٌ ، وحجابٌ مانعٌ ، وسترٌ مِنَ المَساوي واقٍ ، وحليفٌ للدينِ ، وموجبٌ للمحبةِ ، وعينٌ كالئةٌ تَذودُ عنِ الفسادِ ، وتنهى عنِ الفحشاءِ ، والعجلةُ في الأمورِ مكسبةٌ للمَذلَّةِ ، وزمامٌ للندامةِ ، وسلبٌ للمروءةِ ، وشينٌ للحجا ، ودليلٌ على ضَعفِ العقدةِ) (٣).
- وقالَ : (إذا بلغَ المرءُ مِنَ الدنيا فوقَ قدرهِ . . تَنكَّرَتْ للناس أخلاقُهُ) (*) .
- وقالَ : (لا تصحبِ الشريرَ ؛ فإنَّ طبعَكَ يَسرِقُ مِنْ طبعِهِ شرّاً وأنتَ لا تعلمُ) (°).
 - وقالَ : (ينبغي للعاقلِ أن يَتذكَّرَ عندَ حلاوةِ الغذاءِ مرارةَ الدواءِ) (٦) .
- وقالَ : (إن حسدَكَ أَخٌ مِنْ إخوانِكَ على فضيلةٍ ظهرَتْ منكَ ، فسعى في مكروهِكَ . . فلا تقابلُهُ بمثلِ ما كافحَكَ بهِ ، فيعذرَ نفسَهُ في الإساءةِ ، وتشرحَ لهُ طريقاً إلى ما يحبُّهُ فيكَ ، للكنِ اجتهدْ في التزيُّدِ مِنْ تلكَ الفضيلةِ التي حسدَكَ عليها ؛ فإنَّها تَسوءُهُ مِنْ غيرِ أن تُوجِدَهُ حُجَّةً عليكَ) (٧) .
- وقالَ : (إذا أردتَ أن تَعرِفَ طبعَ الرجلِ . . فاستشرْهُ ؛ فإنَّكَ تقفُ مِنْ مشورتِهِ على عدلِهِ وجورهِ ، وخيرهِ وشرّهِ) (^) .

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

⁽Y) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷۲/۲۰) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷۲/۲۰) .

⁽٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷۲/۲۰) .

 ⁽٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲۷۲/۲۰) .

⁽٨) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷۲/۲۰) .

- وقالَ: (يجبُ عليكَ أن تشفقَ على ولدِكَ مِنْ إشفاقِكَ عليهِ)(١).
- وقالَ : (إذا خدمتَ رئيساً . . فلا تلبسْ مثلَ ملبوسِهِ ، ولا تركبْ مثلَ مركوبهِ ، ولا تركبْ مثلَ مركوبهِ ، ولا تستخدمْ مثلَ خدمِهِ ، فعساكَ تَسلَمُ منهُ) (٢) .
- وقالَ : (لا تُحدِّثْ بالعلمِ السفهاءَ فيُكذِّبوكَ ، ولا الجُهَّالَ فيستثقلوكَ ، ولا الجُهَّالَ فيستثقلوكَ ، ولا كُنْ حَدِّثْ بهِ مَنْ يَتلقَّاهُ مِنْ أهلِهِ بقَبولٍ وفهم . . يَفهمْ عنكَ ما تقولُ ، ولا كنْ حَدِّثْ بهِ مَنْ يَتلقَّاهُ مِنْ أهلِهِ بقبولٍ وفهم . . يَفهمْ عنكَ ما تقولُ ، ويكتمْ عليكَ ما يسمعُ ، فإنَّ لعلمِكَ عليكَ حقّاً ، كما أنَّ عليكَ في مالِكَ حقّاً ؛ بذلُهُ لمُستحقِّهِ ، ومنعُهُ عن غير مُستحِقِّهِ) (٢٠) .
- _ وقالَ : (إِيَّاكَ وصاحبَ السوءِ ؛ فإنَّهُ كالسيفِ المسلولِ ، يروقُ منظرُهُ ، ويقبحُ أَثْرُهُ) () .
 - وقالَ : (العاقلُ مَنِ اتهمَ رأيَّهُ ، ولم يثقُّ بما سَوَّلَتْهُ لهُ نفسُهُ) (٥٠) .
- _ وقال : (أمرٌ لا تدري متى يغشاك لا يمنعُك أن تَستعِدَّ لهُ قبلَ أن يَفجاك) (١٠) .
- وقالَ : (ليسَ في البرقِ الخاطفِ [مستمتعٌ] لِمَنْ يخوضُ في الظلمةِ) (٧).
- _ وقالَ : (إذا أعجبَكَ ما يتواصفُهُ الناسُ مِنْ محاسنِكَ . . فانظرْ فيما

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠) .

 $^{(\}Upsilon)$ انظر « شرح نهج البلاغة » (Υ ۷۳/۲۰) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲۷٣/۲۰) .

⁽٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲۷۳/۲۰) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٣/٢٠) .

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷۳/۲۰) .

⁽۷) انظر « شرح نهج البلاغة » ($^{\text{VV}}$ ۲۰) .

بطنَ مِنْ مساويكَ ، ولتكنْ معرفتُكَ بنفسِكَ أوثقَ عندَكَ مِنْ مدحِ المادحينَ لكَ) (١١) .

- وقالَ: (خيارُ الناسِ يَترفَّعونَ عن ذكرِ معايبِ الناسِ ، ويَتَّهمونَ المخبرَ بها ، ويقرُرونَ الفضائلَ ، ويَتعصَّبونَ لأهلِها ، ويَستعرِضونَ مآثرَ الرُّؤساءِ وأفضالَهُم عليهِم ، ويطالبونَ أنفسَهُم بالمكافأةِ عليها ، وحسنِ الرعايةِ لها) (۲).

- وقال : (مِنْ كرمِ المرءِ بكاؤُهُ على ما مضى مِنْ زمانِهِ ، وحنينُهُ إلى أوطانِهِ ، وحفظُهُ قديمَ إخوانِهِ) (٣) .

_ وقالَ: (مكارمُ الأخلاقِ عشرُ خصالِ: السخاءُ ، والحياءُ ، والصدقُ ، وأداءُ الأمانةِ ، والتواضعُ ، والغيرةُ ، والشجاعةُ ، والحلمُ ، والصَّبرُ ، والشكرُ) () .

- وقال : (مِنْ أداءِ الأمانةِ المكافأةُ على الصنيعةِ ؛ لأنَّها كالوديعةِ عندَك) (°) .

- وقالَ : ([الخَيِّرُ] النفسِ تكونُ الحركةُ عليهِ في الخيرِ سهلةً مُتيسِّرةً ، والحركةُ في الإضرار عسرةً بطيئةً ، والشريرُ بالضِّدِّ مِنْ ذلكَ) (١٠) .

- وقال : (لا تقبلَنْ في استعمالِ عُمَّالِكَ وأُمرائِكَ شفاعةً إلَّا شفاعة الكفايةِ والأمانةِ) (٧).

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٤/٢٠) .

⁽٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٤/٢٠) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٤/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٥/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٥/٢٠) .

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٥/٢٠) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷٦/۲۰) .

- وقالَ : (إذا استشارَكَ عدوُّكَ فجَرِّدْ لهُ النصيحةَ ؛ لأنَّهُ باستشارتِكَ قد خرجَ مِنْ عداوتِكَ ، ودخلَ في مَودَّتِكَ) (١١) .
- _ وقالَ : (العدلُ صورةٌ واحدةٌ ، والظلمُ صورُهُ كثيرةٌ ، ولهاذا سَهُلَ ارتكابُ الجورِ ، وصَعُبَ تحرِّي العدلِ ، وهما يشبهانِ الإصابةَ في الرمايةِ والخطأَ فيها ، وإنَّ الإصابةَ تحتاجُ إلى ارتياضٍ وتعهُّدٍ ، والخطأَ لا يحتاجُ إلى شيءٍ مِنْ ذاك) (٢٠) .
- وقالَ : (لا يُخطِئُ المُخلِصَ في الدعاءِ إحدىٰ ثلاثٍ : ذنبٌ يُغفَرُ ، أو شرٌّ يُؤجَّلُ) (٢٠) .
- _ وقالَ : (لا ينتصفُ ثلاثةٌ مِنْ ثلاثةٍ : بَرٌّ مِنْ فاجرٍ ، وعاقلٌ مِنْ جاهلٍ ، وكريمٌ مِنْ لئيم) (أ) .
- وقالَ : (أشرفُ الملوكِ مَنْ لم يخالطُهُ البطرُ ، ولم يَحُلْ عنِ الحقِّ ، وأغنى الأغنياءِ مَنْ لم يكنْ للحرصِ أسيراً ، وخيرُ الأصدقاءِ مَنْ لم يكنْ على إخوانِهِ مستصعباً ، وخيرُ الأخلاقِ [أعونُها] على التقى والورع) (٥٠).
- _ وقالَ : (إِيَّاكَ ومواقفَ الاعتذارِ ؛ فربَّ عذرٍ أَثبتَ الحُجَّةَ على صاحبِهِ وإن كانَ بريئاً) (٢٠٠٠ .
- _ وقالَ : (قُوتُ الأجسامِ الغذاءُ ، وقُوتُ العقولِ الحكمةُ ؛ فمتىٰ فَقَدَ واحدٌ منهُما قُوتَهُ . . بارَ واضمحلَّ) (٧) .

⁽١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٦/٢٠) .

⁽۲) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۷٦/۲۰).

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٦/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٦/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٦/٢٠).

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٧٧/٢٠) .

⁽٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲۷۸/۲۰) .

- وقالَ: (لا تفرحْ بسقطةِ غيرِكَ ، فإنَّكَ لا تدري ما تَتصرَّفُ الأيامُ بكَ) (١٠) .
 - _ وقال : (غضب العاقل في فعلِهِ ، وغضب الجاهل في قولِهِ) (٢).
- وقالَ : (مُرُوا الأحداثَ بالمراءِ والجدالِ ، والكهولَ بالفكرِ ، والشيوخَ بالصمت) (٣) .
- وقالَ : (بلوغُ أعلى المنازلِ مِنْ غيرِ استحقاقٍ . . مِنْ أكبرِ أسبابِ الهلكةِ) (،) .
- _ وقالَ : (ليتَ شعري !! ما أدركَ مَنْ فاتَهُ العلمُ ؟! بل أيُّ شيءٍ فاتَ مَنْ أدركَ العلمُ ؟! بل أيُّ شيءٍ فاتَ مَنْ أدركَ العلمَ ؟!) (°).
- وقالَ : (ذو الهِمَّةِ وإن حَطَّ نفسَهُ يأبيٰ إلَّا علواً ؛ كالشعلةِ مِنَ النارِ يخفيها صاحبُها وتأبيٰ إلَّا ارتفاعاً) (٦٠) .
- _ وقالَ : (العاقلُ إذا تَكلَّمَ بكلمةٍ . . أتبعَها حكمةً ومثلاً ، والأحمقُ إذا تَكلَّمَ بكلمةٍ . . أتبعَها حَلِفاً) (٧٠ .
 - _ وقالَ : (ابتداءُ الصَّنيعةِ نافلةٌ ، وربُّها فريضةٌ) (^) .
 - _ وقالَ : (رُبَّ صَلَفٍ أَدَّىٰ إِلَىٰ تَلَفٍ) (١٠٠٠ .

⁽۱) انظر « شرح نهج البلاغة » (۲۷۹/۲۰) .

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٨٥/٢٠) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٥/٢٠) .

⁽٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٨٧/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٨٩/٢٠) .

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٨٩/٢٠) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٨٩/٢٠) .

⁽٨) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٩٠/٢٠) .

⁽٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٩٠/٢٠) .

- _ وقالَ : (المروءةُ التامَّةُ مباينةُ العامَّةِ) (' ' .
- _ وقالَ: ([السَّفِلَةُ] إذا تَعلَّموا . . تَكبَّروا ، وإذا تَموَّلوا . . استطالوا ، والعلْيةُ إذا تَعلَّموا . . تواضعوا ، وإذا افتقروا . . صالوا) (٢٠ .
- وقالَ : (أعجزُ الناسِ مَنْ قَصَّرَ في طلبِ الصديقِ ، وأعجزُ منهُ مَنْ وجدَهُ فضَيَّعَهُ) (٢٠) .
- _ وقالَ : (إذا قعدتَ وأنتَ صغيرٌ حيثُ تُحِبُّ . . قعدتَ وأنتَ كبيرٌ حيثُ تكرهُ) (١٠) .
- وقالَ: (عاملوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضةِ ، والأوساطَ بالرغبةِ والرهبةِ ، والسَّفِلَةَ بالهوانِ) () .
- وقالَ : (لا تبلغْ في سلامِكَ على الإخوانِ حدَّ النفاقِ ، ولا تُقصِّرْ بهِم عن درجةِ الاستحقاقِ) (1) .
- وقالَ : (ارحم الفقراءَ لقِلَّةِ صبرِهِم، والأغنياءَ لقِلَّةِ شكرِهِم، وارحم الجميعَ لطولِ غفلتِهم) (٧٠) .
- وقالَ : (مَنْ كَذَبَ . . ذهبَ بماءِ وجهِهِ ، ومَنْ ساءَ خُلُقُهُ . . كَثُرَ غَمُّهُ ، ونقلُ الصُّخورِ مِنْ مواضعِها أهونُ مِنْ تفهيم مَنْ لا يفهمُ) (^^) .

⁽۱) انظر «شرح نهج البلاغة » (۲۹۰/۲۰) .

⁽٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٩٠/٢٠) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٢٩٧/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٠٠/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣١١/٢٠) .

⁽٦) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣١٥/٢٠) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٢٥/٢٠) .

⁽٨) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٢٦/٢٠) .

- وقالَ : (لمَّا عرفَ أهلُ النقصِ حالَهُم عندَ أهلِ الكمالِ . . استعانوا بالكِبْرِ ؛ ليُعظِّمَ صغيراً ، ويرفعَ حقيراً ، وليسَ بفاعلِ) (١١) .
- وقالَ: (مَنْ كَثُرَ مزاحُهُ . . لم يَسلَمْ مِنِ استخفافٍ بهِ ، أو حقدٍ عليهِ) (٢) .
- وقالَ : (لا تقطعْ أخاكَ إلَّا بعدَ عجزِ الحِيلةِ عنِ استصلاحِهِ ، ولا تُتْبِعْهُ بعدَ القطيعةِ وقيعةً فيهِ فتَسُدَّ طريقَهُ عنِ الرُّجوعِ إليكَ ، ولعلَّ التجارِبَ أَنْ تَرُدَّهُ عليكَ ، وتُصلِحَهُ لكَ) (٣) .
- وقالَ : (الجاهلُ صغيرٌ وإن كانَ شيخاً ، والعالمُ كبيرٌ وإن كانَ حَدَثاً) (أ أ) .
 - وقالَ : (الفُرصةُ سريعةُ الفَوتِ ، بطيئةُ العودِ) (°).
 - وقال : (عقلُ الكاتب في قلمِهِ) (١٦).
- وقالَ : (الأدبُ عندَ الأحمقِ كالماءِ العذبِ في أصولِ الحنظلِ ؛ كلَّما زادَ ريّاً . . ازدادَ مرارةً) (٧٠) .
- وقال : (ممَّا تكتسبُ بهِ المحبةَ أن تكونَ عالماً كجاهلٍ ، وواعظاً كموعوظٍ) (^) .

⁽١) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠) .

⁽۲) انظر «شرح نهج البلاغة » (۳۲۷/۲۰) .

⁽٣) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٢٧/٢٠).

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٢٨/٢٠) .

⁽٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٢٨/٢٠) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٣٠/٢٠) .

⁽٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٣٠/٢٠) .

- وقالَ: (لَأَعجبُ للسلطانِ كيفَ يُحسِنُ وهوَ إذا أساءَ.. وجدَ مَنْ يُزكِّيهِ ويَمدحُهُ ؟!) (١).

- وقالَ: (إذا صادقتَ إنساناً.. وجبَ أن تكونَ صديقَ صديقِهِ ، وليسَ يجبُ عليكَ أن تكونَ عدقَ عدقِهِ ، لا علي يجبُ عليك أن تكونَ عدقَ عدقِهِ ؛ لأنَّ هلذا إنَّما يجبُ علي خادمِهِ ، لا علي مماثل لهُ) (۱).

- وقالَ : (ليسَ يَكمُلُ فضيلةُ الرجلِ حتىٰ يكونَ صديقاً لمتعاديَينِ) (١٠).

- وقالَ : (تَعرِفُ خساسةَ المرءِ بكثرةِ كلامِهِ فيما لا يعنيهِ ، وإخبارِهِ عمَّا لا يُسأَلُ عنهُ) (•) .

- وقالَ: (خيرُ ما عُوشِرَ بهِ الملكُ قِلَّةُ الخلافِ، وتخفيفُ المؤنةِ) (١٠).

_ وقالَ : (أُولى الأشياءِ أن يَتعلَّمَها الأحداثُ . . الأشياءُ التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها) (٧) .

- وقالَ : (لا تطلب الحياة لتأكل ، بل اطلب الأكلَ لتحيا) (^).

_ وقالَ : (مَنْ أمضىٰ يومَهُ في غيرِ حقِّ قضاهُ ، أو فرضِ أدَّاهُ ، أو

⁽۱) انظر «شرح نهج البلاغة » (۳۳۰/۲۰) .

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٣١/٢٠) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٣١/٢٠) .

⁽٤) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٣١/٢٠) .

⁽٥) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٣٢/٢٠) .

⁽٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٣٣/٢٠) .

⁽٧) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٣٣/٢٠) .

⁽٨) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٣٣/٢٠) .

مجدٍ بناهُ ، أو حمدٍ حَصَّلَهُ ، أو خيرٍ أسَّسَهُ ، أو علمٍ اقتبسَهُ . . فقد عَقَّ يومَهُ) (١) .

_ وقالَ : (خيرُ الشِّعرِ ما كانَ مَثَلاً ، وخيرُ الأمثالِ ما لم يكنْ شعراً) (٢٠) .

- وقالَ : (ولـدُكَ ريحانتُكَ سبعاً ، وخادمُكَ سبعاً ، ثمَّ هوَ عـدوُّكَ أو صديقُكَ) (٢) ؛ يعني : بحسن التربية وسوئها .

* * *

⁽۱) انظر « شرح نهج البلاغة » (۳۳٤/۲۰).

⁽٢) انظر «شرح نهج البلاغة » (٣٣٦/٢٠) .

⁽٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٤٣/٢٠) .

[أرجوزةُ ابنِ حِجَّةَ الحَمَويِّ]

وممَّا يناسبُ ما أوردنا ، ويكونُ حفظُهُ كمالاً لطالبِ صناعةِ الإنشاءِ . . طرفُ الأراجيزِ التي ضَمَّنَها أصحابُها أمثالَ تلكَ المعاني ، فعليهِ أن يطلبَها مِنْ مظانِّها ، ونوردُ منها الأرجوزةَ التي استخلصَها تقيُّ الدينِ أبو بكرِ ابنُ حِجَّة الحمويُّ مِنْ كتابِ « الصادحِ والباغمِ » (۱) ، ورَتَّبَ أبياتَها كما استحسنَ غيرَ ترتيبها في ذلكَ الكتاب ؛ وهي :

وَٱخْتَارَنَا لِلْعِلْمِ إِذْ أَدَّبَنَا فَلَا تُخَاطِبُ كُلَّ مَنْ لَا يَشْعُرُ

وَمَنْ يَرُومُ ٱلسِّحْرَ فِي نِظَامِهِ لَيْسَ لَهَا فِي عَصْرِنَا مِثَالُ

لِأَنَّ فِيهَا رَأْسَ مَالِ ٱلْأُدَبَا

فَكَانَ ذَا مِنْ أَكْبَرِ ٱلْمَصَالِحِ سَكَنْتَ مِنْ سَامِعِهِ فِي قَلْبِهِ

لَكِنَّنِي خَاطَبْتُ بِٱلْمَعْرُوفِ

تَجْلِبُ لِلسَّامِعِ كُلَّ لَذَّةِ بِهَا إِذَا خَاطَبَ أَرْبَابَ ٱلْعُلَا

بِهَا إِذَا حَاطَبُ ارْبَابُ الْعَارُ

جَمَعْتُهَا جَمْعَ أَدِيبٍ شَاعِرِ

اَلْحَمْدُ لِللهِ ٱلَّذِي هَـذَّبَنَا فَإِنَّ لِـلْآدَابِ فَـضْـلاً يُــذْكَـرُ يَا مُدَّعِى ٱلْحِكْمَةِ فِي كَلَامِهِ خُذْ حِكَماً وَكُلُّهَا أَمْثَالُ أَلَّفَهَا ٱبْنُ حِجَّةٍ لِلنُّجَبَا وَٱخْتَارَهَا مِنْ مُفْرَدَاتِ ٱلصَّادِح مِنْ كُلِّ بَيْتٍ إِنْ تَمَثَّلْتَ بِهِ وَقَدْ تَهَجَّمْتُ عَلَى ٱلشَّرِيفِ وَجِئْتُ مِنْ كَلَامِهِ بِنُبْذَةِ وَتَـرْفَعُ ٱلْأَدِيبَ إِنْ تَـمَـثَـلَا مِنْ حِكَم تَتْبَعُهَا وَصَايَا مِــــنْ أَوَّلٍ وَأَوْسَـــطٍ وَآخِــــر

⁽۱) ذكرها في « خزانة الأدب » (۱۸۰/۲) .

وَٱنْتَظَمَ ٱلْبَدِيعُ بِٱلْغَرِيبِ تَرْتِيبهَا يَكُونُ غَيْرَ مُنْصِفِ وَيَعْتَرِفْ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَدَبْ مِنْ نَظْمِهِ ٱلْمُحْكَم فِي مَقَالِهِ وَلَـيْسَ بِـالـرَّأْيِ وَلَا ٱلـتَّـدْبِيرِ وَفِعْلُهُ جَمِيعُهُ إِدْبَارُ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَة إِنَّ ٱلْقَضَاءَ بِٱلْعِبَادِ أَمْلَكُ نَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِذْ نُبْتَلَى أَنْ نَجْعَلَ ٱلْكُفْرَ مَكَانَ ٱلشُّكْر إِذْ كَانَ مَا يَجْرِي بِأَمْرِ ٱلْبَارِي مَنْ سَاعَدَ النَّاسَ بِفَضْلِ ٱلْجَاهِ أَغَاثَهُ ٱللهُ إِذَا أُخِيفَ كَمَا ٱلْجَسِيمُ يَحْمِلُ ٱلْجَسِيمَا رَحْمَةً ذِي ٱلْبَلَاءِ وَٱلْأَسْقَام ٱلْعَطْفَ فِي ٱلْبُؤْسِ عَلَى ٱلْعَدُوّ عَلَى ٱلصَّدِيقِ وَٱلْعَدُوِّ صَدَقَهُ بٱلطَّبْع لَا يُرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُ

حَتَّىٰ دَنَا ٱلْبَعِيدُ لِلْقَرِيب وَٱنْسَجَمَتْ فِي جَمْعِهَا أُرْجُوزَهْ وَكُلُّ مَنْ أَنْكَرَ مَا أَحْكَمْتُ فِي فَلْيَنْظُر ٱلْأَصْلَ لِيَعْرِفَ ٱلسَّبَبْ أُوَّلُ مَا يُرْغَبُ فِي ٱسْتِهْ لَالِهِ ٱلْعَيْشُ بِٱلرِّزْقِ وَبِٱلتَّقْدِير فِي ٱلنَّاس مَنْ تُسْعِدُهُ ٱلْأَقْدَارُ مَنْ عَرَفَ ٱللهَ أَزَالَ ٱلتُّهُمَهُ مَنْ أَنْكَرَ ٱلْقَضَاءَ فَهُ وَ مُشْرِكُ وَنَــحْــنُ لَا نُــشْــركُ بِــٱللهِ وَلَا عَارٌ عَلَيْنَا وَقَبِيحُ ذِكْرِ وَلَيْسَ فِي ٱلْعَالَم ظُلْمٌ جَارِي وَأَسْعَدُ ٱلْعَالَمِ عِنْدُ ٱللهِ وَمَنْ أَغَاثَ ٱلْبَائِسَ ٱلْمَلْهُ وفَا إِنَّ ٱلْعَظِيمَ يَدْفَعُ ٱلْعَظِيمَ فَإِنَّ مِنْ خَلَائِتِ ٱلْكِرَام وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ ٱلْعُلُوّ قَدْ قَضَتِ ٱلْعُقُولُ أَنَّ ٱلشَّفَقَهُ وَقَدْ عَلِمْتَ وَٱللَّبِيبُ يَعْلَمُ

فَإِنَّهُ فِي دَهْرِهِ مُرْتَهَنُ لَا يَا أُمَانُ ٱلْآفَاتِ إِلَّا ذُو ٱلرَّدَىٰ فَإِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ كَٱلْمُدَامَةُ وَٱلصَّفْوُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلْكَدَرْ مِنْ صَاحِب يَحْمِلُ مَا أَثْقَلَهُ فَإِنَّهَا كَئُّ عَلَى ٱلْفُؤَادِ أَنْ يُبْتَلَىٰ فِي جِنْسِهِ بِٱلضِّدِّ وَٱلْيَدُ بِٱلسَّاعِدِ وَٱلْبَنَانِ أَوْ مَارِقٌ عَن ٱلرَّشَادِ غَافِلُ وَذِمَّةٌ يَحْفَظُهَا ٱللَّبيبُ وَمُ قُتَضَى ٱلْمَوَدَّةِ ٱلْمُعَاضَدَهُ وَٱلْمِحَن ٱلْعَظِيمَةِ ٱلْأَوَابِدِ وَهْوَ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ أَعْدَاهُ يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخَافُ لَوْمَا لِحَرْبهِ جَرَّ إِلَيْهِ ٱلْبَلْوَىٰ فَٱلْمَرْءُ لَا يُحَارِبُ ٱلسُّلْطَانَا وَٱحْذَرْ فِعَالاً تُوجِبُ ٱلنَّدَامَهُ مَنْ خَافَ فِي مَتْجَرِهِ ٱلْخَسَارَهُ ثُمَّ يَرُومُ ٱلرَّبْعَ بِٱحْتِيَالِهِ

فَٱلْمَرْءُ لَا يَدْرِي مَتَىٰ يُمْتَحَنُ وَإِنْ نَجَا ٱلْيَوْمَ فَمَا يَنْجُو غَدَا لَا تَغْتَرِرْ بِٱلْخَفْضِ وَٱلسَّلَامَهُ وَٱلْعُمْرُ مِثْلُ ٱلْكَأْسِ وَٱلدَّهْرُ ٱلْقَذَرْ وَكُلُّ إِنْسَانِ فَلَا بُدَّ لَـهُ جَهْدُ ٱلْبَلَاءِ صُحْبَةُ ٱلْأَضْدَادِ أَعْظَمُ مَا يَلْقَى ٱلْفَتَىٰ مِنْ جَهْدِ فَإِنَّ مَا ٱلرِّجَالُ بِٱلْإِخْ وَانِ لَا يَحْقِرُ ٱلصَّحْبَةَ إِلَّا جَاهِلُ صُحْبَةُ يَوْم نَسَبٌ قَريبُ وَمُوجِبُ ٱلصَّدَاقَةِ ٱلْمُسَاعَدَهُ لَا سِيَّمَا فِي ٱلنُّوبِ ٱلشَّدَائِدِ فَالْمَرْءُ يُحْدِي أَبَداً أَخَاهُ وَإِنَّ مَنْ عَاشَرَ قَوْماً يَوْمَا وَإِنَّ مَـنْ حَـارَبَ مَـنْ لَا يَـقْـوَىٰ فَحَارِبِ ٱلْأَكْفَاءَ وَٱلْأَقْرَانَا وَٱقْنَعْ إِذَا حَارَبْتَ بِٱلسَّلَامَهُ فَٱلتَّاجِرُ ٱلْكَيِّسُ فِي ٱلتِّجَارَهُ يَجْهَدُ فِي تَحْصِيل رَأْس مَالِهِ

فَلَا تُقَصِّرْ وَٱحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَا فَسَبْقُكَ ٱلْخَصْمَ مِنَ ٱلْمَكَايدِ تَصِيرُ إِنْ لَمْ تَنْتَه زْهَا غُصَّهْ عَنْهُ ٱلتَّوَقِي وَٱسْتَهَانَ فَهَلَكْ لَمْ يَحْفَظُوهُ فِي لِقَاءِ ٱلْخَصْم يُخْذَلُ حِينَ يَشْهَدُ ٱلْحُرُوبَا كَلَّا وَلَا يَحْمُونَ مَنْ أَجَاعَهُمْ مَنْ غَرَّهُ ٱلسِّلْمُ فَأَقْصَى ٱلْجُنْدَا لَا خَيْرَ فِي عَزْم بِغَيْرٍ حَزْم وَٱلصَّبْرِ لَا فِي سُرْعَةِ ٱلْمُزَاوَلَهُ مَا غَلَبَ ٱلْأَيَّامَ إِلَّا ٱلصَّابِرُ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفِ رُوحٌ بلا كَدٍّ وَلَا ٱلْتِمَاس وَنَاجِزٌ بَادٍ وَدَمْعٌ يَنْسَفِكْ مَا لَمْ تَنَلْ بِٱلْحِرْصِ وَٱلتَّعَنِّي وَأَقْبَحَ ٱلْحَيْرَةَ وَٱلتَّبَلُدَا خَطْبٌ تَلَقًاهُ بِصَبْرِ وَثِقَهُ فَتَمَّ أَحْوَالُ ٱلرِّجَالِ تَخْتَلِفْ فَأَصْبِرُ ٱلْآنَ لِهاذِي ٱلْمِحَن

وَإِنْ رَأَيْتَ ٱلنَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَا وَٱسْبِقْ إِلَى ٱلْأَجْوَدِ سَبْقَ ٱلنَّاقِدِ وَٱنْتَهِ زِ ٱلْفُرْصَةَ إِنَّ ٱلْفُرْصَهُ كَمْ بَطِرَ ٱلْغَالِبُ يَوْماً فَتَرَكْ وَمَنْ أَضَاعَ جُنْدَهُ فِي ٱلسِّلْم وَإِنَّ مَنْ لَا يَحْفَظُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلْجُنْدُ لَا يَرْعَوْنَ مَنْ أَضَاعَهُمْ وَأَضْعَفُ ٱلْمُلُوكِ طُرّاً عَفْدَا وَٱلْحَزْمُ وَٱلتَّدْبِيرُ رُوحُ ٱلْعَزْم وَٱلْحَزْمُ كُلُّ ٱلْحَزْمِ فِي ٱلْمُطَاوَلَهُ وَفِي ٱلْخُطُوبِ تَظْهَرُ ٱلْجَوَاهِرُ لَا تَيْئَسَنْ مِنْ فَرَجِ وَلُطْفِ فَرُبَّمَا جَاءَكَ بَعْدَ ٱلْيَاس فِي لَمْحَةِ ٱلطَّرْفِ بُكَاءٌ وَضَحِكْ تَخَالُ بِٱلرِّفْقِ وَبِٱلتَّأَيِّي مَا أَحْسَنَ ٱلثَّبَاتَ وَٱلتَّجَلُّدَا لَيْسَ ٱلْفَتَىٰ إِلَّا ٱلَّذِي إِنْ طَرَقَهْ إِذَا ٱلرَّزَايَا أَقْبَلَتْ وَلَمْ تَقِفْ وَكَمْ لَقِيتُ لَذَّةً فِي زَمَانِي

وَٱلْمَوْتُ أَحْلَىٰ مِنْ حَيَاةٍ مُرَّهُ فَأَجْهَدُ ٱلْآنَ لِمَا يَقِينِي وَرُبَّ مَا فَازَ ٱلْفَتَىٰ إِذَا صَبَرْ كَلَّا وَلَا يَخْضَعُ لِلنَّوَائِبِ وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلنَّائِبَاتِ يَجْمُلُ مَا غَلَبَ ٱلْأَيَّامَ إِلَّا مَنْ رَضِي لَيْسَ ٱلنُّهَىٰ بعِظَم ٱلْعِظَام بَلْ هُوَ فِي ٱلْعُقُولِ وَٱلْأَفْهَام وَٱلْإِبْلُ لِلْحَمْلِ وَلِلتَّرْحَالِ فَرُبَّمَا أَسَالَتِ ٱلدَّمَ ٱلْإِبَرْ جَمِيعُ مَا تَكْرَهُ مِنْ لَجَاجِهِ وَكُنْ إِذَا كَوَيْتَ ذَا إِنْضَاجِ طَمَاعَةً وَطَلَبَ ٱلْمَفْقُودَا كَمْ نُكْتَةٍ جَاءَتْكَ مَعْ إِظْهَارِهَا وَمَا نَظُرْتَ حَسَنَ ٱلسَّرَائِر أَنَّ ٱلضَّريرَ قَطُّ لَا يَراهُ نَافِقَةً وَأَنْتَ عَنْهَا غَافِلُ وَلَوْ رَأَوْهَا لَأَزَالُوا ٱلتُّهُمَهُ

فَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرَّهُ إِنِّي مِنَ ٱلْمَوْتِ عَلَىٰ يقِين صَبْراً عَلَىٰ أَهْ وَالِهَا وَلَا ضَجَرْ لَا يَجْزَعُ ٱلْحُرُّ مِنَ ٱلْمَصَائِب فَٱلْحُرُّ لِلْعِبْءِ ٱلثَّقِيلِ يَحْمِلُ لِكُلّ شَيْءٍ مُدَّةٌ وَتَنْقَضِي قَدْ صَدَقَ ٱلْقَائِلُ فِي ٱلْكَلَام لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ ٱلْأَجْسَام فَٱلْخَيْلُ لِلْحَرْبِ وَلِلْجَمَالِ لا تَحْتَقِرْ شَيْئاً صَغِيراً مُحْتَقَرْ لَا تُحْرِجِ ٱلْخَصْمَ فَفِي إِحْرَاجِهِ لَا تَطْلُبِ ٱلْفَائِتَ بِٱللَّجَاجِ فَعَاجِزٌ مَنْ تَرَكَ ٱلْمَوْجُودَا وَفَتِّ شُ ٱلْأُمُ ورَ عَنْ أَسْرَارِهَا لَزِمْتَ لِلْجَهْلِ قَبِيحَ ٱلظَّاهِرِ لَيْسَ يَضُرُّ ٱلْبَدْرَ فِي ثَنَاهُ كَمْ حِكْمَةٍ أَضْحَتْ بِهَا ٱلْمَحَافِلُ وَيَغْفُلُونَ عَنْ خَفِيّ ٱلْحِكْمَهُ

⁽١) في « خزانة الأدب » : (نكبة) بدل (نكتة) .

وَسَمِج عُنْوَانُهُ مَلِيحُ يَاْبَاهُ إِلَّا نَفَرٌ قَالِيلُ لَا يَنْشَنِي لِزُخْرُفِ ٱلْمَقَالِ وَقَـلَّمَا يُصَلَّقُ ٱلْحَسُودُ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ مُعَانِدِ وَٱلرَّجُلُ ٱلْمُحْسِنُ بِٱللَّئِيم يُـرْدُونَـهُ بـالْـغِـشّ وَٱلْـفَـسَـادِ مَنْ حَسِبَ ٱلْإِسَاءَةَ ٱلْإِحْسَانَا وَلَا تَخَلُ يُسْرَاكَ مِثْلَ ٱلْيُمْنَى وَخِــدَعٌ مُــنْـكَــرَةٌ شَــدَائِـــدُ قَطُّ وَلَا يَغْتَاظُ بِٱلْمَكَايِدِ وَٱمْكُرْ إِذَا لَمْ يَنْفَع ٱلصِّدْقُ وَكِدْ يَبْلُغُ فِي ٱلْأَعْدَاءِ مَا يُريدُ وَغَيْرُهُ مُخْتَضِبُ ٱلْأَظَافِر وَلَوْ بِقَتْلِ وُلْدِهِ وَعِرْسِهِ لَمْ يَعْتَمِدْ إِلَّا صَلَاحَ نَفْسِهِ وَجَدْتَهُ كَمَنْ يُرَبِّي أَسَدَا وَلَيْسَ فِي أَصْلِ ٱلدَّنِيءِ نَصْرُ ضِدُّ ٱلَّذِي فِي طَبْعِهِ مَا أَنْصَفَهُ

كَمْ حَسَنِ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ وَٱلْحَقُّ قَدْ تَعْلَمُهُ ثَقِيلُ فَٱلْعَاقِلُ ٱلْكَامِلُ فِي ٱلرِّجَالِ إِنَّ ٱلْعَدُوَّ قَدُولُهُ مَدُودُ لَا تَقْبَل ٱلدَّعْوَىٰ بغَيْر شَاهِدِ أَيُـوْخَـذُ ٱلْبَرِيءُ بِٱلسَّـقِلِيم كَذَاكَ مَنْ يَسْتَنْصِحُ ٱلْأَعَادِي إِنَّ أَكَـلَّ مَـنْ تَـرَىٰ أَذْهَانَا فَٱدْفَعْ إِسَاءَةَ ٱلْعِدَا بِٱلْحُسْنَى وَلِلرِّجَالِ فَاعْلَمَنْ مَكَايِدُ فَٱلنَّدْبُ لَا يَخْضَعُ لِلشَّدَائِدِ فَرَقِّع ٱلْخَرْقَ بِلُطْفٍ وَٱجْتَهِدْ فَ هَاكَذَا ٱلْحَازِمُ إِذْ يَكِيدُ وَهْوَ بَرِيءٌ مِنْهُمُ فِي ٱلظَّاهِر وَٱلشُّهُمُ مَنْ يُصْلِحُ أَمْرَ نَفْسِهِ فَإِنَّ مَنْ يَقْصِدُ قَلْعَ ضِرْسِهِ وَإِنَّ مَنْ خَصَّ ٱللَّئِيمَ بِٱللَّٰدَىٰ وَلَيْسَ فِي طَبْعِ ٱللَّئِيمِ شُكْرُ وَإِنَّ مَنْ أَلْزَمَهُ [وَكَلَّفَهُ]

وَيُــــؤْثِــــرُ ٱلْأَرْذَالَ وَٱلْأَنْــــذَالَا مَا ظَهَرَتْ بَيْنَكُمُ ٱلْأَسْرَارُ وَٱلْعِرْقُ دَسَّاسٌ إِذَا [أُطِيعًا] وَلَا زَكَا مَنْ مَجْدُهُ حَدِيثُ وَيَبْلُغُونَ وَطَراً مِنْ بُغْيَا مَبْلَغَ مَنْ كَانَ لَهُ فِيهَا قَدَمْ فِي طِيبها وَكَرُمَتْ أَسْلَافُهُ وَبَرَعَتْ فِي أَصْلِهِ حُسْنُ ٱلشِّيمْ مَا بَانَ لِلْعُقُولِ فَضْلُ ٱلْعَالِم فَذَاكَ مَنْ يَكُفُرُهُ فَقَدْ ظَلَمْ أَوْ حَاجَةٍ لَـهُ إِلَـيْـكَ وَاقِعَـهُ كَمْ أَكْلَةٍ أَوْدَتْ بِنَفْسِ ٱلْآكِل وَقِسْ بِمَا رَأَيْتَهُ مَا لَمْ تَرَهْ إِفْسَادُ شَخْصِ كَامِل لِقَرَمِهُ لَيْسَ لِمُلْكِ مَعَهُ بَقَاءُ وَٱلْعُجْبُ فَٱتْرُكْهُ شَدِيدُ ٱلْمَصْرَع شَرُّ ٱلْوَرَىٰ مَنْ لَيْسَ يَرْعَى ٱلْعَهْدَا وَرُبَّ مَا ضَرَّ ٱلْحَريصَ حِرْصُهُ وَسَاءَكَ ٱلْمُحْسِنُ مِنْ رَجَالِكَا

كَذَاكَ مَنْ يَصْطَنِعُ ٱلْجُهَالَا لَوْ أَنَّكُمْ أَفَاضِلٌ أَحْرَارُ إِنَّ ٱلْأُصُولَ تَجْذِبُ ٱلْفُرُوعَا مَا طَابَ فَرْعٌ أَصْلُهُ خَبِيثُ قَدْ يُدْركُونَ رُتَباً فِي ٱلدُّنْيَا لَاكِنَّهُمْ لَا يَبْلُغُونَ فِي ٱلْكَرَمْ وَكُلُّ مَنْ تَمَاثَلَتْ أَطْرَافُهُ كَانَ خَلِيقاً بِٱلْعُلَا وَبِٱلْكَرَمْ لَـوْلَا بَنُو آدَمَ بَيْنَ ٱلْعَالَم فَوَاحِدٌ يُعْطِيكَ فَضْلاً وَكَرَمْ وَوَاحِدٌ يُعْطِيكَ لِلْمُصَانَعَهُ لَا تَشْرَهَنْ إِلَىٰ حُطَام عَاجِل وَٱحْذَرْ أُخَى يَا فَتَىٰ مِنَ ٱلشَّرَهُ فَلَيْسَ مِنْ عَقْلِ ٱلْفَتَىٰ أَوْ كَرَمِهُ فَالْبَغْئِ دَاءٌ مَا لَهُ دَوَاءُ وَٱلْبَغْىُ فَٱحْذَرْهُ وَخِيمُ ٱلْمَرْتَع وَٱلْغَدْرُ بِٱلْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا عِنْدَ تَمَام ٱلْأَمْرِ يَبْدُو نَفْصُهُ وَرُتَّمَا ضَرَّكَ يَعْضُ مَالِكًا

عَسَاهُ أَنْ يَنْجُوبِهِ مِنْ أَسْرِهُ فَإِنَّهَا مِنَ ٱلسَّجَايَا ٱلْفَاسِدَهُ مِنْ رَجَزِ ٱلشَّرِيفِ وَٱنْتَخَبْتُهُ إِنَّ ٱلشَّرِيفَ قَدْ أَتَانَا بِٱلْعَجَبْ كَمْ قَدْ أَتَى مُحَمَّدٌ بِمُعْجِزَهُ وَكُلُّنَا لِبَيْتِهِ عَبِيدُ وَكُلُّنَا لِبَيْتِهِ عَبِيدُ خَاتِمَةٌ مَعَ ٱلْهِبَاتِ ٱلْوَافِرَهُ عَلَى ٱلَّذِي لِللرُّسْلِ جَاءَ خَاتِمَا

فَ ٱلْمَرْءُ يَ فُدِي نَفْسَهُ بِوَفْرِهُ لَا تُعْطِيَنْ شَيْعًا بِغَيْرِ فَائِدَهُ هَاذَا ٱلَّذِي أَلَّفْتُهُ وَٱخْتَ رْتُهُ وَحُرْمَةُ ٱلْآدَابِ يَا أَهْلَ ٱلْأَدَبُ وَحُرْمَةُ ٱلْآدَابِ يَا أَهْلَ ٱلْأَدَبُ قُلْنَا جَمِيعًا إِذْ سَمِعْنَا رَجْزَهْ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ شَطْرُهُ قَصِيدُ فَرَحْمَةُ ٱللهِ لَهُ فِي ٱلْآخِرَهُ ثُمَ الصَّلَاةُ وَٱلْسَلَامُ دَائِمَا

والشريفُ المذكورُ صاحبُ « الصادحِ والباغمِ » هوَ المشهورُ بالرضيّ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ أكبرِ أُمراءِ زمانِهِ ، تَولَّىٰ نقابةَ الأشرافِ ببغدادَ وغيرَها مِنَ الوظائفِ الجليلةِ ، وقد أفاضَ اللهُ عليهِ مِنْ بركاتِ بيتِهِ النبويِّ العلويِّ ، فلم يكنْ أشعرُ منهُ على الإطلاقِ ، ولا يطمعُ أحدٌ أن يجاريَهُ في سباقٍ ، شعرُهُ مُدوَّنُ في أربعةِ أجزاءٍ ، وقدِ اقتفىٰ أثرَهُ فأحسنَ تلميذُهُ وصنيعتُهُ مهيارٌ الديلميُّ ، وسنوردُ عليكَ إن شاءَ اللهُ _ متىٰ أفضنا في أمرِ الشعرِ _ مِنْ كلامِهِما مصداقَ ذلك .

[وظائف مريد صناعة الإنشاء]

هذا ؛ وعلى مَنْ يريدُ المهارةَ في صناعةِ الإنشاءِ أن يكثرَ مِنْ حفظِ جيادِ الأشعارِ ، مُتفهِّماً معانيَها ، مُتأمِّلاً حسنَ سياقاتِها ؛ لِمَا في ذلكَ لهُ مِنْ جميلِ الفوائدِ ، التي منها معرفةُ المعاني المودعةِ فيها ، بعدَ كدِّ أفكارِ ذوي العقولِ في تحصيلِها .

ومنها الاستشهادُ بشطرِ بيتٍ أو أكثرَ ، على ما يكونُ أسلفَهُ في نثرِهِ مِنَ الدعاوىٰ ، ومِنَ التضمينِ ؛ بأن يُتمِّمَ المعنى الذي أبرزَهُ النثرُ بشطرِ بيتٍ أو أكثرَ ، أو يقرنَ معنى بما يناسبُهُ .

ومنها استعمالُهُ في الحَلِّ الذي سبق التنبيهُ عليهِ في البديع (۱) ، نُقِلَ أنَّ عبد الرحيمِ البيسانيَّ المشهورَ بالقاضي الفاضلِ لمَّا وردَ الديارَ المصريَّةَ في آخرِ دولةِ العبيديينَ ، علىٰ نيَّةِ الإقامةِ بها ، والتعيُّشِ فيها بحرفةِ الكُتَّابِ . . لقيَ ابنَ الخلالِ رئيسَ الكتَّابِ إذ ذاكَ ، وعرضَ عليهِ نيَّتَهُ ، وأنَّهُ استعدَّ لذلكَ بحفظِ القرآنِ الشريفِ ، وبعضِ الأخبارِ النبويَّةِ ، و« ديوانِ الحماسةِ » ؛ وهو كتابٌ جمعَ فيهِ أبو تمام أشعاراً انتخبَها مِنْ أشعارِ العربِ وأجادَ الانتخابَ ؛ حتىٰ إنَّهُ في اختيارِهِ أشعرُ منهُ في شعرِهِ ، ورَتَّبَهُ علىٰ عشرةِ أبوابٍ ، كلُّ بابٍ في نوع مِنْ أنواع الشعرِ .

فأمرَهُ أن يبتدئ التعلُّمَ بحلِّ أبياتِ ذلكَ الديوانِ ، وإخراجِها مِنْ صورةِ النظمِ إلى صورةٍ نثريةٍ لا تنقصُ ملاحتُها عمَّا كانَتْ عليهِ وهي نظمٌ ، فلمَّا أتمَّ ذلكَ . . عرضَهُ عليهِ ، فأظهرَ استحسانَهُ ، وأثنى عليهِ ، وأمرَهُ أن يحلَّها

⁽١) تقدم في العقد والحل (٤٠٥/٢) .

مَرَّةً ثانيةً ، فعندَ ذلكَ تَصرَّفَ قلمُهُ في الصناعةِ ، ولم يزلْ يَترقَّىٰ حتىٰ كانَ الواحدَ المشارَ إليهِ في الدولةِ الكرديَّةِ الماحيةِ للدولةِ العبيديةِ .

[نبذةٌ مِنْ أشعارِ « ديوانِ الحماسةِ »]

وإذ كانَ ذلكَ كذلكَ . . فلا بدَّ أن نوردَ لكَ مِنْ كلِّ بابٍ مِنْ أبوابِ الحماسةِ جملةً صالحةً تحفظُها ، وتتأمَّلُ معانيَها ، وتفتكرُ في استعمالِها لتلكَ الأغراضِ ، حتى تجدَ الزمنَ الذي تَتمكَّنُ فيهِ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ أن تطلعَ على جميعِ الكتابِ وغيرِهِ ممَّا يلزمُ لطالبِ الأدبِ أن يطلعَ عليهِ مِنَ الكتب .

فمِنْ بابِ الحماسةِ _ والحماسةُ : الشدَّةُ ، وبها سُمِّيَتِ الأشعارُ التي يُذكَرُ فيها الشِّدةُ على النفسِ في احتمالِ المكارهِ ، والصَّبرُ عليها لحفظِ الشرفِ وحمايةِ ما يجبُ على الإنسانِ حمايتُهُ _ :

قالَ رجلٌ مِنْ قومٍ يقُال لهُم: بنو العنبر _ وسُنَّةُ العربِ في النطقِ بأمثالِ هاذهِ العبارةِ أن يقولُوا: بَلْعنبرِ وبَلْحارثِ ، أغارَتْ على إبلِهِ جماعةٌ يقالُ لهُم: بنو اللقيطةِ ، فلم يعنْهُ قومُهُ على استنقاذِها منهُم ، وركنَ إلىٰ بني مازنٍ ، فأعانوهُ ، واستخلصوا إبلَهُ _ يشكرُهُم ويهجو قومَهُ (1): [من البسط]

بَنُو ٱللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا لَيْسُوا مِنَ ٱلشَّرِ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا لَيْسُوا مِنَ ٱلشَّرِ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبلِي إِذًا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنُ قَوْمٌ إِذَا ٱلشَّرُّ أَبْدَىٰ نَاجِذَيْهِ لَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَاكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (٥/١) ، وهو قُريط بن أُنيف .

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ ٱلسُّوءِ إِحْسَانَا كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ إِنْسَانَا فَلَيْتَ لِي بِهِمُ قَوْماً إِذَا رَكِبُوا شَنُّوا ٱلْإِخَارَةَ فُرْسَاناً وَرُكْبَانَا

اللَّوثةُ _ بفتحٍ فسكونٍ _ : الشِّدةُ والقُوَّةُ ، ومنها اشتقاقُ اللَّيثِ ، وبضمٍ فسكونٍ مرسلٍ : الضِّعفُ والاسترخاءُ ، وكلتاهُما يَحتمِلُ البيتُ ، وهوَ على الأُولىٰ أبلغُ في وصفِ بني مازنٍ بالشجاعةِ ، وفي الثانيةِ تعريضٌ بقومِهِ .

وقالَ ثابتُ بنُ جابرِ المشهورُ بتأبَّطَ شرّاً - يُقالُ : إِنَّهُ يوماً مِنَ الأيامِ أَخذَ سيفاً تحتَ إِبْطِهِ وخرجَ ، فَسُئِلَتْ عنهُ أُمُّهُ ، فقالَتْ : لا أدري ، تأبَّطَ شرّاً ومضىٰ ، فغلبَ عليهِ ذٰلكَ اللقبُ - يذكرُ بعض ماجرياتِهِ ، وكانَ شجاعاً فاتكاً مغواراً ، عُرِفَ بذٰلكَ مِنْ صغرِهِ ، وحاصلُ القصَّةِ التي فيها الأبياتُ : أنَّهُ كانَ استكشفَ في أرضِ بعضِ أعدائِهِ غاراً في رأسِ جبلٍ قائم ، ليسَ لهُ إلَّا طريقٌ واحدةٌ ضيقةٌ اتخذَتْهُ نحلٌ بيتاً ، فكانَ يجيءُ يشتارُّهُ رأسَ كلِّ سنةٍ ، فاتفقَ أن فطنَ بهِ قومٌ مِنْ أعدائِهِ أهلِ الناحيةِ ، فأخذوا عليهِ الطريقَ ، ودعوهُ إلى الخروجِ ، فعرفَهُم وقالَ : على شريطةِ ماذا أخرجُ ؟ فقالوا : على غيرِ شريطةٍ ، فطاولَهُم الكلامَ ، وأخذَ يريقُ العسلَ على الجانبِ الثاني مِنَ الجبلِ ، ثمَّ فطاولَهُم الكلامَ ، وأخذَ يريقُ العسلَ على الجانبِ الثاني مِنَ الجبلِ ، ثمَّ وضعَ صدرَهُ على الصفاَ وأرخى نفسَهُ ، فذهبَ يهوي حتى وصلَ أسفلَ الجبلِ سلماً ، وكانَ بينَ الموضعِ الذي استقرَّ فيهِ والموضعِ الذي فيهِ أعداؤُهُ مسيرةُ على الجالِ ، وهذهِ الأبياتُ (١٠) :

أَضَاعَ وَقَاسَىٰ أَمْرَهُ وَهُوَ مُدْبِرُ بِهِ ٱلْخَطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخِرٌ جَاشَ مَنْخِرُ

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جَدُّهُ وَلَاكِنْ أَخُو ٱلْحَزْمِ ٱلَّذِي لَيْسَ نَازِلاً فَذَاكَ قَرِيعُ ٱلدَّهْر مَا عَاشَ [حُوَّلٌ]

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٨/١ _ ٤١) .

وَطَابِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ ٱلْحُجْرِ مُعْوِرُ وَإِمَّا دَمٌ وَٱلْقَتْلُ بِٱلْحُرِّ أَجْدَرُ لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ بِهِ جُوْجُوُّ عَبْلٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرُ بِهِ كَدْحَةً وَٱلْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ أَقُولُ لِلِحْيَانِ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ هُمَا خُطَّتا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ هُمَا خُطَّتا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَأَخْرَىٰ أُصَادِي ٱلنَّفْسَ عَنْهَا وَإِنَّهَا فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ ٱلصَّفَا فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ ٱلصَّفَا فَخَالَطَ سَهْلَ ٱلْأَرْضِ لَمْ يَكُدَحِ ٱلصَّفَا فَخَالَطَ سَهْلَ ٱلْأَرْضِ لَمْ يَكُدَحِ ٱلصَّفَا فَأَبْتُ إِلَىٰ فَهْم وَمَا كِدْتُ آيباً

قريعُ الدهرِ: الذي قرعَتْهُ الأيامُ بنوائبِها حتى عرفَ وجوهَ المنافعِ والمَضارِّ بالممارسةِ والتجارِبِ؛ فإنَّ معرفةَ ذلكَ تكونُ أثبتَ وأمكنَ مِنْ معرفةِ مَنْ كانَتْ طريقُهُ إليهَا التعلُّمَ والأخذَ عنِ الأخبارِ، يُقالُ: فلانٌ صنيعةُ الدَّهرِ، وحَنَّكَتْهُ التجارِبُ، وأدَّبَتْهُ الأيامُ والليالي . . . إلى غير تلكَ مِنَ العباراتِ .

وقولُهُ: (هما خُطَّتا إمَّا إسارٌ . . .) يُروى برفع (إسارٌ) وما بعدَهُ بدلاً ، فحذفُ النونِ شاذٌ ، ويُروى بالخفضِ ، فالحذفُ للإضافةِ .

وقولُهُ: (صَفِرَتْ لهُم وطابي) هوَ مثلٌ يُضرَبُ لمفارقةِ الروحِ البدنَ ؛ أي : كانَ ذلكَ في خيالِهِم ، وَحَسَبَ مَا سَوَّلَتْ لهُم تلكَ المكنةُ منهُ .

وقولُهُ : (إذا سُدَّ منهُ مَنْخِرٌ) أي : كلَّما ضاقَ عليهِ أمرٌ مِنَ الحيلةِ . . اتَّسعَ لهُ آخَرُ .

وقولُهُ: (وكم مثلِها فارقتُها) أي: كمْ مثلِ تلكَ المنزلةِ فارقتُها وأهلُها يَتحسَّرونَ على إفلاتي وفواتي مِنْ يدِهِم .

وقالَ أبو كبيرِ الهذليُّ يَذكُرُ ثابتاً هاذا وهوَ غلامٌ ، وكانَ قد تَزوَّجَ أُمَّهُ ، فكانَ يرىٰ مِنْ عينَيهِ استنكافَهُ لذلكَ ، وأنَّهُ يُضمِرُ لهُ السُّوءَ ، فَعَرضَ ذلكَ علىٰ أُمِّهِ ، فسمحَتْ نفسُها بأن يعملَ فيهِ ما شاءَ ، فأصبحَ ذاتَ يومِ وقالَ :

يا ثابتُ ؛ هل لكَ في الغزوِ ؟ فقالَ : ذلكَ مِنْ أمري ، فخرجا وأبو كبيرٍ يريدُ بهِ السُّوءَ ، ولم يكونا تزوَّدا بهِ السُّوءَ ، ولم يكنْ يَتمكَّنُ لنباهةِ الغلامِ وشدَّةِ حرصِهِ ، ولم يكونا تزوَّدا لسفرِهِما ، فاشتدَّ الجوعُ في الليلةِ الثانيةِ بأبي كبيرٍ ، ولاحَتْ لهُما مِنْ بعيدٍ نارٌ ، فقالَ : يا ثابتُ ؛ اقصدِ النارَ وأنا أنتظرُكَ ، عسى أن تجدَ ما نأكلُ ، فقالَ : يا ثابتُ ؛ فقالَ : لا بدَّ مِنْ ذلكَ .

فلمَّا قصدَ النارَ . . وجدَها لرجلَينِ مِنْ مشاهيرِ لصوصِ العربِ ، فهمَّا بهِ ، وجرىٰ أمامَهُما ، حتىٰ أطمعَهُما في نفسِهِ ، ثمَّ انعطفَ فقتلَ أقربَهُما لهُ ، ثمَّ جرىٰ للآخرِ فألحقَهُ بهِ ، وجاءَ النارَ فأخذَ ما كانَ مِنْ طعامٍ ، وأحضرَهُ إلىٰ جرىٰ للآخرِ فألحقَهُ بهِ ، وجاءَ النارَ فأخذَ ما كانَ مِنْ طعامٍ ، وأحضرَهُ إلىٰ أبي كبيرٍ وقالَ : كُلْ لا أشبعَ اللهُ بطنكَ ، فسألَهُ عمَّا جرىٰ ، فقالَ : كُلْ ولا تسألْ ، فألحَ عليهِ حتىٰ أخبرَهُ بما كانَ ، فعندَ ذلكَ عَظُمَ في صدرِهِ جدًا ، واشتدَّتْ مهابتُهُ لهُ وخوفُهُ منهُ .

ثمّ سارا حتى وجدا إبلاً ، فاستاقاها ورجعا قافلينِ ، فكانَ يسيرُ بهِ اليومَ أَجمعَ ، وصدراً مِنَ الليلِ ، ثمّ يقولُ لهُ : أنامُ وتحرسُ ، ثمّ تنامُ وأحرسُ ، وكانَ ذلكَ دأبَهُما ، فبينا ثابتُ نائمٌ في بعضِ نوباتِهِ . . إذ بدا لأبي كبير أن يقتلَهُ ، وأرادَ أن يختبرَهُ أوّلاً إن كانَ قد غمرَهُ النومُ أو لا ، فأخذَ حصاةً ونبذَها ناحية رأسِهِ ، فنهضَ ثابتٌ قائماً كأنّهُ كعبُ قناةٍ وقالَ : ما هنذهِ الوجبةُ ؟ فقالَ أبو كبير : لا أدري ، سمعتُ كما سمعتَ ، فطافَ ثابتٌ حولَ الإبلِ وعسَ ، فلم يجدُ شيئاً ، ثمّ رجعَ ونامَ ، فنبذَ أبو كبير حصاةً أصغرَ مِنَ الأُولَىٰ ، فكانَ منهُما كما كانَ في المَرّةِ الأُولَىٰ ، فلمّا كانَتِ الثالثةُ . . قالَ البّتُ : يا هنذا ؛ قد رابَني أمرُكَ منذُ الليلةِ ، واللهِ ؛ لئن عُدتُ سمعتُ شيئاً . . قالَ قلتُكُ .

قالَ أبو كبيرٍ: فملأَني الخوفُ منهُ حتى سهرتُ بقيةَ الليلةِ أطوفُ حولَ الإبلِ ؛ مخافةَ أنْ يتحرَّكَ بعضُها فيسمعَ فيبرَّ قسمَهُ ، فلمَّا رجعا . . قالَ أبو كبيرٍ

لأُمِّ ثابتٍ : ليسَتْ أمُّ مثلِ هلذا لي بزوجةٍ ، وهلذهِ الأبياتُ (١): [من الكامل]

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى ٱلظَّلَام بِمِغْشَم جَلْدٍ مِنَ ٱلْفِتْيَانِ غَيْر مُثَقَّل مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ قَوَاعِدٌ حُبُكَ ٱلنِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّل وَمُبَرَّأُ مِنْ كُلِّ غُبَّر حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغْيِل كَرْهاً وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَل حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْؤُودَةٍ سُهُداً إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ ٱلْهَوْجَل فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ ٱلْفُؤَادِ مُبَطَّناً فَإِذَا نَبَذْتَ لَهُ ٱلْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُو لِوَقْعَتِهَا طُمُورَ ٱلْأَخْيَل كَرُتُوبِ كَعْبِ ٱلسَّاقِ لَيْسَ بِزُمَّل وَإِذَا يَهُبُّ مِنَ ٱلْمَنَام رَأَيْتَهُ مَا إِنْ يَمَسُّ ٱلْأَرْضَ إِلَّا مَنْكِبٌ مِنْهُ وَحَرْفُ ٱلسَّاقِ طَيَّ ٱلْمِحْمَل يَهْوي مَخَارمَهَا هُويَّ ٱلْأَجْدَلِ وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ ٱلْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ بَرَقَتْ كَبَرْقِ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُتَهَلِّل وَإِذَا نَـظَـرْتَ إِلَـىٰ أَسِـرَّةِ وَجْـهِـهِ مَاضِي ٱلْعَزِيمَةِ كَٱلْحُسَامِ ٱلْمُصْقَل صَعْبِ ٱلْكَرِيهَةِ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ وَإِذَا هُم نَزَلُوا فَمَأْوَى ٱلْعُيَّل يَحْمِي ٱلصِّحَابَ إِذَا تَكُونُ عَظِيمَةٌ

قولُهُ: (مِغْشَمٍ) هوَ صيغةُ الآلةِ إذا كانَ الغرضُ صفةَ الشيءِ بكونِهِ عدةً للفعلِ ، فهوَ بمنزلةِ آلتِهِ ، عَبَّرَ عنهُ بصيغتِها ؛ كقولِ امرئ القيسِ في صفةِ الفرس (٢٠):

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١ ـ ٤٥) .

⁽٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩) ، والبيت بتمامه :

مِكَ رٍّ مِفَ رٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ

بكسرِ ميمَيْ (مِكرِّ ومِفرٍّ) ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكونِهِ قويّاً في الفعلِ ، ثابتاً فيهِ مستمرّاً . . عُبِّرَ عنهُ بصيغةِ (فَعولٍ) إحدى صيغِ المبالغةِ المشهورةِ ؛ كصبور وصدوقٍ ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكثرةِ الفعلِ معَ تخلُّلِ التركِ . . عُبِّرَ بفعًالٍ ؛ كقولِهِم : طلَّعِ أنجادٍ ، وخوَّاضِ غمراتٍ ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكونِهِ لهُ عادةً . . عُبِّرَ بمِفْعالٍ ؛ كقولِهِم : هوَ مِنحارٌ للإبلِ ، وهوَ فرقٌ ينبغي التنبُّهُ لهُ ؛ ليستعمَلَ كلُّ شيءٍ في موضعِهِ .

وقولُهُ (مُهبَّلِ) أي : غيرِ مشتوم ؛ بأن يُقالَ لهُ : هبلَتْكَ أُمُّكَ ؛ أي : فقدَتْكَ ، كما يُقالُ لهُ : جُعِلتُ فقدَتْكَ ، كما يُقالُ لهُ : جُعِلتُ فداءَكَ ، كما يُقالُ لِمَنْ يُؤمَّلُ منهُ النفعُ ، والمُهبَّلُ أيضاً : اللحيمُ المورمُ الوجهِ .

وقولُهُ: (حملَتْ بهِ في ليلةٍ) يُقالُ: إنَّ المرأةَ إذا أُكرِهَتْ على الجِماعِ.. ضعفَتْ شهوتُها، وكانَتِ القُوَّةُ الفَعَّالةُ لشهوةِ الرجُلِ، فإذا حملَتْ في تلكَ الحالةِ.. جاءَ الولدُ نجيباً شهماً خفيفاً ندباً.

وقولُهُ: (وإذا نظرتَ إلىٰ أَسِرَّةِ وجهِهِ) الأَسِرَّةُ: الخطوطُ التي تظهرُ في الجبينِ ، وقد شَرَّفَتْ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها هاذا البيتَ ؛ حيثُ تَمثَّلَتْ بهِ وقد نظرَتْ إلىٰ وجهِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يَتحدَّرُ منهُ العرقُ ، وهوَ مُقبِلٌ علىٰ مباشرةِ خصفِ نعلِهِ ، فقالَتْ: كأنَّ أبا كبيرٍ رآكَ حيثُ يقولُ:

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ أُسِرَّةِ وَجْهِهِ

فقامَ لها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وقبَّلَها بينَ عينَيها (١).

⁽١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤٥/٢) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

وقالَ رجلٌ مِنْ بني قيسِ بنِ ثعلبةَ ، وقيلَ : إنَّها لبشامةَ بنِ حزنٍ النهشليِّ ، ومَنْ يقولُ : إنَّها للقيسيِّ . . يروي قولَهُ الآتي :

إِنَّا بَنِي مَالِكٍ لَا نَدَّعِي لِأَبٍ

وأهلُ القولِ الثاني يروونَ : (إِنَّا بَنِي نَهْشَلِ . . .) (١) :

وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ ٱلنَّاسِ فَٱسْقِينَا يَوْماً سَرَاةً كِرَام ٱلنَّاس فَٱدْعِينَا عَنْهُ وَلَا هُوَ بِٱلْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا تَلْقَ ٱلسَّوَابِقَ مِنَّا وَٱلْمُصَلِّينَا إِلَّا ٱفْتَلَيْنَا غُلَاماً سَيِّداً فِينَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي ٱلْأَمْنِ أَغْلَيْنَا نَـأْسُـوا بِـأَمْـوَالِـنَـا آثَـارَ أَيْـدِيـنَـا قِيلُ ٱلْكُمَاةِ إِلَىٰ أَيْنَ ٱلْمُحَامُونَا مَنْ فَارسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا حَدُّ ٱلظُّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا مَعَ ٱلْبُكَاةِ عَلَىٰ مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا عَنَّا ٱلْحِفَاظُ وَأَسْيَافٌ تُواتِينَا

إِنَّا مُحَيُّوكِ يَا سَلْمَىٰ فَحَيّينَا وَإِنْ دَعَوْتِ إِلَىٰ جُلَّىٰ وَمَكْرُمَةٍ إِنَّا بَنِي نَهْشَل لَا نَدَّعِي لِأَب إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْماً لِمَكْرُمَةٍ وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَداً إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ أَنْفُسَنَا بيضٌ مَفَارقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرِ أَفْنَىٰ أَوَائِلَهُمْ لَوْ كَانَ فِي ٱلْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا إِذَا ٱلْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمُ وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ وَنَرْكَبُ ٱلْكُرْهَ أَحْيَاناً فَيَفْرُجُهُ

قولُهُ: (وإن سقيتِ كرامَ الناسِ) أي: وإن أردتِ أن تَدْعي بالسُّقيا لكرامِ الناسِ فادعي لنا ؛ فإنَّا هم ، وليسَ الغرضُ الدعاءَ حقيقةً ، وللكنِ التعجُّبُ

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٠٥ _ ٥٥) .

واستعظامُ الأمرِ ، فإنَّ مَنِ استعظمَ شيئًا . . يقولُ : سقاهُ اللهُ ، وعندَ استحسانِكَ عملَ إنسانِ تقولُ : حيَّاكَ اللهُ .

وقولُهُ: (تلقى السّوابق منّا والمُصلّينا) هما مِنْ أسماءِ خيلِ الحلبةِ ؛ أي : خيلِ السباقِ ، وكانَ مِنْ عادتِهِم أن يجروها عشرةً عشرةً ، فكانَتْ تجيءُ العشرةُ نحوَ الغايةِ ، وهيَ القصبُ المركوزُ في آخرِ مسافةِ السباقِ التي يُقالُ فيها : أحرزَ قصبَ السبقِ ، فكانَ أوّلُ حصانٍ يُسمّى : المُجلّي والسابقُ ؛ لأنّا جحفلتَهُ تكونُ عندَ لأنّهُ جلّىٰ عن نفسِهِ ، والثاني يُسمّى : المُصلّي ؛ لأنّ جحفلتَهُ تكونُ عندَ صلوي السابقِ ، والصّلوانِ : عرقانِ يكتنفانِ الصّلبَ ، أو عظمانِ ، اختُلِفَ في تفسيرِهِما ، والثالثُ يُسمّى : المُسلّي ، والرابعُ : التالي ، والخامسُ : في تفسيرِهِما ، والثامنُ : العاطفُ ، والسابعُ : المُومِّلُ ، والسبعةُ لها أنصبةٌ مِنْ مبلغِ المراهنةِ ، والثامنُ : الحظيُّ ، والتاسعُ : اللطيمُ ، والعاشرُ : السُّكيتُ ؛ مثلُ كُمَيتٍ ، ويُشدَّدُ فيُقالُ : سِكِيتٌ ؛ كجِمِّيزِ ، ويُسمَّىٰ أيضاً : فسكلاً ؛ كفُنفُذٍ وزِبْرِجٍ ، وذكرَ هاذهِ الأسماءَ في نظمٍ وصفَ بهِ حلبةَ سباقٍ محمدُ بنُ يزيدَ بنِ مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فقالَ (۱) :

وَسَلَّىٰ فَلَمْ يُذْمَمِ ٱلْأَدْهَمُ وَأَنَّىٰ مِنَ ٱلْمُنْجِدِ ٱلْمُتْهِمُ وَقَدْ جَاءَ يَقْدُمُ مَا يَقْدُمُ يَكَادُ لِحَيْرَتِهِ يُحْرِمُ وَعَنَّ لَهُ ٱلطَّائِرُ ٱلْأَشْاَمُ فَأَسْهَمَ حِصَّتَهُ ٱلْمُسْهِمُ فَجَلَّى ٱلْأَغَرُّ وَصَلَّى ٱلْكُمَيْتُ وَأَتْبَعَهَا رَابِعٌ تَالِياً وَمَا ذُمَّ مُرْتَاحُهَا خَامِساً وَمَا ذُمَّ مُرْتَاحُهَا خَامِساً وَسَادِسُهَا ٱلْعَاطِفُ ٱلْمُسْتَحِيرُ وَخَابَ ٱلْمُؤمِّلُ فِيمَا يَخِيبُ وَجَاءَ ٱلْحَظِیُّ لَهَا ثَامِناً

⁽۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٥٢/١) .

حَـذَا سَبْعَةً وَأَتَـىٰ ثَـامِـناً وَثَـامِنَةُ ٱلْخَيْلِ لَا تُسْهَمُ وَجَاءَ ٱللَّطِيمُ لَهَا تَاسِعاً فَمِنْ كُلِّ نَـاحِيَةٍ يُـلْطَمُ يَخُبُّ ٱلسُّكَيْتُ عَلَىٰ إِثْرِهَا وَعُـلْيَاهُ مِنْ قَـنْبِهِ أَعْظَمُ عَلَىٰ سَاقَةِ ٱلْخَيْلِ يَعْدُو بِهَا مُلِيماً وَسَـائِسُهَا أَلْـوَمُ إِذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ ذَا لَمْ يُحِبْ مِنَ ٱلْحَزْنِ بِٱلصَّمْتِ مُسْتَعْصِمُ

خيبةُ المُؤمِّل : كونُهُ أقلَّ ذواتِ الأنصباءِ .

وقولُهُ: (أسهمَ حصَّتَهُ المسهمُ) أي: كانَتْ حصتُهُ سهماً لذوي السِّهامِ ، وحِصَّتُهُ التي لهُ لو لم يجئ ثامناً.

وقولُهُ: (افتلَيْنا) أي : انتزعْنا ومَيَّزْنا ، كما يُنزَعُ الفُلُوُّ عن أُمِّهِ عندَ الفِطامِ ، والفُلُوُّ - كسُمُوِّ وعَدُوِّ - : المهرُ الصغيرُ عندَ فطامِهِ .

وقولُهُ: (الكُماةُ) جمعُ كامٍ ؛ كقاضٍ ، وقولُهُم: (جمعُ كَمِيٍّ) مسامحةٌ ، وسُمِّيَ الشجاعُ كميّاً ؛ لأنَّهُ يكتمُ صفاتِ نفسِهِ حتىٰ تُعبِّرَ عنها أعمالُهُ أو يسترَ نفسَهُ في السلاح .

وقالَ زفرُ بنُ الحارثِ يُقِرُّ لأعدائِهِ بالغَلَبةِ (١):

[من الطويل]

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً لَيَالِيَ لَاقَيْنَا جُذَامَ وَحِمْيَرَا فَلَمَّا قَرَعْنَا ٱلنَّبْعِ بِعْضَهُ بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكَسَّرَا وَلَمَّا لَقِينَا ٱلنَّبْعِ بِعْضَهُ يَعْضُهُ يَعْضُو أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكَسَّرَا وَلَكَمَّا لَقِينَا عُصْبَةً تَعْلِبِيَّةً يَعْلِبِيَّةً يَعْوُدُونَ جُرْداً لِلْمَنِيَّةِ ضُمَّرَا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ٱلْمَوْتِ أَصْبَرَا

وتغلبُ التي ذكرَها في الشعرِ: قومٌ مِنْ قضاعةَ ، وليسَتْ تغلبَ وائلِ .

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٩/١ _ ٨٠) .

وقالَ يَذكُرُ هزيمتَهُ في تلكَ الواقعةِ ويعتذرُ (١١):

أَرِينِي سِلَاحِي لَا أَبَا لَكِ إِنَّنِي وَلَمْ تُرَمِنِي نَبْوَةٌ قَبْلَ هَاذِهِ عَشِيَّةَ أَجْرِي بِٱلصَّعِيدِ وَلَا أَرَىٰ

أَيَـ ذْهَـبُ يَـوْمٌ وَاحِـدٌ أَنْ أَسَـأْتُـهُ وَقَدْ يَنْبُتُ ٱلْمَرْعَى عَلَىٰ دِمَن ٱلثَّرَىٰ

وقالَ عمرُو بنُ معديكربَ الزبيديُّ (Υ) :

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْخَيْلَ زُوراً كَأَنَّهَا فَحَاشَتْ إِلَيَّ ٱلْخَيْلَ زُوراً كَأَنَّهَا فَحَاشَتْ إِلَيَّ ٱلنَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ عَلَامَ تَقُولُ ٱلرُّمْحَ يُثْقِلُ عَاتِقِي عَلَامَ تَقُولُ ٱلرُّمْحَ يُثْقِلُ عَاتِقِي لَكَا ٱللهُ جَرْماً كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلاَقَتَا ظَلِلْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيَّةٌ ظَلِلْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ

يعتذرُ الله الطويل [من الطويل]
أَرَى ٱلْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
فِرَادِي وَتَرْكِي صَاحِبَيَّ وَرَائِيَا
مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا مَنْ عَلَيَّ وَلَا لِيَا
مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا مَنْ عَلَيَّ وَلَا لِيَا
بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بِلَائِيَا
وَتَبْقَىٰ حَزَازَاتُ ٱلنُّفُوس كَمَا هِيَا

[من الطويل]

جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَٱسْبَطَرَّتِ فَرُدَّتْ عَلَىٰ مَكْرُوهِهَا فَٱسْتَقَرَّتِ إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا ٱلْخَيْلُ كَرَّتِ وُجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَٱزْبَأَرَّتِ وَلَكِنَّ جَرْماً فِي ٱللِّقَاءِ ٱبْذَعَرَّتِ أُقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ ٱلرِّمَاحَ أَجَرْمِ

اسبطرَّتِ: امتدَّتْ في استرسالِها ، وازبارَّتْ: تَهيَّأَتْ ، وابذعرَّتْ: تَهيَّأَتْ ، وابذعرَّتْ: تَهيَّأَتْ ، وأصلُ الإجرارِ: أن يُشَقَّ لسانُ الفصيلِ ويُوضَعَ فيهِ عُودٌ يُمنَعُ بذلكَ مِنْ رضاعٍ أُمِّهِ ، واستُعِيرَ ها هنا لقبيحِ الإسكاتِ والمنعِ مِنَ النطقِ بالثناءِ ، وجَرْمُ هاؤلاءِ كانوا نزلوا في جوارِ عمرٍو وفيهِم ثأرٌ مِنَ النطقِ بالثناءِ ، وجَرْمُ هاؤلاءِ كانوا نزلوا في جوارِ عمرٍو وفيهِم ثأرٌ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٠/١ ـ ٨١) .

⁽۲) انظر « شرح ديوان الحماسة » ($\Lambda Y/1$ _ ΛX) .

لنهد ، فجاؤوا يَطلبونَهُ منهُم ، فأرادَ يدفعُهُم عمرٌو ويعينُ جيرانَهُ ، فثبتَ ولم يثبتوا .

وقالَ أنيفُ بنُ زبَّانَ النبهانيُّ مِنْ طيءٍ (١):

وَ `` : [من الطويل] كَتَاءً مَنْ فَنَ ذَكَ اللَّهُ اللَّهِ فَي ذَنَكَ اللَّهُ اللّ

 جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفٍ وَمَالِكِ لَهُمْ عَجُزُ بِٱلرَّمْلِ فَٱلْحُزْنِ فَٱللِّوَىٰ لَهُمْ عَجُزُ بِٱلرَّمْلِ فَٱلْحُزْنِ فَٱللِّوَىٰ وَتَحْتَ نُحُورِ ٱلْخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ أَبَىٰ لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا ٱلضَّيْمَ أَنَّهُمْ فَلَمَّا أَتَيْنَا ٱلسَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ فَلَمَّا أَتَيْنَا ٱلسَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ فَلَمَّا أَتَيْنَا ٱلسَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ فَلَمَّا أَلْتَقَيْنَا بَيَّنَ ٱلسَّيْفُ بَيْنَنَا وَأَنْتَ مَيْنَا لِطَيِّعَ فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا بَيَّنَ ٱلسَّيْفُ بَيْنَا وَلَمَّا عَصَيْنَا بِٱلرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ وَلَمَّا عَصَيْنَا بِٱلسِّيوفِ تَقَطَّعَتْ وَلَمَّا عَصَيْنَا بِٱلسُّيوفِ تَقَطَّعَتْ فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ

حَرْشَفُ رَجْلَةٍ _ بفتحِ أولِهِما وسكونِ ثانيهِما _ : جماعةُ المشاةِ الكثيرةِ .

وقالَ عمرُو بنُ معديكربَ (٢):

ف آعْ لَ مْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا وَمَناقِبٌ أَوْرَثُن مَ جُدا وَمَناقِبٌ أَوْرَثُن مَ جُدا بِعَنَةً وَعَدَاءً عَلَا مُندَى

[من مجزوء الكامل]

لَيْسَ ٱلْجَمَالُ بِمِئْزَرٍ إِنَّ ٱلْحَمَالُ مَعَادِنٌ أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » ($1/\Lambda\Lambda$ = .9) .

⁽٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » (٩٠/١ - ٩٣) .

ٱلْبَيْضَ وَٱلْأَبْدَانَ قَدًّا كَ مُنَازِلٌ كَعْباً وَنَهْدَا ــدَ تَـنَــمَّــرُوا حَــلَــقــاً وَقِــدًا يَـوْم ٱلْـهِـيَـاج بِـمَـا ٱسْتَعَـدًا يَفْحَصْنَ بِٱلْمَعْزَاءِ شَدًّا بَدْرُ ٱلسَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّىٰ تَـخْفَىٰ وَكَانَ ٱلْأَمْـرُ جِـدًا أَرَ مِنْ نِزَالِ ٱلْكَبْسُ بُدًّا بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا ـــتُ وَلَا يَــرُدُّ بُــكَــايَ زَنْــدَا ــنَ أُعَــدُّ لِــلْأَعْــدَاءِ عِــدَّا وَبَقِيتُ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ فَرْدَا

نَهُداً وَذَا شَطْبِ يَـقُـدُ وَعَلِمْتَ أَنِّي يَوْمَ ذَا قَـوْمٌ إِذَا لَـبــــــــوا ٱلْـحَــدِيــ كُلُّ ٱمْرِئَ يَحْرِي إِلَىٰ لَـمَّا رَأَيْتُ نِـسَاءَنَا وَبَدَتْ لَـمِـيسُ كَاأَنَّهَا وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا ٱلَّتِي نَازَلْتُ كَبْشَهُمُ وَلَمْ هُـمْ يَـنْـذِرُونَ دَمِــى وَأَنْــ كَم مِنْ أَخ لِيَ صَالِح مَا إِنْ جَزعْتُ وَلَا هَلِعْ أُغْنِي غَنَاءَ ٱلذَّاهِبِي ذَهَبَ ٱلَّذِينَ أُحِبُّهُمْ

قولُهُ: (إِنَّ الجمالَ معادنٌ) أي: غرائزُ وطبائعُ ، وقد أقرَّ ذٰلكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حيثُ قالَ: « ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ، حيارُهُمْ فِي ٱلْإِسْلَام » (١١).

والمناقبُ: هي الأحوالُ والأفعالُ ، وبها وبالغرائزِ يكونُ تمامُ الشرفِ في الإنسانِ ، والعَلَنْدَى : الشَّديدُ ، يُوصَفُ بهِ الخيلُ والإبلُ ، والبيضُ : جمعُ

⁽١) وتمامه : « إذا فَقُهوا » ، والحديث أخرجه البخاري (٣٣٨٣) ، ومسلم (١٦٠/٢٦٣٨) عن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه .

بيضةٍ ؛ وهي والمِغفرُ والخوذةُ : وِقاءُ الرأسِ مِنْ ضمنِ السلاحِ ، والأبدانُ : جمعُ بدنٍ ؛ لصنفٍ مِنْ أصنافِ الدُّروع ، والقِدُّ : درعٌ مِنْ جلدٍ .

وقولُهُ: (ولا يَرُدُّ بُكايَ زَنْدا) أي: لا يَرُدُّ شيئاً ؛ كما يُقالُ: لا يَرُدُّ فتيلاً.

وقالَ قيسُ بنُ الخَطِيمِ (١):

طَعَنْتُ ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْقَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِر

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا

يَهُونُ عَلَيَّ أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا

وَسَاعَدَنِي فِيهَا ٱبْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ

وَكُنْتُ ٱمْرَأً لَا أَسْمَعُ ٱلدَّهْرَ سُبَّةً

فَإِنِّيَ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ

إِذَا مَا ٱصْطَبَحْتُ أَرْبَعاً خَطَّ مِئْزَري

مَتَىٰ يَأْتِي هَاٰذَا ٱلْمَوْتُ لَا تُلْقَ حَاجَةٌ

ثَأَرْتُ عَدِيّاً وَٱلْخَطِيمَ فَلَمْ أَضَعْ

يَرَىٰ قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

عُيُونَ ٱلْأَوَاسِي إِذْ حَمِدْتُ بَلَاءَهَا خِيدَاشٌ فَأَدَى نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا

أُسَبُّ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا

بِأَقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي ٱلسَّمَاحِ رِشَاءَهَا

لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا

وِلَايَةَ أَشْيَاخٍ جُعِلْتُ إِزَاءَهَا

وقالَ الحارثُ بنُ هشامٍ أخو أبي جهلٍ يَعتذِرُ مِنْ فِرارِهِ يومَ بدرٍ وتركِهِ أخاهُ وبقيةَ أهلِهِ ، حتى عَيَّرَهُ حسانُ بنُ ثابتٍ حيثُ يقولُ (١٠): [من الكامل]

إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ ٱلَّذِي حَدَّثْتِنِي فَنَجَوْتِ مَنْجَى ٱلْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ

تَرَكَ ٱلْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ

دعا عليها بلُحوقِ العار والفضيحةِ كما لحقَ هلذا الفارَّ ، وذكرَ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٥/١ _ ٩٧) .

⁽٢) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضى الله عنه (٢٩/١) .

ذلكَ في ضمنِ أبياتِ الحماسةِ للجَمْعِ بينَ الشيءِ وضدِّهِ ، وهاذه أبياتُ الاعتذار (١):

الله يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّىٰ عَلَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ وَشَمِمْتُ رِيحَ ٱلْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَأْزِقٍ وَٱلْخَيْلُ لَمْ [تَتَبَدّد] وَعَلِمْتُ أَنِي إِنْ أُقَاتِلْ وَاحِداً أُقْتَلْ وَلَا يَضْرُرْ عَدُوِّي مَشْهَدِي فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَٱلْأَحِبَّةُ فِيهِمُ طَمَعاً لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُرْصَدِ

الأشقرُ المزبدُ: هوَ الدمُ الخارجُ ؛ إمَّا مِنْ جرحِهِ ، أو جرح فرسِهِ .

وقالَ حيَّانُ بنُ الحكمِ السلميُّ المشهورُ بالفرَّارِ يَتبجَّحُ بالفِرارِ ، وأنَّهُ مُقتضى العقلِ ، وأنَّ مِنْ أمرِهِ أنَّهُ يوافقُ السفهاءَ في آرائِهِم حتىٰ يشتبكوا ، فقتضى العقلِ ، وأنَّ مِنْ أمرِهِ أنَّهُ يوافقُ السفهاءَ في آرائِهِم حتىٰ يشتبكوا ، وأنَّ مِنْ أمرِهِ أنَّهُ يوافقُ الخيرُ عندَهُ (٢):

[من الكامل]

وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِبَيةٍ حَتَّىٰ إِذَا ٱلْتَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي فَتَرَكْتُهُمْ تَقِصُ ٱلرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدِ مَا كَانَ يَنْفَعُنِي فَعَالُ نِسَائِهِمْ وَقُتِلْتُ دُونَ نِسَائِهَا لَا تَبْعَدِ

يُقالُ : إِنَّ بعضَ العلماءِ سُئِلَ تفسيرَ قولِهِ : (وكتيبةٍ . . .) فقالَ : هوَ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَنِ ٱكَفُرْ . . . ﴾ الآيةَ (٣) .

وقالَ الحصينُ بنُ الحِمامِ المريُّ (1): تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي ٱلْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » (90/1 - 90/1) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٩/١) .

⁽٣) سورة الحشر : (١٦).

⁽٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٣/١) .

فَلَسْنَا عَلَى ٱلْأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدَّمَا ثُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدَّمَا ثُلُفَلِّ مَا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا فَعُلِّ مَا مُلُولًا مَا وَالدمُ: مفردٌ مفعولٌ.

وقالَ رجلٌ مِنْ بني عقيلٍ وقد حاربَهُ بنو عمِّهِ ، فقتلَ منهُم: [من الوافر] بِكُرْهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍ نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَ فَةٍ صِقَالِ نُغَدِيكُمْ بِمُرْهَ فَةٍ صِقَالِ نُفَدِيهِ نَّ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثَلَّمَةَ ٱلنِّصَالِ نُفَدِيهِ نَّ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثَلَّمَةَ ٱلنِّصَالِ لَهَا لَوْنٌ مِنَ ٱلْهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِٱلصِقَالِ وَنَنْ بَالصِقَالِ وَنَنْ بَالْمِ فَاللَّهُ مُ كَانَتْ تُحَادِثُ بِٱلصِقَالِ وَنَنْ تَلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

مِنْ هَلْذَا أَخْذَ البحتريُّ قُولَهُ ، وحَلَّاهُ بحليةِ البديعِ المزاوجةِ (۱): [من الطويل] إِذَا ٱحْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا تَذَكَّرَتِ ٱلْقُرْبَىٰ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

وهاذا الكلامُ في الانتقامِ والأخذِ بالثأرِ عن قريبٍ مِنْ قريبٍ آخَرَ ، وقدِ اختلفَتْ آراؤُهُم في ذلك ؛ فمنهُم مَنْ رَجَّحَ الانتقامَ لتبريدِ الغُلَّةِ ودفعِ الهوانِ ، وإن كانَ فيهِ نقصُ عددِ الحُماةِ والأنصارِ ، ومنهُم مَنْ رَجَّحَ العفوَ ؛ إبقاءً لوفور العددِ .

فَمِنَ الْأُوَّلِ مَا مَضَىٰ ، وقولُ قيسِ بنِ زهيرٍ (٣): [من الوافر]

شَفَيْتُ ٱلنَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ وَسَيْفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي فَلَمْ ٱلْفُوتُ النَّهُ الْأَبَنَانِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

⁽١) في « شرح ديوان الحماسة » (نعدِّهِنَّ) بمعنى : نصرفهُنَّ .

⁽٢) انظر « ديوان البحتري » (١٢٩٩/٢) .

⁽٣) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١٠٦/١) .

وكانَ حملٌ وحذيفةُ قريبَينِ قتلا قريباً لهُ ، فقتلَهُما .

وقولُهُ: (فإن أَكُ قد بردتُ بهِم غليلي) جمعَ الضَّميرَ لأَنَّهُ رَدَّهُ على القتيلَينِ وقومِهِما، فإنَّهُ قتلَهُما وأدخلَ الحزنَ على قومِهِما، وفرحَ هوَ وقومُهُ، وبذلكَ بردَ غليلُهُ.

ومِنَ الثاني قولُ الحارثِ بنِ وعلةَ الذهليِّ (١):

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي فَاوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي فَلَئِنْ عَفُونُ جَلَلاً وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِي وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِي وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِي وَقُولُ أَعْرابِي (۲):

[من البسيط]

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِحْدَىٰ يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ كِلَاهُمَا خَلَفٌ مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ هَلْذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وفي هنذا قليلُ بعدٍ عمَّا قبلَهُ ؛ فإنَّهُ جعلَ سببَ العفوِ القرابةَ وعدمَ الإرادةِ ، والسابقُ جعلَ السببَ محضَ القرابةِ .

> وقالَ بعضُ بني فقعسٍ (٣): رَأَيْتُ مَوَالِيَّ ٱلْأُلَىٰ يَخْذُلُونَنِي فَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا

> فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلاً مِنَ ٱلْقَوْمِ إِنَّنِي

[من الطويل]

[من الكامل]

عَلَىٰ حَدَثَانِ ٱلدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ إِذَا ٱلْخَصْمُ أَبْزَىٰ مَائِلُ ٱلرَّأْسِ أَنْكَبُ إِذَا ٱلْخَصْمُ أَبْزَىٰ مَائِلُ ٱلرَّأْسِ أَنْكَبُ وَفِي ٱلْأَرْضِ مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبُ أَرَى ٱلْعَارَ يَبْقَىٰ وَٱلْمَعَاقِلُ تَذْهَبُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٧/١) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٠/١ ـ ١١١) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٥/١ _ ١١٦) .

كَأَنَّكَ لَمْ تُسْبَقْ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ ٱلَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ قولُهُ: (رأيتُ مواليَّ الأُليٰ) أي: رأيتُ بني عمِّي همُ الأُليٰ ، فالأُليٰ : مفعولٌ ثانِ .

وقولُهُ ([إذا] الخصم أبرى) مُذكَّرُ بزواء ، ومِنْ معانى البزاءِ _ ومنه الاستعارةُ _ : خروجُ الصدر ، ودخولُ الظهر ، يفعلُ ذلكَ الخصمُ تكبُّراً .

وقولُهُ : (شجاعٌ وعقربُ) كنايةٌ عن العدق ، ولذٰلكَ صحَّ أن يكونَ مبتدأً ومعطوفاً عليهِ ، و(مبثوثٌ) خبرٌ دونَ تثنيةٍ ؛ إذ المعنى : وعدوٌّ مبثوثٌ في الأرض ، ولهُم في هلذا المعنى _ وهو تفظيعُ أخذِ الديةِ ، والتحريضُ على الثأر _ كلام كثيرٌ .

وقالَ عنترةُ طيّئ (١):

وَعِشْ مَا شِئْتَ فَٱنْظُرْ مَنْ تَضِيرُ أَطِلْ حَمْلَ ٱلشَّنَاءَةِ لِي وَبُغْضِي فَمَا بِيَدَيْكَ نَفْعٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ ٱلْخَطْبُ ٱلْكَبيرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي

وَشِعْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ وقالَ الطرماحُ بنُ حكيم مِنْ وادي هـٰذا الكلام (١٠): [من الطويل]

[من الوافر]

بَغِيضٌ إِلَىٰ كُلِّ ٱمْرِئَ غَيْرِ طَايِّل شَقِيّاً بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ ٱلشَّمَائِل وَبَيْنِيَ فِعْلَ ٱلْعَارِفِ ٱلْمُتَجَاهِلِ

لَقَدْ زَادَنِي حُبّاً لِنَفْسِيَ أَنَّنِي وَإِنِّي شَفِيٌّ بِٱللِّئَامِ وَلَا تَرَىٰ إِذَا مَا رَآنِي قَطَّعَ ٱلطَّرْفَ بَيْنَهُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٩/١) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٢/١ _ ١٢٣) .

مَلَأْتُ عَلَيْهِ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا أَكُلُّ ٱمْرِئَ أَلْفَىٰ أَبَاهُ مُقَصِّراً إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ وَالِدِهِ ٱضْطَنَىٰ وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا

مِنَ ٱلضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِل مُعَادٍ لِأَهْلِ ٱلْمَكْرُمَاتِ ٱلْأَوَائِل وَلَا يَضْطَنِي مِنْ شَتْم أَهْل ٱلْفَضَائِل مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا بِٱلْقَنَا وَٱلْقَنَابِلِ

القنابلُ : جمعُ قَنْبَلٍ أو قَنْبَلةٍ بفتح فسكونٍ ففتحٍ ، للجماعةِ مِنَ الناسِ أو الخيل .

وقالَ يزيدُ بنُ الحكم الكلابيُّ (١):

دَفَعْنَاكُمُ بِٱلْقَوْلِ حَتَّىٰ بَطِرْتُمُ فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهِ مَسِسْنَا مِنَ ٱلْآبَاءِ شَيْعًا وَكُلُّنَا فَلَمَّا بَلَغْنَا ٱلْأُمَّهَاتِ وَجَدْتُمُ بَنِي عَمِّنَا لَا تَشْتُمُونَا وَدَافِعُوا وَكُنَّا بَنِي عَمّ نَزَا ٱلْجَهْلُ بَيْنَنَا

[من الطويل]

وَبِٱلرَّاحِ حَتَّىٰ كَانَ دَفْعَ ٱلْأَصَابِع وَمَا غَابَ مِنْ أَحْلَامِكُمْ غَيْرَ رَاجِع إِلَىٰ حَسَبِ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِع بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ ٱلْمَضَاجِع عَلَىٰ حَسَبِ مَا فَاتَ قِيدَ ٱلْأَكَارِع فَكُلُّ يُوفِّي حَقَّهُ غَيْرَ وَادِع

قولُهُ : (ما فاتَ قِيدَ) أي : لم يزلْ عن موضعِهِ قدرَ كراع ، وضعَ الجمعَ موضعَ المفردِ ؛ لإقامةِ الشعرِ ، ولأنَّ الجمعَ لا يقعُ بهِ اشتباهٌ ؛ إذِ الغرضُ التقليلُ ، وذلكَ يأتي مِنْ حقارةِ الكُراع بضمِّ أوَّلِهِ .

وقالَ إبراهيمُ بنُ كنيفٍ النبهانيُّ (٢):

[من الطويل]

تَعَزَّ فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ بِٱلْحُرِّ أَجْمَلُ وَلَيْسَ عَلَىٰ رَيْبِ ٱلزَّمَانِ مُعَوَّلُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٤/١ _ ١٢٥) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٦/١ _ ١٣٨) .

فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى ٱلْمَرْءُ جَازِعاً لَكَانَ ٱلتَّعَزِّي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ فَمَا لُيِّنَتْ مِنَّا قَنَاةٌ صَلِيبَةٌ وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوساً كَرِيمَةً وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوساً كَرِيمَةً

لِحَادِثَةٍ أَوْ كَانَ يُغْنِي ٱلتَّذَلُّلُ وَنَائِبَةٍ بِٱلْحُرِّ أَوْلَى وَأَجْمَلُ وَنَائِبَةٍ بِٱلْحُرِّ أَوْلَى وَأَجْمَلُ وَمَا لِأَمْرِئُ عَمَّا قَضَى ٱللهُ مُزْحَلُ بِبُؤْسَى وَنُعْمَى وَٱلْحَوَادِثُ تَفْعَلُ وَلَا ذَلَّلَتْنَا لِلَّتِي لَيْسَ تَجْمُلُ وَلَا ذَلَّلَتْنَا لِلَّتِي لَيْسَ تَجْمُلُ تَحْمَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ فَصَحَّتْ لَنَا ٱلْأَعْرَاضُ وَٱلنَّاسُ هُزَّلُ فَصَحَّتْ لَنَا ٱلْأَعْرَاضُ وَٱلنَّاسُ هُزَّلُ فَصَحَّتْ لَنَا ٱلْأَعْرَاضُ وَٱلنَّاسُ هُزَّلُ

قولُهُ : (مزحلُ) مِنْ زحلَ ؛ أي : لا يتجاوزُ ولا يفوتُ المرءَ ما قضاهُ اللهُ مليهِ .

وقالَ عويفُ القوافيُّ الفزاريُّ (۱): ذَهَبَ ٱلرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ خَبَرٌ أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ مُوجِعٌ خَبَرٌ أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ مُوجِعٌ بَلَغَ النَّفُوسَ بَلَاؤُهُ فَكَأَنَّنَا يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدِّنَا وَلَوَ ٱنَّهُمْ لَكَمَا أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ لَكَمَا أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ لَكَمَا أَتَانِي عَنْ عُييْنَةَ أَنَّهُ لَكَمَا أَتَانِي عَنْ عُييْنَةً أَنَّهُ وَذَكَرْتُ أَيُّ فَتِي يَشُدُّ مَكَانَهُ وَذَكَرْتُ أَيُّ فَتِي يَشُدُّ مَكَانَهُ أَمْ مَنْ يُهِينُ لَنَا كَرَائِمَ مَالِهِ إِلَيْ وَلَيْ مَالِهِ إِلَيْ الْمَا كَرَائِمَ مَالِهِ إِلَيْ الْمَالَةِ الْمَالَةُ لَا اللّهُ الْمَالَةُ لَا اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّ

[من الكامل]

مِحَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ ٱلعُوَّادُ كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ ٱلْأَكْبَادُ مَوْتَىٰ وَفِينَا ٱلرُّوحُ وَٱلْأَجْسَادُ لَا يَدْفَعُونَ بِنَا ٱلْمَكَارِهَ بِادُوا أَمْسَىٰ عَلَيْهِ تَظَاهَرَ ٱلْأَقْيَادُ عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ تَذْهَبُ ٱلْأَحْقَادُ بِٱلرِّفْدِ حِينَ تَقَاصَرَ ٱلْأَرْفَادُ وَلَنَا إِذَا عُدْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٩/١ _ ١٤٠) .

الأجسادُ في الشعرِ: جمعُ جسدٍ، والمرادُ بهِ: الدمُ، كما هوَ المرادُ في قولِ النابغةِ (١):

...... وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

وقالَ بشرُ بنُ المغيرةِ أخي المُهلَّبِ بنِ أبي صفرةَ ، وهوَ أبو يزيدَ المذكورُ في الشعرِ ، وكانَ المُهلَّبُ أميرَ العسكرِ إذ ذاكَ ، وهوَ مشهورٌ ، يَتوجَّعُ في هاذهِ [الأبياتِ] مِنْ عمِّهِ وأبيهِ وابنِ عمِّهِ (١٠) : [من الطويل]

جَفَانِي ٱلْأَمِيرُ وَٱلْمُغِيرَةُ قَدْ جَفَا وَأَمْسَىٰ يَزِيدُ لِي قَدِ ٱزْوَرَّ جَانِبُهْ وَكُلُّهُمُ قَدْ نَالَ شِبْعاً لِبَطْنِهِ وَشِبْعُ ٱلْفَتَىٰ لُؤُمٌ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهْ فَكَلَّهُمُ قَدْ نَالَ شِبْعاً لِبَطْنِهِ وَشِبْعُ ٱلْفَتَىٰ لُؤُمٌ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ فَيَا عَمِّ مَهْلاً وَٱتَّخِذْنِي لِنَوْبَةٍ تَنُوبُ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ جَمُّ عَجَائِبُهُ أَنَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً وَمِثْلِيَ لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ أَنَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً وَمِثْلِيَ لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

وقالَ رجلٌ في ابنِهِ واختُلِفَ في تسميتِهِ ؛ فقيلَ : هوَ أبو الشغبِ العبسيُّ ، وقيلَ غيرُ ذلكَ (٣) :

رَأَيْتُ رِيَاطاً حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَّىٰ شَبَابِي لَيْسَ فِي بِرِّهِ عَتْبُ إِذَا كَانَ أَوْلاَدُ ٱلْحُلُو وَٱلْبَارِدُ ٱلْعَذْبُ إِذَا كَانَ أَوْلاَدُ ٱلْحِلُو وَٱلْبَارِدُ ٱلْعَذْبُ لِذَا كَانَ أَوْلاَدُ ٱلْحُلُو وَٱلْبَارِدُ ٱلْعَذْبُ لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ ٱلْأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ وَتَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ وَذَا رَامَهُ ٱلْأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ وَتَانُ ٱلرَّطْبُ وَالْمُعُنُ ٱلرَّطْبُ وَالْمُعُنُ ٱلرَّطْبُ

الحزازة : تألُّم النفسِ غيظاً ؛ أي : إذا كانوا سببَها .

⁽١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٢٥) والبيت بتمامه :

فَلَا لَعَمْرُ ٱلَّذِي مَسَّحْتُ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤١/١) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٤/١ _ ١٤٥).

وقالَ إسحاقُ بنُ خلفِ (١):

لَوْلَا أُمَيْمَةُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ ٱلْعَدَمِ وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي ٱلْعَيْشِ مَعْرِفَتِي وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي ٱلْعَيْشِ مَعْرِفَتِي أَحَاذِرُ ٱلْفَقْرَ يَوْماً أَنْ يُلِمَّ بِهَا تَهْوَىٰ حَيَاتِي وَأَهْوَىٰ مَوْتَهَا شَفَقاً تَهْوَىٰ حَيَاتِي وَأَهْوَىٰ مَوْتَهَا شَفَقاً أَخْشَىٰ فَظَاظَةَ عَمِّ أَوْ جَفَاءَ أَخِ أَخْشَىٰ فَظَاظَةَ عَمٍّ أَوْ جَفَاءَ أَخِ وقالَ حطَّانُ بنُ المُعلَّىٰ (٢):

أَنْزَلَنِي ٱلدَّهْرُ عَلَىٰ حُكْمِهِ وَغَالَنِي ٱلدَّهْرُ بِوَفْرِ ٱلْغِنَىٰ أَبْكَانِي ٱلدَّهْرُ وَيَا رُبَّمَا لَوْلَا بُنيَّاتٌ كَزُغْبِ ٱلْقَطَا لَوْلَا بُنيَّاتٌ كَزُغْبِ ٱلْقَطَا لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا

[من البسيط] وَلَمْ أُقَاسِ ٱلدُّجَىٰ فِي حِنْدِسِ ٱلظُّلَمِ ذُلَّ ٱلْيَتِيمَةِ يَجْفُوهَا ذَوُو ٱلرَّحِمِ فَلَى وَضَمِ فَيَهْتِكَ ٱلسَّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَىٰ وَضَمِ وَٱلْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَّالٍ عَلَى ٱلْحُرَمِ

وَكُنْتُ أَبْقِي عَلَيْهَا مِنْ أَذَى ٱلْكَلِم

[من السريع]

مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إِلَىٰ خَفْضِ فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَىٰ [عِرْضي] فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَىٰ [عِرْضي] أَضْحَكَنِي ٱلدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَىٰ بَعْضِ إِلَىٰ بَعْضِ فِي ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ فَي ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى ٱلْأَرْضِ لَا مَنْ عَيْنِي مِنَ ٱلْغَمْض

قولُهُ: (لولا بنياتٌ كزُغْبِ القطا) أي: ضعافٌ كفراخِ القطا التي لم يقوَ ريشُها بعدُ ، بل هوَ زغبٌ ، فهيَ في الاحتياجِ إلىٰ ما يعولُها ويجلبُ رزقَها.

وقولُهُ : (رددنَ مِنْ بعضٍ إلى بعضٍ) يريدُ : أنَّ كبارَهُنَّ وإن قَوِيَتْ بنيتُهُنَّ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥١/١) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٢/١ _ ١٥٣) .

حتى رُدَّتْ إليهنَّ الصِّغارُ ليَحفظنَهُنَّ ويُدبّرنَ أُمورَهُنَّ . . فهُنَّ ضِعافُ العقولِ والعزائم بحيثُ يرددنَ إلى الصِّغار ، ويجعلْنَ مِنْ عددِهِنَّ ؛ إذِ الفريقانِ في الضَّعفِ سواءٌ ، فخُلاصةُ المعنى : أنَّ البناتِ في عدم غنائِهنَّ واحتياجِهنَّ إلىٰ مَنْ يَكَفَلُهُنَّ ويعولُ أمرَهُنَّ . . لا تَميُّزَ لبعضِهِنَّ عنِ البعضِ

وقالَ رجلٌ أسديٌّ (١):

وَمَا أَنَا بِٱلنِّكْسِ ٱلدَّنِيءِ وَلَا ٱلَّذِي

وَلَلْكِنَّنِي إِنْ دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ

أَلَا إِنَّ خَيْرَ ٱلْـؤدِّ وُدٌّ تَـطَـوَّعَـتْ

[من الطويل]

إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو ٱلْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبُ لَهُ ٱلنَّفْسُ لَا وُدٌّ أَتَىٰ وَهُوَ مُتْعَبُ

يُقالُ: إنَّ الأفصحَ إذا أُخبرَ بموصولٍ عن ضمير مُتكلِّم أو مُخاطَبِ أن يُؤتى بالضَّمائر طبقَ الموصولِ ضمائرَ غَيبةٍ ، وهـٰذا الشعرُ علىٰ خلافِ ذٰلكَ ، فكانَ يقولُ : (إذا صُدَّ عنهُ ذو المودةِ . . يحربُ) ، ويحربُ : يغتاظ ، ومِنْ كلام عليّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ (أ) : [من مشطور الرجز]

أَنَا ٱلَّذِي سَمَّتْنِ أُمِّي حَيْدَرَهْ

فهوَ كالشعر .

وقالَ بشامةُ بنُ حزنِ (٣):

وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِخِنْدِفٍ وَلِقَيْسِهَا دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَمَنَعْتُهَا إِنِّي ٱمْرُؤٌ أَسِمُ ٱلْقَصَائِدَ لِلْعِدَا

[من الكامل]

لَمَّا وَنَىٰ عَنْ نَصْرِهَا خُذَّالُهَا وَلَدَيَّ فِي أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا إِنَّ ٱلْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٧/١) .

⁽٢) انظر « الروض الأنف » (١٠٧/٧).

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢٠٦/١ _ ٢٠٨) .

قَوْمِي بَنُو ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ بِجَمْعِهِمْ مَا زَالَ مَعْرُوفاً لِمُرَّةَ فِي ٱلْوَغَىٰ مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفاً لَنَا

وَٱلْمَشْرِفِيَّةُ وَٱلْقَنَا إِشْعَالُهَا عَلُّ ٱلْقَنَا وَعَلَيْهِمُ إِنْهَالُهَا أَسْرُ ٱلْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

في «القاموس»: (ولدَ إلياسُ بنُ مُضَرَ عمراً وهوَ مُدرِكةُ ، وعامراً وهوَ طابخةُ ، وعميراً وهوَ قمعةُ ، وأُمُّهُم خِنْدِفُ كزِبْرِجٍ ؛ وهيَ ليليٰ بنتُ حلوانَ بنِ عمرانَ ، وكانَ إلياسُ خرجَ في نُجعةٍ ، فنفرَتْ إبلُهُ مِنْ أرنبٍ ، فخرجَ إليها عمرُو فأدركَها ، وخرجَ عامرٌ فتصيَّدَها وطبخَها ، وانقمعَ عميرٌ في الخباءِ ، وخرجَتْ أُمُّهُم تسرعُ ، فقالَ لها إلياسُ : أينَ تخندفينَ ؟ فقالَتْ : ما زلت أخندفُ في أثرِكُم ، فلُقِبوا : مدرِكةَ وطابخةَ وقمعةَ وخِنْدِفَ) (١) ، فسُمِّيَتِ القبيلةُ باسم أُمِّها .

وقولُهُ: (أَسِمُ القصائدَ): وسمُ القصيدةِ عبارةٌ عن ذكرِ مَنْ قيلَتْ برسمِهِ مِنْ ممدوحِ أو مهجةٍ .

وقالَ العباسُ بنُ مرداسٍ ، وهيَ مِنَ المُنصفاتِ ؛ إذ لم يكتمْ حالَ أعدائِهِ (١٠):

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلْحَيِّ حَيّاً مُصَبَّحاً وَلا مِثْلَنَا يَوْمَ ٱلْتَقَيْنَا فَوَارِسَا أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِٱلسُّيُوفِ ٱلْقَوَانِسَا إِذَا مَا شَدَدْنَا شَدَّةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ ٱلْمَذَاكِي وَٱلرِّمَاحَ ٱلْمَدَاعِسَا إِذَا ٱلْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيع نَكُرُّهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

التحيل بحدث عمريعٍ تحرك عديهم . الخيل : تمامُها وخروجُها مِنْ سنّ الفتاءِ .

⁽١) القاموس المحيط (٢٠٣/٣) مادة (خ ن د ف) .

⁽٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » (٢٢٨/١ _ ٢٢٩) .

وقالَ عبدُ الشارقِ بنُ عبدِ العزى الجهنيُّ مِنَ المنصفاتِ أيضاً (''):

نُحَيِّيهَا وَإِنْ كَرُمَتْ عَلَيْنَا عَلَىٰ أَضْمَاتِنَا وَقَدِ [ٱخْتَوَيْنَا] فَقَالَ أَلَا ٱنْعَمُوا بِٱلْقَوْمِ عَيْنَا فَلَمْ نَغْدِرْ بِفَارسِهِمْ لَدَيْنَا كَمِثْل ٱلسَّيْل نَرْكَبُ وَازعِينَا فَقُلْنَا أَحْسِنِي مَلَأً جُهَيْنَا فَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ٱرْعَوَيْنَا أَنَخْنَا لِلْكَلَاكِل فَارْتَمَيْنَا مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنَا بأَرْجُل مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُويْنَا وَكَانَ ٱلْقَتْلُ لِلْفِتْيَانِ زَيْنَا وَأُبْنَا بِٱلسُّيُوفِ قَدِ ٱنْحَنَيْنَا وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا ٱلْكَلْمَىٰ سَرَيْنَا

أَلَا خُيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةً جِئْنَا فَأَرْسَلْنَا أَبَاعَمْرو رَبيئاً وَدَشُوا فَارساً مِنْهُمْ عِشَاءً فَجَاؤُوا عَارضاً بَرداً وَجِئْنَا تَنَادَوْا يَا لَبَهْثَةَ إِذْ رَأَوْنَا سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْر غَيْب فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلاً فَلَمَّا لَمْ نَدَعْ قَوْساً وَسَهْماً تَلَأْلُو مَنْ نَهِ بَرَقَتْ لِأُخْرَىٰ شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ وَكَانَ أَخِي جُويْنٌ ذَا حِفَاظٍ فَآبُوا بِٱلرِّمَاحِ مُكَسَّرَاتٍ فَبَاتُوا بِٱلصَّعِيدِ لَهُمْ أُحَاحُ

قولُهُ: (نحيّيها وإن كرمُتْ علينا) تحقُّقُ المنافرةِ ؛ بأن يُرادَ بتحيَّتِها

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢٢٩/١ _ ٢٣٣) .

تحيةُ الوداعِ ، أو تحيةُ الغائبِ ؛ أداءً لواجبِ المَحبَّةِ علىٰ لسانِ رسولٍ مراغمةً للغيرةِ ، أو يُرادَ بكرمِها عليه : تعذُّرُها وامتناعُها .

وقولُهُ: (علىٰ أضماتِنا وقدِ اختوينا) أي: علىٰ أشدِّ أحقادِنا وقد أخلينا أجوافَنا ، وكانَتْ تلكَ لهُم عادةً إذا أرادوا الحربَ .

وقولُهُ: (نركبُ وازعينا) أي: لا يطيعُ أحدُ الجيشَينِ وازعَهُ ورئيسَهُ إذا أرادَ أن يَكُفَّهُ عنِ الإقدامِ ، والملأُ في قولِهِ: (أحسني ملاً) معناهُ: الخُلُقُ ، وبهثةُ : ولدُ الزنا ، وهوَ اسمُ للقبيلةِ هنا .

وقالَ المساورُ بنُ هندِ بنِ زهيرٍ (١):

أَوْدَى ٱلشَّبَابُ فَمَا لَهُ مُتَقَفَّدُ وَأَرَى ٱلْغَوانِي بَعْدَ مَا أَوْجَهْنَنِي وَأَرَى ٱلْغَوانِي بَعْدَ مَا أَوْجَهْنَنِي وَرَأَيْنَ رَأْسِي صَارَ وَجْها كُلُّهُ وَرَأَيْنَ شَيْحًا قَدْ تَحَنَّى ظَهْرُهُ لَكَمَّا رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً لَكَمَّا رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً وَتَشَعَّبُوا شُعَباً فَكُلُّ جَزِيرَةٍ وَتَشَعَبُوا شُعَباً فَكُلُّ جَزِيرَةٍ وَلَتَعْلَمَنْ ذُبْيَانُ إِنْ هِي أَعْرَضَتْ وَلَتَعْلَمَنْ ذُبْيَانُ إِنْ هِي أَعْرَضَتْ وَلَنَا قَنَاةٌ مِنْ رُدَيْنَةً صَدْقًةً

[من الكامل]

وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ ٱلْمَغْبَرُ أَعْرَضْنَ ثُمَّتَ قُلْنَ شَيْخٌ أَعْوَرُ أَعْرَضْنَ ثُمَّتَ قُلْنَ شَيْخٌ أَعْوَرُ إِلَّا قَفَايَ وَلِحْيَةً مَا تُضْفَرُ يَمْشِي فَيُقْعِسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْثُرُ عَمْيَاءَ تُوقَدُ نَارُهَا وَتُسَعَّرُ فِيهَا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ فِيهَا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ وَيَعَالَ الشَّيْخُ ٱلْأَعَزُ ٱلْأَكْبَرُ أَنْ وَمِنْبَرُ أَلْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ أَلْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ وَمِنْبَرُ أَلْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ أَلْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ أَنْ اللَّهَ يَعْمُلُ الشَّيْخُ ٱلْأَعَزُ ٱلْأَكْبَرُ وَرَدُ أَنْ وَلَا لَكَ أَزْوَرُ وَرُورًا وَ حَامِلُهَا كَذَالِكَ أَزْوَرُ وَرُورُ وَرُورُ وَرُورُ وَرَاءُ حَامِلُهَا كَذَالِكَ أَزْوَرُ وَرُورُ وَرُورُ وَرُورُ وَرَاءُ حَامِلُهَا كَذَالِكَ أَزْوَرُ وَرُورُ وَرَاءُ حَامِلُهَا كَذَالِكَ أَزْوَرُ

اقتفرَ الشيءَ: تَتبَّعَهُ ، وقولُهُ: (ولحيةً لا تضفرُ) تَأشَفَ على فقدِ الذوائبِ التي مِنْ شأنِها الضفرُ ، وقولُهُ: (يقعسُ) أي: يكونُ كالأقعسِ ؛ وهوَ مقابلُ الأحدبِ ، وفي قولِهِ: (يُحِبُّ فيعثرُ) قلبٌ ؛ لأمنِ اللبسِ .

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » (7/0 - 7).

[من الطويل]

عَشِيَّةَ بِتْنَا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحِ إِلَىٰ مُسْتَرَاحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحِ مِنَ ٱلْمَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ وقالَ عروةُ بنُ الوردِ العبسيُ (۱): قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي ٱلْكَنِيفِ تَرَوَّحُوا تَنَالُوا ٱلْغِنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِراً لِيَبْلُغَ عُدْراً أَوْ يُصِيبَ رُغَيْبَةً لِيَبِيْلُغَ عُدْراً أَوْ يُصِيبَ رُغَيْبَةً

كانَ عروةُ غائباً ، فلمّا حضرَ . . وجدَ قومَهُ قد نهكَهُمُ ٱلْجَدْبُ وهُم رُزَّحٌ قاعدونَ في مُلتفٍّ مِنَ الشجرِ _ وهوَ الكنيفُ _ ينتظرونَ الهلاكَ ، فقالَ لهُم : تَروَّحوا ، يُحرِّضُهُم على النهوضِ في طلبِ المعيشةِ ، فترتيبُ البيتِ الأوَّلُ : قلتُ لقومٍ رُزَّحٍ في الكنيفِ عشيةَ بتنا عندَ ماوانَ : تَروَّحوا تنالوا الغنىٰ ، أو تُقتَلوا فتريحوا أنفسَكُم مِنْ حالةٍ تشبهُ الحِمامَ ، للكنَّهُ حِمامٌ مُبرِّحٌ .

وقالَ ربيعةُ بنُ مقرومٍ (٢):

أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرْجُو إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي وَكُنْتُ إِذَا قَرِينِي جَاذَبَتْهُ فَإِنْ أَهْلِكْ فَذِي حَنَقٍ لَظَاهُ مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّىٰ تَحَسَّىٰ بِمِثْلِي فَٱشْهَدِ ٱلنَّجْوَىٰ وَعَالِنْ فَإِنَّ ٱلْمُوعِدِيَّ يَرَوْنَ دُونِي

[من الوافر]

مَودَّتَهُ وَإِنْ دُعِي ٱسْتَجَابَا وَزَادَ سِلَاحُهُ مِنْكَ ٱقْتِرَابَا حِبَالِي مَاتَ أَوْ تَبِعَ ٱلْجِذَابَا عَلَيَّ تَكَادُ تَلْتَهِبُ ٱلْتِهَابَا ذُنُوبَ ٱلشَّرِ مَلْأَىٰ أَوْ قُرابَا بِيَ ٱلْأَعُدَاءَ وَٱلْقَوْمَ ٱلْغِضَابَا أُسُودَ خَفِيَّةَ ٱلْغُلْبَ ٱلرِّقَابَا

⁽۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (V/Y _ Λ) .

⁽٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » (٥٣/٢ _ ٥٥) .

كَأَنَّ عَلَىٰ سَوَاعِدِهِنَّ وَرْساً عَلا لَوْنَ ٱلْأَشَاجِعِ أَوْ خِضَابَا قُولُهُ: (فذي حَنَقٍ) أي: فربَّ ، حذفَها بعدَ الفاءِ ، وهوَ أحدُ مواضعِ حذفِها ، وقولُهُ: (الغلبَ الرقابَا) نصبَ معمولَ الصفةِ على التشبيهِ بالمفعولِ بهِ .

وقالَ سنانُ بنُ الفحلِ أخو بني أمِّ الكهفِ مِنْ طَيِّى الْأَنْ الفحلِ أخو بني أمِّ الكهفِ مِنْ طَيِّى أَنْ الوافر]
وَقَالُوا قَدْ جُنِنْتَ فَقُلْتُ كَلَّا وَرَبِّي مَا جُنِنْتُ وَمَا ٱنْتَشَيْتُ وَمَا ٱنْتَشَيْتُ وَمَا ٱنْتَشَيْتُ وَلَاكِنِي ظُلِمْتُ فَكِدْتُ أَبْكِي مِنَ ٱلظُّلْمِ ٱلْمُبَيَّنِ أَوْ بَكَيْتُ وَلَاكِنِي ظُلِمْتُ فَكِدْتُ أَبْكِي مِنَ ٱلظُّلْمِ ٱلْمُبَيَّنِ أَوْ بَكَيْتُ فَلَامِ الْمُبَيَّنِ أَوْ بَكَيْتُ فَلَامَاءَ مَاءُ أَبِي وَجَدِّي وَبِعْرِي ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ وَلَا دَعَوْتُ وَلَا اللَّهُ مَا هَلِعْتُ وَلَا دَعَوْتُ وَلَاكِنِّي نَصَبْتُ لَهُمْ جَبِينِي وَآلَةَ فَارِسٍ حَتَّى قَارِسٌ حَتَّى قَارِسٌ حَتَّى قَارِسٌ حَتَّى قَارِسٌ حَتَّى قَارِسٌ حَتَّى قَارِسٌ حَتَّى قَارِسُ حَتَى قَارِسُ حَتَّى قَارِسُ حَتَّى قَارِسُ حَتَّى قَارِسُ حَتَّى قَارِسُ حَتَّى قَارِسُ حَتَّى فَارِسُ حَتَّى قَارِسُ حَتَّى قَارِسُ مَا هَالِهُ لَا عَلَى الْمُعْتُ فَارِسُ حَتَّى فَارِسُ حَتَّى فَارِسُ حَتَّى فَارِسُ حَتَّى فَارِسُ حَتَّى فَارِسُ مَا هَا هَالِوسُ مَا هَا هَالِي فَارِسُ حَتَّى فَارِسُ حَتَّى فَارِسُ وَالْتَعَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى فَالْوَا عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى فَالْمِي عَلَى الْعَلَى فَالْعَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى فَالْعَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى عَالِي عَلَى الْعَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى الْعَلَى عَلَى الْ

تمالَوا: أصلُهُ: تمالَؤوا بالهمزِ ، فخُفِّفَ وصارَ مُعتلاً ، وفي الأبياتِ (ذو) الطائيةُ ، وهيَ بمعنى (التي) ، والشاعرُ مِنْ أهلِ أشهرِ لغاتِ طيِّعُ في استعمالِ كلمةِ (ذو) الذينَ ينطقونَ بها على صورةٍ واحدةٍ دائماً .

وقالَ إِياسُ بنُ مالكِ الطائيُّ (٢):

سَمَوْنَا إِلَىٰ جَيْشِ ٱلْحَرَورِيِّ بَعْدَمَا

تَنَاذَرَهُ أَعْرَابُهُمْ وَٱلْمُهَاجِرُو وَيِّ بَعْدَمَا

وَأَعْلَامُ سَلْمَىٰ وَٱلْهِضَابُ ٱلنَّوَادِرُ وَأَعْلَامُ سَلْمَىٰ وَٱلْهِضَابُ ٱلنَّوَادِرُ وَلَمَّا ٱلْأَكْمُ سَاجِدَةً لَهُ وَأَعْلَامُ سَلْمَىٰ وَٱلْهِضَابُ ٱلنَّوَادِرُ فَلَمَّا ٱلْأَكْمُ سَاجِدَةً لَهُ إِلَى ٱلْحَيِّ خُوصٌ كَٱلْحَنِيِّ ضَوَامِرُ فَلَمَّا ٱلْآرَكْنَاهُمْ وَقَدْ قَلَصَتْ بِهِمْ إِلَى ٱلْحَيِّ خُوصٌ كَٱلْحَنِيِّ ضَوَامِرُ أَنَحْنَا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُنَّ وَزَادُنَا جِيَادُ ٱلسُّيُوفِ وَٱلرِّمَاحُ ٱلْحَواطِرُ أَنْ خَنَا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُنَّ وَزَادُنَا جِيَادُ ٱلسُّيُوفِ وَٱلرِّمَاحُ ٱلْحَوَاطِرُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٢/٢ _ ٧٧) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٥/٢ _ ٧٦) .

كِلَا ثَقَلَيْنَا طَامِعٌ بِغَنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَّرَ ٱلرَّحْمَانُ مَا هُوَ قَادِرُ فَلَمْ أَرَ يَوْماً كَانَ أَكْثَرَ سَالِباً وَمُسْتَلِباً سِرْبَالَهُ لَا يُنَاكِرُ وَلَى أَدُوماً كَانَ أَكْثَرَ سَالِباً وَمُسْتَلِباً سِرْبَالَهُ لَا يُنَاكِرُ وَأَكْثَرُ مِنَّا يَافِعاً يَبْتَغِي ٱلْعُلَا يُضَارِبُ قِرْناً دَارِعاً وَهُو حَاسِرُ وَأَكْثَرُ مِنَّا يَافِعاً يَبْتَغِي ٱلْعُلَا يُضَارِبُ قِرْناً دَارِعاً وَهُو حَاسِرُ فَمَا كَلَّتِ ٱلْأَيْدِي وَلَا ٱلْأَطْرَ ٱلْقَنَا وَلَا عَثَرَتْ مِنَّا ٱلْجُدُودُ ٱلْعَوَاثِرُ فَمَا كَلَّتِ ٱلْأَيْدِي وَلَا ٱلْأَطْرَ ٱلْقَنَا وَلَا عَثَرَتْ مِنَّا ٱلْجُدُودُ ٱلْعَوَاثِرُ

حَرَوْرَىٰ _ بفتح الراءِ الأُولىٰ _ : بلدٌ يُنسَبُ لها بعضُ الخوارجِ ، والخوارجِ : اللهُ مذهبِ في الإسلامِ ، أولُهُم جماعةٌ خرجوا على عليّ ومعاوية ومَنْ كانَ معَهُم مِنَ المسلمينَ بعدَ ما كانَ مِنْ حربِ صفينَ ، وجرىٰ مِنْ أمرِ تحكيمِ الحكمَينِ ، وكانوا يَتشدَّدونَ في أحكامِهِم ، الحكمَينِ ، فقالوا بكفرِ مَنْ حَكَّمَ الحكمَينِ ، وكانوا يَتشدَّدونَ في أحكامِهِم ، وعظم أمرُهُم ، وشغلوا ملوكَ الإسلامِ بالحربِ مُدَّةً مِنَ الزمانِ ، واشتهرَ فيهِم كثيرٌ بالشجاعةِ والإقدامِ ، وكانوا يرونَ أنَّهُم هُم أُمَّةُ الإسلامِ ، وأميرُ المؤمنينَ منهُم ، والمذكورُ في الشعرِ جيشٌ مِنْ جيوشِهِم ، وصفَةُ الشاعرُ بالقُوَّةِ والشدةِ ، والفريقُ والشدةِ ، والفريقُ الناسَ ، فكانَ يتناذرُهُ أهلُ الباديةِ وهُمُ الأعرابُ ، والفريقُ المهاجرُ وهُم مَنْ تركَ الباديةَ وسكنَ الأمصارَ .

وقولُهُ: (بجمع تَظلُّ الأكمُ) أي: جمعٌ كثيفٌ ذو خيلٍ وإبلٍ كثيرةٍ، بحيثُ إنَّهُ [بثقلِ] وطأتِهِ يُسوِّي مرتفعاتِ الأرضِ، فمعنى سجودِ الأكمِ: هبوطُها وزوالُ ارتفاعِها.

وقولُهُ: (كانَ أكثرَ سالباً) أي: مِنْ ذلكَ اليومِ ، (ومستلباً سربالهُ) بنصبِ سربالٍ ، مفعولٌ ثانٍ ، تقولُ: استلبتُهُ كذا .

وقالَ سعدُ بنُ ناشبِ (١):

وَشِدَّةِ نَفْسِي أُمُّ سَعْدٍ وَمَا تَدْرِي

[من الطويل]

تُفَيِّدُنِي فِيمَا تَرَىٰ مِنْ شَرَاسَتِي

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٥/٢) .

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلْكَرِيمَ وَإِنْ حَلَا وَفِي ٱللِّينِ ضَعْفٌ وَٱلشَّرَاسَةُ هَيْبَةٌ وَمَا بِي عَلَىٰ مَنْ لَانَ لِي مِنْ فَظَاظَةٍ أُقِيمُ صَغَا ذِي ٱلْمَيْلِ حَتَّىٰ أَرُدَّهُ فَإِنْ تَعْذُلِينِي تَعْذُلِي بِي مُرَزَّأً إِذَا هَمَّ أَلْقَىٰ بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ

وقالَتْ عاتكةُ بنتُ عبدِ المطلبِ (۱):

سَائِلْ بِنَا فِي قَـوْمِنَا وَلْ قَـنْ فِي قَـوْمِنَا فِي قَـوْمِنَا فِي قَـدْ وَالْنَا فِي قَـدْ وَالْنَا فِي قَـدُ وَالْنَا فِي قَـدِ المَسْنَا وَالْفَنَا فَي عُمَا لَكَاظُ يُعْشِي النَّاظِرِينَ إِذَا فِي فِي النَّاظِرِينَ إِذَا فَـ فِي فَـدَ لُنَا مَالِكا قَـ فَـ وَمُحَدَدُ لَا غَـادَرْنَا هُ إِنَّا وَمُحَدَدُ لَا غَـادَرْنَا هُ إِنَّا وَمُحَدَدُ لَا غَـادَرْنَا هُ إِنَّا فَا وَمُحَدَدُ اللَّهُ فِي الْمَالِكِ اللَّهُ الْمُنْ الْمَالِكِ الْمَالِكِ الْمَالِكِ الْمَالِكِ الْمُسْتِي الْمَالِكِ الْمَالِكِ الْمَالِكِ الْمَالِكِ الْمَالِكِ الْمُلْمِينَ الْمُنْ الْمُنْمُونُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْمُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفُلُولُونُ الْمُنْمُ الْمُنْ الْمُنْ ا

لَيُلْفَىٰ عَلَىٰ حَالٍ أَمَرَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ وَمَنْ لَمْ يُهَبْ يُحْمَلْ عَلَىٰ مَرْكَبٍ وَعْرِ وَلَلْكِنَّنِي فَظُّ أَبِيُّ عَلَى ٱلْقَسْرِ وَأَخْطِمُهُ حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَى ٱلْقَدْرِ كَرِيمَ نَثَا ٱلْإِعْسَارِ مُشْتَرَكَ ٱلْيُسْرِ وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ ٱلسُّرَيْجِيِّ ذِي ٱلْأُثْرِ

[من مجزوء الكامل]

وَلْيَكُ فِ مِنْ شَرِّ سَمَاءُ هُ فِي مَجْمَعٍ بَاقٍ شَنَاءُ هُ وَٱلْكَبْشُ مُلْتَمِعٌ قِنَاءُ هُ إِذَا هُمُ لَمَحُوا شُعَاءُ هُ قِنسُراً وَأَسْلَمَهُ رَعَاءُ هُ بِالْقَاعِ تَنْهَسُهُ ضِبَاءُ هُ

السَّنَوَّرُ: يُرادُ بهِ الدروعُ ، ويُرادُ بهِ السلاحُ كلَّهُ . وقالَ أميةُ بنُ أبى الصَّلتِ يشتكى مِنْ ولدِهِ (٢):

ولدِهِ ('': [من الطويل] تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتَنْهَلُ لِي السَّكُواكَ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلْمَلُ

إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِٱلشَّكْوِ لَمْ أَبِتْ

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعُلْتُكَ يَافِعاً

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٠/٢ _ ١٣١) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٣/٢) .

كَأَنِّي أَنَا ٱلْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِٱلَّذِي فَلَمَّا بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ وَٱلْغَايَةَ ٱلَّتِي جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهاً وَغِلْظَةً فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي وَسَمَّيْتَنِي بِٱسْمِ ٱلْمُفَنَّدِ رَأْيُهُ تَرَاهُ مُعِلَّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ

وقالَتِ امرأةٌ في مثلِ هاذا المعنى (۱):

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ ٱلْفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ ٱلْ
حَتَّىٰ إِذَا آضَ كَٱلْفُحَّالِ شَذَّ بِهِ أَبَّارُ

أَنْشَا يُمَزِقُ أَثْوَابِي يُوَدِّبُنِي أَبَعْ
إِنِّي لَأَبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ وَخَالِي اللَّمِيةِ وَخَالَتُ لَهُ عِرْسُهُ يَوْماً لِتُسْمِعَنِي مَهْ
وَلَوْ رَأَتْنِيَ فِي نَارِ مُسَعَّرَةٍ ثُمَّ ٱ

طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمُلُ إِلَيْهَا مَدَىٰ مَا كُنْتُ فِيكَ أُوْمِلُ إِلَيْهَا مَدَىٰ مَا كُنْتُ فِيكَ أُوْمِلُ كَأَنَّكَ أَنْتَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمُتَفَضِّلُ فَعَلْتَ كَمَا ٱلْجَارُ ٱلْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ وَفِي رَأْيِكَ ٱلتَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ وَفِي رَأْيِكَ ٱلتَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ بِرَدِّ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلصَّوابِ مُوكَّلُ أَهْلِ السَّعِوا إِلَىٰ البَيطِ]

أُمُّ ٱلطَّعَامِ تَرَىٰ فِي جِلْدِهِ زَغَبَا أَبَّارُهُ وَنَفَىٰ عَنْ مَتْنِهِ ٱلْكَرَبَا أَبَّارُهُ وَنَفَىٰ عَنْ مَتْنِهِ ٱلْكَرَبَا أَبَعْدَ شَيْبِيَ عِنْدِي يَبْتَغِي ٱلْأَدَبَا وَحَطِّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا مَهْلاً فَإِنَّ لَنَا فِي أُمِّنَا أَرَبَا مُهُلاً فَإِنَّ لَنَا فِي أُمِّنَا أَرَبَا ثُمُ ٱسْتَطَاعَتْ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا ثُرُبَا فَعُ الْمَاعَتْ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا

أعظَمُهُ أَمُّ الطعامِ ؛ أي : أكثرُهُ حوصلتُهُ ، وأمُّ الطعامِ مِنَ الآدميّ : المَعِدةُ ، وأَمُّ الطعامِ مِنَ الآدميّ : المَعِدةُ ، وأَبْرُ النخلِ : تلقيحُ إناثِها مِنْ ذكورِها ، والأَبَّارُ : فاعلُ ذلكَ ، فإضافتُهُ إلى الفُحَّالِ ـ وهوَ ذكرُ النخلِ ـ لأدنى ملابسةٍ ؛ كالإضافةِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ اللهُ حَالِ اللهُ لَآتِ ﴾ (٢) ، والكربُ : أصولُ السعفِ .

انتهى ما أردتُ إيرادَهُ مِنْ بابِ الحماسةِ .

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٣٤/٢) .

⁽٢) سورة العنكبوت : (٥).

[نبذةٌ من أشعار الرثاءِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

وهنده جملةٌ مِنْ بابِ الرثاءِ ؛ وهوَ ذكرُ محاسنِ الميتِ والبكاءُ عليهِ ، والتحسُّرُ على فقدِهِ ؛ يُقالُ : رثيتُهُ ورثوتُهُ ، والمَرْثِيَةُ : الكلامُ الذي يكونُ بهِ الرثاءُ .

قالَ أبو خِراشِ الهذليُّ وقد سافرَ أخوهُ وابنُهُ ، فأُسِرا ، وقُتِلَ أخوهُ ، وألقى رجلٌ رداءً على ابنِهِ واجتهدَ في إطلاقِهِ وتخليصِهِ ممَّنْ أرادوا قتلَهُ (١):

خِرَاشٌ وَبَعْضُ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ بِجَانِبِ قُوسَىٰ مَا مَشَيْتُ عَلَى ٱلْأَرْضِ نِجَانِبِ قُوسَىٰ مَا مَشَيْتُ عَلَى ٱلْأَرْضِ نُوكَّلُ بِٱلْأَدْنَىٰ وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ أَضَاعَ ٱلشَّبَابَ فِي ٱلرَّبِيلَةِ وَٱلْخَفْضِ عَلَىٰ أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ ٱلنَّهْضِ عَلَىٰ أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ ٱلنَّهْضِ

حَمِدْتُ إِلَاهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا فَوَاللّٰهِ مَا أَنْسَىٰ قَتِيلاً رُزِئْتُهُ عَلَىٰ أَنَّهَا تَعْفُو ٱلْكُلُومُ وَإِنَّمَا عَلَىٰ أَنَّهَا تَعْفُو ٱلْكُلُومُ وَإِنَّمَا وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَىٰ عَلَيْهِ رِدَاءَهُ وَلَمْ يَكُ مَثْلُوجَ ٱلْفُوّادِ مُهَبَّجَا وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحَتْهُ مَخَامِصٌ وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحَتْهُ مَخَامِصٌ

وقد قيل : إنَّ الذي ألقىٰ عليهِ الرداءَ هوَ عروة ، وقد وجده ملقيهِ مكشوف العورةِ ، وهاذا القولُ أوفقُ لسياقِ الكلامِ ، والرَّبيلة ؛ تُطلَقُ على السِّمنِ والنعمةِ ، فإذا أُريدَ السِّمنُ . . فهوَ علىٰ حذفِ مضافٍ ؛ أي : في تحصيلِ الربيلةِ ، وكانوا يَتمدَّحونَ بقِلَّةِ الطعامِ والشرابِ ؛ إمَّا لكثرةِ الاشتغالِ بالمُهِمَّاتِ ، وإمَّا لإيثارِ الغير ، وقالَ عبدة بنُ الطبيب (٢) :

وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِم

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٣/٢ _ ١٤٥) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٥/٢ _ ١٤٦) .

تَجِيَّةَ مَنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ ٱلرَّدَىٰ إِذَا زَادَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَّمَا فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ وَلَلْكِنَّهُ بُنْ يَانُ قَوْم تَهَدَّمَا

وقالَ هشامُ بنُ عقبةَ العدويُّ أخو ذي الرِّمةِ يرثي أوفى بنَ دلهم (۱):

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفْنُ ٱلْعَيْنِ مَلْآنُ مُتْرَعُ نَعَى ٱلرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاؤُوا بِشَرِّ فَأَوْجَعُوا نَعَى ٱلرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاؤُوا بِشَرِّ فَأَوْجَعُوا نَعَى ٱلرَّكْبُ أَلْفَى الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُفُونَهُ تَكَادُ ٱلْجِبَالُ ٱلصَّمَّ مِنْهُ تَصَدَّعُ نَعَوْا بَاسِقَ ٱلْأَفْعَالِ لَا يَخْلُفُونَهُ وَنَهُ وَلَيُ الْمُعْمُورُ بَعْدَ ٱبْنِ دَلْهَمٍ وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَعْضَعُوا فَلَى الْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكْءَ ٱلْقَرْحِ بِٱلْقَرْحِ إَلْهَمِ فَلَا عَنْ اللّهُ مِنْ أَوْفَى الْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكْءَ ٱلْقَرْحِ بِٱلْقَرْحِ أَوْجَعُ فَلَا عَنْ اللّهُ مَا الْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكْءَ ٱلْقَرْحِ بِٱلْقَرْحِ إِلَّا لَعْرُحِ أَوْجَعُ

وقالَ مُتمِّمُ بنُ نُويرةَ يرثي أخاه مالكاً ، وكانا أسلما ، وهاجرَ مُتمِّمُ إلى المدينةِ ، وبقيَ مالكٌ في الباديةِ ، وكانَ عريفَ قومٍ ؛ أي : نقيبَهُم والمُتكلِّمَ عنهُم ، فلمَّا قُبِضَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . . ارتدَّ كثيرٌ مِنَ العربِ ، ومنهُم مالكُ هاذا ، وكانَتْ إبلُ الصدقةِ مجموعةً في موضع يُقالُ لهُ : رحرحانُ ، لم تصلُ بعدُ إلى المدينةِ ، فأغارَ عليها مالكُ ، ونهبَ منها ثلاثَ مئةٍ ، فلامَهُ على ذلكَ الأقرعُ بنُ حابسٍ وضرارُ بنُ القعقعِ ، ومشيا بهِ في بني تميمٍ يُحرِّضانِهِم عليهِ ليردُّوهُ عن منكرٍ فعلَهُ ، فقالَ ومشيا بهِ في بني تميمٍ يُحرِّضانِهِم عليهِ ليردُّوهُ عن منكرٍ فعلَهُ ، فقالَ في ذلكَ الأقرعُ بنُ حابسٍ والمُن المؤلِّم الوافر]

أَرَائِي ٱللهُ بِٱلنَّهُ بِٱلنَّعَمِ ٱلْمُنَدَّى بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَائِي أَلَا فِي اللهُ بِأَلْ فَي اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُل

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٧/٢) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٩/٢) ، وستأتى الأبيات المراد إثباتها .

حَوَيْتُ جَمِيعَهَا وَٱلسَّيْفُ صَلْتٌ وَلَمْ تَرْعُدْ يَدَايَ وَلَا جَنَانِي تَمَشَّىٰ يَا بْنَ عَوْذَةَ فِي تَمِيمٍ وَصَاحِبُكَ ٱلْأُقَيْرِعُ تَلْحَيَانِي تَمَشَّىٰ يَا بْنَ عَوْذَةَ فِي تَمِيمٍ وَصَاحِبُكَ ٱلْأُقَيْرِعُ تَلْحَيَانِي أَلَى مَوْذَة فِي تَمِيمٍ وَصَاحِبُكَ ٱلْأُقَيْرِعُ تَلْحَيَانِي أَلَى مَ الْمُنَاقِ وَتَرْهَبَانِي أَلَى مُ نَارَ رَابِيَةٍ تَلَظَى فَتَ تَقِيبَا أَذَايَ وَتَرْهَبَانِي فَتُلْ لَا بُنِ ٱلْمُذِبِ يَغُضُّ طَرْفاً عَلَىٰ قَطْع ٱلْمَذَلَّةِ وَٱلْهَوَانِ فَقُلْ لِأَبْنِ ٱلْمُذِبِ يَغُضُّ طَرْفاً عَلَىٰ قَطْع ٱلْمَذَلَّةِ وَٱلْهَوَانِ

النَّعم المندى: هي الإبلُ تُسقى قليلاً ثم تُراحُ ناحيةً ، ثم تُورَدُ الماءَ لتحصيلِ تمامِ الريِّ ، يظهرُ غيظَهُ وشماتتَهُ باجتماعِ إبلِ [الصدقة] ، وكانوا يرونَ ذلكَ نهباً لأموالِهِم .

وقولُهُ : (تَمشَّىٰ) أي : تَتمشَّىٰ وهوَ معلولٌ .

قولُهُ: (أَإِنْ قَرَّتْ عيونٌ) ، وقولُهُ: (يا بن عوذة) ناداهُ باسمِ أُمِّهِ تحقيراً ، وعوذة : أمُّ الأقرع .

فلمَّا قامَ أبو بكرِ بالأمرِ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . . بعثَ جيشاً رئيسُهُ خالدُ بنُ الوليدِ لقتالِ أهلِ الردَّةِ ، وأوصاهُ بقتلِ مالكٍ هاذا ، فلمَّا قُتِلَ . . أكثرَ مِنْ رثائِهِ والبكاءِ عليهِ أخوهُ مُتمِّمٌ .

يُروى : أنَّ أميرَ المؤمنينَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ لمُتمِّم يوماً : لو رُثِيَ اللهُ عنهُ قالَ لمُتمِّم يوماً : لو رُثِيَ أخي صارَ لِمَا أخي زيدٌ بمثلِ ما رَثيتُ بهِ أخاكَ ، فقالَ مُتمِّمٌ لهُ : لو علمتُ أنَّ أخي صارَ لِمَا صارَ إليهِ أخوكَ . . ما رثيتُهُ ؛ يعني : لو علمَ موتَهُ على الإسلامِ ، فقالَ عمرُ : ما عزَّاني بهِ مُتمِّمٌ (١٠) .

والأبياتُ المُرادُ إثباتُها مِنْ رثاءِ مُتمِّم قولُهُ (١): [من الطويل]

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ ٱلْقُبُورِ عَلَى ٱلْبُكَا رَفِيقِي لِتَذْرَافِ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَافِكِ

⁽۱) تقدم (۳۷۸/۱) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٨/٢) .

فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرٍ ثَوَىٰ بَيْنَ ٱللِّوَىٰ فَٱلدَّكَادِكِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ ٱلشَّجَا يَبْعَثُ ٱلشَّجَا فَدَعْنِي فَهَاذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

ولابنِ نباتة المصريِّ قصيدةٌ يرثي فيها ملكاً ويُهنِّئُ ابنَهُ بالجلوسِ مكانَهُ ، مطلعُها (١٠):

هَنَاءٌ مَحَا ذَاكَ ٱلْعَزَاءَ ٱلْمُقَدَّمَا فَمَا عَبَسَ ٱلْمَحْزُونُ حَتَّىٰ تَبَسَّمَا ثُغُورُ ٱبْتِسَامٍ فِي ثُغُورِ مَدَامِعٍ شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو ٱلسَّبْقِ مِنْهُمَا يقولُ فيها تلميحاً بمالكِ ومُتمِّم ابنَيْ نويرة : [من الطويل]

فَقَدْنَا لِأَعْنَاقِ ٱلْبَرِيَّةِ مَالِكاً وَشِمْنَا لِأَفْعَالِ ٱلْجَمِيلِ مُتَمِّمَا

وسنوردُها بعدُ إن شاءَ اللَّهُ تعالىٰ .

وقالَ رجلٌ مِنْ خثعمٍ (٢): [من الكامل] نَهِلَ ٱلزَّمَانُ وَعَلَّ غَيْرَ مُصَرَّدِ مِنْ آلِ عَتَّابٍ وَآلِ ٱلْأَسْودِ مِنْ كُلِّ فَيَّاضِ ٱلْيَدَيْنِ إِذَا غَدَتْ نَكْبَاءُ تُلُوي بِٱلْكَنِيفِ ٱلْمُؤْصَدِ

فَٱلْيَوْمَ [أَضْحَوْا] لِلْمَنُونِ وَسِيقَةً مِنْ رَائِحٍ عَجِلٍ وَآخَرَ مُغْتَدِي خَلَتِ ٱلدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ وَمِنَ ٱلشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِٱلسُّؤْدَدِ

النكباء: واحدةُ النُّكْبِ ؛ وهيَ الرياحُ الخارجةُ بينَ المَهابِ الأصليةِ ؛ وهيَ مَهَبُّ الصَّبا للشرقِ ، ومَهَبُّ الشَّمالِ ، ومَهَبُّ الجَنوبِ ، ومَهَبُّ الدَّبور .

وإذا توالَتِ النُّكْبُ . . كانَ الجدبُ ، والكنيفُ المُؤصَدُ : الحظيرةُ مِنَ

⁽۱) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ٤٢٩) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٤/٢) .

الشجرِ التي جُعِلَ لها إصادٌ ؛ أي : بابٌ وعتبةٌ ؛ اعتناءً بها ، ومحافظةً عليها ، وألوَتْ بها : أَفسدَتْها ، وجودُ الجوادِ أظهرُ ما يكونُ في الجدب .

وقالَ محمدُ بنُ بشيرِ الخارجيُّ ؛ نسبةً إلىٰ خارجةً (١): [من الكامل]

نِعْمَ ٱلْفَتَىٰ فَجَعَتْ بِهِ إِخْوَانَهُ يَوْمَ ٱلْبَقِيعِ حَوَادِثُ ٱلْأَيَّامِ سَهْلُ ٱلْفِنَاءِ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ طَلْقُ ٱلْيَدَيْنِ مُؤَدِّبُ ٱلْخُدَّامِ طَلْقُ ٱلْيَدَيْنِ مُؤَدِّبُ ٱلْخُدَّامِ وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَدْر أَيُّهُمَا ذَوُو ٱلْأَرْحَام

أرادَ بالصَّديقِ والشَّقيقِ الجنسَ ؛ أي : أصدقاءَهُ وأشقاءَهُ ، ولذلكَ قالَ : أيُّهُما ذوو الأرحام .

وقالَ دريدُ بنُ الصِّمةِ يرثي أخاهُ _ ودريدٌ هنذا مِنْ فرسانِ العربِ المعدودينَ ، وكانوا أخرجوهُ معَهُم المعدودينَ ، وكانوا أخرجوهُ معَهُم شيخاً فانياً ليستضيئوا برأيهِ (١) _ : [من الطويل]

نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي ٱلسَّوْدَاءِ وَٱلْقَوْمُ شُهَّدِي فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ فِي ٱلْفَارِسِيِّ ٱلْمُسَرَّدِ فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَىٰ غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدِي فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَىٰ غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدِي أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ ٱللِّوَىٰ فَلَمْ يَسْتَبِينُوا ٱلرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى ٱلْغَدِ وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِساً فَقُلْت أَعَبْدُ ٱللهِ ذَلِكُمُ ٱلرَّدِي فَعَالَوا فَقَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِساً فَقُلْت أَعَبْدُ ٱللهِ ذَلِكُمُ ٱلرَّدِي فَارِساً فَقُلْتُ أَعَبْدُ ٱللهِ ذَلِكُمُ ٱلرَّدِي فَعَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِساً فَقُلْتُ أَعَبْدُ ٱللهِ ذَلِكُمُ ٱلرَّدِي فَعَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِساً فَقُلْ الصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدِّدِ فَعَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخُوسُةُ كَوَقُع ٱلصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدَّدِ فَعَالُوا أَرْدِي وَٱلرِّمَاحُ تَنُوشُهُ كَوَقُع ٱلصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدَّدِ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٥/٢) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٦/٢ _ ١٥٩) .

إِلَىٰ جَلَدٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّدِ وَحَتَّىٰ عَلَانِي حَالِكُ ٱللَّوْنِ أَسْوَدِي وَحَتَّىٰ عَلَانِي حَالِكُ ٱللَّوْنِ أَسْوَدِي وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ فَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ فَيَعْلَمُ ٱلْيَدِ فَيَا كَانَ وَقَافاً وَلَا طَائِشَ ٱلْيَدِ بَعِيدٌ مِنَ ٱلْآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ مِنَ ٱلْآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ مِنَ ٱلْآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ مِنَ ٱلْآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ مِنَ ٱلْمُقَدَّدِ فِي ٱلْقَمِيصِ ٱلْمُقَدَّدِ عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي ٱلْقَمِيصِ ٱلْمُقَدَّدِ عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي ٱلْقَمِيصِ ٱلْمُقَدَّدِ سَمَاحاً وَإِتْلَافاً لِمَا كَانَ فِي ٱلْيَدِ فَي ٱلْهَا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ٱبْعَدِ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلُ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلُ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

وَكُنْتُ كَذَاتِ ٱلْبَوِّ رِيعَتْ فَأَقْبَلَتْ فَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّىٰ تَنَفَّسَتِ فَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّىٰ تَنَفَّسِهِ قِبَالَ ٱمْرِئِ آسَىٰ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللهِ خَلَّىٰ مَكَانَهُ كَمِيشُ ٱلْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ قَلِيلُ ٱلتَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ تَرَاهُ خَمِيصَ ٱلْبَطْنِ وَٱلزَّادُ حَاضِرٌ تَرَاهُ خَمِيصَ ٱلْبَطْنِ وَٱلزَّادُ حَاضِرٌ وَإِنْ مَسَهُ ٱلْإِقْوَاءُ وَٱلْجَهْدُ زَادَهُ وَلِنْ مَسَهُ ٱلْإِقْوَاءُ وَٱلْجَهْدُ زَادَهُ صَبَا مَا صَبَا حَتَّىٰ عَلَا ٱلشَّيْبُ رَأْسَهُ وَطَيَّبَ نَفْسِى أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ وَطَيَّبَ نَفْسِى أَنْنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ وَطَيَّبَ نَفْسِى أَنْنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ وَطَيَّبَ نَفْسِى أَنْنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ وَطَيَّتِ نَفْسِى أَنْنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ وَطَيَّبَ نَفْسِى أَنْنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ وَطَيَّبَ نَفْسِى أَنْنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ وَطَيَّبَ نَفْسِى أَنْنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ

قولُهُ: (مُدجَّجٍ) على صيغةِ اسمِ الفاعلِ أو اسمِ المفعولِ: تامُّ السلاحِ، وذاتُ البوِّ: هي الناقةُ يموتُ ولدُها، فيُحشىٰ جلدُهُ علىٰ صورةِ ولدِها لترأمَهُ ؛ أي: تَشمَّهُ وتعطفَ عليهِ ؛ تخيُّلاً أنَّهُ ابنُها، فتدرُ لتحلبَ، ومَسْكُ الحيوانِ: إي ذَلهُ ، بفتحٍ فسكونٍ ، والسَّقبُ : ولدُ الناقةِ الصغيرُ ، والصَّياصي : جمعُ صِيصاةٍ بكسرِ فسكونٍ ؛ شوكةٌ للحائكِ يسوي بهِ اللحمةَ والسُّدَىٰ مِنْ منسوجِهِ ، وقالَ بكسرِ فسكونٍ ؛ شوكةٌ للحائكِ يسوي بهِ اللحمة والسُّدَىٰ مِنْ منسوجِهِ ، وقالَ تأبَّطَ شرّاً كما روى أبو تمام ، ولكنْ قيلَ : إنَّ الشعرَ لخلفِ الأحمرِ ، واستدلُّوا علىٰ ذلكَ بأنَّهُ قد ذُكِرَ فيهِ سَلْعٌ ؛ وهوَ بالمدينةِ ، وتأبَّطَ شرّاً كانَ في بلادٍ بعيدةٍ علىٰ ذلكَ بأنَّهُ قد ذُكِرَ فيهِ سَلْعٌ ؛ وهوَ بالمدينةِ ، وتأبَّطَ شرّاً كانَ في بلادٍ بعيدةٍ عنها ، وبها انتهتْ حياتُهُ ، وكيفَما كانَ فالشعرُ جيدٌ (١) :

إِنَّ بِٱلشِّعْبِ ٱلَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلُّ

⁽۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦١/٢ _ ١٦٤) .

أَنَا بِٱلْعِبْءِ لَهُ مُسْتَقِلُ مَصِعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ رَقَ أَفْعِى يَنْفِثُ ٱلسُّمَّ صِلُّ جَلَّ حَتَّىٰ دَقَّ فِيهِ ٱلْأَجَلُّ بِاًبِيِّ جَارُهُ مَا يُلِذُلُّ ذَكَتِ ٱلشِّعْرَىٰ فَبَرْدٌ وَظِلُّ وَنَدِي ٱلْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ حَلَّ حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْثٌ أَبَلُ وَإِذَا يَــغْــزُو فَــسِــمْــعٌ أَزَلُّ وَكِلَا ٱلطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ حَبُهُ إِلَّا ٱلْيَمَانِيُّ ٱلْأَفَلُّ لَيْلَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا ٱنْجَابَ حَلُّوا كَسَنَا ٱلْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ يَنْجُ مِلْحَيَّيْن إِلَّا ٱلْأَقَلُّ هَوَّمُ وا رُعْتُهُمْ فَٱشْمَعَلُّوا لَــِمَـا كَـانَ هُــذَيْـلاً يَــفُـلُّ جَعْجَع يَنْقَبُ فِيهِ ٱلْأَظَلُّ

خَلِّفَ ٱلْعِبْءَ عَلَى وَوَلَّىٰ وَوَرَاءَ ٱلشَّارُ مِنِّي ٱبْنُ أُخْتٍ مُطْرِقٌ يَـرْشَحُ سَمّاً كَمَا أَطْ خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَئِلٌ بَـزَّنِـى ٱلـدَّهْـرُ وَكَـانَ غَـشُـومـاً شَامِسٌ فِي ٱلْقُرّ حَتَّىٰ إِذَا مَا يَابِسُ ٱلْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْس ظَاعِنٌ بِٱلْحَزْمِ حَتَّىٰ إِذَا مَا غَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي مُسْبِلٌ فِي ٱلْحَيِّ أَحْوَىٰ رِفَلُّ وَلَـهُ طَعْمَانِ أَرْيٌ وَشَرِيٌ يَرْكَبُ ٱلْهَوْلَ وَحِيداً وَلَا يَصْ وَفُتُ لِهُ مَ جَدُوا ثُلَمَ أَسْرَوْا كُـلُّ مَـاض قَـدْ تَـرَدَّىٰ بِـمَـاضِ فَادَّرَكْنَا ٱلثَّأْرَ مِنْهُمْ وَلَمَّا فَٱحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْم فَلَمَّا فَلَئِنْ فَلَّتْ هُذَيْلٌ شَبَاهُ وَبِمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنَاخ

وَيِمَا صَبَّحَهَا فِي ذَرَاهَا صَلِيَتْ مِنِي هُذَيْلٌ بِخِرْقٍ صَلِيَتْ مِنِي هُذَيْلٌ بِخِرْقٍ يُنْهِ السَّعْدَةَ حَتَّىٰ إِذَا مَا يُنْهِلُ ٱلصَّعْدَةَ حَتَّىٰ إِذَا مَا حَلَّتِ ٱلْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَاماً فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍ وَفَاسَتْ خَرَاماً تَضْحَكُ ٱلضَّبْعُ لِقَتْلَىٰ هُذَيْلٍ تَضْحَكُ ٱلضَّبْعُ لِقَتْلَىٰ هُذَيْلٍ وَعِتَاقُ ٱلطَّيْرِ تَغْدُو بِطَاناً

مِنْهُ بَعْدَ ٱلْقَتْلِ نَهْ بُ وَشَلُّ لَا يَمَلُّ ٱلشَّرَّ حَتَّىٰ يَمَلُّ وَاللَّ لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّىٰ يَمَلُّ وَا نَهِ لَتُ عَلُّ نَهِ لَتُ كَانَ لَهَا مِنْهُ عَلُّ وَبِلِمْي مَا أَلَحَمَّتُ تَحِلُّ وَبِلِمْي مَا أَلَحَمَّتُ تَحِلُّ إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ وَتَرَى ٱلذِّنْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ وَتَرَى ٱلذَّنْ مَا تَسْتَقِلُ اللَّهُا يَسْتَهِلُّ

طُلُّ دمُ القتيلِ: أُهدِرَ ولم يُؤخَذْ بثأرِهِ ، والمصْعُ: الشديدُ القتالِ ، والمصمئلُّ: الشديدُ ، وقولُهُ: (بَزَّنِي الدهرُ بأبي) بزَّ: معناهُ: سلبَ ، والمصمئلُّ: الشديدُ ، وقولُهُ: (بَزَّنِي كذا ، ولكنْ في (بزَّ) هنا معنىٰ (فجعَ) ، فالباءُ لأجلِهِ ، وهوَ التضمينُ ، وليثُ أبلُّ ؛ أي : ماضٍ علىٰ وجهِهِ ، لا يبالي ما لقيَ ، ورفَلُّ - بكسرِ ففتحٍ - أي : طويلُ الشعرِ أو الذنبِ ، الأَرْيُ والشَّرْيُ : العسلُ وشجرٌ مرٌ ، مناخٌ جعجعٌ ؛ أي : غليظٌ وعرٌ ، والأظلُّ : باطنُ الخفِّ ، وينقب : يصيبُهُ النقبُ ؛ أي : يتخدَّشُ .

وقالَ الحارثُ بنُ زيدِ الخيلِ (١): أَلَا بَكَرَ ٱلنَّاعِي بِأَوْسِ بْنِ خَالِدٍ فَإِنْ يَقْتُلُوا بِٱلْغَدْرِ أَوْساً فَإِنَّنِي فَلَا تَجْزَعِي يَا أُمَّ أَوْسٍ فَإِنَّهُ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ ٱلْقَوْم عُصْبَةً

[من الطويل]

أَخِي الشَّتْوَةِ الْغَبْرَاءِ وَالزَّمَنِ الْمَحْلِ
تَرَكْتُ أَبَا سُفْيَانَ مُلْتَزِمَ الرَّحْلِ
تُصِيبُ الْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلِ
كَرَاماً وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ النَّخْلِ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٦/٢ _ ١٦٧) .

وَلَوْلَا ٱلْأَسَىٰ مَا عِشْتُ فِي ٱلنَّاسِ سَاعَةً وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاوَبَنِي مِثْلِي

قالَ أبو رياشِ: كانَ سببُ هاذهِ الأبياتِ: أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ بعثَ رجلاً يكنى أبا سفيانَ _ ليسَ بالهاشميِّ ولا الأمويِّ _ إلى الباديةِ يستقرئُهُم ، فمَنْ لم يقرأ شيئاً . ضربَهُ ، فانتهى إلى بني نبهانَ ، فاستقرأَ أوسَ بنَ خالدِ بنِ عمرو ابنَ عم لزيدِ الخيلِ ، فلم يقرأ شيئاً ، فضربَهُ ، فماتَ مِنْ ضربِهِ ، فقامَتْ أُمُّ أُوسٍ تندبُهُ ، فأقبلَ حريثُ بنُ زيدِ الخيلِ حتىٰ دخلَ علىٰ أبي سفيانَ فقتلَهُ وأصحابَهُ ، وقالَ هاذهِ الأبياتَ .

وقالَتْ قُتيلةُ ـ سُمِّيَت بمُصغَّرِ قَتْلةٍ ـ بنتُ النضرِ بنِ الحارثِ بنِ كلدة بنِ علقمة بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ ، وكانَ النضرُ مِنْ أَشدِّ أَهلِ مكَّةَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فكانَ يشتري كتبَ القصصِ بينَ فارسَ والرومِ ويقولُ : إن كانَ محمدٌ يقصُّ على الناسِ أخبارَ عادٍ وثمودَ . . فأنا أقصُّ عليكُم أخبارَ فارسَ والرومِ ، يريدُ بهنذا معارضةَ القرآنِ ، وإبطالَ الرسالةِ ، وفيهِ نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشَتَرِى لَهُوَ ٱلْحَدِيثِ . . . ﴾ الآية (١٠) .

فلمَّا أُسِرَ ببدر . . أمرَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بقتلِهِ صبراً ، والقتلُ صبراً : أن يُحبَسَ مكتوفاً ويُرمىٰ حتىٰ يموتَ ، ولمَّا أنشدَتْ قتيلةُ الأبياتَ ، وبلغَتِ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . . رَقَّ لها وقالَ : « لَوْ بَلَغَتْنِي قَبْلَ قَتْلِهِ . . لَعَفَوْتُ عَنْهُ » ، وقالَ : « لَا تُقْتَلُ قُرَيْشٌ صَبْراً بَعْدَ هَلذَا ٱلْيَوْم » (١) : [من الكامل]

مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا ٱلرَّكَائِبُ تَخْفِقُ جَادَتْ لِمَائِحِهَا وَأُخْرَىٰ تَخْنُقُ

يَا رَاكِباً إِنَّ ٱلْأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ بَلِّغْ بِهِ مَيْتاً فَإِنَّ تَحِيَّةً مِنِّى إِلَيْهِ وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً

⁽١) سورة لقمان : (٦).

⁽٢) انظر « الروض الأنف » (٢٦٨/٥) ، و« شرح ديوان الحماسة » (١٣/٣ _ ١٥) .

فَلَيَسْمَعَنَّ ٱلنَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ أَوْ يَنْطِقُ ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ لِللهِ أَرْحَامٌ هُلَنَاكَ تُلَسَقَّتُ أَمُحَمَّدٌ وَلاَّنْتَ ضَنْءُ نَجِيبَةٍ مِنْ قَوْمِهَا وَٱلْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنْ ٱلْفَتَىٰ وَهُو ٱلْمَغِيظُ ٱلْمُحْنَقُ وَٱلنَّصْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبْتَ وَسِيلَةً وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقُ يُعْتَقُ

الضَّنْءُ بفتحِ أُوَّلِهِ: الفرعُ ، وبكسرِهِ: الأصلُ ، وقولُها: (وأحقُّهُم إن كانَ عتقٌ يُعتَقُ) أي: بأن يُعتَقَ ، حُذِفَ الخافضُ وأن ، فارتفعَ الفعلُ ، وكانَ تامَّةٌ .

وقالَ ابنُ عنمةَ الضَّبيُّ في مقتلِ بِسطامَ بنِ قيسٍ ، قتلَهُ عاصمُ بنُ خليفةَ ، وكانَ ابنُ عنمةَ مجاوراً في بني شيبانَ ، فخافَ على نفسِهِ لمَّا قُتِلَ بسطامُ ، فرثاهُ يستميلُ بذلكَ بني شيبانَ ، وهوَ مِنْ بني السيدِ بنِ مالكِ بنِ بكرِ بنِ سعدِ بن ضبةَ (۱):

لِأُمِّ ٱلْأَرْضِ وَيْ لِ مَا أَجَنَّتُ بِحَيْثُ أَضَرَّ بِٱلْحَسَنِ ٱلسَّبِيلُ لِخُوسِلُ لِأَمْ ٱلْأَرْضِ وَيْ لِ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا ٱلصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ ٱلْأَصِيلُ لَيَ سَرَاهُ وَلَىنْ تَرَاهُ تَحُبُّ بِهِ عُلَافِرَةٌ ذَمُ ولُ أَجِلَةً وَلَا يُرَفُ هَا مُربَّبَةٌ دَوُولُ حَقِيبَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرْجٌ تُعَارِضُ هَا مُربَّبَةٌ دَوُولُ إِلَىٰ مِيعَادِ أَرْعَنَ مُكْفَهِرٍ تُضَمَّرُ فِي جَوانِبِهِ ٱلْخُيُولُ لِلَىٰ مِيعَادِ أَرْعَنَ مُكْفَهِرٍ تُضَمَّرُ فِي جَوانِبِهِ ٱلْخُيُولُ لَكَ ٱلْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَٱلصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَٱلنَّشِيطَةُ وَٱلْفُضُولُ لَكَ ٱلْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَٱلصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَٱلنَّشِيطَةُ وَٱلْفُضُولُ أَفَاتَتُهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرِو وَلَا يُوفِي بِبِسْطَام قَتِيلُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٥/٣ ـ ٣٧) .

وَخَرَّ عَلَى ٱلْأَلَاءَةِ لَمْ يُوسَّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

الحسنُ في الأبياتِ: اسمُ جبلٍ ، وأمامَهُ هضبةٌ يُقالُ لها: حسينٌ ، ويقولونَ: الحسنانِ في التثنيةِ ، وحقيبةُ الرحلِ: وعاءٌ خلفَ الراكبِ كالخرجِ ، والبدنُ: الدرعُ القصيرةُ ، والمرببةُ الدؤولُ ؛ أي : المتقاربةُ العدْوِ ؛ عبارةٌ عنِ الفرسِ ؛ فإنَّهُم كانوا يركبونَ الإبلَ في سفرِهِم للغزوِ ، ويُجنِّبونَ الخيلَ ليركبوها في الحربِ ، والمرباعُ : الرُّبُعُ ؛ كالمِعشارِ العشرُ ، ولا يُستعمَلُ غيرُهُما ، كانَ رئيسُ الجيشِ يأخذُ رُبُعَ الغنيمةِ ، ثمَّ يقسمُ ، والصَّفايا : جمعُ صفيةٍ ، كانَ للرئيسِ أن يصطفيَ ما شاءَ ؛ كسيفٍ أو فرسٍ ، وكانَ مِنْ عادتِهِم عندَ افتتاحِ الحربِ أن يبادرَ فارسٌ فارساً ، فإذا قتلَهُ . . فالحكمُ في سَلبِهِ للرئيسِ ؛ إمَّا أن يُردَّهُ للمغنمِ ، والنشيطةُ : ما يصيبونَهُ قبلَ الوصولِ إلى المَقصِدِ ، وهيَ للرئيسِ ، والفضولُ : أشياءُ كانَتْ تبقىٰ بعدَ القسمةِ فيأخذُها ، وكانَ لهُمُ النقسمةِ بعمَ الناسَ .

بقيَ مِنْ ذَلْكَ في الإسلامِ الصَّفايا ؛ فقدِ استصفى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يومَ بدرِ ذا الفقارِ سيفَ منبهِ بنِ الحجَّاجِ ، وجويريةَ بنتَ الحارثِ في المصطلقِ ، وجعلَ صداقَها عتقَها ، وصفيةَ بنتَ حييٍّ مِنْ خيبرَ كذَلكَ ، وأُبدِلَ الرُّبُعُ بالخُمُسِ ؛ للمذكورينَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱعۡلَمُوۤا أَنَّمَا غَنِمْتُم . . . ﴾ الآيةَ (۱) ، وبطلَ الباقي .

وقالَ الغَطَمَّشُ (٢):

[من الطويل]

أَبُوهُ ٱلَّذِي يُدْعَىٰ إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ فَيُغْلِبَهَا فَحْلٌ عَلَى ٱلنَّسْل مُنْجِبُ

أَلَا رُبَّ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنَّنِي عَلَى رَشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لِغَيَّةٍ

⁽١) سورة الأنفال : (٤١) .

⁽۲) انظر «شرح ديوان الحماسة » (۳/۳ ـ ٤١).

فَبِٱلْخَيْرِ لَا بِٱلشَّرِّ فَٱرْجُ مَوَدَّتِي أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ لِعَيْنِيَ عَبْرَةٌ أَخِلَّيَ لَوْ غَيْرَ ٱلْحِمَامِ أَصَابَكُمْ

وَأَيُّ ٱمْرِئَ يُقْتَالُ مِنْهُ ٱلتَّرَهُّبُ أَرَى ٱلْأَرْضَ تَبْقَىٰ وَٱلْأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ عَتَبْتُ وَلَاكِنْ مَا عَلَى ٱلدَّهْرِ مَعْتَبُ

قولُهُ: (أَيُّ امرى مُعَ يُقتالُ ؟!) هو افتعالٌ مِنَ القولِ ؛ أي : وأيُّ امرى عظهرُ منهُ الترهُّبُ ـ القولُ بالمودةِ _ ذلكَ الضعيفُ المقهورُ دونَ القويِّ ؛ فإنَّهُ لا يظهرُ المودةَ إلَّا وهيَ حقٌ ، فلا يَتملَّقُ ، فالاستفهامُ إنكاريٌّ ؛ أي : لا أحدَ يُقتالُ منهُ الترهُّبُ ، جعلَ مَنْ يُقتالُ منهُ لا شيءَ .

وقالَتْ زينبُ بنتُ الطَّثَريةِ ترثي أخاها يزيدَ ، وهوَ شاعرٌ ، ومِنْ كلامِهِ في الغزلِ (١٠):

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهِبْتُهُ [قالَتْ](۱):

عَلَىٰ كَبِدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ [من الطويل]

مُقِيماً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهْ وَلَا رَهِلُ لَبَّاتُهُ وَبَادِلُهُ عَلَى ٱلْحَيِّ حَتَّىٰ تَسْتَقِلَ مَرَاجِلُهْ وَأَبْيَضَ هِنْدِيّاً طَوِيلاً حَمَائِلُهْ وَيَبْلُغُ أَقْصَىٰ حُجْرَةِ ٱلْحَيِّ نَائِلُهُ وَيَبْلُغُ أَقْصَىٰ حُجْرَةِ ٱلْحَيِّ نَائِلُهُ وَإِمَّا تَوَلَّىٰ أَشْعَتُ ٱلرَّأْس جَافِلُهُ أَرَى ٱلْأَثْلَ مِنْ بَطْنِ ٱلْعَقِيقِ مُجَاوِرِي فَتَى قُدَّ قَدَّ ٱلسَّيْفِ لَا مُتَضَائِلٌ إِذَا نَزَلَ ٱلْأَضْيَافُ كَانَ عَذَوَّراً مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وَقَدْ كَانَ يُرْوِي ٱلْمَشْرِفِيَّ بِكَفِّهِ كَرِيمٌ إِذَا لَاقَيْتَهُ مُتَبَسِّماً

⁽١) انظر « وفيات الأعيان » (٣٦٩/٦) .

⁽۲) انظر « شرح ديوان الحماسة » (7/73 - 81).

إِذَا ٱلْقَوْمُ أَمُّوا بَيْتَهُ فَهُوَ عَامِدٌ لِأَحْسَنِ مَا ظَنُّوا بِهِ فَهُوَ فَاعِلُهْ تَرَىٰ جَازِرَيْهِ يُرْعِدَانِ وَنَارُهُ عَلَيْهَا عَدَامِيلُ ٱلْهَشِيمِ وَصَامِلُهْ يَحُرَّانِ ثِنْياً خَيْرُهَا عَظْمُ جَارِهِ بَصِيراً بِهَا لَمْ تَعْدُ عَنْهَا مَشَاغِلُهُ

البآدلُ: جمعُ بأدلةٍ بتثليثِ أوّلِهِ ؛ وهوَ اللحمُ حوالَ الثديِ ، وقولُها: (وإمّا تَولّى) أي: أعرضَ غضباً ، في مقابلةٍ حالِ الرضا المدلولِ عليها بالتبسّمِ ، وأشعثُ الرأسِ جافلُهُ: صفةُ الغضبانِ المتهيّئ للحربِ ، وجافلُهُ: تأكيدٌ لأشعثَ ، والعذوّرُ: السّيئُ الخلقِ ، وأرادَتْ أنّهُ سريعٌ في تهيئةِ القِرىٰ ، وأرتعادُ الجازرَينِ إمّا مِنْ خوفِهِ ، أو مِنَ البردِ في وقتِ الشِّدّةِ والاحتياجِ ، والعداميلُ: جمعُ عدمولٍ ؛ القديمُ ، والصّاملُ: اليابسُ ؛ أي: هوَ مُعَدُّ دائماً لنارِ القِرىٰ ، وقولُها: (خيرُها عَظُمُ جارِهِ) أرادَتْ أنَّ خيرَ ما فيها هوَ العظمُ بلحمِهِ الذي يُهدىٰ للجارِ ؛ كالذِّراعِ مثلاً ، وقولُها: (بصيراً) أي: يذبحُها عامداً لا غلطاً فهوَ يَتخيّرُ للقرىٰ .

انتهى المنقولُ مِنْ باب الرثاءِ .

[نبذةٌ من أشعارِ الأدبِ والفضائلِ من « ديوانِ الحماسةِ »] وهانهِ جملةٌ مِنْ بابِ الأدبِ ؛ وهيَ أشعارٌ تُنبِّهُ على الفضائلِ الإنسانيَّةِ ؛ مثل كتمانِ السرّ ، والمحافظةِ على حقوقِ الصَّداقةِ .

قالَ مسكينٌ الدارميُّ (١):

عَلَىٰ سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِمَاعُهَا

[من الطويل]

وَفِتْيَانِ صِدْقِ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ لِكُلِّ ٱمْرِئَ شِعْبٌ مِنَ ٱلْقَلْبِ فَارِغٌ

وَمَوْضِعُ نَجْوَىٰ لَا يُرَامُ ٱطِّلَاعُهَا

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » (70/7) .

إِلَىٰ صَخْرَةٍ أَعْيَا ٱلرِّجَالَ ٱنْصِدَاعُهَا

فَبِٱلْحِلْمِ سُدْ لَا بِٱلتَّسَرُّعِ وَٱلشَّتْمِ مِنَ ٱلْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

وقالَ شبيبُ بنُ البرصاءِ المريُّ _ يُقالُ : إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ خطبَ البرصاءَ هاذهِ مِنْ أبيها ، فقالَ : لا أرضاها لكَ يا رسولَ اللهِ ؛ فإنَّ بها برصاً ، وليسَ بها برصٌ ، فعادَ فوجدَها قد برصَتْ (٢) _ : [من الطويل]

ثَرَاهَا مِنَ ٱلْمَوْلَىٰ فَلَا أَسْتَثِيرُهَا يَهِيجُ كَبِيرَاتِ ٱلْأُمُورِ صَغِيرُهَا عَلَىٰ رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا وَتُقْبِلُ أَشْبَاهاً عَلَيْكَ صُدُورُهَا سِوَىٰ مَا ٱبْتَنَيْنَا مَا يَعُدُّ فَخُورُهَا يُبَيِّنُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا يُبَيِّنُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا

وَإِنِّي لَتَرَّاكُ ٱلضَّغِينَةِ قَدْ بَدَا مَخَافَةَ أَنْ تَجْنِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةٍ تَبَيَّنُ أَعْقَابُ ٱلْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ إِذَا ٱفْتَخَرَتْ سَعْدُ بْنُ ذُبْيَانَ لَمْ تَجِدْ أَلَامُ تَرَ أَنَّا نُورُ قَوْمٍ وَإِنَّمَا

يَظَلُّونَ شَتَّىٰ فِي ٱلْبلَادِ وَسِرُّهُمْ

وقالَ المرارُ بنُ سعيدٍ (١):

إِذَا شِئْتَ يَوْماً أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً

وَلَلْحِلْمُ خَيْرٌ فَأَعْلَمَنَّ مَغَبَّةً

مِنَ الأَدبِ : الحزمُ ، ومِنَ الحزمِ : الإغضاءُ عنِ الصغيرِ إذا كانَ يهيجُ كبيراً . وقالَ معنُ بنُ أوسٍ (٣) :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَىٰ أَيِّنَا تَعْدُو ٱلْمَنِيَّةُ أَوَّلُ وَلِي مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَىٰ أَيْنَا تَعْدُو ٱلْمَنِيَّةُ أَوَّلُ وَإِنِّي أَخُوكَ ٱلدَّائِمُ ٱلْعَهْدِ لَمْ أَخُنْ إِنَ ٱبْزَاكَ خَصْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنْزِلُ وَإِنِّي أَخُونُ لَا يَا بِكَ مَنْزِلُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٦/٣) .

⁽٢) انظر « شرح الزرقاني على المواهب » (٤٥٣/٤) ، و« شرح ديوان الحماسة » (VV/V = VV) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ($V\Lambda/\Psi$) .

وَأَحْبِسُ مَالِي إِنْ عَزَمْتَ فَأَعْقِلُ لِيُعْقِبَ يَوْماً مِنْكَ آخَرُ مُقْبلُ وَسُخْطِي وَمَا فِي ريبَتِي مَا تَعَجَّلُ قَدِيماً لَذُو صَفْح عَلَىٰ ذَاكَ مُجْمِلُ يَمِينَكَ فَٱنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ وَفِي ٱلْأَرْضِ عَنْ دَارِ ٱلْقِلَىٰ مُتَحَوَّلُ عَلَىٰ طَرَفِ ٱلْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ ٱلسَّيْفِ مَزْحَلُ وَبَدَّلَ سُوءاً بِٱلَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ عَلَىٰ ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرَ ٱلدَّهْرِ تُقْبِلُ

أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ وَإِنْ سُؤْتَنِي يَوْماً صَفَحْتُ إِلَىٰ غَدٍ كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَإِنِّي عَلَىٰ أَشْيَاءَ مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَإِنِّي عَلَىٰ أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبُنِي سَتَقْطَعُ فِي ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي وَفِي ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي وَفِي ٱلنَّاسِ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَاصِلٌ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكُ وَجَدْتَهُ وَيَرْكَبُ حَدَّ ٱلسَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي وَكُنْتُ لِهُ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ فَلَمْ [أَدُمْ] إِذَا أَنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ ٱلشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِذَا ٱنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ ٱلشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِذَا ٱنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ ٱلشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ

قولُهُ: (إِنَ ٱبزاكَ) أي: قهرَكَ ، أُلقِيَتْ حركةُ الهمزةِ على النونِ ، ومزحلُ : مِنْ زحلَ بمعنىٰ تأخَّرَ وبَعُدَ ، وقولُهُ: (وما في ريبتي ما تعجلُ) أي: ليسَ في إساءتي شفاءُ دائِكَ الذي تَتعجَّلُهُ ، أخرجَهُ بعدَ التظنُّنِ إلى التحقيقِ .

وقالَ عمرُو بنُ قميئةً (١):

يَا لَهْ فَ نَفْسِي عَلَى ٱلشَّبَابِ وَلَمْ إِذْ أَسْحَبُ ٱلرَّيْطَ وَٱلْمُرُوطَ إِلَىٰ لِذْ أَسْحَبُ ٱلرَّيْطَ وَٱلْمُرُوطَ إِلَىٰ لَا تُغْبِطِ ٱلْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ

[من المنسرح]

أَفْقِدْ بِهِ إِذْ فَقَدْتُهُ أَمَمَا أَدْنَى تِجَارِي وَأَنْفُضُ ٱللِّمَمَا أَدْنَى تِجَارِي وَأَنْفُضُ ٱللِّمَمَا أَمْسَى فُلَانٌ لِسِنِّهِ حَكَمَا

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨١/٣) .

إِنْ سَرَّهُ طُولُ عُمْرِهِ فَلَقَدْ أَضْحَىٰ عَلَى ٱلْوَجْهِ طُولُ مَا سَلِمَا

المرادُ بالتجارِ: باعةُ الخمرِ، وقولُهُ: (لا تُغْبِطِ المرءَ) معناهُ: لا تعدَّ كونَ الإنسانِ يصيرُ لكبرِهِ واستحكامِ رأيهِ رئيساً يُتحاكَمُ إليهِ مِنْ جليلِ النعمِ بعدَ نعمةِ الشبابِ، والأدبُ في هذهِ الأبياتِ: أنَّهُ أشارَ إلىٰ أنَّهُ ينبغي أن يكونَ الشبابُ _ وإن لها فيهِ الإنسانُ ما لها _ بالتعقُّلِ وضبطِ ما يمرُّ مِنَ يكونَ الشبابُ _ وإن لها فيهِ الإنسانُ مِنْ لذاتِهِ شرفَ الرئاسةِ إذا فارقَهُ ؛ كقولِ الأحوالِ ؛ ذريعةً لأن يعتاضَ الإنسانُ مِنْ لذاتِهِ شرفَ الرئاسةِ إذا فارقَهُ ؛ كقولِ الآخر (۱):

إِنَّ ٱلشَّبَابَ ٱلَّذِي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلَذُّ وَلَا لَذَّاتَ لِلشِّيبِ كَأَنَّهُ لَم يعتبرْ مَنْ فَرَّطَ في شبابهِ حتى ساءَتْ آخرتُهُ شيئاً مذكوراً.

وقالَ إياسُ بنُ القائفِ (٢):

تُقِيمُ ٱلرِّجَالُ ٱلْأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ فَأَكْرِمْ أَخَاكَ ٱلدَّهْرَ مَا دُمْتُمَا مَعاً فِأَكْرِمْ أَخَاكَ ٱلدَّهْرَ مَا دُمْتُمَا مَعاً إِذَا زُرْتُ أَرْضاً بَعْدَ طُولِ ٱجْتِنَابِهَا وقالَ ربيعةُ بنُ مقرونِ الضَّبِيُّ (٣):

وقال ربيعة بن مفرون الصبي وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ لِي ضَبَّ ضِغْنٍ وَلَـوْ أَنِّي أَشَاءُ نَـقَـمْتُ مِنْهُ وَلَكِنِّي وَصَلْتُ ٱلْحَبْلَ مِنْهُ وَلَكِنِّي وَصَلْتُ ٱلْحَبْلَ مِنْهُ وَضَمْرَةَ إِنَّ ضَمْرَةَ خَيْرُ جَار

[من الطويل]

وَتَرْمِي ٱلنَّوَىٰ بِٱلْمُقْتِرِينَ ٱلْمَرَامِيَا كَفَىٰ بِٱلْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا فَقَدْتُ صَدِيقِي وَٱلْبِلَادُ كَمَا هِيَا [من الوافر]

بَعِيدٍ قَلْبُهُ حُلْوِ ٱللِّسَانِ بِشَغْبٍ أَوْلِسَانٍ تَيِّحَانِ مُوَاصَلَةً بِحَبْلِ أَبِي بَيَانِ عَلِقْتُ لَهُ بِأَسْبَابٍ مِتَانِ

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (٢٧/٤) .

⁽۲) انظر « شرح ديوان الحماسة » ($\Lambda 1/\pi$) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٢/٣ _ ٨٣) .

هِ جَانُ ٱلْحَيِّ كَٱلذَّهَ بِ ٱلْمُصَفَّى صَبِيحَة دِيمَةٍ يَجْنِيهِ جَانِ هِجَانُ ٱلْحَيِّ : كريمُهُ وخالصُهُ ، والذهبُ المُصفَّى ؛ أي : بخلقتِهِ ، ويكونُ مستوراً بالأغبرةِ ، فإذا دامَ المطرُ على معدنِهِ . . أزالَ الأغبرةَ فانكشفَ ، فتجنيهِ جناتُهُ ، وذكرَ أنَّ أبا بيانٍ وضمرةَ صديقاهُ خالصا الصداقةِ والأدبِ .

في الشعرِ التنبيهُ على أنَّهُ ينبغي أن يَعرِفَ الإنسانُ عدوَّهُ مِنْ صديقِهِ ، ثمَّ يَعرِفَ للصديقِ حقَّهُ ، ويداريَ العدوَّ على احتراسِهِ منهُ ، ومِنْ كلامِ الناسِ : اللبيبُ مَنْ [دارى] (١٠) .

ويُروئ : أنَّ عيينةَ بنَ حصنِ الفزاريَّ دخلَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قبلَ أن يُؤمَرَ بحجابِ النساءِ ، فلمحَ عائشةَ ، فسألَهُ عنها ، فقالَ : «هِيَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ » ، فقالَ عيينةُ : أتنزلُ لي عنها وأنزلُ لكَ عن أجملِ نساءِ العالمِ ؟ فقالَ لهُ النبيُّ : « ذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي ٱلْإِسْلَامِ » ، فلم يزلْ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ مُكرِماً لهُ ، فلمَ يزلْ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ مُكرِماً لهُ ، فلمَّا خرجَ مِنْ عندِهِ . . قالَ النبيُّ : « بِئْسَ ٱلرَّجُلُ وَعَشِيرَتُهُ » ، فقالَ تعائشةُ : أليسَتْ هاذهِ الغِيبةَ ؟ فقالَ : « لا ؛ إنَّهُ ٱلْأَحْمَقُ ٱلْمُطَاعُ فِي فَقالَ تاللهُ وَاللهُ مَا النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ على استعمالِ المداراةِ ، فهي سُنَةٌ ، فينبغي للإنسانِ ألَّا يَتخذَ عليهِ وسَلَّمَ على استعمالِ المداراةِ ، فهي سُنَّةٌ ، فينبغي للإنسانِ ألَّا يَتخذَ عليهً وسَلَّمَ على استعمالِ المداراةِ ، فهي سُنَّةٌ ، فينبغي للإنسانِ ألَّا يَتخذَ

وقولُهُ في الشعرِ: (بشغبِ أو لسانِ تيحانِ) الشغبُ: المصاحبةُ في المجدالِ، والتيحانُ: الذي يَعرِضُ لِمَا لا يعنيهِ، وقولُهُ: (وصلتُ الحبلَ منهُ . . .) إلى آخرِهِ، معناهُ: قرنتُهُ على معرفةِ عداوتِهِ بالصديقِ الذي أنا مُتحقِّقٌ مِنْ صداقتِهِ، فهُما في المعاملةِ سواءٌ.

⁽١) في الأصل: (دار) .

⁽٢) انظر « شرح المواهب » للزرقائي (٢٢/٣) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ همَّامِ السَّلوليُّ (۱) ، وقد سعى بهِ ساع عندَ زيادِ بنِ أبي سفيانَ ، فقالَ : أفعلْ ، فقالَ أجمعُ بينَكُما ، فقالَ : أفعلْ ، فأحضرَ عبدَ اللهِ وقالَ لهُ : هجوتني ، فأنكرَ ، فقالَ : هاذا أخبرَني ، فسكتَ قليلاً ، ثمَّ خاطبَ الرجلَ بقولِهِ :

وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ إِمَّا ٱئْتَمَنْتُكَ خَالِياً فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلاً بِلَا عِلْمِ فَأَنْتَ مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْإِثْمِ

رأيتُ لبعضِ الناسِ اعتراضاً على هاذا التقسيم، فقالَ: إنَّ ٱلخيانة إثمٌ ، فلم تَصِحَّ المقابلةُ !! وليسَ كما رأى ؛ فإنَّ الشاعرَ أرادَ إدارةَ الأمرِ بينَ صدقِ قبيحٍ لِمَا فيهِ مِنَ الخيانةِ ، وبينَ كذبِ ، والكذبُ ولو على سبيلِ الاحتمالِ قبيحٌ ، وعَبَّرَ عنِ الكذبِ بالإثم ؛ فإنَّهُ لا شبهةَ في كونِهِ إثماً ، بخلافِ حالةِ الخيانةِ ؛ فإنَّ فيها شبهةَ الصدقِ ، فهوَ كلامٌ متينٌ صادرٌ عن تعقُلٍ صحيحٍ ، فقولُ المرءِ ما لم يعلمْ وإن وافقَ الواقعَ ، واتفقَ كونُهُ صواباً . . ذميمٌ سبّى .

وقالَ سالمُ بنُ وابصةَ الأسديُّ (٢): أُحِبُّ ٱلْفَتَىٰ يَنْفِي ٱلْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ سَلِيمُ دُوَاعِي ٱلصَّدْرِ لَا بَاسِطاً أَذَى لِإِذَا شِئْتَ أَن تُدْعَىٰ كَرِيماً مُكَرَّماً إِذَا شِئْتَ أَن تُدْعَىٰ كَرِيماً مُكَرَّماً إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ عِنى ٱلنَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ عِنى ٱلنَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ

[من الطويل]

كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقُرَا وَلَا مَانِعاً خَيْراً وَلَا قَائِلاً هُجْرَا أَدِيباً ظَرِيفاً عَاقِلاً مَاجِداً حُرَّا فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِزَلَّتِهِ عُذْرَا فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَادَ ذَاكَ ٱلْغِنَىٰ فَقْرَا

⁽۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (1 ۸٤/۸ . ۸۵) .

⁽۲) انظر « شرح ديوان الحماسة » ($^{\Lambda 0}$ $^{\Lambda 1}$) .

يشبه البيتُ الأخيرُ قولَ المتنبي (١):

وَمَنْ يُنْفِقِ ٱلسَّاعَاتِ فِي جَمْع مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرِ فَٱلَّذِي فَعَلَ ٱلْفَقْرُ

والمعنى : أنَّ مَنِ اشتغلَ بتربيةِ المالِ وتنميتِهِ . . لم يكنْ لهُ وقتُ لاكتسابِ الفضائلِ واغتنام اللذاذاتِ ، فكانَ فقيراً مِنْ ذٰلكَ ، فالمُوفَّقُ يكونُ لهُ مِنَ العيشِ ما لا يحتاجُ معَهُ ، ثمَّ يَصرِفُ الأوقاتَ بعدُ في تتميمِ الإنسانيةِ .

وقالَ عقيلُ بنُ علفةَ المريُّ (١):

وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ

وَكُنْ أَكْيَسَ [ٱلْكَيْسَىٰ] إِذَا كُنْتَ فِيهِمُ

وَأَنْزَلَنِي طُولُ ٱلنَّوَىٰ دَارَ غُرْبَةٍ أُحَامِقُهُ حَتَّىٰ يُقَالُ سَجِيَّةٌ

وقالَ بعضُ الفزاريينَ (١٠):

أَكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لِأُكْرِمَهُ كَذَاكَ أُدِّبْتُ حَتَّىٰ صَارَ مِنْ خُلُقِى

قولُهُ : (أني وجدتُ) هوَ علىٰ أنَّ المفعولَ الأولَ ضميرُ الشأنِ ، والجملةُ هيَ المفعولُ الثاني ، أو هوَ على حذفِ لام الابتداءِ المُعلِّقةِ للفعلِ عنِ العمل ؛ لأنَّهُ متى تَقدَّمَ الفعلُ . . لم يَجُزْ إلغاؤُهُ .

[من الطويل]

[من الطويل]

كَلِبْسَتِهِ يَوْماً أَجَدَّ وَأَخْلَقَا وَإِنْ كُنْتَ فِي ٱلْحَمْقَىٰ فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

يُروىٰ عنِ الشافعيّ رضيَ اللهُ عنهُ مثلُ هلذا ؛ وهوَ قولُهُ ("): [من الطويل] يُصَاحِبُنِي فِيهَا ٱلَّذِي لَا أُشَاكِلُهُ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلِ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهُ [من البسيط]

وَلَا أُلَقِّبُهُ وَٱلسَّوْءَةُ ٱللَّقَبُ أَنِّي وَجَدْتُ مِلَاكُ ٱلشِّيمَةِ ٱلْأَدَبُ

⁽۱) تقدم (۱٦٨/٢) .

⁽Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » (Λ 7/ π) .

⁽٣) انظر « مناقب الشافعي » (٨١/٢) .

⁽٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (۸٧/٣) .

وقالَ رجلٌ مِنْ بني قريع (١):

مَتَىٰ مَا يَرَى ٱلنَّاسُ ٱلْغَنِيَّ وَجَارُهُ وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ وَٱلْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ ٱلْفَتَىٰ إِذَا ٱلْمَرْءُ أَعْيَتْهُ ٱلْمُرُوءَةُ نَاشِئاً وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّم

أَضْحَتْ أُمُورُ ٱلنَّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِماً جَدِيرٌ بِأَلَّا أَسْتَكِينَ وَلَا أَرَىٰ

فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدُ وَلَكِنْ أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وَجُدُودُ فَمَطْلَبُهَا كَهْلاً عَلَيْهِ شَدِيدُ وَصُعْلُوكِ قَوْم مَاتَ وَهُوَ حَمِيدُ وقالَ آخَرُ (٢):

بِمَا يُتَّقَىٰ مِنْهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ إِذَا ٱلْأَمْسِرُ وَلَّىٰ مُلْدِسِراً أَتَسَلَّكُ

[من الطويل]

[من الطويل]

[من الطويل]

أرادَ بالعالم: نفسَهُ ، فهوَ على تقديرِ: يغشينَ منِّي عالماً ، والتبلُّدُ: مأخوذٌ مِنْ بلدةِ الصدرِ لنقرتِهِ وما حولَها ؛ فإنَّ المُتحيِّرَ ربَّما يضربُ بلدةَ صدرهِ ، كما يُقالُ : يقرعُ سنَّهُ ندماً .

وقالَ آخَرُ (*):

وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ عَسَىٰ سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ وَفِي كَثْرَةِ ٱلْأَيْدِي لِذِي ٱلْجَهْل زَاجِرٌ

أأَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ مِنَ ٱلْيَوْم سُؤلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ وَلَلْحِلْمُ أَبْقَىٰ لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدُ

غد : اسم يكون ؟ يعني : عسى أن يكون السائل الذي عليهِ الأوقات الحاضرةُ تكونُ لهُ الأوقاتُ المستقبلةُ ؛ كقولِهِ : [من المتقارب]

وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » ($\Lambda\Lambda/\Psi$) .

 $^{(\}Upsilon)$ انظر « شرح ديوان الحماسة » ($\Lambda\Lambda/\Upsilon$) .

 $^{(\}Upsilon)$ انظر « شرح ديوان الحماسة » ($\Lambda\Lambda/\Upsilon$ _ $\Lambda\Lambda$) .

وعنى بكثرةِ الأيدي كثرةَ الإخوانِ ؛ مِنْ قولِهِم : المرءُ قليلٌ بنفسِهِ ، كثيرٌ بإخوانِهِ ، ففي كثرةِ الإخوانِ العزُّ وامتناعُ الجانبِ ؛ بحيثُ يكونُ ذلكَ زاجراً للجاهلِ ، قاطعاً لطمعِهِ في البطشِ بكثيرِ الإخوانِ ، قَالَ آخَرُ في هاذا المعنى وهوَ أظهرُ (١) :

عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ فَإِنَّهُمْ وَإِنَّ قَلِيلاً أَلْفُ خِلٍّ وَصَاحِبٍ وقالَ آخَرُ (١):

وَإِيَّاكَ وَٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ فَاكَ وَٱلْأَمْرَ ٱللَّمَرُءُ نَفْسَهُ فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ وقالَ العباسُ بنُ مرداسٍ (٣):

تَرَى ٱلرَّجُلَ ٱلنَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَيُعْجِبُكَ ٱلطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَمَا عِظَمُ ٱلرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ فَمَا عِظَمُ ٱلرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ بَغَاثُ ٱلطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخاً ضِعَافُ ٱلطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُوماً لَقَدْ عَظُمَ ٱلْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍ يُصَرِّفُهُ ٱلصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ

عِمَادٌ إِذَا ٱسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورُ وَإِنَّ عَدُواً وَاحِداً لَكَ ثِيرُ

مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَصَادِرُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ ٱلنَّاسِ عَاذِرُ [من الوافر]

وَفِي أَثُوابِ إِ أَسَدُ مَنِي رَا فَيُ خُلِفُ ظَنَّكَ ٱلرَّجُلُ ٱلطَّرِيرُ فَيُ خُلِفُ ظَنَّكَ ٱلرَّجُلُ ٱلطَّرِيرُ وَلَا كِنْ فَخُرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ وَلَا كُنْ فَخُرُهُمْ مَا كَرَمٌ وَخَيْرُ وَلُمُ ٱلصَّفُورُ وَلَا ٱلصَّفُورُ وَلَا ٱلصَّفُورُ فَلَا ٱلصَّفُورُ وَلَا ٱلصَّفُورُ فَلَا الصَّفُورُ فَلَا الصَّفُورُ فَلَا الصَّفُورُ فَلَا الْمَعْمِيرُ فِي الْعَظِمِ ٱلْبَعِيرُ وَلَا الْحَرِيرُ وَيَحْبِسُهُ عَلَى ٱلْخَسْفِ ٱلْجَرِيرُ وَيَحْبِسُهُ عَلَى ٱلْخَسْفِ ٱلْجَرِيرُ وَيَحْبِسُهُ عَلَى ٱلْخَسْفِ ٱلْجَرِيرُ

انظر « مناقب الشافعی » (۸۳/۲) .

⁽Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨٩/٣) .

⁽۳) انظر « شرح ديوان الحماسة » (4 ۸۹/۳) .

وَتَضْرِبُهُ ٱلْوَلِيدَةُ بِٱلْهَرَاوَىٰ فَلَا غِيرٌ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ وَلَا نَكِيرُ فَا فَإِنْ أَكُ فِي شِرَادِكُمُ قَلِيلاً فَإِنِّي فِي خِيبَادِكُمُ كَثِيرُ

مَزُر - مِنْ بابِ كَرُمَ - مَزارةً ، فهوَ مَزِيرٌ ؛ أي : ظريفٌ أو شديدُ القلبِ نافذٌ ؛ وهوَ أنسبُ ، ويُروئ : مريرُ ؛ أي : مُمَرُّ اسمُ مفعولٍ مِنْ أمرَّ الشيءَ ؛ أي : أحكمَ فتلَهُ ، أحكمَ ، فهوَ حكيمٌ بمعنى مُحكمٍ ، وأصلُهُ : مِنْ أمرَّ الحبلَ ؛ أحكمَ فتلَهُ ، فهوَ ذو مِرَّةٍ بكسرِ أوَّلِهِ ؛ أي : قُوَّةٍ .

قالَ منظورُ بنُ سحيم (١):

وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي ٱلْقِرَىٰ أَهْلَ مَنْزِلٍ عَلَىٰ زَادِهِمْ أَبْكِي وَأَبْكِي ٱلْبَوَاكِيَا فَإِمَّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ فَحَسْبِيَ مِنْ ذُو عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَإِمَّا لِئَامٌ فَادَّرَكْتُ حَيَائِيَا وَعِرْضِيَ أَبْقَىٰ مَا ٱدَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِيَ أَطْوِيهِ كَطَيّ رِدَائِيَا وَعِرْضِيَ أَبْقَىٰ مَا ٱدَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِيَ أَطْوِيهِ كَطَيّ رِدَائِيَا

قولُهُ: (على زادِهِم أبكي) هو استهزاءٌ بمَنْ يطعنُ على الناسِ، ويصفُهُم بالبخلِ، ويشتكي منهُمُ الحرمانَ ؛ فإنَّ الناسَ بينَ كريمٍ ولئيمٍ ، فالكريمُ مشكورٌ أو معذورٌ ، واللئيمُ لا يقصدُ في حاجةٍ ، ومَنْ غلطَ فقصدَهُ أو تَعمَّدَ قصدَهُ . . فعلى نفسِهِ يلومُ ؛ حيثُ لم يَتأمَّلْ ، أو وضعَ حاجتَهُ في غيرِ موضعٍ ، فهوَ احتجاجٌ قاطعٌ لعذر الهاجي .

وقالَ آخَرُ (١):

وَأُعْرِضُ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا فَيُ الْعَيْشِ خَيْرٌ فَلَا وَأَبِيكَ مَا فِي ٱلْعَيْشِ خَيْرٌ

[من الوافر]

[من الطويل]

فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي ٱنْطِوَاءُ وَلَا ٱلدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ ٱلْحَيَاءُ

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » (91/9 - 97) .

 $^{(\}Upsilon)$ انظر « شرح ديوان الحماسة » ((Υ)) .

يَعِيشُ ٱلْمَرْءُ مَا ٱسْتَحْيَا بِخَيْرِ وَيَبْقَى ٱلْعُودُ مَا بَقِيَ ٱللِّحَاءُ

قولُهُ : (وأُعِرضُ عن مطاعمَ) هوَ كقولِ عنترةَ (١١) : [من الكامل]

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى ٱلطَّوَىٰ وَأَظَلُّهُ حَتَّىٰ أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ ٱلْمَأْكَل

يُروىٰ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لمَّا أُنشِدَ قصيدةَ هاذا البيتِ . .

أَظْهِرَ استحسانَهُ ، وقالَ : « مَا وُصِفَ لِي أَعْرَابِيٌّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ إِلَّا عَنْتَرَةَ » .

[من الطويل]

وقالَ مالكُ بنُ حريم الهَمْدانيُّ (٢) : وَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ أُنْبِئْتُ وَٱلْأَيَّامُ ذَاتُ تَحَارِبِ بِأَنَّ ثَرَاءَ ٱلْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ٱلْحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمُ يَحُزُّ كَمَا حَزَّ ٱلْقَطِيعُ ٱلْمُحَرَّمُ وَإِنَّ قَلِيلَ ٱلْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ وَيَقْعُدُ وَسُطَ ٱلْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ يَرَىٰ دَرَجَاتِ ٱلْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا

القطيعُ المُحرَّمُ: السَّوطُ الخشنُ الجافي ؛ يعني: أنَّ الفقرَ يُؤثِّرُ في صاحبِهِ تأثيرَ هاذا السَّوطِ فيمَنْ يُضرَبُ بهِ ، وقولُهُ : (يُثني عليهِ الحمدَ) أي: يعطفُهُ.

وقالَ محمدُ بنُ بشير (٣):

مَاذَا يُكَلِّفُكَ ٱلرَّوْحَاتِ وَٱلدُّلَجَا كَمْ مِنْ فَتَىً قَصُرَتْ فِي ٱلرِّزْقِ خُطْوَتُهُ إِنَّ ٱلْأُمُورَ إِذَا ٱنْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا

[من البسيط] ٱلْبَرَّ طَوْراً وَطَوْراً تَرْكَبُ ٱللُّجَجَا أَلْفَيْتَهُ بِسِهَامِ ٱلرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا فَٱلصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ٱرْتَتَجَا

⁽١) انظر « ديوان عنترة العبسي » (ص ٢٤٩) ، و« شرح الشفا » (٢١١/١) للملا على القاري .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٦/٣ _ ٩٧) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٧/٣ _ ٩٨) .

لَا تَيْتَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ الْمَالَةِ مُطَالَبَةٌ الْحُلِقْ بِذِي ٱلصَّبْرِ أَنْ يَحْظَىٰ بِحَاجَتِهِ قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ ٱلْخَطْوِ مَوْضِعَهَا وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْقٌ أَنْتَ شَارِبُهُ وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْقٌ أَنْتَ شَارِبُهُ

إِذَا ٱسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَىٰ فَرَجَا وَمُدْمِنِ ٱلْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا وَمُدْمِنِ ٱلْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا فَمَنْ عَلَا زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا فَمَنْ عَلَا زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا فَرُبَّمَا كَانَ بِٱلتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

ليسَ قولُهُ: (ماذا يُكلِّفُكَ . . .) البيتَ . . تثبيطاً عنِ السعي وإدامةِ الحركةِ في الطَّلبِ ، وإنَّما هوَ نهيٌ عن كثرةِ الإطرابِ بغيرِ تأمُّلِ جادَّةِ الطريقِ التي يغلبُ على الظنِّ إيصالُها للمَقصِدِ كما هوَ مدلولُ جميعِ الشعرِ ، فحقيقةُ معناهُ: أنَّهُ ينبغي للإنسانِ أن يسعىٰ سعياً حسناً مقروناً بالتبصُّرِ والصَّبرِ في تحصيلِ المرغوبِ .

وقالَ محمدٌ الكنديُّ المُلقَّبُ بالمُقنَّع (١):

يُعَاتِبُنِي فِي ٱلدَّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخَلُوا وَضَيَّعُوا وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُعْلَقُ ٱلْبَابُ دُونَهَا وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُعْلَقُ ٱلْبَابُ دُونَهَا وَفِي خَفْنَةٍ مَا يُعْلَقُ ٱلْبَابُ دُونَهَا وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ وَلِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ وَإِنَّ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَإِنَّ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ ضَيَّعُوا طَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ زَجَرُوا طَيْراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي وَإِنْ زَجَرُوا طَيْراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي وَلَا أَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ ٱلْقَدِيمَ عَلَيْهِمُ وَلَا أَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ ٱلْقَدِيمَ عَلَيْهِمُ

[من الطويل]

دُيُونِيَ فِي أَشْيَاءَ تُكْسِبُهُمْ حَمْدَا ثُغُورَ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدَّا مُكَلَّلَةٍ لَحْماً مُدَفَّقَةٍ ثُرْدَا مُكَلَّلَةٍ لَحْماً مُدَفَّقَةٍ ثُرْدَا حَجَاباً لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدَا وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًا وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا وَلَيْسَ رَئِيسُ ٱلْقَوْم مَنْ يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَا وَلَيْسَ رَئِيسُ ٱلْقَوْم مَنْ يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَا وَلَيْسَ رَئِيسُ ٱلْقَوْم مَنْ يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَا

⁽۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (۱۰۰/۳ _ ۱۰۱) .

لَهُمْ جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنىً وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا وَإِنْ قَلَ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا وَإِنَّ مَا لَي غَيْرَهَا تُشْبِهُ ٱلْعَبْدَا

وقالَ رجلٌ مِنَ الفزاريينَ يُذهِبُ حسرتَهُ على قِصَرِهِ ؛ فإنَّهُم يَتمدَّحون بتمامِ الأجسامِ ، كما قالَ الشاعرُ (١):

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ ٱلْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَعِزَّاءَ ٱلرِّجَالِ طِيَالُهَا وَقَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَزَادَهُ مِسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ (١).

[قالَ] (۲):

إِنْ لَا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلاً فَإِنَّنِي وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ ٱلْجُسُومِ وَنُبْلِهَا إِذَا كُنْتُ فِي حُسْنِ ٱلْجُسُومِ وَنُبْلِهَا إِذَا كُنْتُ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ وَلَمْ أَرَ كَٱلْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ وَلَمْ أَرَ كَٱلْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ

وقالَ مضرسُ بنُ ربعيٍ (''): إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا وَمَتَىٰ نَخَفْ يَوْماً فَسَادَ عَشِيرَةٍ وَإِذَا نَمَوْا صُعُداً فَلَيْسَ عَلَيْهِمُ

[من الطويل]

لَهُ بِالْخِصَالِ ٱلصَّالِحَاتِ وَصُولُ إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ ٱلْجُسُومِ عُقُولُ بِعَارِفَةٍ حَتَّىٰ يُقَالَ طَوِيلُ بِعَارِفَةٍ حَتَّىٰ يُقَالَ طَوِيلُ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ فَحُلْقٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ وَكُلُو وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

وَنُقِيمُ سَالِفَةَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْأَصْيَدِ

نُصْلِحْ وَإِنْ نَرَ صَالِحاً لَا نُفْسِدِ

مِنَّا ٱلْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ ٱلْحُسَدِ

⁽١) انظر « الكامل » للمبرد (١٢٢/١) .

⁽٢) سورة البقرة : (٢٤٧) .

⁽⁷⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » ($1 \cdot 1 / 7$) .

⁽٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٢/٣) .

حَتَّىٰ نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ ٱلسَّيِّدِ عَجِل ٱلرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ ٱلْمُسْتَنْجِدِ حَتَّىٰ تَبُوخَ وَحَمْيُنَا لَمْ يَبْرُدِ رُتُعَ ٱلْجَمَائِل فِي ٱلدَّرين ٱلْأَسْوَدِ [من الوافر]

يُهَانُ بِهَا ٱلْفَتَىٰ إِلَّا بَلَاءُ كَدَاءِ ٱلْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ وَيَانُبَى ٱللَّهُ إِلَّا مَا يَـشَاءُ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ وَقَدْ يَنْمِي عَلَى ٱلْجُودِ ٱلثَّرَاءُ وَفَقْرُ ٱلنَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ وَلَا مُـزْر بصَاحِبهِ ٱلسَّخَاءُ وَدَاءُ ٱلنَّوْكِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

وقالَ يزيدُ بنُ الحكم الثقفيُّ يعظُ ابنَهُ بدراً (٢): ربُهَا لِذِي ٱللُّبِّ ٱلْحَكِيمُ مَا خَالِهُ وُدٍّ لَا يَادُومُ

[من مجزوء الكامل]

وَٱلْحَقُّ يَعْرِفُهُ ٱلْكَرِيمُ

وَنُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَىٰ مَا نَابَهُ وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ ٱلصَّبَاحِ بِتَائِبِ فَنَفُلُّ شَوْكَتَهَا وَنَفْثَأُ حَمْيَهَا وَتَحُلُّ فِي دَارِ ٱلْحِفَاظِ بُيُوتُنَا وقالَ قيسُ بنُ الخطيم (١):

وَمَا بَعْضُ ٱلْإِقَامَةِ فِي دِيَار وَبَعْضُ خَلَائِتِ ٱلْأَقْوَامِ دَاءٌ يُريدُ ٱلْمَرْءُ أَنْ يُعْطَىٰ مُنَاهُ وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْم وَلَا يُعْطَى ٱلْحَرِيصُ غِنى لِحِرْصِ غَنِيُّ ٱلنَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ وَلَيْسَ بِنَافِعِ ذَا ٱلْبُخْلِ مَالٌ وَبَعْضُ ٱلدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ

يَا بَدْرُ وَٱلْأَمْ شَالُ يَضْ

دُمْ لِـلْخَـلِـيـل بــؤدِّهِ

وَٱعْرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٤/٣) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٥/٣ _ ١٠٧) .

ماً سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ حمُودُ ٱلْبنايةِ أَوْ ذَمِيمُ بٱلْعِلْم يَنْتَفِعُ ٱلْعَلِيمُ مِمَّا يَهِيجُ لَهُ ٱلْعَظِيمُ خَاهُ وَقَدْ يَلْوِي ٱلْغَريم وَٱلظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ ـدُ أَخاً وَيَقْطَعُكَ ٱلْحَمِيمُ وَيُهَانُ لِلْعَدَمِ ٱلْعَدِيمُ وَيُكْثِرُ ٱلْحَمِتُ ٱلْأَثِيمُ هَاذَا فَأَيُّهُ مَا ٱلْمَضِيحُ ق وَلِـلْـكَـلَالَـةِ مَـا يُـســــمُ نِ وَرَيْبِ لَهَا غَرِضٌ رَجِيهُ هَ مَدُوا كَمَا هَ مَدَ ٱلْهَشِيمُ بُـــؤْسُ يَـــدُومُ وَلَا نَــعــيـــمُ هُ ٱلْعِوْسُ أَوْ مِنْهَا يَئِيمُ حكَـلُـهُ أَم ٱلْـوَلَـدُ ٱلْـيَـتِـيـمُ بُ عَلَىٰ تَلَاتِلِهَا ٱلْعَزُومُ وَلَدَى ٱلْحَقِيقَةِ لَا يَخِيمُ يَسْطِيعُهَا ٱلْمَرِحُ ٱلسَّؤُومُ

وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلضَّيْفَ يَوْ وَٱلنَّاسُ مُبْتَنِيان مَحْد وَٱعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ إنَّ ٱلْأُمُ ورَ دَقِيةً هَا وَٱلتَّبْلُ مِثْلُ ٱلدَّيْنِ نُـقْ وَٱلْبَغْىٰ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ ٱلْبَعِي وَٱلْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنَىٰ قَدْ يُقْتِرُ ٱلْحَولُ ٱلتَّقِيُّ ئـمْـلَـور لـذَاكَ وَيُـــتَـلَـور وَٱلْمَرْءُ يَبْخَلُ فِي ٱلْحُقُو مَا بُخْلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُو وَ رَبِّ يَ ٱلْسَقِّبُ وِنَ أَمَامَاهُ وَتَحَرَّبُ ٱلدُّنْدِيَا فَلَا كُلُّ ٱمْرِئَ سَتَئِيمُ مِنْ مَا عِلْمُ ذِي وَلَدِ أَيَتْ وَٱلْحَرْبُ صَاحِبُهَا ٱلصَّلِي مَـنْ لَا يَـمَـلُّ ضِرَاسَهَا وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلْحَرْبَ لَا

وَٱلْخَيْلُ أَجْوَدُهَا ٱلْمَنَا وقالَ منقذٌ الهلاليُّ (١٠):

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ كُلُّ مَنْهُ كُلُّ مَنْهُ كُلُّ فَحِ مِنَ ٱلْبِلَادِ كَأَتِّي مَا أَرَى ٱلْفَضْلَ وَٱلتَّكَرُّمَ إِلَّا وَبَلَاءٌ حَمْلُ ٱلْأَيَادِي وَأَنْ تَسْ

وقالَ محمدُ بنُ أبي شحاذِ الضّبيُّ (۱):
إذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ ٱلْغِنَىٰ ثُمَّ لَمْ تَجُدْ بِفَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِكْ بِجَنْبِكَ بَعْضَ مَا يَوْذَا ٱلْحِلْمُ لَمْ يَغْلِبْ لَكَ ٱلْجَهْلَ لَمْ تَزَلْ عَ إِذَا ٱلْعَزْمُ لَمْ يَغْلِبْ لَكَ ٱلشَّكَّ لَمْ تَزَلْ عَ إِذَا ٱلْعَزْمُ لَمْ يَغْرِجُ لَكَ ٱلشَّكَّ لَمْ تَزَلْ جَ وَقَلَ غَنَاءً عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ إِذَا ٱلْعَزْمُ لَمْ تَتُرُكُ طَعَاماً تُحِبُّهُ وَلَا أَنْتَ لَمْ تَتُرُكُ طَعَاماً تُحِبُّهُ وَلَا أَنْتَ لَمْ تَتُرُكُ طَعَاماً تُحِبُّهُ وَلَا تَحَجَلَّلُتَ عَاراً لَا يَزَالُ يَشُبُّهُ سِ وَقَالَتْ حُرَقَةُ بِنتُ النعمانِ (۱):

وقالَتْ حُرَقَةُ بِنتُ النعمانِ (۱):
فَأُفِ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا إِذَا أَنْ يَلُومُ أَمْرُنَا إِذَا فَا لَا يَكُومُ نَعِيمُهَا يَ فَا فَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَ يَ فَا لَا يَكُومُ نَعِيمُهَا تَ يَوْلُونُ الْعَيْمَا لَا يَكُومُ نَعِيمُهَا تَ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَلَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَلَا لَا يَكُومُ نَعِيمُهَا تَلَالَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَلَعْمَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَلَا لَا يَعْمَالًا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَلَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا لَا يَعْمَالِهُ لَا يَلُولُومُ لَا لَا يَلُولُ لَا يَعْ لِلْكُومُ لَا لَقَالِهُ لَا يَعْمِلُونَ الْعَلَالُ لَا يَعْمُونَا لَا يَعْمِلُونَ الْعَلَالَ لَا يَلْكُومُ لَا عَلَى لَا يَعْمِلْ لَا يَعْلَى لَا لَا لَا يَلْولُومُ لَا لَا يَعْمَالِ فَا لَا يَعْمِلُوا لَا يَعْلَى لَا لَا يُعْلِقُ لَا لَا يَعْلَا لَا يَعْمُ لَا لَا يَعْلَالِهُ لَا لَا يَعْلَا لَا يَعْلَالُونُ لَا لَا يَعْلَالَا لَا يَعْلَالَا لَا يَعْلَالَا لَا يَعْلَا لَا لَا يَعْلَالَا لَا يُعْلِقُونُ لَا لَا يُعْلَالَا لَا لَا يَعْلَالَا لَا يَعْلَالَا لَا يَعْلَا لَا يَعْلَالُونُ لَا لَا يَعْلَالُونُ لَ

هِبُ عِنْدَ كَبَّتِهَا ٱلْأَزُومُ [من الخفيف]

بَيْنَ حَلٍّ وَبَيْنَ وَشُكِ رَحِيلِ طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِنُحُولِ كَفَّكَ ٱلنَّفْسَ عَنْ طِلَابِ ٱلْفُضُولِ حَفَّكَ ٱلنَّفْسَ عَنْ طِلَابِ ٱلْفُضُولِ حَمَعَ مَنَّا تُؤْتَى بِهِ مِنْ مُنِيلِ

[من الطويل]

بِفَضْلِ ٱلْغِنَىٰ أُلْفِيتَ مَا لَكَ حَامِدُ يَرِيبُ مِنَ ٱلْأَذْنَىٰ رَمَاكَ ٱلْأَبَاعِدُ عَلَيْكَ بُرُوقٌ جَمَّةٌ وَرَوَاعِدُ جَنِيباً كَمَا ٱسْتَتْلَى ٱلْجَنِيبَةَ قَائِدُ إِذَا صَارَ مِيرَاثاً وَوَارَاكَ لَاحِدُ وَلَا مَقْعَداً تُدْعَىٰ إِلَيْهِ ٱلْوَلَائِدُ سِبَابُ ٱلرِّجَالِ نَثْرُهُمْ وَٱلْقَصَائِدُ [من الطويل]

إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

تَـقَـلَّبُ تَـارَاتٍ بـنَـا وَتَـصَـرَّفُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٨/٣) .

⁽٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١٠٨/٣ _ ١٠٩).

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٩/٣ _ ١١٠).

وقالَ الصَّلَتانُ العبديُّ (١):

أَشَابَ ٱلصَّغِيرَ وَأَفْنَى ٱلْكَبِي إِذَا لَيْ لَكَ فِي الْكَبِي إِذَا لَيْ لَكَ فَي الْكَبِي إِذَا لَيْ لَكَ فَي اللَّهِ الْحَاجَاتِ نَا نَرُوحُ وَنَعْ لُو لِحَاجَاتِ نَا تَكُ وَلَحَ اجَاتِ اللَّهُ وَتُ مَعَ ٱلْمَرْءِ حَاجَاتُ هُ إِذَا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَى إِذَا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَى إِذَا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَى اللَّهِ مَا لَا مَنْ قَدْ تَرَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ مَا كَانَ عِنْ لَا لِحَالِ وَسِرُكَ مَا كَانَ عِنْ لَدُ الْمُرَى اللَّهِ مَا كَانَ عِنْ لَدُ الْمُرَى اللَّهُ مَا كَانَ عِنْ لَدُ الْمُرَى اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُولِي الللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللللْمُلْ

رَ كَرُّ ٱلْغَدَاةِ وَمَرُّ ٱلْعَشِيُّ أَتَّى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِيْ وَمَ اللَّهُ فَتِيْ وَمَ اللَّهُ فَتِيْ وَمَا اللَّهُ فَتِيْ وَمَا اللَّهُ فَا اللَّهُ فَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ عَاشَ لَا تَنْقَضِي وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا اللَّهِ يَ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا اللَّهِ يَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ حَاجَةٌ مَا اللَّهِ يَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَمْراً فَنِعْمَ ٱللَّهُ وَعِيْ وَأَوْفَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَمْراً فَنِعْمَ ٱللَّهُ وَعِيْ وَالْعَالَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَمْراً فَنِعْمَ ٱللَّهُ وَعِيْ

فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَّ ٱلنَّجِيُّ

وَسِرُّ ٱلثَّلَاثَةِ غَيْرُ ٱلْخَفِيُّ

[من المتقارب]

انتهى المختارُ مِنْ بابِ الأدبِ ، ويليهِ منتقىٰ بابِ النسيبِ .

[نبذةٌ من أشعار النسيبِ من « ديوانِ الحماسَةِ »]

النّسيبُ: ذكرُ محاسنِ النساءِ ، والإخبارُ عن تَصرُّفِ هواهُنَّ بهِ ، وكأَنْ يَتَعنَّىٰ بما يقولُهُ مِنْ ذلكَ ؛ ولأجلِ ذلكَ ترىٰ صيغةَ المصدرِ الصوتيِّ ، ويُسمَّى النسيبُ غزلاً ، والغزلُ في الأصلِ : ظهورُ الإنسانِ في أحوالِ الغزالِ ؛ مِنَ الملاعبةِ وخفَّةِ الحركةِ .

قالَ الصِّمَّةُ القشيريُّ ؛ وهوَ شاعرٌ غَزِلٌ هَوِيَ بنتَ عمٍّ لهُ يُقالُ لها : ريًّا ، فخطبَها إلى عمِّهِ ، فزَوَّجَهُ إيَّاها على خمسينَ مِنَ الإبلِ ، فجاءَ إلى أبيهِ ، فضالَهُ ذلكَ ، فساقَ عنه تسعاً وأربعينَ وقالَ : عمُّكَ لا يناظرُنا بنقصانِ ناقةٍ ، فساقَها إلى عمِّهِ وذكرَ لهُ ما قالَ أبوهُ ، فأبى أن يقبلَها إلا كُمَّلاً ، فلجَّ أبوهُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١١/٣ _ ١١٢) .

ولجَّ عمُّهُ ، فقالَ : واللهِ ؛ ما رأيتُ ألأمَ منكُما جميعاً ، وإنِّي لألأمُ إن أقمتُ معَكُما ، فرحلَ إلى الشامِ ، فتتبعَتْها نفسهُ ، فقالَ (') _ ومثلُ هاذا الشعرِ مِنْ بينِ النسيبِ يُسمَّى بالغراميّ _ :

مَزَارَكَ مِنْ رَبَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا حَنَنْتَ إِلَىٰ رَيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِي ٱلصَّبَابَةِ أَسْمَعَا فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ ٱلْأَمْرَ طَائِعاً وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا قِفَا وَدِّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِٱلْحِمَىٰ وَمَا أَحْسَنَ ٱلْمُصْطَافَ وَٱلْمُتَرَبَّعَا بِنَفْسِيَ تِلْكَ ٱلْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ ٱلرُّبَا وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ ٱلْحِمَىٰ بِرَوَاجِع عَلَيْكَ وَلَاكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا وَحَالَتْ بَنَاتُ ٱلشَّوْق يَحْنِنَّ نُزَّعَا وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا عَن ٱلْجَهْل بَعْدَ ٱلْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا بَكَتْ عَيْنِيَ ٱلْيُسْرَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا تَلَفَّتُ نَحْوَ ٱلْحَيِّ حَتَّىٰ وَجَدْتُنِي وَجعْتُ مِنَ ٱلْإصْغَاءِ لِيتاً وَأَخْدَعَا عَلَىٰ كَبدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا وَأَذْكُرُ أَيَّامَ ٱلْحِمَىٰ ثُمَّ أَنْتَنِي وقالَ الحسينُ بنُ مطير الأسديُّ (٢): [من الطويل]

عَلَىٰ كَبِدِي جَمْراً بَطِيئاً خُمُودُهَا إِذَا قَدُمَتْ أَيَّامُهَا وَعُهُ ودُهَا عِهَادَ ٱلْهَوَىٰ تُولَىٰ بِشَوْقِ يُعِيدُهَا وَصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَبِيضٍ خُدُودُهَا وَصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَبِيضٍ خُدُودُهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا رَفِيفَ ٱلْخُزَامَىٰ بَاتَ طَلُّ يَجُودُهَا رَفِيفَ ٱلْخُزَامَىٰ بَاتَ طَلُّ يَجُودُهَا

لَقَدْ كُنْتُ جَلْداً قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ ٱلنَّوَىٰ

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي

فَقَدْ جَعَلَتْ فِي حَبَّةِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْحَشَا

بسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحُمْرِ أَكُفُّهَا

مُخَصَّرَةُ ٱلْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا

يُمَنِّينَنَا حَتَّىٰ تَرِفَّ قُلُوبُنَا

⁽۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (۱۱۳/۳ _ ۱۱٤) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٨/٣) .

وقالَ أبو صخرٍ الهذليُّ (١):

أَمَا وَٱلَّذِي أَبْكَىٰ وَأَضْحَكَ وَٱلَّذِي لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ ٱلْوَحْشَ أَنْ أَرَىٰ لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ ٱلْوَحْشَ أَنْ أَرَىٰ فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوىً كُلَّ لَيْلَةٍ عَجِبْتُ لِسَعْيِ ٱلدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وقالَ ابنُ أذينة (۱):

إِنَّ ٱلَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا ٱلنَّعِيمُ فَصَاغَهَا بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا ٱلنَّعِيمُ فَصَاغَهَا حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ وقالَ آخَرُ (٣):

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً رَأَيْتَ قَادِرٌ رَأَيْتَ قَادِرٌ

أي : لا كلُّهُ والنفسُ لهُ طالبةٌ ، ولا عن بعضِهِ وهي بهِ غيرُ قانعةٍ .

وقالَ آخَرُ (١):

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَٱلْعِيسُ تَهْوِي

[من الطويل]

أَمَاتَ وَأَحْيَا وَٱلَّذِي أَمْرُهُ ٱلْأَمْرُ [أليفَيْنِ] مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا ٱلذُّعْرُ وَيَا سَلْوَةَ ٱلْأَيَّامِ مَوْعِدُكِ ٱلْحَشْرُ فَلَمَّا ٱنْقَضَىٰ مَا بَيْنَنَا سَكَنَ ٱلدَّهْرُ [من الكامل]

خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوىً لَهَا بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا مِلَا مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا شَفَعَ ٱلضَّمِيرُ إِلَى ٱلْفُؤَادِ فَسَلَّهَا وَمِن الطويل]

لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ ٱلْمَنَاظِرُ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

[من الوافر]

بِنَا بَيْنَ ٱلْمُنِيفَةِ فَٱلضِّمَار

⁽١) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١١٩/٣) .

⁽Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢١/٣) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٢/٣) .

⁽٤) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١٢٢/٣ _ ١٢٣) .

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمٍ عَرَارِ نَجْدٍ أَلَا يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ ٱلْحَيُّ نَجْداً شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا

فَمَا بَعْدَ ٱلْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَادِ وَرَيَّا رَوْضِهِ بَعْدَ ٱلْقِطَادِ وَأَنْتَ عَلَىٰ زَمَانِكَ غَيْرُ زَادِي وأَنْتَ عَلَىٰ زَمَانِكَ غَيْرُ زَادِي بِإِنْصَافٍ لَهُنَّ وَلَا سِرَادِ

وقالَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ (١) _ وهوَ مِنْ فتيانِ قريشٍ ، وكلُّ شعرِهِ غزلٌ ، واشتَهرَ بذلكَ ، ولهُ أخبارٌ ، وُلِدَ ليلةَ ماتَ عمرُ بنُ الخطابِ ، فقيلَ : أيُّ حقٍّ رُفِعَ ، وأيُّ باطلِ وُضِعَ .

وكانَ ابنُ عباسٍ يستريحُ لاستماعِ إنشادِهِ شعرَهُ ، فكانَ ربَّما يأتيهِ وهوَ في مجلسِ استفتاءِ الناسِ إيَّاهُ ، فينصرفُ عنهُم إليهِ ، وكانَ معَ غزلِهِ وشدَّةِ كلفِهِ بمحادثةِ النساءِ عفيفاً _ :

وَلَمَّا تَفَاوَضْنَا ٱلْحَدِيثَ وَأَسْفَرَتْ وُجُوهٌ زَهَاهَا ٱلْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا تَبَالَهُنَ بِٱلْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنَنِي وَقُلْنَ ٱمْرُوُّ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوْضَعَا وَقَلْنَ أَمْرُوُّ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوْضَعَا وَقَرَبْنَ أَسْبَابَ ٱلْهَوَىٰ لِمُتَيَّمٍ يَقِيسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قِسْنَ إِصْبَعَا وَقُلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ وَيْحَكَ إِنَّمَا ضَرَرْتَ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا وَتَنْفَعَا

يُروى : أنَّ عائشة بنتَ طلحة _ وكانَتْ مِنْ أجملِ نساءِ زمانِها ، يُقالُ : إنَّ أبا هريرة رآها يوماً في المسجدِ وهي مارَّةٌ إلىٰ عائشة أمِّ المؤمنين ، فقال : إنَّها مِنَ الحُورِ العينِ _ كانَتْ لا تسترُ وجهَها ، وكانَ زوجُها مصعبُ بنُ الزبيرِ يأمرُها بسترِهِ ، فتقولُ : إنَّ الله وسمني بمِيسمِ جمالٍ ، فلا أحبُّ أن أسترَ نعمة اللهِ على .

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٧/٣) .

[من الطويل]

لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجْداً عَلَىٰ وَجْدِ عَلَىٰ وَجْدِ عَلَىٰ فَنَنٍ غَضِّ ٱلنَّبَاتِ مِنَ ٱلرَّنْدِ جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ ٱلَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي يَمَلُّ وَأَنَّ ٱلنَّانِي يَشْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ يَمَلُّ وَأَنَّ ٱلنَّانِي يَشْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ عَلَىٰ ذَاكَ قُرْبُ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ عَلَىٰ ذَاكَ قُرْبُ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي عَهْدِ إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي عَهْدِ

عَلَيْكِ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ وَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَتَجَنَّبُ فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ ٱلثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرَىٰ مِنَ ٱللَّهْوِ مَرْكَبُ بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرَىٰ مِنَ ٱللَّهْوِ مَرْكَبُ

بِقَوْلٍ يُحِلُّ ٱلْعُصْمَ سَهْلَ ٱلْأَبَاطِحِ وَغَادَرْتِ مَا غَادَرْتِ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ

[من الطويل]

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَىٰ هِجْتَ مِنْ نَجْدِ أَإِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ ٱلضُّحَىٰ أَإِنْ هَتَفَتْ كَمَا يَبْكِي ٱلْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي ٱلْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ٱلْمُحِبَّ إِذَا دَنَا بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفِ مَا بِنَا فِع عَلَىٰ أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِع

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ الدُّمَيْنةِ الخثعميُّ (١):

أَلَا طَرَقَتْنَا آخِرَ ٱللَّيْلِ زَيْنَبُ وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبَنَّنَا يَقُولُونَ هَلْ بَعْدَ ٱلثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ لَقَدْ جَلَّ خَطْبُ ٱلشَّيْبِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا وقالَ كثيرٌ (٣):

وقالَ آخَرُ (٢):

وَأَدْنَيْتِنِي حَتَّىٰ إِذَا مَا مَلَكْتِنِي تَنَاهَیْتِ عَنِّي حِینَ لَا لِيَ حِیلَةٌ وقالَ آخَرُ (۱۰):

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٥/٣) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٦/٣) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٦/٣) .

⁽٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٨/٣) .

بِهِ ٱلْبَانُ هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلَالَ دَارِكِ مَقَامَ أَخِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱخْتَرْتُ ذَلِكِ بِدَمْع كَنَظْم ٱللُّؤلُوِ ٱلْمُتَهَالِكِ رَبِيعِي ٱلَّذِي أَرْجُو نَوَالُ وِصَالِكِ سِنِيَّ ٱلَّتِي أَخْشَىٰ صُرُوفُ ٱحْتِمَالِكِ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ وَرَقْرَاقُ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكِ

سَلِي ٱلْبَانَةَ ٱلْغَيْنَاءَ بِٱلْأَجْرَعِ ٱلَّذِي وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَالِهِنَّ عَشِيَّةً وَهَلْ هَمَلَتْ عَيْنَايَ فِي ٱلدَّار غُدْوَةً أَرَى ٱلنَّاسَ يَرْجُونَ ٱلرَّبِيعَ وَإِنَّمَا أَرَى ٱلنَّاسَ يَخْشَوْنَ ٱلسِّنِينَ وَإِنَّمَا لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتِنِي بِمَسَاءَةٍ لِيَهْنِكِ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى ٱلْحَشَا

الغيناء : الظليلة ، فهي تستر ما تحتَها ، ولِمَا في السَّحابِ مِنَ السترِ يُسمَّىٰ غيناً ، ومنه : غانَ علىٰ قلبهِ كذا ، ويُروى : (الغَنَّاءَ) ويصفونَ الشجرَ بالغِناءِ لِمَا يُسمَعُ منهُ إذا مرَّت بهِ الرياحُ ، قالَ بعضُهُم (١): ءِ خَريرٌ وَلِلْغُصُونِ غِنَاءُ

[من الطويل]

عَلَيْكَ شَجاً فِي ٱلْحَلْقِ حِينَ تَبينُ لِغَيْرِكَ مِنْ خُلَّانِهَا سَتَلِينُ فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ ٱلْبَنَانِ يَمِينُ

[من الطويل]

أَنِيقاً وَبُسْتَاناً مِنَ ٱلنَّوْرِ حَالِيَا

لِلثَّرَىٰ تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلِلْمَا وقالَ آخَرُ (٢):

تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ وَلَا تَكُنْ وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ ٱللِّيَانَ فَإِنَّهَا وَإِنْ حَلَفَتْ لَا يَنْقُضُ ٱلنَّأْيُ عَهْدَهَا

وقالَ أبو بكرِ عبدُ الرحمانِ الزهريُّ (٢):

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلُّهُ ٱلنَّدَىٰ

⁽۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٨/٣) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٩/٣) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٥/٣) .

أَجَدَّ لَنَا طِيبُ ٱلْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مُنىً فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتِ ٱلْأَمَانِيَا وَاللَّهُ مُنى فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتِ ٱلْأَمَانِيَا وَقَالَ معدانُ بنُ المضرب الكنديُّ (١): [من الطويل]

صَفَا وُدُّ لَيْلَىٰ مَا صَفَا ثُمَّ لَمْ نُطِعْ عَدُوّاً وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ قِيلَ صَاحِبِ فَلَمَّا تَوَلَّىٰ فَا لَيْلَىٰ لِجَانِبٍ وَقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ فَلَمَّا تَوَلَّىٰ فُدُّ لَيْلَىٰ لِجَانِبٍ وَقَوْمٍ تَولَّيْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ وَكُلُّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلَىٰ يَخَافُنِي عَلَى ٱلْغَدْرِ أَوْ يَرْضَىٰ بِوُدِّ مُقَارِبِ وَكُلُّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلَىٰ يَخَافُنِي عَلَى ٱلْغَدْرِ أَوْ يَرْضَىٰ بِوُدٍّ مُقَارِبِ وَقَالَ آخَرُ (۱):

هَلِ ٱلْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ وَحَرُّ عَلَى ٱلْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْهُ وَخَرُّ عَلَى ٱلْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْهُ وَفَيْضُ دُمُوعِ ٱلْعَيْنِ يَا مَيُّ كُلَّمَا بَدَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

وقالَ يزيدُ بنُ المُنتشِرِ القشيريُّ المشهورُ بابنِ الطَّثَريَّةِ وهيَ أُمُّهُ ؛ نُسِبَتْ يَقِالُ لهُم : طَثَرُ (٣) : [من الطويل]

فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَتِيلُ بِنَعْمَانَ مِنْ وَادِي ٱلْأَرَاكِ مَقِيلُ إلَيْكِ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ لَنَا مِنْ أَخِلَّاءِ ٱلصَّفَاءِ خَلِيلُ عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ وَخَوْفَ ٱلْعِدَا فِيهِ إِلَيْكِ سَبِيلُ بَعِيدٌ وَأَشْيَاعِي لَدَيْكِ قَلِيلُ روى يريد بن المنتسر العسيري الحيّ مِنْ قُضاعة يُقالُ لهُم: طَثَرٌ ("): عُسَيْري أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا عُسَيْري أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا تُعَيَّظُ أَكْنَافَ ٱلْحِمَىٰ وَيُظِلُّهَا أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا فَيَا خُلَّةَ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي لَيْسَ دُونَهَا وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطَعْ بِهِ وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطَعْ بِهِ أَمَا مِنْ مَقَامٍ أَشْتَكِي غُرْبَةَ ٱلنَّوَىٰ فَيَا مَنْ مَقَامٍ أَشْتَكِي غُرْبَةَ ٱلنَّوَىٰ فَدَيْتُ وَشُقَتِي فَدَيْتِ وَشُقَتِي فَدَيْتِ وَشُقَتِي فَدَيْتِ وَشُقَتِي

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٥/٣) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٨/٣ _ ١٥٩) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦١/٣ _ ١٦٣) .

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكِ حَاجَةٌ صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعِتَابِ طَوَيْتُهَا فَلَا تَحْمِلِي ذَنْبِي وَأَنْتِ ضَعِيفَةٌ وقالَ آخَرُ(۱):

بَيْضَاءُ آنِسَةُ ٱلْحَدِيثِ كَأَنَّهَا مَوْسُومَةٌ بِٱلْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ خَوْدٌ إِذَا كَثُرَ ٱلْحَدِيثُ تَعَوَّذَتْ وَتَرَىٰ مَدَامِعَهَا تُرَقْرِقُ مُقْلَةً

إنَّما يكونُ الليلُ ذا بردٍ إذا صفا الجوُّ .

أَهَابُكِ إِجْلَالاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ وَمَا مِكِ قُدْرَةٌ وَمَا هَجَرَتْكِ ٱلنَّفْسُ أَنَّكِ عِنْدَهَا

وقالَ ابنُ الدُّمَيْنةِ ("):

وقالَ آخَرُ (٢):

أَلَا لَا أَرَىٰ وَادِي ٱلْمِياهِ يُشِيبُ أَلَى وَادِي ٱلْمِياهِ يُشِيبُ أُخِبُ هُبُوطَ ٱلْوَادِيَيْنِ وَإِنَّنِي أَخِبُ هُبُوطَ ٱلْوَادِيَيْنِ وَإِنَّنِي أَخَةً عَبَادَ ٱللهِ أَنْ لَسْتُ وَارداً

فَأَفْنَيْتُ عِلَّاتِي فَكَيْفَ أَقُولُ وَلَا كُلَّ يَوْمِ لِي إِلَيْكِ رَسُولُ سَتُنْشَرُ يَوْماً وَٱلْعِتَابُ طَوِيلُ فَحَمْلُ دَمِي يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ثَقِيلُ [من الكامل]

قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ مُبْرِدِ إِنَّ ٱلْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ بِحِمَى ٱلْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ ٱلْإِثْمِدِ

[من الطويل]

عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا

[من الطويل]

وَلَا ٱلنَّفْسَ عَنْ وَادِي ٱلْمِيَاهِ تَطِيبُ لَمُشْتَهِرٌ بِٱلْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ وَلَا صَادِراً إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبُ

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٨/٣) .

⁽Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » ((Y)) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٠/٣ _ ١٧١) .

وَلا زَائِراً فَرْداً وَلا فِي جَمَاعَةٍ وَهَلْ رِيبَةٌ فِي أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ وَهَلْ رِيبَةٌ فِي أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ وَإِنَّ ٱلْكَثِيبَ ٱلْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ ٱلْحِمَىٰ لَكِ ٱللهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتِنِي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتِنِي وَآخِذُ مَا أَعْطَيْتِ عَفُواً وَإِنَّنِي فَلَا تَتُرُكِي نَفْسِي شَعَاعاً فَإِنَّهَا فَلَا تَتُرُكِي نَفْسِي شَعَاعاً فَإِنَّهَا وَإِنِّي لَأَسْتَحْييكِ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا وقالَ آخَرُ (١):

تَحَمَّلَ أَصْحَابِي وَلَمْ يَجِدُوا وَجْدِي أَحَمَّلَ أَصْحَابِي وَلَمْ يَجِدُوا وَجْدِي أُحِبُّكُمُ مَا دُمْتُ حَيّاً فَإِنْ أَمُتْ وقالَ أبو حيَّةَ النميريُّ (٢):

رَمَتْ هُ أَنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ فَحَاءً كَخُوطِ ٱلْبَانِ لَا مُتَتَايِعٌ فَجَاءً كَخُوطِ ٱلْبَانِ لَا مُتَتَايِعٌ فَقُلْنَ لَهَا سِرًا فَدَيْنَاكِ لَا يَرُحْ فَقُلْنَ لَهَا سِرًا فَدَيْنَاكِ لَا يَرُحْ فَقُلْنَ قَنْاعاً دُونَهُ ٱلشَّمْسُ وَٱتَّقَتْ وَقَالَتْ فَلَامًا دُونَهُ ٱلشَّمْسُ وَٱتَّقَتْ وَقَالَتْ فَلَمَا أَفْرَغَتْ فِي فُؤَادِهِ وَقَالَتْ فَلَمَا أَفْرَغَتْ فِي فُؤَادِهِ فَوَالَةً بِجَدْع ٱلْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ فَوَدَهِ بَجَدْع ٱلْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ

مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا قِيلَ أَنْتَ مُرِيبُ إِلَىٰ إِلْفِهَا أَوْ أَنْ يَحِنَّ نَجِيبُ إِلَىٰ إِلْفِهَا أَوْ أَنْ يَحِنَّ نَجِيبُ إِلَىٰ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحَبِيبُ وَمُثِيبُ وَمُثِيبُ وَمُثِيبِ وَمُثِيبُ لَأَزْوَرُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيُوبُ لَأَزْوَرُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيُوبُ مِنَ ٱلْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكِ تَذُوبُ مِنَ ٱلْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكِ تَذُوبُ عَلَيْكِ تَذُوبُ عَلَيْكِ تَذُوبُ عَلَيْكِ تَذُوبُ عَلَيْكِ وَلَيْتِ مِنْكِ رَقِيبُ عَلَيْكِ رَقِيبُ الطويل]

وَلِلنَّاسِ أَشْجَانٌ وَلِي شَجَنٌ وَحْدِي فَوَا كَبِدَا مِمَّنْ يُحِبُّكُمُ بَعْدِي [من الطويل]

نَوُّومُ ٱلضُّحَىٰ فِي مَأْتَمٍ أَيِّ مَأْتَمِ وَلَاكِنْ بِسِيمَا ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمِ وَلَاكِنْ بِسِيمَا ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمِ صَحِيحاً وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِمِي بِأَحْسَنِ [مَوْصُولَيْنِ] كَفٍّ وَمِعْصَمِ وَعَيْنَيْهِ مِنْهَا ٱلسِّحْرَ قُلْنَ لَهُ قُمِ وَعَيْنَيْهِ مِنْهَا ٱلسِّحْرَ قُلْنَ لَهُ قُمِ تَنَادَوْا وَقَالُوا فِي ٱلْمَنَاخِ لَهُ نَم

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧١/٣) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٢/٣ _ ١٧٣) .

الأناة : إمَّا مِنْ (وَنَىٰ) ، وإبدالُ الهمزةِ مِنَ الواوِ المفتوحةِ قليلٌ ؛ كأحدٍ ، وأجمٍ في وجمَ ؛ أي : سكتَ حزناً ، أو مِنْ (أنىٰ) أي : تأتَّىٰ ، وقولُهُ : (فجاءَ كخُوطِ البانِ) أي : المرميُّ حينَ أقبلَ أقبلَ في وقارٍ وتُؤدةٍ شابًا ناعماً معتدلَ القامةِ كالخُوط - بضمِّ الخاءِ - أي : الغصنِ ، والمتتابعُ : المتسرعُ في حماقةٍ ، والمأتمُ : المجمعُ مِنَ النساءِ في خيرٍ أو شرِّ .

وقالَ أبو الشِّيص الخزاعيُّ (١):

وَقَفَ ٱلْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي أَنْتِ فَلَيْسَ لِي أَجِدُ ٱلْمَلَامَةَ فِي هَـوَاكِ لَـذِيـذَةً أَشْبَهْتِ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ وَأَهَنْتِنِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ وَأَهَنْتِنِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ

[من الكامل]
مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَفَدَّمُ
مُتَالِدِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي ٱللُّوَّمُ
حُبَّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي ٱللُّوَّمُ
إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكِ حَظِّي مِنْهُ مُ

المُحِبُّ [يستطيبُ] اللَّومَ والعذلَ ؛ لِمَا فيهِ مِنْ ذكرِ الحبيبِ كما قالَ ، وقالَ آخَرُ (٢٠) :

مُسْتَفْهِماً عَنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالِ مِنْ بَيْنِ شَوْكِ مَلَامَةِ ٱلْعُذَّالِ

[من الكامل]

إِنَّ ٱلْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

[من الطويل]

أُصْغِي إِلَىٰ قَوْلِ ٱلْعَذُولِ بِجُمْلَتِي لِتَلَقُّطِي زَهَرَاتِ وَرْدِ حَدِيثِكُمْ

أَأْحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً

وخالفَ ذٰلكَ المتنبي حيثُ يقولُ (٣):

(۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (۱۷٤/۳) .

وقالَ آخرُ (أ :) :

⁽۲) انظر « معاهد التنصيص » (۱۵۹/۲) .

⁽٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٦٦) .

⁽٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٥/٣) .

وَلَا غَرُو إِلَّا مَا يُخَبِّرُ سَالِمٌ وَمَا لِيَ مِنْ ذَنْ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ وَمَا لِيَ مِنْ ذَنْ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ نَعَمْ فَاسْلَمِي ثُمَّ ٱسْلَمِي ثُمَّتَ ٱسْلَمِي

بِأَنَّ بَنِي أَسْتَاهِهَا نَذَرُوا دَمِي سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَا سَرْحَةُ ٱسْلَمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ [تَكَلَّمِي]

لا غروَ إلَّا ما يخبر ؛ أي : لا عجبَ إلَّا إخبارٌ ، والسَّرْحةُ : واحدةُ السَّرْحِ ؛ وهوَ مِنَ الشجرِ ما لا شوكَ لهُ ، ويقابلُهُ العضهُ ، كنَّىٰ بالسَّرْحة عنِ المرأة .

وقالَ زيادُ بنُ حملٍ ، أو ابنُ منقذِ التميميُّ ، وكانَ قد أتى اليمنَ واشتاقَ لادَهُ (١):

وَلا شُعُوبُ هَوىً مِنِّي وَلاَ نُقُمُ عَنْساً وَلاَ بَلَداً حَلَّتْ بِهِ قَدَمُ عَنْساً وَلاَ بَلَداً حَلَّتْ بِهِ قَدَمُ فَلَا سَقَاهُ نَّ إِلَّا ٱلنَّارَ تَضْطَرِمُ فَادِي أُشَيَّ وَفِتْ يَانٌ بِهِ هُضُمُ عَلَى ٱلْعَشِيرَةِ وَٱلْكَافُونَ مَا جَرَمُوا وَبَاكُرَ ٱلْحَيَّ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمُ عَنْهُمْ إِذَا كَلَحَتْ أَنْيَابُهَا ٱلْأُزُمُ عَنْهُمْ إِذَا كَلَحَتْ أَنْيَابُهَا ٱلْأُزُمُ بِنَحْوَةٍ مِنْ حِذَارِ ٱلشَّرِّ مُعْتَصِمُ وَفِي ٱللِّقَاءِ إِذَا تَلْقَىٰ بِهِمْ بُهَمُ وَفِي ٱللِّقَاءِ إِذَا تَلْقَىٰ بِهِمْ بُهَمُ فَوَارِسُ ٱلْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَرَمُ فَوَارِسُ ٱلْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَرَمُ فَوَارِسُ ٱلْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَرَمُ فَوَارِسُ ٱلْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَرَمُ

لَا حَبَّذَا أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ وَلَىٰ أُحِبَّ بِلَاداً قَدْ رَأَيْتُ بِهَا إِذَا سَقَى ٱللهُ أَرْضاً صَوْبَ غَادِيَةٍ وَحَبَّذَا حِينَ تُمْسِي ٱلرِّيحُ بَارِدَةً الْمُواسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمُ الْمُطْعِمُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمُ وَالْمُعَمُونَ إِذَا هَا جَرَّ غَيْرُهُمُ وَالْمُعَمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيةٌ وَالْمُعَمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيةٌ وَمَارُهُمُ وَشَتْوَةٍ فَلَلُوا أَنْيَابَ لَزْبَتِهَا وَشَعْمُ وَجَارُهُمُ حَتَّى ٱنْجَلَىٰ حَدُّهَا عَنْهُمْ وَجَارُهُمُ وَهَمُ الْبُحُورُ عَطَاءً حِينَ تَسْأَلُهُمْ وَهَمُ إِذَا ٱلْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَاتِبِهَا وَهُمْ إِذَا ٱلْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَاتِبِهَا وَهُمْ إِذَا ٱلْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَاتِبِهَا وَهُمْ إِذَا ٱلْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَاتِبِهَا

إِلَّا يَزِيدُهُم حُبًّا إِلَىَّ هُمُ جَمّ ٱلرَّمَادِ إِذَا مَا أَخْمَدَ ٱلْبَرَمُ إِذَا ٱلْأُنُوفُ ٱمْتَرَىٰ مَكْنُونَهَا ٱلشَّبَمُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَذِمُ مِنْ مُسْتَحِيرِ غَزِيرِ صَوْبُهُ دِيَمُ إِلَّا غَدَا وَهُوَ سَامِي ٱلطَّرْفِ يَبْتَسِمُ حَتَّىٰ يَنَالَ أُمُوراً دُونَهَا قُحَمُ عَرْفَاءَ يَشْتُو عَلَيْهَا تَامِكٌ سَنِمُ قُدَّامَهُ زَانَهَا ٱلتَّشْرِيفُ وَٱلْكَرَمُ عَلُّوا كَمَا عَلَّ بَعْدَ ٱلنَّهْلَةِ ٱلنَّعَمُ لَدَىٰ نَوَاحِلَ فِي أَرْسَاغِهَا ٱلْخَدَمُ فَقُلْتُ أَهْىَ سَرَتْ أَمْ عَادَنِي حُلُمُ مِنَ ٱلْقَريبِ وَمِنْهَا ٱلنَّوْمُ وَٱلسَّأَمُ تَمْشِى ٱلْهُوَيْنَىٰ وَمَا تَبْدُو لَهَا قَدَمُ دُرْمٌ مَرَافِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمَمُ وَمَا أَهَلَّ بِجَنْبَىْ نَخْلَةَ ٱلْحُرُمُ عَيْشٌ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلَا قِدَمُ لَا وَٱلَّذِي أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نِعَمُ خَلَّ ٱلنَّقَا بِمَرُوحِ لَحْمُهَا زِيَمُ

لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمُ حَيّاً فَأَخْبُرُهُمْ كَمْ فِيهِمُ مِنْ فَتِيَّ حُلُو شَمَائِلُهُ تُحِبُّ زَوْجَاتُ أَقْوَام حَلَائِلَهُ تَرَى ٱلْأَرَامِلَ وَٱلْهُلَّاكَ تَتْبَعُهُ كَأَنَّ أَصْحَابَهُ بِٱلْقَفْرِ يَمْطُرُهُمْ غَمْرُ ٱلنَّدَىٰ لَا يَبِيتُ ٱلْحَقُّ يَثْمُدُهُ إِلِّي ٱلْمَكَارِم يَبْنِيهَا وَيَعْمُرُهَا [تَشْقَىٰ] بِهِ كُلُّ مِرْبَاعِ مُوَدَّعَةٍ تَرَى ٱلْجِفَانَ مِنَ ٱلشِّيزَىٰ مُكَلَّلَةً يَنُوبُهَا ٱلنَّاسُ أَفْوَاجاً إِذَا نَهَلُوا زَارَتْ رُوَيْقَةُ شُعْثاً بَعْدَمَا هَجَعُوا وَقُمْتُ لِلزَّوْرِ مُرْتَاعاً فَأَرَّقَنِي وَكَانَ عَهْدِي بِهَا وَٱلْمَشْيُ يَبْهَظُهَا وَبِٱلتَّكَالِيفِ تَأْتِي بَيْتَ جَارَتِهَا سُودٌ ذَوَائِبُهَا بيضٌ تَرَائِبُهَا رُوَيْقَ إِنِّي وَمَا حَجَّ ٱلْحَجِيجُ لَهُ لَمْ يُنْسِنِي ذِكْرَكُمْ مُذْ لَمْ أُلَاقِكُمُ وَلَمْ تُشَارِكُكِ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةٌ مَتَىٰ أَمُرُّ عَلَى ٱلشَّقْرَاءِ مُعْتَسِفاً

مِنَ ٱلثَّنَايَا ٱلَّتِي لَمْ أَقْلِهَا ثَرَمُ وَحَيْثُ تُبْنَىٰ مِنَ ٱلْحِنَّاءَةِ ٱلْأُطُمُ وَهَلْ تَغَيَّرَ مِنْ آرَامِهَا أَرَمُ جَبَّارُهَا بِٱلنَّدَىٰ وَٱلْحَمْلِ مُحْتَزِمُ لَمْ يَغْذُهُنَّ شَقَا عَيْش وَلَا يَتَمُ جَارٌ غَريبٌ [وَلَا] يُؤْذَىٰ لَهُمْ حَشَمُ وَفِي ٱلرِّحَالِ إِذَا صَاحَبْتَهُمْ خَدَمُ جَـرْدَاءُ سَـابِحَـةٌ أَوْ سَـابِحٌ قُـدُمُ بفِتْيَةٍ فِيهمُ ٱلْمَرَّارُ وَٱلْحَكَمُ إِلَّا جِيَادُ قِسِيِّ ٱلنَّبْعِ وَٱللُّجُمُ لِلصَّيْدِ حِينَ يَصِيحُ ٱلْقَانِصُ ٱللَّحِمُ أَفْنَىٰ دَوَابِرَهُنَّ ٱلرَّكْضُ وَٱلْأَكَمُ كَمَا تَطَايَحَ عَنْ مِرْضَاخِهِ ٱلْعَجَمُ طَلَّاعُ أَنْجِدَةٍ فِي كَشْحِهِ هَضَمُ وَٱلْوَشْمِ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَابَلَهَا يَا لَيْتَ شِعْرِيَ عَنْ جَنْبَيْ مُكَسَّحَةٍ عَن ٱلْإِشَاءَةِ هَلْ زَالَتْ مَخَارمُهَا وَجَنَّةٍ مَا يَذُمُّ ٱلدَّهْرَ حَاضِرُهَا فِيهَا عَقَائِلُ أَمْثَالُ ٱلدُّمَىٰ خُرُدٌ يَنْتَابُهُنَّ كِرَامٌ مَا يَذُمُّهُمُ مُخَدَّمُونَ ثِقَالٌ فِي مَجَالِسِهمْ بَلْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَىٰ أَغْدُو تُعَارِضُنِي نَحْوَ [ٱلْأُمَيْلِح] أَوْ سَمْنَانَ مُبْتَكِراً لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ [إِذَا] يَغْدُونَ أَرْدِيَةٌ مِنْ غَيْرِ عُدْم وَلَكِنْ مِنْ تَبَذُّلِهِمْ فَيَفْزَعُونَ إِلَىٰ جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ يَرْضَخْنَ صُمَّ ٱلْحَصَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ يَغْدُو أَمَامَهُمُ فِي كُلِّ مَرْبَأَةٍ

شُعُوبٌ ونُقُم بضمَّتَينِ: موضعانِ ، تقولُ للشيءِ: هوَ منِّي هوى ؛ أي: محبوبٌ ، وعَنْسٌ وقَدَمُ بفتحتَينِ: حيانِ مِنْ أحياءِ اليمنِ ، مِنَ الأوَّلِ الأسودُ العَنْسيُّ الكذَّابُ الذي تَنبَّأَ على عهدِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، وكانَ ساحرَ المَنطِقِ ، وقتلَهُ فيروزُ الديلميُّ ، وهُضُمٌ : جمعُ هَضُومٍ ؛ أي : يهضمونَ المالَ في وجوهِ الخيرِ ، والصَّرَّادُ كرمَّانٍ : السحابُ لا ماءَ فيهِ ، والصِّرَمُ : جمعُ صِرْمة بكسرٍ فسكونٍ ؛ الجملةُ مِنَ الإبلِ ، واستعيرَ ها هنا ، اللزبةُ : السنةُ المجدبةُ ،

وفَلَّلُوا أنيابَها: أزالوا شدائدَها، مِنْ تفليلِ حدِّ السيفِ؛ أي: إحداثِ الفلولِ بهِ ، والأُزْمُ: جمعُ أَزُومٍ ، والأَزومُ: الإمساكُ على الشيءِ بالأسنانِ ، وكواثبُ الخيلِ: جمعُ كاثبةٍ ؛ أعالي ظهورِها ، وإذا الخيلُ حالوا في كواثبِها: مِنْ تراكيب الاشتغالِ ؛ أي: إذا قصدوا الخيلَ .

والقَذَمُ بفتحتَينِ: أراذلُ الناسِ ، وقولُهُ: (إلّا يزيدَهُم حُبّاً إليّ هم) أي: ألّا يزيدونَ أنفسَهُم حُبّاً إليّ ؛ لإبرارِهِم على غيرِهِم ، وضعَ الضّميرَ المُنفصِلَ موضعَ المتصلِ ، والبَرَمُ : اللئيمُ البخيلُ ، على وزنِ الشّبَمِ بفتحِ أوَّلِهِ ؛ وهوَ البردُ ، والعرفاءُ : التي طالَ وبرُها حتى صارَ لها مثلُ العرفِ ، والجبّارُ : النخلُ الطويلُ ، والأَرَمُ : العَلَمُ وزناً ومعنى ، والحناءةُ : نوعُ رملٍ يُستعمَلُ في بناءِ الأُطُم _ بضمّتينِ _ وهيَ الحصونُ والقصورُ .

وقالَ عمرُو ضبيعةَ الرَّقَاشيُّ (١):

تَضِيقُ جُفُونُ ٱلْعَيْنِ عَنْ عَبَرَاتِهَا وَعُصَّةِ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَقَّهَتْ أَلَا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا قَضَى ٱللهُ حُبَّ ٱلْمَالِكِيَّةِ فَٱصْطَبِرْ وقالَ جميلٌ (٢):

بُثَيْنَةُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبُصِّرَتْ لَهَا ٱلنَّظْرَةُ ٱلْأُولَىٰ عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ إِذَا ٱبْتَذَلَتْ لَمْ يُزْرِهَا تَرْكُ زِينَةٍ

[من الطويل]

فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ ٱلتَّجَلُّدِ وَٱلصَّبْرِ حَزَازَةَ حَرٍّ فِي ٱلْجَوَانِحِ وَٱلصَّدْرِ يُلَامُ ٱلْفَتَىٰ فِيمَا ٱسْتَطَاعَ مِنَ ٱلْأَمْرِ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجْرِي ٱلْأُمُورُ عَلَىٰ قَدْرِ

مَعَابٌ وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبَتْ أَشْبُ وَإِنْ كُرَّتِ ٱلْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا ٱلْعَقْبُ وَفِيهَا إِذَا ٱزْدَانَتْ لِذِي نِيقَةٍ حَسْبُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨٧/٣) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٩٥/٣) .

[نبذةٌ من أشعار الهجاءِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

ذلك المختارُ مِنْ باب النسيب.

وهاكَ أشياءَ مِنْ بابِ الهجاءِ ؛ وهوَ مِنْ هجاهُ يهجوهُ ؛ إذا رماهُ بالمعايب في أعمالِهِ أو أعمالِ أسلافِهِ .

> قالَ موسى بنُ جابر الحنفيُّ (١): كَانَتْ حَنِيفَةُ لَا أَبَا لَكَ مَرَّةً

فَرَأَتْ حَنِيفَةُ مَا رَأَتْ أَشْيَاعُهَا

وقالَ قرادُ بنُ حنشِ الصارديُّ (٢): لَقَوْمِيَ أَدْعَىٰ لِلْعُلَا مِنْ عِصَابَةٍ

وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ ٱلنَّاسَ رزُّهَا تُقَطِّعُ أَطْنَابَ ٱلْبُيُوتِ بِحَاصِبِ فَوَيْلُمِّهَا خَيْلاً بَهَاءً وَشَارَةً

مِنَ ٱلنَّاسِ يَا حَارِ بْنَ عَمْرُو تَسُودُهَا بآبدَةٍ تُنْحِي شَدِيدٍ وَئِيدُهَا وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرْقُهَا وَرُعُودُهَا إِذَا لَاقَتِ ٱلْأَعْدَاءَ لَوْلَا صُدُودُهَا

عِنْدَ ٱللِّقَاءِ أَسِنَّةً لَا تَنْكُلُ

وَٱلرِّيحُ أَحْيَاناً كَذَاكَ تَحَوَّلُ

الرّزُّ - بالكسر - : الصوتُ تَسمعُهُ مِنْ بعيدٍ ، والباءُ في (بآبدةٍ) بمعنىٰ مع ، والآبدة : المنكرة ، وتنحي : مِنْ أنحل ؛ أي : اعتمدَ ، والحاصب : الريحُ تأتي بالحصباءِ ؛ أي الحصي ؛ لشدَّتِها ، مثَّلَ تهويلَهُم وما يظهرُ منهُ بسحابِ لهُ برقٌ ورعدٌ مصحوبٌ بريح شديدةٍ ثمَّ لا يمطرُ ، فهوَ وهُم لا خيرَ فيهِم .

وقالَ طرفةُ بنُ العبدِ (٢):

فَرَّقَ عَنْ بَيْتَيْكَ سَعْدَ بْنَ مَالِك

[من الطويل]

[من الكامل]

[من الطويل]

وَعَمْراً وَعَوْفاً مَا تَشِي وَتَقُولُ

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » (7/2 – 7).

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٤) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨/٤) .

شَآمِيَّةٌ تَزْوِي ٱلْوُجُوهَ بَلِيلُ تَذَاءَبَ مِنْهَا مُرْزِغٌ وَمُسِيلُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى ٱلْمَرْءِ فَهُ وَ ذَلِيلُ حَصَاةٌ عَلَىٰ عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ

وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَذْنَىٰ شَمَالٌ عَرِيَّةٌ وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَقْصَىٰ صَباً غَيْرُ قُرَّةٍ وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَقْصَىٰ صَباً غَيْرُ قُرَّةٍ وَأَعْلَمُ عِلْماً لَيْسَ بِٱلظَّنِّ أَنَّهُ وَأَعْلَمُ عِلْماً لَيْسَ بِٱلظَّنِّ أَنَّهُ وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ

أرادَ بالبيتَينِ: العصبةَ وذوي الأرحامِ ، وقصدَ تخليصَهُ بالهجاءِ وإخراجَهُ مِنْ شرفِ أهلِهِ بسوءِ عملِهِ ، ومرزغٌ ومسيلٌ ؛ أي: ذاتُ رزغةٍ _ وهيَ الوحلُ _ وسيلِ .

وقالَ قعنبُ بنُ ضمرةً (١):

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً صُمَّ إِذَا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ صَمَّ إِذَا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ جَهْلاً عَلَيْنَا وَجُبْناً عَنْ عَدُوِّهِم

هُلاً عَلَيْنَا وَجُبْناً عَنْ عَدُوِّهِمِ ولبعضِهِم زيادةً في هنذا المعنى (٢):

إِنْ يَعْلَمُوا ٱلْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا

وقالَ محرزُ بنُ المكعبرِ الضبيُّ لبني عديِّ بنِ جندبِ بنِ لعنبر (٣):

أَبْلِغْ عَدِيّاً حَيْثُ صَارَتْ بِهَا ٱلنَّوَىٰ كُسَالَىٰ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ

[من البسيط]

مِنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا وَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا لَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا لَبِنْسَتِ ٱلْخَلَّتَانِ ٱلْجَهْلُ وَٱلْجُبُنُ

شَرّاً أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

[من البسيط]

وَلَيْسَ لِدَهْرِ ٱلطَّالِبِينَ فَنَاءُ يُلَةً يُ لَكَةً عُنَاءُ يُلَةً عُنَاءُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢/٤) .

⁽٢) انظر « التذكرة الحمدونية » (١٥٩/٣) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥/٤ _ ١٦) .

أُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ لَهُمْ [رَيْثَةٌ] تَعْلُو صَرِيمَةَ أَمْرهِمْ وَإِنِّي لَرَاجِيكُمْ عَلَىٰ بُطْءِ سَعْيكُمْ فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْىَ عُصْبَةِ مَازِنٍ لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا كَأَنَّ دَنَانِيراً عَلَىٰ قَسِمَاتِهمْ وقالَ سويدُ بنُ مشنوءٍ (١): دَعِي عَنْكِ مَسْعُوداً فَلَا تَذْكُرنَّهُ

نَهَيْتُكِ عَنْهُ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلَّذِي مَضَىٰ وقالَ رجلٌ مِنْ طَيِّئ (٢):

يَذُمُّونَ لِيَ ٱلدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا بِهَا

وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ ٱلْوُجُوهَ لِقَاءُ [من الطويل] إِلَيَّ بِسُوءٍ وَٱعْرِضِي لِسَبِيل وَلَا يَنْتَهِي ٱلْغَاوِي لِأَوَّلِ قِيل [من الطويل] وَرَاءَ قُرِيْس لَا أَعُدُّ لَـهُ عَـقْلَا إِنَّ آمْرَأً يُعْطِى ٱلْأَسِنَّةَ نَحْرَهُ

يعني: الأمراءَ في خطبِهِم، والثعلُ - بفتح أوَّلِهِ أو ضمِّهِ - خلفٌ صغيرٌ زائدٌ في أخلافِ الحلوبةِ .

وقالَ أبو الأسدِ عصريُّ [أبي] تمام في الحسنِ بنِ رجاءِ بنِ أبي الضَّحَّاكِ _ ولأبي تمام فيهِ مديحٌ _ (٢): [من الكامل] فَلَأَنْظُرَنَّ إِلَى ٱلْجِبَالِ وَأَهْلِهَا

وَإِلَىٰ مَنَابِرِهَا بِطَرْفِ أَخْزَر

فَمَا تَرَكُوا فِيهَا لِمُلْتَمِس ثُعْلَا

وَلَوْ شِئْتُ قَالَ ٱلْمُنْبِئُونَ أَسَاؤُوا

وَلِـ الْأَمْـر يَـوْماً رَاحَةٌ فَـقَـضَاءُ

كَمَا فِي بُطُونِ ٱلْحَامِلَاتِ رَجَاءُ

وَهَلْ كُفَلَائِي فِي ٱلْوَفَاءِ سَوَاءُ

وَبَعْضُ ٱلرِّجَالِ فِي ٱلْحُرُوبِ غُثَاءُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨/٤) .

⁽Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » (17/2 - 77).

⁽**٣**) انظر « شرح ديوان الحماسة » () .

مَا زِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى ٱجْتَرَأْتَ عَلَىٰ رُكُوبِ ٱلْمِنْبَرِ الْمِنْبَرِ الْمِنْبَرِ المِنْ المذكورُ يلي إمارتَها .

والنظرُ بطرفِ أخزرَ _ أي : ينظرُ مِنْ مؤخرهِ _ : هوَ نظرُ الاحتقار .

ونزلَ بالراعي النميريِّ رجلٌ مِنْ بني كلابٍ في ركبٍ معَهُ ليلاً في سنةٍ مجدبةٍ ، وقد عزبَتْ عنِ الراعي إبلُهُ ، فنحرَ لهُم ناقةً مِنْ رواحلِهِم ، وصَبَّحَتِ الراعي إبلُهُ ، فأعطىٰ ربَّ النابِ ناباً مثلَها وزادَهُ ناقةً ثنيَّةً ، فقالَ (۱) :

إِلَىٰ ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةَ فَٱلرَّحَا وَقَدْ يُكْرَمُ ٱلْأَضْيَافُ وَٱلْقِدُ يُشْتَوَىٰ بَكَىٰ بَكُوْا وَكِلَا ٱلْحَيَّيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَىٰ يَشُدُّ مِنَ ٱلْجُوعِ ٱلْإِزَارَ عَلَى ٱلْحَشَا وَوَطَّأْتُ نَفْسِي لِلْغَرَامَةِ وَٱلْقِرَىٰ وَوَطَّأْتُ نَفْسِي لِلْغَرَامَةِ وَٱلْقِرَىٰ هِجَاناً مِنَ ٱللَّاتِي تَمَتَّعْنَ بِٱلصُّوىٰ وَوَطَّأْتُ نَفْسِي لِلْغَرَامَةِ وَٱلْقِرَىٰ هِجَاناً مِنَ ٱللَّاتِي تَمَتَّعْنَ بِٱلصُّوىٰ وَلِللهِ عَيْنَا حَبْتَرٍ أَيَّمَا فَتَىٰ وَلِللهِ عَيْنَا حَبْتَرٍ أَيَّمَا فَتَىٰ فَوْإِنْ يَحْبُرِ ٱلْعُرْقُوبُ لَا يَرْقَأُ ٱلنَّسَا مَضَىٰ غَيْرَ مَنْكُوبٍ وَمُنْصُلَهُ ٱنْتَضَىٰ مَضَىٰ غَيْرَ مَنْكُوبٍ وَمُنْصُلَهُ ٱنْتَضَىٰ جَلَوْتُ عِطَاءً عَنْ فُؤَادِيَ فَٱنْجَلَىٰ كَلَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءٌ وَمُصْطَلَىٰ لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءٌ وَمُصْطَلَىٰ لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءٌ وَمُصْطَلَىٰ

عَجِبْتُ مِنَ ٱلسَّارِينَ وَٱلرّيخُ قَرَّةٌ إِلَىٰ ضَوْءِ نَار يَشْتَوي ٱلْقِدَّ أَهْلُهَا فَلَمَّا أَتَوْنَا فَٱشْتَكَيْنَا إِلَيْهِمُ بَكَىٰ مُعْوزٌ مِنْ أَنْ يُلَامَ وَطَارِقٌ فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَىٰ مِنْ سَمِينَةٍ فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتَ عَريكَةٍ فَأَوْمَأْتُ إِيمَاءً خَفِيّاً لِحَبْتَر وَقُلْتُ لَهُ أَلْصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِهَا فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبْتَر أَنَّ حَبْتَراً كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَعْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هِزَّةٍ

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » (70/8 – 70).

وَأَصْبَحَ رَاعِينَا بُرَيْمَةُ عِنْدَنَا بِسِتِّينَ أَبْقَتْهَا ٱلْأَخِلَّةُ وَٱلْخَلَا فَقُلْتُ لِرَبِّ ٱلنَّابِ خُذْهَا ثَنِيَّةً وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي ٱلْحَيَا

القَرَّةُ - بفتح القافِ - : الباردةُ ، وفَردةُ - بفتحِ أولِهِ - والرحا : موضعانِ ، قصدَ تعيينَ منزلِهِ ، والقِدُّ : الجلدُ ، والإنسانُ إذا جاعَ . . يأكلُ كلَّ ما لانَ ، والعريكةُ : السَّنامُ ، والصُّوىٰ : جمعُ صُوَّةٍ بضمِّ الصَّادِ ؛ الأرضُ الغليظةُ ، ويُروى : الصَّوىٰ ؛ مصدرُ صَوِيَ كفَرِحَ ؛ أي : خلا الضَّرعُ مِنَ اللبنِ ، وتمتعُ الناقةُ بهِ أنَّها لا تحلبُ ، فهي حائلٌ تربي لحماً وشحماً ، وقولُهُ : (ألصقْ بأيبسِ ساقِها) معناهُ : بالغْ في القطعِ ليسيلَ دمُها مِنْ مسيلٍ لا ينقطعُ سيلائهُ حتىٰ يفنى الدمُ وهوَ النَّسَا ، ورقاً الدمُ والدمعُ : انقطعَ ، والأخلةُ : جمعُ خلالٍ ؛ حمعُ خلالٍ ؛ وهوَ النَّسَا ، وأرادَ حينَئذٍ : أنَّ حفظَها مِنَ البردِ بالوقاءِ ورعيَها أبقياها جملاً ؛ وهوَ الغطاءُ ، وأرادَ حينَئذٍ : أنَّ حفظَها مِنَ البردِ بالوقاءِ ورعيَها أبقياها أو أنقياها ؛ أي : أكثرا فيها النقي ؛ وهوَ مُثُ العظامِ ، وهُما روايتانِ ، والحيا : المطرُ ، يُسمَّىٰ بهِ النباتُ مجازاً للسببيةِ ، ويُتجوَّزُ عنِ النباتِ للشَّحمِ ، فهوَ المَاتِ عربَ مجازٍ ، عربارُ عن مجازٍ .

فقالَ الحلالُ بنُ أرقمَ المُلقَّبُ بالخنزرِ النميريِّ ('): [من الطويل]

تَعَشَّوْنَ مِنْهَا وَهْيَ مُلْقَىً قَتُودُهَا عَلَىٰ طُنُبِ ٱلْفَقْمَاءِ مُلْقَىً قَدِيدُهَا بِلَيْلَةِ نَحْسٍ غَابَ عَنْهَا سُعُودُهَا إِذَا نَزَلَ ٱلْأَضْيَافُ أَمْ مَنْ يَزِيدُهَا بَرَاذِينُ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا بَرَاذِينُ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا بَنِي قَطَنٍ مَا بَالُ نَاقَةِ ضَيْفِكُمْ غَدَا ضَيْفُكُمْ يَمْشِي وَنَاقَةُ رَحْلِهِ غَدَا ضَيْفُكُمْ يَمْشِي وَنَاقَةُ رَحْلِهِ وَبَاتَ ٱلْكِلَابِيُّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي ٱلْقِرَىٰ وَبَاتَ ٱلْكِلَابِيُّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي ٱلْقِرَىٰ أَمَنْ يَنْقُصُ ٱلْأَضْيَافَ أَكْرَمُ عَادَةً كَمَانَ لَكُمُ إِنْ قُمْتُمُ تَنْحَرُونَهَا كَانَةً مَا نَنْحَرُونَهَا كَانَّكُمُ إِنْ قُمْتُمُ تَنْحَرُونَهَا

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٧/٤ ـ ٣٨) .

فَمَا فَتَحَ ٱلْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْءَةٍ بَنِي قَطَنِ إِلَّا وَأَنْتُمْ شُهُودُهَا

تَعشَّونَ ؛ أي : تَتعشَّونَ ، حُذِفَتْ منهُ تاءٌ ، والقَتودُ : عدةُ الجملِ ، والفقماءُ : زوجةُ الراعي ، وأصلُ الفقمِ : خروجُ الثنايا السُّفليٰ حتىٰ لا تقعَ عليها العليا ، والقديدُ : اللحمُ يُشرَحُ ليُجفَّفَ ، وكانَ يُنشَرُ علىٰ أطنابِ البيوتِ ؛ وهيَ الحبالُ التي تُشَدُّ بها .

ولا حقَّ لهاذا الهاجي في هجائِهِ بعدَما صنعَ الراعي ، ولذلكَ أجابَهُ عن فريتِهِ بقولِهِ (١):

بِسَيْفِي وَضِيفَانُ ٱلشِّتَاءِ شُهُودُهَا فَرَاحَ عَلَىٰ عَنْسٍ بِأُخْرَىٰ يَقُودُهَا وَأُمَّكَ إِذْ يُحْدَىٰ إِلَيْنَا قَعُودُهَا وَأُمَّكَ إِذْ يُحْدَىٰ إِلَيْنَا قَعُودُهَا وَلِقْحَة أَضْيَافٍ طَوِيلاً رُكُودُهَا جَوَانِبُهَا حَتَّىٰ نَبِيتَ نَذُودُهَا جَوَانِبُهَا حَتَّىٰ نَبِيتَ نَذُودُهَا نَعَامَةَ حِزْبَاءٍ تَقَاصَرَ جِيدُهَا شَكَارَىٰ مَرَاهَا مَاؤُهَا وَحَدِيدُهَا لِكَيْ يُنْزِلَاهَا وَهْيَ حَامٍ حُيُودُهَا لِكَيْ يُنْزِلَاهَا وَهْيَ حَامٍ حُيُودُهَا سَرِيعٍ بِأَيْدِي ٱلْآكِلِينَ جُمُودُهَا مَذَاخِرُهَا وَٱرْفَضَ رَشْحاً وَرِيدُهَا أَرَادَتْ إِلَيْنَا حَاجَةً لَا نُرِيدُهَا أَرَادَتْ إِلَيْنَا حَاجَةً لَا نُرِيدُهَا

مَاذَا نَكِرْتُمْ مِنْ قَلُوصٍ نَحَرْتُهَا فَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَفَيْتُ لِرَبِّهَا قَرَيْتُ الْكِلَابِيَّ الَّذِي يَبْتَغِي الْقِرَىٰ قَرَيْتُ الْكِلَابِيَّ الَّذِي يَبْتَغِي الْقِرَىٰ وَفَعْنَا لَهَا نَاراً تُثَقَّبُ لِلْقِرَىٰ إِذَا أُخْلِيَتْ عُودَ الْهَشِيمَةِ أَرْزَمَتْ إِذَا أُخْلِيَتْ عُودَ الْهَشِيمَةِ أَرْزَمَتْ إِذَا نُصِبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسِبْتَهَا إِنَا اللَّهُ أُلِي وَعَرَاتِهَا بَيْتُ اللَّهُ أَلْ فِي حَجَرَاتِهَا بَعَنْ اللَّهُ اللَّهُ أَلْ فِي مُسْتَحِيرَةِ وَيَ مُسْتَحِيرَةٍ فَيَ مُسْتَحِيرَةٍ فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا الْعَكِيسَ تَمَلَّأَتْ فَيَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا الْعَكِيسَ تَمَلَّأَتْ فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا الْعَكِيسَ تَمَلَّأَتْ وَلَيَاءً لَبَانَةً وَلَمَا قَضَتْ مِنْ ذِي ٱلْإِنَاءِ لُبَانَةً وَلَيَاءً لَيَا اللَّهِ الْتَعْمِيلَةِ وَلَا الْعَلَى الْكِلَاقِيلَ الْمَاءِ لَبَانَةً وَلَمَا قَضَتْ مِنْ ذِي ٱلْإِنَاءِ لُبَانَةً وَلَالَاءً لَبَانَةً وَلَا الْمَاءَ فَيَا الْمَاءَ فَيَا الْمَاءَ فَيَعْمَا مَا مَنْ فِي الْمِنَاءِ لَبَانَةً وَلَا اللَّهُ الْمَاءِ لَيْتَهَا إِلَا الْمَاءِ لَلْمَا الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءِ لَيْ الْمَاءِ الْمَاءَ الْمَاءِ الْمَاءَ الْمَاءِ الْمَاءِ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءِ الْمَاءِ الْمَاءِ الْمَاءَ الْمَاعِلَيْنَ الْمَاءِ الْمَاءِ الْمَاءَ الْمَاءِ الْمَاءِ الْمَاءِ الْمَاءِ الْمَاءِ الْمُعْتِيلَ الْمَاءِ الْمَاءِ الْمَاءَ الْمَاعَلَقِيلَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمُعْتِيلَ الْمَاءَ الْمَاءِ الْمَاءَ الْمَاعِلَا الْمَاءَ الْمِنْ الْمَاءَ الْمَاعَالَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاعَلَى الْمَاءَ الْمَاعِلَا الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ الْمَاءَ

نَكِرَ الشيءَ وأنكرَهُ: نفرَ منهُ واستقبحَهُ ، والعَنسُ _ بفتح أوَّلِهِ _:

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » (1/2 = 1/2).

الناقةُ الصلبةُ ، وإثقابُ النارِ وتثقيبُها : إذكاؤُها ، وما بهِ إلَّا ثَقابٌ ثَقوبٌ وَحَودٍ _ بفتحٍ أُوَّلِهِما ، وأرادَ بلقحةِ الأضيافِ : القِدْرَ ، استعارةٌ رَشَّحَها بقولِهِ : (إذا أُخلِيَتْ) أي : أُعطِيَتِ الخلاءَ ، وإرزامُ الناقةِ : حنينُها ، والمحالُ : فقارُ الظهرِ ، الواحدةُ : محالةٌ ، وجعلَها غُرَّا لسمنِها ، وشكارى : جمعُ شكرى ؛ وهي في الأصلِ الضَّرعُ الممتلئةُ ، ولذلك قالَ : مَرَاها ؛ أي : اعتصرَها ، والخُلاصةُ : أنَّ الماءَ بحرارتِهِ استخرجَ ما فيها .

وقولُهُ: (فباتَتْ تَعُدُّ النجمَ) أي: أُمُّكَ باتَتْ تنظرُ في مَرَقِ القِدْرِ ، وهوَ المرادُ بالمُستحيرةِ ؛ مِنْ قولِهِمُ: استحارَ الماءُ ؛ أي: دارَ حتى ملأَ قرارتَهُ ، وتَعُدُّ النجمَ : إمَّا مِنَ العَدِّ الحسبانيِّ أو الحسابيِّ ، فالأوَّلُ : يصفُ المرقةَ بالدُّسومةِ حتى تَمثَّلَ فيها صورةُ النجومِ ، والثاني : يقولُ : إنَّ الثريا تَمثَّلَتْ في بالدُّسومةِ حتى تَمثَّلَ فيها صورةُ النجومِ ، والثاني : يقولُ : إنَّ الثريا تَمثَّلَتْ في الإناءِ لكونِها محاذيةً للرؤوسِ ؛ إذ كانَ الوقتُ في وسطِ الشتاءِ ، والعكيسُ : لبن يُصَبُّ عليهِ مَرَقٌ ، وتَملَّأَتْ مذاخرُها : أي : المواضعُ التي تَذخَرُ فيها الأغذيةُ ، ووصفَها بغايةِ الشَّرَهِ حيثُ تَملَّأَتْ جدًا حتى تَصبَّبَ عَرَقُها ، وذلكَ في قولِهِ : (وارفضَّ رشحاً وريدُها) .

وقولُهُ: (ولمَّا قضتْ مِنْ ذي الإناءِ لُبانةً) أي: ولمَّا شبعَتْ فوقَ كفايتِها _ فإنَّ اللبانةَ بعدَ الحاجةِ الأصليَّةِ _ اغتلمَتْ ، وطوىٰ ذلكَ في قولِهِ: (أرادَتْ إلينا حاجةً لا نريدُها) يُقالُ: أرادَ إليهِ ، وطلبَ إليهِ كذا ، والحُيُودُ: جمعُ حَيدٍ بفتح أوَّلِهِ ، المرادُ منها هنا: الجوانبُ .

وقالَ رجلٌ مِنْ أُسدٍ (١):

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ وَٱلسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا

فَكَابَرُوا ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ مَلَّ أَكْثَرُهُمْ

[من البسيط]

جَهْدَ ٱلنُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ ٱلْأُزُرَا

وَعَانَقَ ٱلْمَجْدَ مَنْ أَوْفَىٰ وَمَنْ صَبَرَا

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٠/٤) .

لَا تَحْسَبِ ٱلْمَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ وقالَ آخَرُ (١):

وَمُسْتَعْجِلٍ بِٱلْحَرْبِ وَٱلسِّلْمُ حَظُّهُ وَحَارَبَ فِيهَا بِٱمْرِئَ حِينَ شَمَّرَتْ فَأَعْطَى ٱلَّذِي يُعْطِي ٱلذَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ وقالَ آخَرُ (١):

كَاثِرْ بِسَعْدِ إِنَّ سَعْداً كَثِيرَةً وَلَا تَدْعُ سَعْداً لِلْقِرَاعِ وَخَلِّهَا يَرُوعُكَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عَمْرٍو جُسُومُهَا وقالَ آخَرُ (٣):

أَعَارِيبٌ ذَوُو فَخْرٍ بِإِفْكٍ رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلاً

أي: ورضوا بحسنِ القُولِ بدلَ حسنِ الفَعالِ .

وقالَ آخَرُ (١٠):

هَ جَوْتُ ٱلْأَدْعِيَاءَ فَنَاصَبَتْنِي فَقُلْتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَحُوا طَويلاً

لَنْ تَبْلُغَ ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ ٱلصَّبِرَا [من الطويل]

فَلَمَّا ٱسْتُثِيرَتْ كَلَّ عَنْهَا مَحَافِرُهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِعْجَازٍ لَئِيمٍ مَكَاسِرُهُ لَهُ سَعْيُ صِدْقٍ قَدَّمَتْهُ أَكَابِرُهُ [من الطويل]

وَلَا تَبْغِ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرَا إِذَا أَمِنَتْ وَنَعْتَهَا ٱلْبَلَدَ ٱلْقَفْرَا وَتَزْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرَا [من الوافر]

وَأَلْسِنَةٍ لِطَافٍ فِي ٱلْمَقَالِ وَحُسْنُ ٱلْفَعْالِ وَحُسْنُ ٱلْفَعْالِ

[من الوافر]

مَعَاشِرُ خِلْتُهَا عَرَباً صِحَاحَا عَلَي فَلَمْ أُجِبْ لَهُمُ نُبَاحَا

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٠/٤).

⁽Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » ($\xi \xi/\xi$) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٤/٤ _ ٤٥) .

⁽٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٥/٤ _ ٤٦) .

أَمِنْهُمْ أَنْتُمُ فَأَكُفَّ عَنْكُمْ وَإِلَّا فَاحْمَدُوا رَأْيِي فَإِنِّي وَحَسْبُكَ تُهْمَةً بِبَرِيءِ قَوْمٍ

وقالَ فرعانُ بنُ الأعرفِ في ابنِهِ مُنازِلٍ (١): [من الطويل]

جَزَاءً كَمَا يَسْتَنْزِلُ ٱلدَّيْنَ طَالِبُهُ يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ ٱلْفَحْلِ غَارِبُهُ قَرِيباً وَذَا ٱلشَّخْصِ ٱلْبَعِيدِ أُقَارِبُهُ قَرِيباً وَذَا ٱلشَّخْصِ ٱلْبَعِيدِ أُقَارِبُهُ لَلَهُ ٱللَّذِي هُوَ غَالِبُهُ لَلَهُ ٱلَّذِي هُو غَالِبُهُ مِنَ ٱلزَّادِ أَحْلَىٰ زَادِنَا وَأَطَايِبُهُ مِنَ ٱلنَّا وَأَطَايِبُهُ أَخَا ٱلْقَوْمِ وَٱسْتَغْنَىٰ عَنِ ٱلْمَسْحِ شَارِبُهُ أَشَاءُ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ أَشَاءُ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ أَشَاءُ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهُ مَصَارِبُهُ يَدَيْ لَيْثٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهُ يَدَيْ لَيْثٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهُ يَدَيْ لَيْثٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهُ مَارِبُهُ فَارَانَا فَا إِنَّكَ ضَارِبُهُ فَارَانَا فَا إِنَّكَ ضَارِبُهُ فَارَانَا فَارَانَا فَا إِنَّكَ ضَارِبُهُ فَارَانَا فَا إِنَّكَ ضَارِبُهُ فَارَانَا فَا إِنَّكَ ضَارِبُهُ فَارَانَا فَا إِنَّكَ ضَارِبُهُ فَارَانَا فَا إِنَّ اللَّهُ مَا إِنْ فَارَانَا فَا إِنَّانَ فَارَانِ فَارَانَا فَا إِنَّانَا فَا إِنَانَا فَا إِنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا أَنْ اللَّهُ مَا إِنْ فَارَانِ فَارَانَا فَا إِنْ فَارَانُ فَارَانَا فَا إِنْ فَارَانِ فَارَانِ فَارَانِ فَارَانَا فَالَانِ فَارِبُهُ فَارَانَا فَا لَا اللَّهُ اللَّهُ مَا إِلَانَا فَا اللَّهُ مَا إِلَانَا فَا لَعْلَىٰ فَارَانَا فَا الْمَانُ فَارَانَا فَا اللَّهُ مَا أَلَانَا فَا الْمُؤْمِ وَالْمُ الْمُنْ مُنْ فَارَانُ فَارَانَا فَالْمُلُولُ الْمُعْمِ مُوالِانُهُ فَالْمُ الْمُلْلَانُ الْمُعْمِ مِنْ الْمُعْمِلِيلُ الْمُعْلَىٰ الْمُعْمَالِ اللَّهُ الْمُعْمِلُولُونُ الْمُقَالَةُ مُنْ اللَّهُ مُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُعْلَقُونُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُعْمِلُولُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُلْمُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْم

وَأَدْفَعَ عَنْكُمُ ٱلشَّتْمَ ٱلصُّرَاحَا

سَأَنْفِي عَنْكُمُ ٱلتُّهَمَ ٱلْقِبَاحَا

يَضُمُّ عَلَىٰ أَخِي سَقَم جَنَاحَا

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَازِلٍ لَرَبَّيْتُهُ حَتَّىٰ إِذَا آضَ شَيْظُماً لَرَبَّيْتُهُ حَتَّىٰ إِذَا آضَ شَيْظُما فَلَمَّا رَآنِي أَبْصِرُ ٱلشَّخْصَ أَشْخُصاً تَغَمَّدَ حَقِّي ظَالِماً وَلَوَىٰ يَدِي تَغَمَّدَ حَقِّي ظَالِماً وَلَوَىٰ يَدِي وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَىٰ وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَىٰ وَرَبَّيْتُهُ حَتَّىٰ إِذَا مَا تَرَكْتُهُ وَرَبَّيْتُهُ وَجَمَّعْتُهَا دُهْماً جِلَاداً كَأَنَّيْها فَا خُرَجَنِي مِنْهَا سَلِيباً كَأَنَّنِي فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيباً كَأَنَّنِي أَوْ أَنْ أَرْعِشَتْ كَفًا أَبِيكَ وَأَصْبَحَتْ أَإِنْ أُرْعِشَتْ كَفًا أَبِيكَ وَأَصْبَحَتْ اللهجاءِ .

ودونَكَ ما يُستحسَنُ مِنْ بابِ الأضيافِ والمديحِ .

قالَ مرَّةُ بنُ محكانَ التميميُّ (٢):

يَا رَبَّةَ ٱلْبَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ۖ ظَ

ضُمِّي إِلَيْكِ رِحَالَ ٱلْقَوْمِ وَٱلْقُرْبَا

[من البسيط]

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩/٤ _ ١٠) .

⁽٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » (٢٠/٤ _ ٦٣) .

لَا يُبْصِرُ ٱلْكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا ٱلطُّنْبَا حَتَّىٰ يَلُفَّ عَلَىٰ خَيْشُومِهِ ٱلذَّنَبَا فِي جَانِبِ ٱلْبَيْتِ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قُبَبَا مَنْ كَانَ يَكْرَهُ ذَمّاً أَوْ يَقِي حَسَبَا مِثْلَ ٱلْمُجَادِلِ كُومٌ بَرَّكَتْ عُصَبَا جَلْس فَصَادَفَ مِنْهُ سَاقُهَا عَطَبَا لَمَّا نَعَوْهَا لِرَاعِي سَرْحِنَا ٱنْتَحَبَا فَصَارَ جَازِرُنَا مِنْ فَوْقِهَا قَتَبَا كَمَا تُنَشْنِشُ كَفًّا فَاتِل سَلَبَا غَدِّي بَنِيكِ فَلَنْ تَلْقَيْهِم حِقَبَا وَقَدْ عَمِرْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبَا أَنْمِي إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعْشَراً نُجُبَا

فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَىٰ ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لَا يَنْبَحُ ٱلْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مَاذَا تَرَيْنَ أَنُدْنِيهِمْ لِأَرْحُلِنَا لِمُرْمِلِ ٱلزَّادِ مَعْنِيّ بِحَاجَتِهِ وَقُمْتُ مُسْتَبْطِناً سَيْفِي فَأَعْرَضَ لِي فَصَادَفَ ٱلسَّيْفُ مِنْهَا سَاقَ مُتْلِيَةٍ زَيَّافَةٍ بنْتِ زَيَّافٍ مُلذَكَّرَةٍ أَمْطَيْتُ جَازِرَنَا أَعْلَىٰ سَنَاسِنِهَا يُنَشْنِثُ ٱللَّحْمَ عَنْهَا وَهْيَ بَارِكَةٌ وَقُلْتُ لَمَّا غَدَوْا أُوصِي قَعِيدَتَنَا أُدْعَىٰ أَبَاهُمْ وَلَمْ أُقْرَفْ بِأُمِّهِم أَنَا ٱبْنُ مَحْكَانَ أَخْوَالِي بَنُو مَطَرِ

وقالَ أبو زيادِ الأعرابيُّ الكلابيُّ ('': لَـهُ نَـارٌ تُـشَـبُُ عَـلَـىٰ يَـفَـاعِ وَلَـمْ يَـكُ أَكْثَرَ ٱلْفِتْيَانِ مَالاً

[من الوافر] إِذَا ٱلنِّيرَانُ أُلْبِسَتِ ٱلْقِنَاعَا وَلَاكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

اليفاعُ: المُرتفِعُ مِنَ الأرضِ، وكانَ مِنْ عادتِهِم إيقادُ النارِ على رؤوسِ المرتفعاتِ؛ ليبصرَها الساري فيقصدَها.

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧١/٤) .

وقالَ آخَرُ (١):

سَأَشْكُرُ عَمْراً إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ ٱلْغِنَىٰ عَنْ صَدِيقِهِ فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ ٱلْغِنَىٰ عَنْ صَدِيقِهِ رَأَىٰ خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَىٰ مَكَانُهَا وَقَالَ آخَرُ (٢):

تَرَكْتُ ضَأْنِي تَوَدُّ ٱلذِّئْبَ رَاعِيَهَا الذِّئْبَ رَاعِيَهَا الذِّئْبُ يَطْرُقُهَا فِي ٱلدَّهْرِ وَاحِدَةً وقالَ العرندسُ (٣):

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ إِنْ يُسْأَلُوا ٱلْحَقَّ يُعْطَوْهُ وَإِنْ خُبِرُوا وَإِنْ شُهِمُوا وَإِنْ شُهِمُوا وَإِنْ شُهِمُوا فِينْ تَوَدَّدْتَهُمْ لَانُوا وَإِنْ شُهِمُوا فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ ٱلْمَجْدُ مُتَّلِداً لَا يَنْطِقُونَ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا مَنْ تَلُقَ مِنْهُمْ تَقُلُ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مَنْ تَقُلُ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ

[من الطويل]

أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ وَلَا مُظْهِرِ ٱلشَّكُوىٰ إِذَا ٱلنَّعْلُ زَلَّتِ فَكَانَتْ قَذَىٰ عَيْنَيْهِ حَتَّىٰ تَجَلَّتِ أَكَانَتْ قَذَىٰ عَيْنَيْهِ حَتَّىٰ تَجَلَّتِ

وَأَنَّهَا لَا تَرَانِي آخِرَ ٱلْأَبَدِ
وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْيَةً بِيَدِي
[من البسيط]

سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ فِي ٱلْجَهْدِ أُدْرِكَ مِنْهُمْ طِيبُ أَخْبَارِ كَشَّفْتَ أَذْمَارَ شَرٍّ غَيْرَ أَشْرَارِ وَلَا يُسعَدُّ نَشَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ وَلَا يُسمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْشَارِ مِثْلَ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي

شُهِمُوا : بالبناءِ للمجهولِ مِنْ شَهَمَ كَمَنَعَ ؛ أي : حُرِّكَ للشرِّ وأفزعَ .

⁽١) انظر «شرح ديوان الحماسة » (٢٩/٤ _ ٧٠) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٦٣/٤) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » ($\forall Y/\xi$) .

وقالَ آخرُ 🗥 :

رَهَنْتُ يَدِي بٱلْعَجْز عَنْ شُكْر برّهِ وَلَوْ كَانَ شَيْئًا يُسْتَطَاعُ ٱسْتَطَعْتُهُ

وقالَ الحسينُ بنُ مطيرِ الأسديُّ (٢):

لَهُ يَوْمُ بُؤْسِ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ فَيَمْطُرُ يَوْمَ ٱلْجُودِ مِنْ كَفِّهِ ٱلنَّدَىٰ وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ خَلَّىٰ عِقَابَهُ وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْجُودِ خَلَّىٰ يَمِينَهُ وقالَتْ ليلي الأخيليةُ (٣):

يَا أَيُّهَا ٱلسَّدِمُ ٱلْمُلَوِّي رَأْسَهُ أَتُرِيدُ عَمْرَو بْنَ ٱلْخَلِيعِ وَدُونَهُ إِنَّ ٱلْخَلِيعَ وَرَهْطَهُ فِي عَامِر لَا تَخْزُونَ ٱلدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ وَمُخَرَّقٌ عَنْهُ ٱلْقَمِيصُ تَخَالُهُ حَتَّىٰ إِذَا رُفِعَ ٱللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ

[من الطويل] وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشَّكُورِ مَزيدُ

وَلَاكِنَّ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

وَيَوْمُ نَعِيم فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعُمُ وَيَمْطُرُ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ مِنْ كَفِّهِ ٱلدَّمُ عَلَى ٱلنَّاس لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُجْرِمُ عَلَى ٱلنَّاس لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُعْدِمُ [من الكامل]

لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِجَازِ بَرِيمَا كَعْبٌ إِذاً لَوَجَدْتَهُ مَرْؤُومَا كَٱلْقَلْبِ أُلْبِسَ جُؤْجُؤاً وَحَزِيمَا لَا ظَالِماً أَبَداً وَلَا مَظْلُومَا وَسْطَ ٱلْبُيُوتِ مِنَ ٱلْحَيَاءِ سَقِيمَا تَحْتَ ٱللِّوَاءِ عَلَى ٱلْخَمِيس زَعِيمَا

السَّدِمُ: النادمُ، أو اللَّجوجُ، أو هوَ مُستعارٌ مِنْ فحلِ الإبلِ الممنوع ناحيةً عنِ الدُّخولِ في الإبلِ ، فهوَ يهدرُ وحدَهُ ، والمُلَوِّي رأسَهُ : المُتكبِّرُ جهلاً ، والبَريمُ : أصلُّهُ : حبلٌ يُفتَلُ مِنْ قُوىً مختلفةِ الألوانِ ، مُستعارٌ للجيشِ مِنَ الأخلاطِ .

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٢/٤) .

⁽Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » (YY/ξ) .

⁽٣) انظر «شرح ديوان الحماسة » (٧٦/٤ ـ ٧٧) .

وقالَتْ _ وقيلَ : هيَ لأبيها _ ('') : نَحْنُ ٱلْأَخَايِلُ لَا يَزَالُ غُلَامُنَا تَبْكِي ٱلشَّيُوفُ إِذَا فَقَدْنَ أَكُفَّنَا وَلَنَحْنُ أَوْثَقُ فِي صُدُورِ نِسَائِكُمْ وَلَنَحْنُ أَوْثَقُ فِي صُدُورِ نِسَائِكُمْ وقالَ آخَرُ ('') :

إِذَا ٱنْتَدَىٰ وَٱحْتَبَىٰ بِٱلسَّيْفِ دَانَ لَهُ كَأَنَّمَا ٱلطَّيْرُ مِنْهُمْ فَوْقَ هَامِهِمِ وَقَالَ العجيرُ السَّلُوليُّ (٣):

أَقُولُ لِعَبْدِ ٱللهِ وَهْناً وَدُونَنَا لِكَ ٱلْخَيْرُ عَلِّلْنَا بِهَا عَلَّ سَاعَةً فَكَامَ فَأَدْنَى مِنْ وِسَادِي وِسَادَهُ فَقَامَ فَأَدْنَى مِنْ وِسَادِي وِسَادَهُ بَعِيدٌ مِنَ ٱلشَّيْءِ ٱلْقَلِيلِ ٱحْتِفَاظُهُ هُوَ ٱلظَّفِرُ ٱلْمَيْمُونُ إِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا هُوَ أَلْمَيْمُونُ إِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا

[من الكامل] حَتَّىٰ يَدِبَّ عَلَى ٱلْعَصَا مَذْكُورَا جَزَعاً وَتَعْلَمُنَا ٱلرِّفَاقُ بُحُورَا مِنْكُمْ إِذَا بَكَرَ ٱلصُّرَاخُ بُكُورَا مِنْكُمْ إِذَا بَكَرَ ٱلصُّرَاخُ بُكُورَا

[من البسيط]

شُوسُ ٱلرِّجَالِ خُضُوعَ ٱلْجُرْبِ لِلطَّالِي لَا شُوسُ ٱلرِّجَالِ خُضُوعَ ٱلْجُرْبِ لِلطَّالِي لَا خَوْفَ إِجْلَالِ لَا خَوْفَ فَاللَّمِ وَلَلْكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ]

مُنَاخُ ٱلْمَطَايَا مِنْ مِنىً فَٱلْمُحَسَّبُ
تَمُرُّ وَسِهْ وَاءً مِنَ ٱللَّيْلِ يَذْهَبُ
طَوِي ٱلْبَطْنِ مَمْشُوقُ ٱلذِّرَاعَيْنِ شَرْجَبُ
عَلَيْكَ وَمَنْزُورُ ٱلرِّضَا حِينَ يَغْضَبُ
بِهِ ٱلرَّكْبُ وَٱلتِّلْعَابَةُ ٱلْمُتَحَبِّبُ

أولُ الشعرِ غزلٌ ؛ فإنَّهُ أرادَ بضميرِ (ودونَنا) نفسَهُ وحبيبتَهُ ، والكنايةُ في قولِهِ : (لكَ الخيرُ علِّلْنا بها) عن حبيبتِهِ ، وسهواءٌ مِنَ الليلِ ، ويُروى : وتِهْواء بكسرِ التاءِ ؛ أي : جانبٌ منهُ ، والشَّرْجَبُ : الطَّويلُ ، والاحتفاظُ : الغضبُ ؛ أي : لا يغضبُ عليكَ غضبَ السُّفهاءِ مِنَ الشيءِ الذي لا خطرَ الغضبُ ؛ أي : لا يغضبُ عليكَ غضبَ السُّفهاءِ مِنَ الشيءِ الذي لا خطرَ

⁽۱) انظر « شرح ديوان الحماسة » (۷۷/٤) .

⁽Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » ($\Lambda \Psi/\xi$) .

⁽٣) انظر «شرح ديوان الحماسة » (٨٠/٤) .

لهُ ، فإن جاءَ موضعُ الغضبِ . . فهوَ قليلُ الرضا ، فبقيةُ الشعرِ مدحٌ لصاحبِهِ عبدِ اللهِ .

وقالَ حجرُ بنُ خالدٍ يمدحُ النعمانَ بنَ المنذرِ (١):

سَمِعْتُ بِفِعْلِ ٱلْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدُ فَسَاقَ إِلَهِي ٱلْغَيْثَ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ فَسَاقَ إِلَهِي ٱلْغَيْثَ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ فَأَصْبَحَ مِنْهُ كُلُّ وَادٍ حَلَلْتَهُ مَتَىٰ تُنْعَ يُنْعَ ٱلْجُودُ وَٱلْبَأْسُ وَٱلتُّقَىٰ مَتَىٰ تُنْعَ يُنْعَ ٱلْجُودُ وَٱلْبَأْسُ وَٱلتُّقَىٰ فَلَا مَلِكٌ مَا يُدْرِكَنَّكَ سَعْيُهُ فَلَا مَلِكٌ مَا يُدْرِكَنَّكَ سَعْيُهُ وقالَ آخَرُ (٢):

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ ٱلْهُدُوءِ دَعَوْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتَ ضَبَابَةٍ فَإِنْ شِئْتَ أَثْوَيْنَاكَ فِي ٱلْحَيِّ مُكْرَماً

وقالَ آخَرُ (٣):

وَمُسْتَنْبِحٍ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ يُصَفِّقُهُ أَنْفٌ مِنَ ٱلرِّيحِ بَارِدٌ حَبِيبٌ إِلَىٰ كَلْبِ ٱلْكَرِيمِ مُنَاخُهُ

كَمِثْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْماً وَنَائِلًا إِلَيْكَ فَأَضْحَىٰ حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلًا إِلَيْكَ فَأَضْحَىٰ حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلًا مِنَ ٱلْأَرْضِ مَسْفُوحَ ٱلْمَذَانِبِ سَائِلًا وَتُصْبِحْ قَلُوصُ ٱلْحَرْبِ جَرْبَاءَ حَائِلًا وَتُصْبِحْ قَلُوصُ ٱلْحَرْبِ جَرْبَاءَ حَائِلًا وَلَا سُوقَةٌ مَا يَمْدَحَنَّكَ بَاطِلًا وَلَا سُوقَةٌ مَا يَمْدَحَنَّكَ بَاطِلًا

بِشَقْرَاءَ مِثْلِ ٱلْفَجْرِ ذَاكِ وَقُودُهَا بِمُوقِدِ نَارٍ مُحْمِدٍ مَنْ يَرُودُهَا بِمُوقِدِ نَارٍ مُحْمِدٍ مَنْ يَرُودُهَا مِنْ الدُّهُم مِبْطَاناً طَوِيلاً رُكُودُهَا وَإِنْ شِئْتَ بَلَغْنَاكَ أَرْضاً تُرِيدُهَا وَإِنْ شِئْتَ بَلَغْنَاكَ أَرْضاً تُرِيدُها [من الطويل]

إِلَىٰ كُلِّ شَخْصٍ فَهُوَ لِلسَّمْعِ أَصْوَرُ وَنَكْبَاءُ لَيْلٍ مِنْ جُمَادَىٰ وَصَرْصَرُ وَنَكْبَاءُ لَيْلٍ مِنْ جُمَادَىٰ وَصَرْصَرُ بَغِيضٌ إِلَى ٱلْكَوْمَاءِ وَٱلْكَلْبُ أَبْصَرُ

⁽١) انظر «شرح ديوان الحماسة » (٨٩/٤ _ ٩٠) .

⁽۲) انظر «شرح ديوان الحماسة » (٩٠/٤ _ ٩١) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩١/٤ _ ٩٣) .

حَضَأْتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا وَمَا كَادَ لَوْلَا حَضْأَةُ ٱلنَّارِ يُبْصِرُ دَعَتْهُ بِغَيْرِ ٱسْمِ هَلُمَّ إِلَى ٱلْقِرَىٰ فَأَسْرَىٰ يَبُوعُ ٱلْأَرْضَ وَٱلنَّارُ تَزْهَرُ فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مَرْحَباً هَلُمَّ وَلِلصَّالِينَ بِٱلنَّارِ أَبْشِرُوا فَجَاءَ وَمَحْمُودُ ٱلْقِرَىٰ يَسْتَفِزُّهُ إِلَيْهَا وَدَاعِي ٱللَّيْلِ بِٱلصُّبْحِ يَصْفِرُ تَأَخَّرْتَ حَتَّىٰ لَمْ تَكَد تَصْطَفِي ٱلْقِرَىٰ عَلَىٰ أَهْلِهِ وَٱلْحَتُّ لَا يَتَأَخَّرُ وَقُمْتُ بِنَصْلِ ٱلسَّيْفِ وَٱلْبَرْكُ هَاجِدٌ [بَهَازِرُهُ] وَٱلْمَوْتُ فِي ٱلسَّيْفِ يَنْظُرُ فَأَعْضَضْتُهُ ٱلطُّولَىٰ سَنَاماً وَخَيْرَهَا بَلَاءً وَخَيْرُ ٱلْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ بِذِي نَفْسِهَا وَٱلسَّيْفُ عُرْيَانُ أَحْمَرُ فَأَوْفَضْنَ عَنْهَا وَهْيَ تَرْغُو حُشَاشَةً وَفُوهَا بِمَا فِي جَوْفِهَا يَتَغَرْغَرُ فَبَاتَتْ رُحَابٌ جَوْنَةٌ مِنْ لِحَامِهَا

مساقطُ الرأسِ: ميلاتُهُ، فهوَ مصدرٌ، إلى كلِّ شخصٍ؛ أي: شيءٍ قائمٍ يرجوهُ إنساناً، والسمعُ: التسمعُ، وهوَ لهُ أصورُ؛ أي: مائلُ الرأسِ لأجلِهِ، وصفَّقَهُ أنفُ الربح؛ أي: ضربَهُ أوَّلُهُ، وحضاً النارَ: أذكاها فرفعَها، والبهازرُ]: السِّمانُ، الواحدُ [بهزرةٌ] أو [بهزورةٌ] أو [بهزارٌ]، وأوفضنَ عنها: تَفرَّقنَ، والحُشاشةُ: بقيةُ النفسِ، نُصِبَ تمييزاً، وعُريانُ: غيرُ مصروفٍ ضووةً.

وقالَ عمرُو بنُ الأهتمِ ('': ذَرِينِي فَإِنَّ ٱلشَّحَّ يَا أُمَّ هَيْثَمٍ ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنَّنِي ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنَّنِي ذَرِينِي فَإِنِّي ذُو فَعَالٍ تُهِمُّنِي ذَرِينِي فَإِنِّي ذُو فَعَالٍ تُهِمُّنِي

[من الطويل] لِصَالِحِ أَخْلَاقِ ٱلرِّجَالِ سَرُوقُ عَلَى ٱلْحَسَبِ ٱلزَّاكِي ٱلرَّفِيعِ شَفِيقُ نَوَائِبُ يَغْشَىٰ رُزْؤُهَا وَحُقُوقُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٤/٤) .

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي ٱلذَّمَّ بِٱلْقِرَىٰ وَلِلْحَقِّ بَيْنَ ٱلصَّالِحِينَ طَرِيقُ لَعَمْرُكِ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَلْكِنَّ أَخْلَاقَ ٱلرِّجَالِ تَضِيتُ الصَّاحِبُ يَحُطُّ رحلَهُ حيثُ يَحُطُّ صاحبُهُ ، فهوَ موافقٌ غيرُ مفارقٍ ، استُعِيرَ للموافقةِ .

وقالَ عروةُ بنُ الوردِ (١١):

إِنِّي ٱمْرُؤٌ عَافِي إِنَائِيَ شِرْكَةٌ أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَىٰ أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَىٰ أَقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ العُفاةُ: طُلَّابُ المعروفِ.

وقالَ آخَرُ (٢):

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى ٱلْغِنَىٰ وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ إِلَّا غِنىً زَيَّنَ ٱلْفَتَىٰ وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ إِلَّا غِنىً زَيَّنَ ٱلْفَتَىٰ وقالَ آخَرُ (٣):

أَيَا بْنَةَ عَبْدِ ٱللهِ وَٱبْنَةَ مَالِكِ إِذَا مَا صَنَعْتِ ٱلزَّادَ فَٱلْتَمِسِي لَهُ أَخا طَارِقاً أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنَّنِي وَإِنِّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً

[من الطويل]

وَأَنْتَ ٱمْرُؤُ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدُ بِوَجْهِي شُحُوبَ ٱلْحَقِّ وَٱلْحَقُّ جَاهِدُ وَأَحْسُو قَرَاحَ ٱلْمَاءِ وَٱلْمَاءُ بَارِدُ

[من الطويل]

وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي ٱلْقُلُوبِ جَلِيلُ عَشِيَّةَ يَقْرِي أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ [من الطويل]

وَيَا بْنَةَ ذِي ٱلْبُرْدَيْنِ وَٱلْفَرَسِ ٱلْوَرْدِ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي أَخَافُ مَذَمَّاتِ ٱلْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ ٱلْعَبْدِ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٤/٤ _ ٩٥) .

⁽۲) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٥/٤) .

⁽٣) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١٠٠/٤ _ ١٠١) .

وقالَ آخَرُ (١):

وَلَيْسَ فَتَى ٱلْفِتْيَانِ مَنْ جُلُّ هَمِّهِ وَلَيْسَ فَتَى ٱلْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا

وقالَ حسانُ بنُ حنظلةَ الطَّائيُّ (٢): تِلْكَ ٱبْنَةُ ٱلْعَدُويِّ قَالَتْ بَاطِلاً إِنَّا لَعَمْرُ أَبِيكِ يَحْمَدُ ضَيْفُنَا وَأَنَا ٱمْرُؤٌ مِنْ آلِ حَيَّةَ مَنْصِبِي وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي جَدِيلَةَ جَاءَنِي وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي جَدِيلَةَ جَاءَنِي أَحْلَامُنَا تَزِنُ ٱلْحِبَالَ رَزَانَةً

وقالَ النمريُّ ويُقالُ: إنَّها لرجلِ مِنْ باهلةً (٣): [من الطويل]

وَدَاعِ دَعَا بَعْدَ ٱلْهُدُوءِ كَأَنَّمَا فَلَمَّا سَمِعْتُ ٱلصَّوْتَ نَادَیْتُ نَحْوَهُ فَلَمَّا سَمِعْتُ ٱلصَّوْتَ نَادَیْتُ نَحْوَهُ فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَثْقَبْتُ ضَوْءَهَا فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَثْقَبْتُ ضَوْءَهَا فَلَدَمَّا رَآنِي كَبَّرَ ٱللهَ وَحْدَهُ فَلَدَمَّا لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً وَقُمْتُ إِلَى بَرُكٍ هِجَانٍ أُعِدُّهُ وَقُمْتُ إِلَى بَرُكٍ هِجَانٍ أُعِدُّهُ بِأَبْيَضَ خَطَّتْ نَعْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكَتْ بِأَبْيَضَ خَطَّتْ نَعْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكَتْ

[من الطويل] صَبُوحٌ وَإِنْ أَمْسَىٰ فَفَضْلُ غَبُوقِ لِصَبُوحٌ وَإِنْ أَمْسَىٰ فَفَضْلُ غَبُوقِ لِنَفعِ صَدِيقِ لِنَفعِ صَدِيقِ الكامل]

أَذْرَىٰ بِعَوْمِكَ قِلَّهُ ٱلْأَمْوَالِ وَيَسُودُ مُقْتِرُنَا عَلَى ٱلْإِقْلَالِ وَبَنُو جُوَيْنٍ فَٱسْأَلِي أَخُوالِي مُرْدٌ عَلَىٰ جُرْدِ ٱلْمُتُونِ طِوَالِ وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى ٱلْجُهَّالِ

يُقَاتِلُ أَهْ وَالَ ٱلسُّرَىٰ وَتُقَاتِلُهُ

بِصَوْتٍ كَرِيمِ ٱلْجَدِّ حُلْوِ شَمَائِلُهُ
وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهُوَ فِي ٱلْبَيْتِ دَاخِلُهُ
وَبَشَّرَ قَلْباً كَانَ جَمَّا بَلَابِلُهُ
رَشِدْتَ وَلَمْ أَقْعُدْ إِلَيْهِ أُسَائِلُهُ
لِوَجْبَةِ حَقٍّ نَازِلٍ أَنَا فَاعِلُهُ
مِنَ ٱلْأَرْضِ لَمْ تَخْطَلْ عَلَىَّ حَمَائِلُهُ

⁽¹⁾ انظر « شرح ديوان الحماسة » ($1 \cdot 1/2$) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٥/٤ _ ١٠٦) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١١/٤ _ ١١٣) .

فَجَالَ قَلِيلاً وَأَتَّقَانِي بِخَيْرِهِ بِقَرْمٍ هِجَانٍ مُصْعَبٍ كَانَ فَحْلُهَا فَخَرَّ وَظِيفُ ٱلْقَرْمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وَبِهِ ثَلِهِ

سَنَامِاً وَأَمْلَاهُ مِنَ ٱلنَّيِّ كَاهِلُهُ طَوِيلِ ٱلْقِرَىٰ لَمْ يَعْدُ أَنْ شَقَّ بَازِلُهْ وَذَاكَ عِقَالٌ لَا يُنَشَّطُ عَاقِلُه كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيماً أَوَائِلُه

مثلُ هاذا لكونِهِ مَدْحَ المرءِ نفسَهُ أفردَهُ الناسُ بعدُ باسمِ الفخرِ ، فيقولونَ في تمييزِ الشعرِ : قالَ يمدحُ ، وقالَ يفتخرُ .

وقالَ حاتِمٌ (١):

وَعَاذِلَةٍ قَامَتْ عَلَيَّ تَلُومُنِي أَعَاذِلُ إِنَّ ٱلْجُودَ لَيْسَ بِمُهْلِكِي وَتُذْكَرُ أَخْلَاقُ ٱلْفَتَىٰ وَعِظَامُهُ وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ

أَكُفُّ يَدِي عَنْ أَنْ يَنَالَ ٱلْتِمَاسُهَا أَبِيتُ هَضِيمَ ٱلْكَشْحِ مُضْطَمِرَ ٱلْحَشَا وَإِنِّي هَضِيمَ ٱلْكَشْحِ مُضْطَمِرَ ٱلْحَشَا وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَىٰ وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَىٰ وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ

وقالَ جؤيةُ بنُ النضرِ (`` : قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبْقَىٰ دَرَاهِ مُنَا

[من الطويل]

كَأَنِّي إِذَا أَعْطَيْتُ مَالِي أَضِيمُهَا وَلَا مُخْلِدِ ٱلنَّفْسِ ٱلشَّحِيحَةِ لُؤْمُهَا مُغَيَّبَةٌ فِي ٱللَّحْدِ بَالٍ رَمِيمُهَا مُغَيَّبَةٌ فِي ٱللَّحْدِ بَالٍ رَمِيمُهَا يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلَى ٱلنَّفْسِ خِيمُهَا

[من الطويل]

أَكُفَّ صِحَابِي حِينَ حَاجَاتِنَا مَعَا مِنَ ٱلْجُوعِ أَخْشَى ٱلذَّمَّ أَنْ أَتَضَلَّعَا مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ ٱلزَّادِ أَقْرَعَا مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ ٱلزَّادِ أَقْرَعَا وَفَرْجَكَ نَالًا مُنْتَهَى ٱلذَّمِّ أَجْمَعَا وَفَرْجَكَ نَالًا مُنْتَهَى ٱلذَّمِّ أَجْمَعَا

وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خُرُقُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٧/٤ ـ ١١٨) .

⁽Y) انظر « شرح ديوان الحماسة » (177/8) .

ظَلَّتْ إِلَىٰ طُرُقِ ٱلْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمَزِقُ

إِنَّا إِذَا ٱجْتَمَعَتْ يَوْماً دَرَاهِمُنَا مَا يَأْلَفُ ٱلدِّرْهَمُ ٱلصَّيَّاحُ صَرَّتَنَا مَا يَأْلَفُ ٱلدِّرْهَمُ ٱلصَّيَّاحُ صَرَّتَنَا حَتَّىٰ يَصِيرَ إِلَىٰ نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ جَتَّىٰ يَصِيرَ إِلَىٰ نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ بابُ المدحِ أوسعُ أبوابِ الشعرِ .

وكفي هلذا القَدْرُ مِنْ مدائح « الحماسةِ » .

[نبذةٌ من أشعارِ الصفاتِ من « ديوانِ الحماسةِ »] ودونَكَ مثالَ ما يُسمَّىٰ مِنَ الشعرِ بالصِّفاتِ ؛ وذلكَ لأنَّهُ يذكرُ شيئاً فيأخذُ في متابعةِ أوصافِهِ .

قالَ البعيثُ الحنفيُّ يصفُ ناقةً (١):

طَبَخْتُ بِهَا عَيْرَانَةً وَٱشْتَوَيْتُهَا مُسَانَدَةً سِرَّ ٱلْمَهَارَى ٱنْتَقَيْتُهَا فُسَانَدَةً سِرَّ ٱلْمَهَارَى ٱنْتَقَيْتُهَا إِذَا عُدَّ مَجْدُ ٱلْعِيسِ قُدِّمَ بَيْتُهَا فَأَعْطَيْتُ فِيهَا ٱلْحُكْمَ حَتَّىٰ حَوَيْتُهَا

وَهَاجِرَةٍ يَشْوِي مَهَاهَا سَمُومُهَا مُفَومُهَا مُفَرَّحِةً مَنْفُوجَةً حَضْرَمِيَّةً فَطُرْتُ بِهَا شَجْعَاءَ قَرْوَاءَ جُرْشُعاً وَجَدْتُ أَبَاهَا رَائِضَيْهَا وَأُمَّهَا

[من الطويل]

[من الطويل]

لَعَلَّكَ تُمْنَى مِنْ أَرَاقِمِ أَرْضِنَا تَرَاهُ بِأَجْوَازِ ٱلْهَشِيمِ كَأَنَّمَا كَأَنَّ بِضَاحِي جِلْدِهِ وَسَرَاتِهِ

وقالَ عنترةُ بنُ الأخرس يصفُ ثعباناً (٢):

بِأَرْقَمَ يَسْقِي ٱلسُّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْطِفِ عَلَىٰ مَتْنِهِ أَخْلَاقُ بُرْدٍ مُفَوَّفِ وَمَجْمَع لِيتَيْهِ تَهَاوِيلُ زُخْرُفِ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٠/٤) .

⁽٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١٥٠/٤) .

كَأَنَّ مُثَنَّىٰ نِسْعَةٍ تَحْتَ حَلْقِهِ بِمَا قَدْ طَوَىٰ مِنْ جِلْدِهِ ٱلْمُتَغَضِّفِ إِذَا أَنْسَلَ ٱلْحَيَّاتُ بِٱلصَّيْفِ لَمْ يَزَلْ يُشَاعِرُ بَاقِي جُلْبَةٍ لَمْ تُقَرَّفِ

مِنِ استعمالِ جملةِ الرجاءِ في الدعاءِ: ما في صدْرِ هاذا الشعرِ ، دعا عليهِ بأن يُقدَّرَ لهُ ويُصابَ بأرقمَ أو برحلٍ يشبهُ ثعباناً هاذهِ صفتُهُ ، وتغضفُ الجلدِ: تَثنِيهِ ، واستعارَ الأنسالَ الذي هوَ سقوطُ ريشِ الطائرِ لسلخِ الحيَّةِ ؛ فإنَّهُ يُقالُ: سلختِ الحيَّةُ ؛ إذا خلعَتْ ثوبَها ، وأنسلَ الطائرُ ؛ إذا سقطَ ريشُهُ ، ويشاعرُ: مِنْ لبسِ الشعارِ ؛ وهوَ الثوبُ الذي يلي البدنَ ، وأرادَ بالجلبةِ : ثوبَهُ ، ولم يقرفْ : ولم ينقشرْ ، يصفُهُ بصلابةِ جلدِهِ .

وقالَ ملحةُ الجرميُّ يصفُ سحاباً (١١):

[من الطويل]

حَبِيًا سَرَىٰ مُجْتَابَ أَرْضٍ إِلَىٰ أَرْضِ لِمَا تَمْ يَكَدْ يَقْضِي يُعَدْبِ ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ يَكَدْ يَقْضِي كَمَا حَنَّ نِيبٌ بَعْضُهُنَّ إِلَىٰ بَعْضُ اللَّهُ اللَّهُ إِلَىٰ بَعْضُ هُنَّ إِلَىٰ بَعْضِ شَمَارِيخُ مِنْ لُبْنَانَ بِٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ شَمَارِيخُ مِنْ لُبْنَانَ بِٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ بِعُمُنْ هَمِرِ ٱلْأَرْوَاقِ ذِي قَنَعٍ رَفْضِ بِعُمُنْ هَمِرِ ٱلْأَرْوَاقِ ذِي قَنَعٍ رَفْضِ عَلَىٰ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ مِنْ مَحْضِ عَلَىٰ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ مِنْ مَحْضِ مِنَ ٱلْعَرْفَجِ ٱلنَّهُدِيِّ ذُو بَادَ وَٱلْحَمْضِ مِنَ ٱلْعُرْفَجِ ٱلنَّهُمِ النَّهُ فَيْدُهُ ٱلْمُوعِثِ ٱلنِقْضِ كَنَهُضِ ٱلْمُدَانَىٰ قَيْدُهُ ٱلْمُوعِثِ ٱلنِقْضِ

أَرِقْتُ وَطَالَ ٱللَّيْلُ لِلْبَارِقِ ٱلْوَمْضِ
نَشَاوَىٰ مِنَ ٱلْإِذْلَاجِ كُدْرِيُّ مُزْنِهِ
تَحِنُّ بِأَجْوَازِ ٱلْفَلَا قُطُرَاتُهُ
كَأَنَّ ٱلشَّمَارِيخَ ٱلْعُلَا مِنْ صَبِيرِهِ
كُأَنَّ ٱلشَّمَارِيخَ ٱلْعُلَا مِنْ صَبِيرِهِ
يُبَارِي ٱلرِّياحَ ٱلْحَضْرَمِيَّاتِ مُزْنُهُ
يُبَادِي ٱلرِّياحَ ٱلْحَضْرَمِيَّاتِ مُزْنُهُ
يُعَادِرُ مَحْضَ ٱلْمَاءِ ذُو هُوَ مَحْضُهُ
يُوتِي ٱلْعُرُوقَ ٱلْهَامِدَاتِ مِنَ ٱلْبِلَىٰ
يُرَوِّي ٱلْعُرُوقَ ٱلْهَامِدَاتِ مِنَ ٱلْبِلَىٰ
وَبَاتَ ٱلْحَبِيُّ ٱلْجَوْنُ يَنْهَضُ مُقْدِماً

البارقُ: ذو البرقِ؛ وهوَ عاملُ الحالِ مِنْ قولِهِ: (حبيّاً)، واجتابَ الأرضَ وجابَها: قطعَها بالسيرِ، ونشاوى مِنَ الإدلاج: مُستعارٌ لقطع السحابِ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٢/٤ _ ١٥٣) .

المتمايلةِ لثقلِها بكثرةِ مائِها ، والكدرى : أصلُهُ مِنْ صفةِ القطا ، استعارَهُ لِمَا في لونِهِ كُدرةٌ مِنَ المزنِ ، الصبيرُ : السحابُ الأبيضُ ، والحَبِيُّ الجونُ : السّحابُ الأبيضُ ، ولذلكَ ينهضُ السَّحابُ الأسودُ أو الأبيضُ الذي يشبهُ سيرُهُ لثقلِهِ حبوَ الصَّبيِّ ، ولذلكَ ينهضُ كما ينهضُ البعيرُ المُقارَبُ قيدُهُ ، الذي يسيرُ في الوعثاءِ ؛ وهوَ الرملُ الذي تسوخُ فيهِ الأقدامُ ، النقضُ : الهزيلُ الضَّعيفُ .

هاذا ما أورد أبو تمامٍ في بابِ الصِّفاتِ مِنَ «الحماسةِ»، وهاذا النوعُ كثيرٌ، يقولونَ في تمييزِهِ مِنْ دواوينِ الشعرِ: (قالَ يصفُ كذا) إن كانَ الكلامُ مسوقاً للصفةِ، (وقالَ ووصفَ في هاكذا كالأسدِ والذئبِ) إن كانَتِ القصيدةُ في نوعٍ مِنْ أنواعِ المعاني، واستطردَ فيها بصفةِ ما وصفَ.

[نبذةٌ مما قيلَ في السيرِ والنعاسِ من « ديوانِ الحماسة »] ثم عَقَبَهُ بذكرِ بعضِ ما قيلَ في السيرِ والنعاسِ ، قالَ بعضُهُم (١٠):

وَفِتْ يَانٍ بَنَيْتُ لَهُمْ رِدَائِي عَلَىٰ أَسْيَافِ فَظَلُّوا لَائِلِينَ بِهِ وَظَلَّتْ مَطَايَاهُمْ فَ فَلَمَّا صَارَ نِصْفُ ٱللَّيْلِ هَنَّا وَهَنَّا نِصْ دَعَوْتُ فَتَى أَجَابَ فَتَى دَعَاهُ بِلَبَّيْهِ أَ فَقَامَ يُصَارِعُ ٱلْبُرْدَيْنِ لَدْناً يَقُوتُ ٱلْعَبُ فَقَامُ وا يَرْحَلُونَ مُنَفَّهَاتٍ كَأَنَّ عُيُونَ

عَلَىٰ أَسْيَافِنَا وَعَلَى ٱلْقِسِيِّ مَطَايَاهُمْ ضَوَارِبَ بِٱللِّحِيِّ وَهَنَّا نِصْفُهُ قَسْمَ ٱلسَّوِيِّ بِلَبَّيْهِ أَشَمَّ شَمَرْدَلِيِّ يَقُوتُ ٱلْعَيْنَ مِنْ نَوْمٍ شَهِيٍّ كَأَنَّ عُيُونَهَا نُنرُحُ ٱلرَّكِيِّ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٤/٤ _ ١٥٥) .

[من البسيط]

كَأَنَّ مَا لَيْلُهُ بِٱللَّيْلِ مَوْصُولُ وَإِنْ بَدَتْ غُرَةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ وَإِنْ بَدَتْ غُرَةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ بِٱلسَّوْطِ مَقْتُولُ وَٱللَّيْلُ قَدْ مُزِّقَتْ عَنْهُ ٱلسَّرَابِيلُ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ ٱلْأَرْضِ مَشْكُولُ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ ٱلْأَرْضِ مَشْكُولُ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ ٱلْأَرْضِ مَشْكُولُ كَأَنَّهُ الْمَنْ ذَارُهُ الْحَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ مَنْ دَارُهُ الْحَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ حَتَّىٰ يُرَى ٱلرَّبْعُ مِنْهُ وَهُوَ مَأْهُولُ حَتَّىٰ يُرَى ٱلرَّبْعُ مِنْهُ وَهُوَ مَأْهُولُ حَتَّىٰ يُرَى ٱلرَّبْعُ مِنْهُ وَهُوَ مَأْهُولُ

وقالَ حُنْدُجُ بنُ حُنْدُجٍ المُرِّيُّ (۱):
فِي لَيْلِ صُولٍ تَنَاهَى ٱلْعَرْضُ وَٱلطُّولُ
لاَ فَارَقَ ٱلصُّبْحَ كَفِّي إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ
لِسَاهِرٍ طَالَ فِي صُولٍ تَمَلْمُلُهُ
مَتَىٰ أَرَى ٱلصُّبْحَ قَدْ لاَحَتْ مَخَايِلُهُ
لَيْلٌ تَحَيَّرَ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةٍ
لَيْلٌ تَحَيَّرَ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهةٍ
نُجُومُهُ رُكَّدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ
مَا أَقْدَرَ ٱلله أَنْ يُدْنِي عَلَىٰ شَحَطٍ

وقالَ حميدٌ الأرقطُ ووصفَ فيها الصَّقرَ عندما جاءَ بهِ التشبيهُ وتلكَ عادتُهُم وقالَ حميدٌ الأرقطُ ووصفَ فيها الصَّقرَ عندما جاءَ بهِ التشبيهُ وتلكَ عادتُهُم واقتدىٰ بهمُ الشُّعراءُ (٢):

قَدْ أَغْتَدِي وَٱلصَّبْحُ مُحْمَرُ ٱلطُّرَرْ وَٱللَّيْلُ يَحْدُوهُ تَبَاشِيرُ ٱلسَّحَرْ وَفِي تَوَالِيهِ نُجُومٌ كَٱلشَّرَرْ وَفِي تَوَالِيهِ نُجُومٌ كَٱلشَّرَرْ بِسُحُقِ ٱلْمَيْعَةِ مَيَّالِ ٱلْعُذَرْ كَأَنَّهُ يَوْمَ ٱلرِّهَانِ ٱلْمُحْتَضَرْ وَقَدْ بَدَا أَوَّلَ شَخْص يُنْتَظَرْ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٠/٤ _ ١٦١) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦١/٤ _ ١٦٢) .

ذُونَ أَثَابِيَّ مِنَ ٱلْخَيْلِ زُمَرْ ضَارٍ غَدَا يَنْفُضُ صِئْبَانَ ٱلْمَطُرْ ضَارٍ غَدَا يَنْفُضُ صِئْبَانَ ٱلْمُنْكَدَرْ عَنْ زِفِّ مِلْحَاحٍ بَعِيدِ ٱلْمُنْكَدَرْ أَقْنَى تَظُلُّ طَيْرُهُ عَلَى حَذَرْ أَقْنَى تَظُلُّ طَيْرُهُ عَلَى حَذَرْ يَلُذُنَ مِنْهُ تَحْتَ أَفْنَانِ ٱلشَّجَرْ يَلُذُنَ مِنْهُ تَحْتَ أَفْنَانِ ٱلشَّجَرْ مِنْ صَادِقِ ٱلْوَدْقِ طَرُوحٍ بِٱلْبَصَرْ بِالْبَصَرْ بَعْيِدِ تَوْهِيمِ ٱلْوِقَاعِ وَٱلنَّظُرْ بَعْيِدِ تَوْهِيمِ ٱلْوِقَاعِ وَٱلنَّظُرُ كَبَعْدِ ثَوْهِيمِ ٱلْوِقَاعِ وَٱلنَّظُرُ كَبَعْدِ مَا عَيْنَاهُ فِي حَرْفَيْ حَجَرْ فَيْ حَجَرْ بَيْنَانَ مَا عَيْنَاهُ فِي حَرْفَيْ حَرَقْ بِٱلْإِبَرْ

طُرَرُ الشيءِ : حافاتُهُ ، وسحقُ الميعةِ ؛ أي : بعيدُ النشاطِ ، فهوَ لا يَفنى عن قربٍ ، ويُروىٰ : مشعلُ الميعةِ ؛ أي : ملتهبُها ، والعذرُ : خِصَلُ الشَّعرِ في نواحي الرأسِ ، والأثابيُّ : الجماعاتُ ، لا واحدَ لهُ ، وقيلَ : هوَ جمعُ أُثْبِيَّةٍ ؛ كأُمْنِيَّةٍ ، والضَّاري : الجريءُ ، وصَيْبانُ المطرِ _ بفتحِ الصَّادِ _ : طائبُهُ ، أو هوَ صِئْبانُ _ بكسرِ الصَّادِ والهمزِ بعدَها _ : جمعُ صُوابٍ ، على التشبيهِ ، والمنكدرُ : المهويُّ ، ومِنْ صادقِ الودقِ ؛ أي : صادقِ الهُبوطِ ، التشبيهِ ، والمنكدرُ : المهويُّ ، ومِنْ صادقِ الودقِ ؛ أي : صادقِ الهُبوطِ ، بدلٌ مِنْ قولِهِ : (منهُ) ، وبعيدُ توهيمِ الوقاعِ والنظرِ ؛ أي : هوَ لا يَلحقُهُ وهمٌ في نظرِهِ ولا وقوعِهِ ، وقولُهُ : (لم تُخَرَقُ بالإبرِ) أي : هوَ على وحشيتِهِ لم يأخذُهُ الناسُ ، والصَّقرُ إذا أُخِذَ . . حِيصَتْ عيناهُ ؛ أي : خيطتا ليأنسَ .

انتهى ما اخترتُ إثباتَهُ مِنْ هـُذا الباب.

[ذكر طرف من بابِ المُلَحِ من « ديوانِ الحماسةِ »] وهاكَ طرفاً مِنْ بابِ المِلَحِ ، وأرادَ أبو تمامٍ بالمِلَحِ : الأشعارَ الهزليَّةَ المستطرفة .

قالَ بعضُهُم (١):

يَ قُولُ لِيَ ٱلْأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْمٍ فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وقالَتِ امرأةٌ (٢):

فَقَدْتُ ٱلشَّيُوخَ وَأَشْيَاعَهُمْ تَرَىٰ زَوْجَةَ ٱلشَّيْخِ مَغْمُومَةً فَلَا بَارَكَ ٱللهُ فِي عَرْدِهِ وَإِنَّ دِمَشْقَ وَفِتْ يَانَهَا نَكَحْتُ ٱلْمَدِينِيَّ إِذْ جَاءَنِي لَهُ ذَفَرٌ كُصْنَانِ ٱلتَّيُو

وقالَ أبو الخندقِ الأسديُّ ، وقيلَ أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لَيْلٍ يُقَرِّبُنِي لَعُودُ بِاللهِ مِنْ لَيْلٍ يُقَرِّبُنِي لَقَدْ لَمَسْتُ مُعَرَّاهَا فَمَا وَقَعَتْ فِي كُلِّ عُضْوٍ لَهَا قَرْنٌ تَصُكُّ بِهِ

[من الوافر]

تَقَدَّمْ حِينَ جَدَّ بِنَا ٱلْمِرَاسُ وَمَا لِي غَيْرَ هَاذَا ٱلرَّأْسِ رَاسُ [من المتقارب]

وَذَالِكَ مِنْ بَعْضِ أَقْوَالِيَهُ وَتُمْسِي لِصُحْبَتِهِ قَالِيَهُ وَلَا فِي غُضُونِ ٱسْتِهِ ٱلْبَالِيَهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ ٱلْجَالِيَهُ فَيَا لَكِ مِنْ نَكْحَةٍ غَالِيَهُ سِ أَعْيَا عَلَى ٱلْمِسْكِ وَٱلْغَالِيَهُ

إِلَىٰ مُضَاجَعَةٍ كَٱلدَّلْكِ بِٱلْمَسَدِ مِمَّا لَمَسْتُ يَدِي إِلَّا عَلَىٰ وَتِدِ مِمَّا لَمَسْتُ يَدِي إِلَّا عَلَىٰ وَتِدِ جَنْبَ ٱلضَّجِيعِ فَيَضْحَىٰ وَاهِيَ ٱلْجَسَدِ

: إنَّه لدِعْبل (٣): [من البسيط]

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٢/٤) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٣/٤) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٤/٤) .

وقالَ عمرُ بنُ أبي ربيعةً (١):

خَبَّرُوهَا بِأَنَّنِي قَدْ تَزَوَّجُ ثُمَّ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَلِأُخْرَىٰ وَأَشَارَتْ إِلَىٰ نِسَاءٍ لَدَيْهَا مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي مِنْ حَدِيثٍ نَمَا إِلَيَّ فَظِيعٍ وقالَ آخَرُ (٢):

جَزَى ٱللهُ عَنَّا ذَاتَ بَعْلٍ تَصَدَّقَتْ فَإِنَّا سَنَجْزِيهَا بِمَا فَعَلَتْ بِنَا أَفِيضُوا عَلَىٰ عُزَّابِكُمْ بِنِسَائِكُمْ وقالَ آخَرُ("):

[من الخفيف]

تُ فَظَلَّتُ تُكَاتِمُ ٱلْغَيْظَ سِرًا جَزَعاً لَيْتَهُ تَرَوَّجَ عَشْرَا جَزَعاً لَيْتَهُ تَرَوَّجَ عَشْرَا لَا تَرَىٰ دُونَهُ نَّ لِلسِّرِ سِتْرَا لَا تَرَىٰ دُونَهُ نَّ لِلسِّرِ سِتْرَا وَعِظَامِي كَأَنَّ فِيهِ نَّ فَتْرَا فِي ٱلْقَلْبِ مِنْ تَلَظِّيهِ جَمْرَا خِلْتُ فِي ٱلْقَلْبِ مِنْ تَلَظِّيهِ جَمْرَا إِمِنْ الطويل]

عَلَىٰ عَزَبٍ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ أَهْلُ إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَعْلُ إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَعْلُ فَمَا فِي كِتَابِ ٱللهِ أَنْ يَحْرُمَ ٱلْفَضْلُ [من مشطور الرجز]

وَفَيْشَةٍ زَيْنٍ وَلَيْسَتْ فَاضِحَهُ نَابِلَةٍ طَوْراً وَطَوْراً وَامِحَهُ عَلَى ٱلْعَدُوِّ وَٱلصَّدِيقِ جَامِحَهُ عَلَى ٱلْعَدُوِّ وَٱلصَّدِيقِ جَامِحَهُ مَنْ لَقِيَتْ فَهْيَ لَهُ مُصَافِحَهُ مَنْ لَقِيَتْ فَهْيَ لَهُ مُصَافِحَهُ تَسُدُّ فَرْجَ ٱلْقَحْبَةِ ٱلْمُسَافِحَهُ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٤/٤ _ ١٦٥) .

⁽٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٥/٤) ، وفيه : أنه أنشد هاذه الأبيات على مئذنة وسط الحي ، فعدا الناس إليه ، فطرحوه من المنارة ، فهلك .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٧/٤) .

مُ فُسِدَةٍ لِأَبْنِ ٱلْعَجُوزِ ٱلصَّالِحَهُ كَأَنَّهَا صَنْجَةُ أَلْفِ رَاجِحَهُ

وقالَ آخَرُ (١):

وقالَ آخَرُ (٢):

وَفَيْشَةٍ لَيْسَتْ كَهَاذِي ٱلْفَيْش

إِذَا بَدَتْ قُلْتَ أُمِيرُ ٱلْجَيْش

لَا أَكْتُمُ ٱلْأَسْرَارَ لَلْكِنْ أَنُمُّهَا

وَإِنَّ قَلِيلَ ٱلْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً

[من السريع] قَدْ مُلِئَتْ مِنْ خُرُقِ وَطَيْش

مَنْ ذَاقَهَا يَعْرِفُ طَعْمَ ٱلْعَيْشِ

[من الطويل]

وَلَا أَتْرُكُ ٱلْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَىٰ قَلْبِي تُقَلِّبُهُ ٱلْأَسْرَارُ جَنْباً إِلَىٰ جَنْبِ

وأفردَ أبو تمامٍ مَذمَّةَ النساءِ ببابٍ جعلَهُ عاشرَ الأبوابِ ، فمنهُ :

قالَ بعضُهُم (٣):

دِمَشْقُ خُذِيهَا وَٱعْلَمِي أَنَّ لَيْلَةً أَكَلْتُ دَماً إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ وقالَ آخَرُ (٣):

سَقَى ٱللهُ دَاراً فَرَّقَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَنَا وَلَا ذَكَرَ ٱلرَّحْمَانُ يَوْماً وَلَيْلَةً وَلَا ذَكَرَ ٱلرَّحْمَانُ يَوْماً وَلَيْلَةً وَلَا ذَكَرُ في امرأةٍ طَلَّقَها (''): وقالَ آخَرُ في امرأةٍ طَلَّقَها (''): رَحَلَتْ أُنَيْسَةُ بِٱلطَّلَاقِ

[من الطويل]

تَمُرُّ بِعُودَيْ نَعْشِهَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ بَعِيدَةِ مَهْوَى ٱلْقُرْطِ طَيِّبَةِ ٱلنَّشْرِ

[من الطويل]

وَبَيْنَكِ فِيهَا وَابِلاً سَائِلَ ٱلْقَطْرِ مَلَكْنَاكِ فِيهَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ مَلَكْنَاكِ فِيهَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ الكامل]
[من مجزوء الكامل]
وَعَـتَـقْـتُ مِـنْ رقِ ٱلْـوَثَـاقِ

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٦٧/٤) .

⁽۲) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١٦٧/٤) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٦/٤ _ ١٧٧) . .

⁽٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٧/٤ ـ ١٧٨).

بَانَتْ فَلَمْ يَأْلَمْ لَهَا وَدَوَاءُ مَا لَا تَسْتَهِي وَدَوَاءُ مَا لَا تَسْتَهِي لَا لَا تَسْتَهِ فِي لَا أَرْحُ بِي فِي رَاقِها وَخَصَيْتُ نَفْسِي لَا أُرِي وَخَصَيْتُ نَفْسِي لَا أُرِي وَقَالَ آخَرُ (۱):

تَمَّتْ عُبَيْدَةُ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِهَا قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَنِقٍ وَقَالَ آخَرُ (٢):

لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزاً إِنْ أُتِيتَ بِهَا وَإِنْ أُتِيتَ بِهَا وَإِنْ أَتَوْكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفُ وَإِنْ أَتَوْكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفُ وقالَ آخَرُ ("):

رَقْطَاءُ حَدْبَاءُ يُبْدِي ٱلْكَیْدَ مَضْحَكُهَا لَهَا فَمٌ مُلْتَقَیْ شِدْقَیْهِ نَقْرَتُهَا [أَسْنَانُهَا] أَضْعَفَتْ فِي خَلْقِهَا عَدَداً

قَلْبِي وَلَمْ تَبْكِ ٱلْمَآقِي هِ ٱلنَّفْسُ تَعْجِيلُ ٱلْفِرَاقِ لَأَرَحْتُ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ لَأَرَحْتُ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ لَدُ حَلِيلَةً حَتَّى ٱلتَّلَاقِي [من البسيط]

وَٱلْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ الشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ أَقْصِرْ فَرَأْسُ ٱلَّذِي قَدْ عِبْتِ لِلْحَجَرِ أَقْصِرْ فَرَأْسُ ٱلَّذِي قَدْ عِبْتِ لِلْحَجَرِ أَقْصِرْ فَرَأْسُ ٱلَّذِي

وَٱخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمْعِناً هَرَبَا فَإِنَّ أَمْثَلَ نِصْفَيْهَا ٱلَّذِي ذَهَبَا [من البسيط]

قَنْوَاءُ بِٱلْعَرْضِ وَٱلْعَيْنَانِ بِٱلطُّولِ كَأَنَّ مِشْفَرَهَا قَدْ طُرَّ مِنْ فِيلِ مُظَهَّرَاتٌ جَمِيعاً بِٱلرَّوَاوِيلِ

الرَّاوُولُ كطاووسٍ : السِّنَّةُ الزائدةُ تنبتُ خلفَ الأصليَّةِ .

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٨/٤) .

⁽٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨٠/٤) .

⁽٤) في « شرح ديوان الحماسة » : (الكِبْدَ) .

وقالَ آخَرُ (''):

[من الطويل] وَضَبْع وَتِمْسَاح تَغَشَّاكَ مِنْ بَحْرِ أُلَامُ عَلَىٰ بُغْضِي لِمَا بَيْنَ حَيَّةٍ

وَصَفْحَتُهَا لَمَّا بَدَتْ سَطْوَةُ ٱلدَّهْرِ تُحَاكِي نَعِيماً زَالَ فِي [قُبْح] وَجْهِهَا

وَشُعْبَةُ بِرْسَام ضَمَمْتَ إِلَى ٱلنَّحْرِ هِيَ ٱلضَّرَبَانُ فِي ٱلْمَفَاصِل خَالِياً

وَإِنْ بُرْقِعَتْ فَٱلْفَقْرُ فِي غَايَةِ ٱلْفَقْر إِذَا سَفَرَتْ كَانَتْ لِعَيْنِكَ سُخْنَةً

وَإِنْ حَدَّثَتْ كَانَتْ جَمِيعَ مَصَائِبِ مُوَقَّرَةٍ تَأْتِي بِقَاصِمَةِ ٱلظَّهْرِ

وَغَنْجٌ كَحَطْم ٱلْأَنْفِ عِيلَ بِهِ صَبْرِي حَدِيثٌ كَقَلْع ٱلضِّرْس أَوْ نَتْفِ شَارِبِ

وَتَفْتَدُّ عَنْ قُلْحِ عَدِمْتُ حَدِيثَهَا وَعَنْ جَبَلَيْ طَيّ وَعَنْ هَرَمَيْ مِصْرِ

وأنشدَ أبو عبيدةَ لأبي الغطمشِ الحنفيّ (٢): [من المتقارب]

أَلَصُّ وَأَخْبَثُ مِنْ كُنْدُش وَتَمْشِي مَعَ ٱلْأَخْبَثِ ٱلْأَطْيَش وَلَوْنٌ كَبَيْضِ ٱلْقَطَا ٱلْأَبْرَشِ كَقِرْبَةِ ذِي ٱلثَّلَّةِ ٱلْمُعْطِشِ أَشَـدُّ ٱصْفِرَاراً مِنَ ٱلْمِشْمِشِ يُجِيزُ ٱلْمَحَامِلَ لَمْ تَخْدِش كَسَاقِ ٱلْجَرَادَةِ أَوْ أَحْمَشِ إِذَا سَفَرَتْ بَدَدُ ٱلْكِشْمِشِ

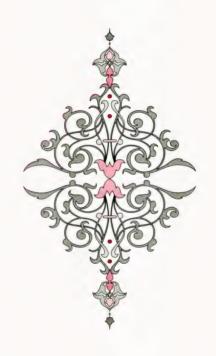
مُنِيتُ بزَنْمَرْدَةٍ كَٱلْعَصَا تُحِبُّ ٱلنِّسَاءَ وَتَأْبَى ٱلرِّجَالَ لَـهَا وَجْـهُ قِـرْدٍ إِذَا ٱزَّيَّـنَـتْ وَثَدْيٌ يَجُولُ عَلَىٰ نَحْرِهَا لَهَا دَكَبٌ مِثْلُ ظِلْفِ ٱلْغَزَالِ وَفِحْذَانِ بَيْنَهُ مَا نَفْنَفٌ وَسَاقٌ مُخَلْخَلُهَا حَمْشَةٌ كَأَنَّ [ٱلثَّالِيلَ] فِي وَجْهِهَا

⁽١) انظر « شرح ديوان الحماسة » : (١٨١/٤ _ ١٨٢) .

⁽٢) انظر «شرح ديوان الحماسة » (١٨٤/٤).

لَهَا جُمَّةٌ فَوْقَهَا جَثْلَةٌ كَمِثْلِ ٱلْخَوَافِي مِنَ ٱلْمُرْعَشِ النّهَا جُمَّةٌ فَوْقَهَا جَثْلَةٌ كَمِثْلِ ٱلْخَوَافِي مِنَ ٱلْمُرْعَشِ الزنمردةُ: المرأةُ المُتشبِّهةُ بالرجالِ ، أصلُها فارسيةٌ مِنْ كلمتَينِ: زن ؛ وهي المرأةُ ، ومرد ؛ وهو الرجلُ ، وكندشُ : قيلَ : هوَ لصٌّ مشهورٌ ، وقيلَ : هوَ العقعقُ أو الفأرةُ ؛ لكونِهِما يُوصَفانِ بالسَّرقةِ ، والرَّكبُ : منبتُ العانةِ .





[قرضُ الشِّعر]

ذلك ؛ وحيثُ كانَتِ العزيمةُ على أن أوردَ هنالكَ طرفاً مِنْ جيّدِ الشعرِ في بعضِ طوالِ قصائدَ لفحولٍ مِنَ الشُّعراءِ . . تَعيَّنَ كما اقتضاهُ الحالُ أن أقدِّمَ تعريفَكَ بما يُسمِّيهِ أهلُ الأدبِ : فنَّ القريضِ ، وسمَّاهُ قدامةُ قبلُ : نقدَ الشعرِ ؛ لتَعرِفَ ما المرادُ بجيدِ الشعرِ ورديئِهِ ، فتكونَ على بصيرةٍ مِنْ ذلك .

قرأتُ لأبي هلالٍ العسكريِّ كتابَهُ المشهورَ بـ « الصِّناعتَينِ » ، فوجدتُهُ رَتَّبَهُ عشرةَ أبواب :

البابُ الأوَّلُ: في تعريفِ البلاغةِ.

البابُ الثاني : في تمييز جيدِ الكلام مِنْ رديئِهِ .

البابُ الثالثُ: في معرفةِ صنعةِ الكلام.

البابُ الرابعُ: في البيانِ عن حسن السبكِ وجودةِ الرصفِ.

البابُ الخامسُ: في ذكر الإيجاز والإطناب.

البابُ السادسُ: في حسنِ الأخذِ وقبحِهِ وجودتِهِ ورداءتِهِ.

البابُ السابعُ: في القولِ في التشبيهِ.

البابُ الثامنُ : في ذكرِ السجع والازدواج .

البابُ التاسعُ: في شرحِ البديع.

البابُ العاشرُ: في ذكرِ مقاطعِ الكلامِ ومباديهِ ، والقولِ في الإساءةِ في ذلكَ والإحسانِ .

وهاأنذا مُلخِّصٌ لكَ منهُ ما تقعُ الكفايةُ بهِ في ذلكَ الغرض.

[البلاغة]

أمَّا البلاغةُ ، والإيجازُ وما يقابلُهُ ، والبديعُ ، وفي ضمنِهِ القولُ في المبادئُ والمقاطعِ . . فقد تَقدَّمَتْ ، وللكنْ أزيدُكَ نورَ بصيرةٍ بما أُثبِتُ لكَ مِنْ أشياءَ نقلَها أبو هلالٍ في هاذهِ الأبوابِ ، قالَ في بابِ البلاغةِ بعدَ أن تَكلَّمَ عليها وعلى الفصاحةِ بكلامِ ما سلفَ لكَ صدرَ المعاني أحسنُ منهُ وأضبطُ (١٠):

[حدُّ البلاغةِ عندَ ابنِ المقفَّع]

قد جاء عنِ الحُكماءِ والعُلماءِ في البلاغةِ أقوالٌ أنا ذاكرُها ومُفسِّرُها ، قالَ إسحاقُ بنُ حسانَ : لم يُفسِّرُ أحدُ البلاغةَ تفسيرَ ابنِ المُقفَّعِ إذ قالَ : البلاغةُ اسمٌ لمعانٍ تجري في وجوهِ كثيرةٍ ، منها ما يكونُ في السُّكوتِ ، ومنها ما يكونُ في السُّكوتِ ، ومنها ما يكونُ في الاستماعِ ، ومنها ما يكونُ شعراً ، ومنها ما يكونُ سجعاً ، ومنها ما يكونُ خطَباً ، وربَّما كانَتْ رسائلَ ، بعامَّةِ ما يكونُ مِنْ هاذهِ الأبوابِ . . فالوحيُ فيها والإشارةُ إلى المعنى أبلغُ ، والإيجازُ هوَ البلاغةُ .

فقولُهُ: (منها ما يكونُ في السُّكوتِ) فالسُّكوتُ يُسمَّىٰ بلاغةً مجازاً ؛ وهوَ في حالةٍ لا ينجعُ فيها القولُ ، ولا تنفعُ إقامةُ الحجج ؛ إمَّا عندَ جاهلِ لا يفهمُ الخطابَ ، أو عندَ وضيعٍ لا يرهبُ الجوابَ ، أو ظالم سليطٍ يحكمُ بالهوىٰ ، ولا يرتدعُ بكلمةِ التقوىٰ ، وإذا كانَ الكلامُ يعرىٰ مِنَ الخيرِ ، أو بالهوىٰ ، ولا يرتدعُ بكلمةِ التقوىٰ ، وإذا كانَ الكلامُ يعرىٰ مِنَ الخيرِ ، أو يجلبُ الشرَّ . . فالسُّكوتُ أولىٰ ، كما قالَ أبو العتاهيةِ (١): [من مخلع البسيط] مَا كُلُّ نُطْق لَهُ جَوابُ مَا يُكْرَهُ ٱلسُّكُوتُ مَا يُكُروتُ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠) .

⁽۲) انظر «لباب الآداب» (ص ۲۷٦).

وقالَ معاويةُ لابنِ أوسِ: ابغني مُحدِّثاً ، قالَ: أَوَيُحتاجُ معي إلى مُحدِّثِ ؟! قالَ: أستريحُ منكَ إليهِ ، ومنهُ إليكَ ، وربَّما كانَ صمتُكَ في حالٍ أوفقَ مِنْ كلامِكَ .

ولهُ وجهٌ آخَرُ ؛ وهوَ في كلامِهِم ('': كلُّ صامتٍ ناطقٌ مِنْ جهةِ الدلالةِ ؛ وذلكَ أنَّ دلائلَ الصَّنعةِ في جميع الأشياءِ واضحةٌ ، والموعظةُ فيها قائمةٌ .

وقد قالَ الرَّقَاشيُّ : سَلِ الأرضَ : مَنْ شقَّ أنهارَكِ ، وغرسَ أشجارَكِ ، وجنى ثمارَكِ ، وجنى ثمارَكِ ، فإن لم تجبْكَ حواراً . . أجابَتْكَ اعتباراً .

ولمَّا ماتَ الإسكندرُ . . وقفَ عليهِ بعضُ اليونانيةِ فقالَ : قد طالما وعظَنَا هنذا الشخصُ بكلامِهِ ، وهوَ اليومَ الساكتُ الواعظُ بسكوتِهِ ، وحقًا إنَّهُ في يومِهِ هنذا أوعظُ ، فنظمَ هنذا الكلامَ أبو العتاهيةِ في قولِهِ (۱) : [من الوافر] وكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

وأحسنُ مِن هاذا كلِّهِ وأبلغُ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَا تَفْقَهُونَ تَسَبِيحَهُمْ ﴾ (٣) ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي اللَّهِ مِن دَابَّةٍ ﴾ (١) ؛ معناهُ : يدلُّ على اللهِ بصنعتِهِ وكأنَّهُ يسجدُ وإن لم يسجدُ ولم يقرَّ بذلك ، وقولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكُرُهَا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوقِ وَالْآصَالِ ﴾ (٥) .

وقولُهُ: (وربَّما كانَتْ رسائلَ بعامَّةِ ما يكونُ مِنْ هاذهِ الأبوابِ) معناهُ: وربَّما كانَتْ كلاماً مُشتمِلاً على الشِّعرِ والسَّجع والخُطبةِ ، فالباءُ فيهِ

⁽١) في « الصناعتين » : (وهو قولهم) بدل (وهو في كلامهم) .

⁽٢) انظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٤٤٢) .

⁽٣) سورة الإسراء : (٤٤) .

⁽٤) سورة النحل : (٤٩).

⁽٥) سورة الرعد : (١٥).

للملابسة ، ثمَّ أفردَ الوحيَ والإشارةَ والإيجازَ بالثناءِ ؛ لظهورِ بداعتِها وحسنِ موقعِها مِنَ النفوس .

وحاصلُ كلامِ ابنِ المُقفَّعِ: إنَّ لكلِّ شيءٍ موضعاً يكونُ وضعُ غيرِهِ فيهِ إساءةً.

[حدُّ البلاغةِ عندَ حكيم الهندِ]

وقالَ حكيمُ الهندِ (١): أوَّلُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ ؛ وذلكَ أن يكونَ الخطيبُ رابطَ الجأْشِ ، ساكنَ الجوارحِ ، مُتخيِّرَ اللَّفظِ ، لا يُكلِّمُ سيدَ الأَمَةِ [بكلامِ الأَّمةِ] ، ولا الملوكَ بكلامِ السُّوقةِ ، ويكونُ في قُواهُ التصرُّفُ في كلِّ ملتقةٍ ، ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ ، كلِّ طبقةٍ ، ولا يُدقِّقُ المعانيَ كلَّ التدقيقِ ، ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ ، ويُصفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهذِّبُها كلَّ التهذيبِ ، ولا يفعلُ ذلكَ حتى يصادفَ ويُصفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهذِّبُها كلَّ التهذيبِ ، ولا يفعلُ ذلكَ حتى يصادف حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، ومَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ ، وإسقاطَ مشتركِ الألفاظِ ، [ونظرَ] في صناعةِ المَنطِقِ على جهةِ الصِّياغةِ والمبالغةِ فيها ، لا على جهةِ الاستطرافِ والتطرُّفِ لها .

قال : واعلم: أنَّ حقَّ المعنى أن يكونَ الاسمُ لهُ طبقاً ، وتلكَ الحالُ لهُ وَفْقاً ، ولا يكونُ الاسمُ فاضلاً ، ولا مُقصِّراً ، [ولا] مشتركاً ، ولا مُضمَّناً ، ويكونُ تصفُّحُهُ لمصادرِ كلامِهِ بقَدْرِ تَصفُّحِهِ لمواردِهِ ، ويكونُ لفظهُ مونقاً ، ويكونُ تصفُّحُهُ لمصادرِ علامِهِ بقَدْرِ تَصفُّحِهِ لمواردِهِ ، ويكونُ لفظهُ مونقاً ، ومعناهُ : نيِّراً واضحاً ، ومدارُ الأمرِ : على إفهامِ كلِّ قوم بمقدارِ طاقتِهِم ، والحملِ عليهِم على قَدْرِ منازلِهِم ، وأن تواتيهُ آلتُهُ ، وتَتصرَّفَ معهُ أداتُهُ ، ويكونَ في التُّهمَةِ لنفسِهِ معتدلاً ، وفي حسنِ الظنِّ بها مقتصداً ، فإنَّهُ إن تجاوزَ الحقَّ في مقدارِ حسنِ الظَّنِّ . . أودعَها تهاونَ الأميينَ ، وإن تجاوزَ بها مقدارَ الحقّ في التُّهمةِ . . ظلمَها وأودعَها ذلَّ المظلومينَ .

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٥) .

فقولُهُ: (أولُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ) أي: أوّلُ آلاتِ البلاغةِ جودةُ القريحةِ ، وطلاقةُ اللسانِ ، وذلكَ مِنْ فعلِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، لا يَقدِرُ العبدُ على القريحةِ ، وطلاقةُ اللسانِ ، وذلكَ مِنْ فعلِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، لا يَقدِرُ العبدُ على اكتسابِهِ لنفسِهِ واجتلابِهِ لها ، ومِنَ الناسِ مَنْ إذا خلا بنفسِهِ وأعملَ فكرَهُ . . أتى بالبيانِ العجيبِ ، والتبيانِ البديعِ المصيبِ ، واستخرجَ المعنى الرائقَ ، وجاءَ باللفظِ الرائعِ ، وإذا حاورَ أو ناظرَ . . قَصَّرَ وتأخَّرَ ؛ فحقُّ هاذا [ألّا] يتعرَّضَ لارتجالِ الخُطَبِ ، ولا يجاريَ أصحابَ البداهةِ في ميدانِ القريضِ ، ويكتفي بنتائج فكرهِ .

والناس في صناعةِ الكلام على طبقاتٍ :

منهُم مَنْ إذا حاورَ وناظرَ . . أبلغَ وأجادَ ، وإذا كتبَ وأملى . . أخلَّ وتَخلَّفَ .

ومنهُم مَنْ إذا أملى . . بَرَّزَ ، وإذا حاورَ أو كتبَ . . قَصَّرَ .

ومنهُم مَنْ إذا كتبَ . . أحسنَ ، وإذا حاورَ وأملىٰ . . أساءَ .

ومنهُم مَنْ يُحسِنُ في جميعِ هاذه الحالاتِ ، ومنهُم مَنْ يسيءُ فيها كلِّها . فأحسنُ حالاتِ المحسنِ التوسُّطُ ؛ فأحسنُ حالاتِ المحسنِ التوسُّطُ ؛ فإنَّ الإكثارَ يورثُ الإملالَ ، وقلَّما ينجو صاحبُهُ مِنَ الزللِ ، والعيبِ والخطلِ .

وليسَ ينبغي للمُحسِنِ في أحدِ هنذهِ الفنونِ ، المسيءِ في غيرِها . . أن يَتجاوزَ ما هوَ مُحسِنٌ فيهِ إلىٰ ما هوَ مسيءٌ فيهِ ، فإنِ اضطُرَّ في بعضِ الأحوالِ إلىٰ تجاوزِهِ . . فخيرُ سبيلِهِ قصدُ الاختصارِ ، وتَجنُّبُ الإكثارِ والإهذارِ ؛ ليقلَّ السقطُ في كلامِهِ ، ولا يَكثُرَ العيبُ في مَنطِقِهِ .

وقيلَ لابنِ المُقفِّعِ (١): لمَ لا تطيلُ القصائدَ ؟ قالَ: لو أطلتُها . . عُرِفَ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٧) .

صاحبُها ؛ يريدُ : أنَّ المُحدَثَ يَتشبَّهُ بالقديمِ في القليلِ مِنَ الكلامِ ، فإذا طالَ . . أخلَّ ، فغرِفَ أنَّهُ كلامٌ مُولَّدٌ ، على أنَّ السابقَ في ميادينِ البلاغةِ إذا أكثرَ . . أسقطَ ، فكيفَ المُقصِّرُ عن غايتِها ، والمُتخلِّفُ عن أمدِها ؟!

ومِنْ تمامِ آلةِ البلاغةِ: التوسُّعُ في معرفةِ العربيةِ ، ووجوهِ الاستعمالِ لها ، والعلمُ بفاخرِ الألفاظِ وساقطِها ، وجيدِها ورديئِها ، ومعرفةُ المَقاماتِ وما يصلُحُ في كلِّ واحدٍ منها مِنَ الكلام .

وقولُهُ: (وذلكَ أن يكونَ الخطيبُ رابطَ الجأشِ ، ساكنَ الجوارحِ) هاذا لأنَّ الحَيرةَ والدَّهَشَ يُورثانِ الحُبْسةَ والحَصَرَ ، وهما سببا الإرتاجِ والإخبالِ ، وقد بلغكَ ما أصابَ عثمانَ بنَ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا صَعِدَ المِنبرَ فأُرتِجَ عليهِ ، فقالَ : إنَّ اللَّذينِ كانا قبلي كانا يُعِدَّانِ لهاذا المَقامِ المِنبرَ فأُرتِجَ عليهِ ، فقالَ : إنَّ اللَّذينِ كانا قبلي كانا يُعِدَّانِ لهاذا المَقامِ مَقالاً ، وأنتُم إلى إمامٍ عادلٍ أحوجُ منكم إلى إمامٍ قائلٍ ، وستأتيكُمُ الخُطبةُ على وجهِها ، ثمَّ نزلَ .

وصَعِدَ بعضُ العربِ مِنبراً بخراسانَ ، فأُرتِجَ عليهِ ، فقالَ : [من الطويل] لَئِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيباً فَإِنَّنِي بِسَيْفِي إِذَا جَدَّ ٱلْوَغَىٰ لَخَطِيب لَخَطِيب ونزلَ (١٠).

ومِنْ حسنِ الاعتذارِ عندَ الإرتاجِ: ما رُوِي: أنَّ داوودَ بنَ عليِ خطبَ ، فحَمِدَ الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليهِ ، وصلَّى على النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ ، فلمَّا قالَ: أمَّا بعدُ: فقد يجدُ المعسرُ ، فلمَّا قالَ: أمَّا بعدُ: فقد يجدُ المعسرُ ، ويعسرُ الواجدُ ، ويُفَلُّ الحديدُ ، ويقطعُ الكليلُ ، وإنَّما الكلامُ بعدَ الإفحامِ كالإشراقِ بعدَ الإظلام ، وقد يعزبُ البيانُ ، ويعتقمُ الصَّوابُ ، وإنَّما [اللسانُ]

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ۲۸) .

بضعةٌ مِنَ الإنسانِ ، يفترُ بفتورِهِ إذا نكلَ ، ويثوبُ بانبساطِهِ إذا ارتجلَ ، الا وإنَّا لا ننطقُ بطراً ، ولا نسكتُ حَصَراً ، بل نسكتُ معتبرينَ ، وننطقُ مرشدينَ ، ونحنُ بعدُ أُمراءُ الكلامِ ، فينا وشجَتْ أعراقُهُ ، وعلينا عطفَتْ أغصانُهُ ، ولنا تَهدّلَتْ ثمرتُهُ ، فنتخيّرُ منهُ ما احلوليٰ وعَذُبَ ، ونطرحُ منهُ ما املولحَ وخَبُثَ ، ومِنْ بعدِ مَقامِنا مَقامٌ ، وبعدَ يومِنا أيامٌ ، يُعرَفُ فيها فضلُ البيانِ ، وفصلُ الخطاب ، واللهُ أفضلُ مُستعانٍ ، ثمَّ نزلَ (۱).

وعلامةُ سكونِ نفسِ الخطيبِ ورباطةِ جأشِهِ : هدوءُهُ في كلامِهِ ، وتَمهُّلُهُ في مَنطِقِهِ .

وقالَ ثمامةُ: كانَ جعفرُ بنُ يحيى أنطقَ الناسِ ؛ قد جمعَ الهدوءَ والجَزالةَ ، والتمهُّلَ والحلاوةَ ، ولو كانَ في الأرضِ ناطقٌ يستغني عنِ الإشارةِ . . لكانَهُ (٢) .

وقولُهُ: (مُتخيِّر الألفاظِ) فمدارُ البلاغةِ على تخيُّرِ اللفظِ، وتخيُّرُ اللفظِ المفظِ اللهظِ اللهظِ المفظِ أصعبُ مِنْ جمعِهِ وتأليفِهِ .

وقولُهُ: (ويكونُ في قُواهُ فضلٌ للتصرُّفِ في كلِّ طبقةٍ) وهوَ أن يكونَ صانعُ الكلامِ قادراً على جميعِ ضروبِهِ مُتمكِّناً مِنْ جميعِ فنونِهِ ، لا يَعتاصُ عليهِ قسمٌ مِنْ أقسامِهِ ، فإن كانَ شاعراً . . تَصرَّفَ في وجوهِ الشعرِ ؛ مديجِهِ وهجائِهِ ومراثيهِ وصفاتِهِ ومفاخرهِ وغير ذلكَ مِنْ أصنافِهِ .

ولاختلافِ قُوى الناسِ في الشعرِ وفنونِهِ قيلَ: كانَ امرُؤُ القيسِ أشعرَ الناس إذا ركبَ ، والنابغةُ إذا رهبَ ، وزهيرٌ إذا رغبَ ، والأعشىٰ إذا طربَ (٣).

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٨) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٩).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٩) .

وكذلكَ الكاتبُ ربَّما تَقدَّمَ في ضربٍ مِنَ الكتابةِ وتَأخَّرَ في غيرِهِ ، وسَهُلَ عليهِ نوعٌ منها ، وعَسُرَ [عليه] نوعٌ آخَرُ .

وقالَ إبراهيمُ بنُ العباسِ: سمعتُ أحمدَ بنَ يوسفَ يقولُ: أمرَني المأمونُ أن أكتبَ إلى النواحي في الاستكثارِ مِنَ القناديلِ في المساجدِ، فبتُ لا أدري كيفَ أحتذي، فأتاني آتٍ في منامي فقالَ لي: قُلْ: فإنَّ في ذلكَ عمارةً للمساجدِ، وإرشاداً للسابلةِ، وإضاءةً للمُتهجِّدينَ، ونفياً لكامنِ الريبِ، وتنزيهاً لبيوتِ اللهِ مِنْ وَحْشةِ الظُّلَمِ، فانتبهتُ وقدِ انفتحَ لي ما أُريدُ، فابتدأتُ بهاذا وأتممتُ عليهِ (۱).

والمُقدَّمُ في صنعةِ الكلامِ هوَ المستولي عليهِ مِنْ جميعِ جهاتِهِ ، المُتمكِّنُ مِنْ جميعِ أنواعِهِ ، وبهاذا فَضَّلوا جريراً على الفرزدقِ ، وقالوا : إنَّ في الشعرِ ضروباً ما كانَ يَعرِفُها الفرزدقُ ، وشاهدُ ذلكَ : أنَّهُ لمَّا ماتَتْ زوجتُهُ النوارُ . . ناحَ عليها بشعرِ جريرِ (۱) :

لَوْلَا ٱلْحَيَاءُ لَهَاجَنِي ٱسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَٱلْحَبِيبُ يُزَارُ

وكانَ البحتريُّ يُفضِّلُ الفرزدقَ على جريرٍ ، ويَزعُمُ أنَّهُ يَتصرَّفُ مِنَ المعاني فيما لا يَتصرَّفُ فيهِ جريرٌ ، ويوردُ منهُ في كلِّ قصيدةٍ خلافَ ما يوردُهُ في الأخرى ، قالَ : وجريرٌ يُكرِّرُ في هجاءِ الفرزدقِ ذكرَ الزبيرِ وجِعْثنَ والنوارِ ، وأنَّهُ قينُ مجاشع ، لا يَذكرُ شيئًا غيرَ هاذا (٣) .

وسُئِلَ بعضُهُم عن أبي نُواسٍ ومسلمٍ ، فذكرَ أنَّ أبا نُواسٍ أشعرُ ؛ لتصرُّفِهِ في وجوهِ الشعرِ ، وكثرةِ مذاهبِهِ فيهِ ، ومسلمٌ جارِ علىٰ وتيرةٍ ، ولا يَتغيَّرُ عنها .

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٩) .

⁽۲) انظر « دیوان جریر » (۸٦٢/۲) ، و « الصناعتین » (ص ۳۰) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٣٠) .

وأبلغُ مِنْ هاذهِ المنزلةِ أن يكونَ في قُوَّةِ صانعِ الكلامِ أن يأتيَ مَرَّةً بالجزلِ ، وأخرى بالسهلِ ؛ فيلينَ إذا شاءَ ، ويَشتدَّ إذا أرادَ ، ومِنْ هاذا الوجهِ فَضَّلُوا جريراً على الفرزدقِ ، وأبا نُواسٍ على مسلمٍ ، قالَ جريرُ ('': [من الكامل] طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ ٱلْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتَ ٱلزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامِ تُحْرِي ٱلسِّوَاكَ عَلَى أَغَرَّ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ الذَن الكامل عَلَى المَّون غَمَامِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ال

فانظرْ إلى رِقَّةِ هـنذا الكلامِ ، والفرزدقُ يجري على طريقةٍ واحدةٍ ، والتصرُّفُ في الوجوهِ أبلغُ .

وقالَ أبو نُواسِ (٢):

قُلْ لِـذِي ٱلْـوَجُـهِ ٱلـنَّـضِيرِ وَلِـمِـغُـلَاقِ هُـمُـومِـي يَـا قَـلِيلاً فِـي ٱلـتَّـلَاقِـي

وَلِدِي ٱلدِرِّدُفِ ٱلْدَوْثِدِي وَلِدِي وَلَدِي وَلَيْ وَلَمِي وَلِي وَلِي وَلَدِي وَلِي وَ

[من مجزوء الرمل]

فانظرْ إلى سلاسةِ هــــذا الكلام وسهولتِهِ ، وقالَ (٢): [من المديد]

يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ بِرِدَاءِ ٱلْحُسْنِ تَنْتَقِبُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ وَٱسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ رُبَّ جِدٍ سَاقَهُ ٱللَّعِبُ مَاهَوى إِلَّالَهُ سَبَبُ فَتَنَتْ قَلْبِي مُحَجَّبَةٌ خُلِّيَتْ وَٱلْحُسْنَ تَأْخُذُهُ فَأَنْتَ قَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ صَارَ جِدًا مَا مَزَحْتُ بِهِ

⁽١) انظر « ديوان جرير » طبعة الصاوي (ص٥٥١).

⁽۲) انظر « دیوان أبي نواس » (ص ۵۱۷) .

⁽٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٥٩٠) .

فهاذا أجزلُ مِنَ الأولِ قليلاً ، وقالَ في صفةِ الكلب (١١): [من مشطور الرجز] أَنْعَتُ كَلْباً جَالَ فِي ربَاطِهِ جَـوْلَ مُصَابِ فَـرَّ مِـنْ إِسْعَاطِهِ عِنْدَ طَبيبِ خَافَ مِنْ سِيَاطِهِ هِ جُنَا بِ وَهَاجَ مِنْ نَسَاطِهِ كَالْكَوْكَبِ ٱلدُّرِيّ فِي ٱنْخِرَاطِهِ عِنْدَ تَهَاوِي ٱلشَّدِّ وَٱنْبِسَاطِهِ يُـقَحِّمُ ٱلْقَائِدَ فِي حِطَاطِهِ وَقَدِهِ ٱلْبَيْدَاءَ فِي ٱعْتِبَاطِهِ لَحَّا رَأَى ٱلْعَلْهَبَ فِي أَقْوَاطِهِ سَانِحَةً وَمَرَّ فِي ٱلْتِبَاطِهِ كَالْبَرْقِ يُدْرِي ٱلْمَرْوَ بِٱلْتِقَاطِهِ مِثْلَ قَلِيّ طَارَ فِي أَنْفَاطِهِ وَٱنْصَاعَ يَتْلُوهُ عَلَىٰ قِطَاطِهِ أَغْضُفُ لَا يَئِعُسُ مِنْ خِلَاطِهِ يَصِيدُ بَعْدَ ٱلْبُعْدِ وَٱنْبِسَاطِهِ

إِنْ لَمْ يَبُتَّ ٱلْقَلْبَ مِنْ نِيَاطِهِ

⁽۱) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٢٣ _ ٢٢٥) .

⁽٢) في « ديوان أبي نواس » : (سابَحَهُ) بدل (سانحة) .

فَلَمْ يَزَلْ يَأْخُذُ فِي لِطَاطِهِ كَ ٱلصَّفْرِ يَنْقَضُّ عَلَىٰ غِطَاطِهِ يَـقْـشِـرُ وَجْهَ ٱلْأَرْضِ مِـنْ بـلَاطِهِ بِأَرْبَعِ تَفُولُ مِنْ إِفْرَاطِهِ لِشِدَّةِ ٱلْجَرْيِ وَلِٱسْتِحْطَاطِهِ مَا إِنْ تَمَسَّ ٱلْأَرْضَ فِي أَشْوَاطِهِ قَدْ خَدَشَتْ رجْلَاهُ فِي آبَاطِهِ وَخَرَّمَ ٱلْأُذْنَيْنِ بِٱنْتِ شَاطِهِ خَـلْ جُ ذِرَاعَـيْهِ إِلَـيْ مِللَاطِهِ يَنْقَدُّ عَنْهُ ٱلصِّيقُ بِٱنْعِطَاطِهِ فِي هَبَوَاتِ ٱلصِيعِ قَ أَوْ ريَاطِهِ فَادْرَكَ ٱلطَّبْعَ وَلَهُ يُبَاطِهِ وَلَهُ عِشْرِينَ إِلَى أَشْرَاطِهِ فَلَمْ يَزَلْ يَفْرنُ فِي ربَاطِهِ وَيَخْمِطُ ٱلشَّاوُونَ مِنْ خِمَاطِهِ وَيَطْبُخُ ٱلطَّابِخُ مِنْ إِسْقَاطِهِ حَتَّىٰ عَلَا فِي ٱلْجَوِّ مِنْ شِيَاطِهِ كَدَاخِن ٱلنَّفْطِ إِلَىٰ نَفَّاطِهِ

المُصابُ ها هنا: المجنونُ ، وإسعاطُهُ: إنشاقُهُ السَّعوطَ لمداواتِهِ ، وقولُهُ:

(يُقحِّمُ القائدَ فِي حطاطِهِ) أي : لقُوَّتِهِ يجذبُهُ حتىٰ يوقعَهُ في حالِ حطِّهِ ؟ أي : اندفاعِهِ في العدْوِ ، والاعتباطُ : الجريُ علىٰ غيرِ رويَّةٍ ، والعَلْهبُ _ بفتحِ أوَّلِهِ _ : المُسِنُّ مِنْ تُيوسِ الجبلِ ، والأقواطُ : جمعُ قَوْطٍ بفتحِ أوَّلِهِ ؟ القطيعُ أو الجماعةُ ، و(في) بمعنىٰ (مع) ، والالتباطُ : خبطُ الأرضِ في العدْوِ ، ويُدري المروّ ؛ أي : يُفرِّقُها ، والقِطاطُ _ ككتابٍ _ : المِثالُ ، ومعناهُ : أنَّهُ يتبعُهُ في طريقِهِ لا يميلُ ، والأغضفُ : مسترخي الأُذنينِ ذاهبتَينِ إلىٰ خلفٍ ، والغَطاطُ _ كسَحابٍ _ : القطا ، والصِّيقُ _ بكسرِ أوَّلِهِ _ : الغبارُ في الهواءِ ، والانعطاطُ : الانشقاقُ ، والملاطُ : العَضُدُ إلى الكتفِ ، والأشراطُ : الأشباهُ ، والخمطُ : الشَّيُّ .

فانظرْ إليهِ كيفَ يَتصرَّفُ بينَ الشدَّةِ واللِّينِ ، ويضعُ كلَّ واحدٍ منهُما في موضعِهِ ، ويَستعمِلُهُ في حينِهِ .

وعلى ذكرِ المفاضلةِ بينَ الشُّعراءِ فلا بأسَ أن أستطردَ لكَ ها هنا بذكرِ كلامٍ رأيتُهُ في « شرحِ ديوانِ أبي نُواسٍ » يَتضمَّنُ صفةَ شعراءَ تطلعُ بهِ على ما لكلٍّ منهُم في أنفسِ علماءِ عصرِهِم ، وما كانَ لأولئكَ العلماءِ مِنَ الفطنةِ والنقدِ [وتمييز] الأشياءِ ، والوقوفِ بكلّ عندَ حدِّهِ ، وهاذا نصُّهُ:

قالَ ابنُ دريدِ: سألتُ أبا حاتمٍ عن أبي نُواسٍ ، فقالَ: إن جدَّ . . أحسنَ ، وإن هزلَ . . ظرُفَ ، وإن وصفَ . . بالغَ ، يلقي الكلامَ علىٰ عواهنِهِ ، لا يبالي مِنْ حيثُ أخذَهُ (١٠) .

وهانه الحكاية وجدتُها في «أماليهِ» في أثناء أوصافِ خمسةٍ وعشرينَ رجلاً مِنَ الشُّعراء المُحدَثينَ (١) ، أنا أحكيها على وجهها ؛ لِمَا فيها مِنَ

⁽۱) انظر «معاهد التنصيص » (۸٥/۱).

⁽٢) نقل جلَّها الهاشمي في « جواهر الأدب » (٣٧١/١ ـ ٣٧٢) .

الفائدةِ ، قالَ : وسألتُهُ عن بشارٍ ، فقالَ : نَظَّارٌ غَوَّاصٌ ، مطيلٌ مجيدٌ ، يصفُ ما لم يرَ كأنَّهُ قد رآهُ ، على أنَّ في شعرهِ خللاً كثيراً .

قلتُ : فمروانُ ، قالَ : شاعرٌ راضٍ عن نفسِهِ ، يستحسنُ كلَّ ما جاءَ منهُ ، مُعجَبٌ لا يرى أنَّ أحداً يَتقدَّمُهُ ، كثيرُ الصَّوابِ ، كثيرُ الخطأ ، ليسَ لشعرِهِ صنعةٌ .

قلتُ : فمسلمٌ ، قالَ : خليجٌ صافٍ ، ينزعُ مِنْ بحرٍ كدرٍ ، كالزندِ يوري تارةً ، ويصلدُ أخرى .

قلتُ : فأبو العتاهيةِ ، قالَ : غثاءٌ جمٌّ ، واقتدارٌ سهلٌ ، وشعرٌ كخرزِ الزجاج ، وربَّما أشبهَ الياقوتَ والزبرجدَ .

قلتُ : فابنُ الأحنفِ ، قالَ : يلقي دلوَهُ في الدلاءِ ، فيغترفُ الصفوَ أحياناً ، والحمأةَ أحياناً ، على أنَّ كدرَهُ أكثرُ مِنْ صفوهِ .

قلتُ : فسَلْمٌ الخاسرُ ، قالَ : مُقِلٌّ مَدَّاحٌ ، شعرُهُ ديباجٌ وعهْنٌ ، يُموِّهُ الرديءَ حتى يُشبّهَهُ بالجيدِ .

قلتُ : فالعتابيُّ ، قالَ : عالمٌ بأشعارِ العربِ ، محتذِ على مثالِهِم أحياناً ، وربَّما مالَ إلىٰ تعقيدِ الكلامِ ، علىٰ أنَّهُ ينالُ مرامَهُ مِنْ كلتا الجهتينِ .

قلتُ : فالخزيميُّ ، قالَ : صنعةٌ سهلةٌ ، لا يكابرُ طبعَهُ ، ولا يكدُّ فكرَهُ ، يسوقُ ما انقادَ لهُ عفواً .

قلتُ : فأشجعُ ، قالَ : يُحسِنُ ويسيءُ ، فصولُهُ مختلفةٌ ، إن شئتَ . . قلتَ : مطبوعٌ ، وإن شئتَ . . قلتَ : مُتكلِّفٌ .

قلتُ : فأبو الشِّيصِ ، قالَ : جِدُّ كلُّهُ ، فيهِ حلاوةٌ وبشاعةٌ ؛ كالسِّدرةِ التي نفضَتْ ، ففيها المُستعذَبُ والمُستبشَعُ .

قلتُ : فعليُّ بنُ جبلةَ ، قالَ : بحَّاثٌ عنِ الكلامِ الفَخْمِ والمعنى الرائعِ ، لا ينالُ مرتبةَ القُدماءِ ، ويَجِلُّ عن منزلةِ النظراءِ .

قلتُ : فدِعْبِلٌ ، قالَ : شديدُ الأسْرِ ، مُحكَمُ الصَّنعةِ ، قليلُ الطُّلاوةِ ، مفحشُ الهجاءِ ، غيرُ مقنع المديحِ .

قلتُ : فأبو تمام ، قالَ : سيلٌ كثيرُ الغثاءِ ، غزيرُ الغمارِ ، جمُّ النطافِ ، فإذا صفا . . فهوَ السُّلافُ بالماءِ الزُّلالِ .

قلتُ : فالحاركيُّ ، قالَ : ظريفٌ مُقِلُّ ، مُنحَلُّ الألفاظِ ، مُتعقِّدُ المعاني .

قلتُ : فأبو سعدٍ قوصرةُ ، قالَ : ورقٌ ناضرٌ ، وعودٌ خُوارٌ ، إن حُفِظَ . . لم ينفعْ ، وإن ضُيّعَ . . لم يَضُرَّ .

قلتُ : فابنُ بشيرٍ ، قالَ : عذبُ الكلامِ سهلُهُ ، إذا أرادَ الشيءَ . . قَدَرَ عليهِ ، وإنِ اشتدَّتْ كلفتُهُ في مرامِهِ .

قلتُ : فابنُ أبي عيينةَ ، قالَ : أعجبَهُ اقتدارُهُ ، فتجاوزَ مِقدارَهُ ، علىٰ أنَّهُ إِذَا فَخرَ . . أَفْلَقَ ، وإذا كوىٰ . . أَنْضَجَ .

قلتُ : فعبدُ الصَّمدِ بنُ المُعذِّلِ ، قالَ : خَرَّاجٌ وَلَّاجٌ ، يَعتسِفُ تارةً ، ويهتدي أخرىٰ ، إن سلكَ سبلَ العربِ الأولِ . . أربَ ، وإن مالَ إلىٰ طريقِ المُولَّدينَ . . شاكَهُ .

قلتُ : فعليُّ بنُ الجهمِ ، قالَ : كلامٌ رصينٌ ، ومسلكٌ وَعْرٌ ، عقلُهُ أغلبُ على شعرِهِ مِنْ طبعِهِ .

قلتُ: فبكرُ بنُ النَّطاحِ ، قالَ: تَشبَّهَ بالأعرابِ فأفرطَ ، وتَجاوزَ حدَّ المُولَّدينَ فأسهبَ ، فهوَ الساقطُ بينَ القريتَينِ .

قلتُ : فخالدٌ النجارُ ، قالَ : سيِّئُ الكلامِ ، رخوُ النظامِ ، إن طالَ . . بلدَ ، وإن قصرَ . . أجهدَ .

قلتُ : فأبو دلامةَ ، قالَ : جِدُّ وهزلٌ ، ومُجتنىً ومرغوبٌ عنهُ ، إذا قصدَ مراماً . . تناولَهُ غثّاً وسميناً .

قلتُ : فأبو الشمقمقِ ، قالَ : هجاؤُهُ لدَّاغٌ ، ومديحُهُ بلا ماءٍ ، أكثرُهُ لا نفعَ فيهِ .

قلتُ : ففلانٌ ، قالَ : كلامٌ مُؤلَّفٌ ، تلمظُهُ أسماعُ الجُهَّالِ ، وتلفظُهُ آذانُ العلماءِ .

قالَ ابنُ دريدٍ: وذهبَ عنِي أن أسألَ عنِ الأغرَّينِ المطبوعَينِ ؛ السيدِ والنميريِّ ؛ فقد أغفلَ ابنُ دريدٍ استيصافَ هاذَينِ الشاعرَينِ ، ووقعَ لي وصفُهُما في حكايتَينِ أُخريَينِ ، فأمَّا النُّميريُّ . . فذكرَ إسحاقُ الموصليُّ قالَ : حضرتُ الفضلَ بنَ يحيى بنِ خالدِ بنِ برمكَ وعندَهُ منصورٌ النُّميريُّ ومسلمُ بنُ الوليدِ يُنشِدانِهِ ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : يا إسحاقُ ؛ احكمْ أيُّهُما أشعرُ ، فقلتُ : إنَّهُ قلَّ مَنْ حكمَ بينَ الشُّعراءِ فسلمَ منهُم ، ولكنْ إن أحبَّ الأميرُ تكلَّفتُ وصفَ شعرِهِما ، فقالَ : صِفْ ، فقلتُ : أمَّا النُّميريُّ . . فإنَّ شعرَهُ حسنُ البناءِ ، قريبُ المعنى ، سهلٌ كلامُهُ ، صعبٌ مرامُهُ ، سليمُ المتونِ ، كثيرُ العيونِ ، وأمَّا مسلمٌ . . فإنَّهُ مزجَ كلامَ البدويينَ بكلامِ الحضريينَ ، فضمَّنَهُ المعانيَ اللطيفةَ ، وكساهُ الألفاظَ الظريفةَ ، فلَهُ جزالةُ البدويينَ ، ورقَّةُ الحضريينَ ، ورقَّةُ الحضريينَ ، ورقَّةُ الحضريينَ .

فقالَ الفضلُ : وصفتَ واللهِ فأحسنتَ ، وأُوتيتَ الحُكْمَ فحكمتَ ، النَّميريُّ أشعرُهُما .

وأمَّا الحكايةُ الأُخرىٰ . . فللجاحظِ فصلٌ مِنْ فصولِ كتبهِ ذكرَ فيهِ السيدَ

الحميريّ ، وأبانَ بنَ عبدِ الحميدِ ، وأبا العتاهيةِ ، وبشاراً ، وأبا نواسٍ ، فقالَ : أمّّا السيدُ الحميريُّ . . فأطبعُ الناسِ علىٰ قولِ الشعرِ ، وأقلُّهُم صنعةً ، وأبعدُهُم مِنَ التكلُّفِ ، وأجدرُ أن ينقلَ جميعَ أحاديثِ الناسِ شعراً سهلاً بلا تعقُّدٍ ولا استكراهِ .

وأمَّا أبانُ بنُ عبدِ الحميدِ . . فلم يكنْ في زمانِهِ أطبعُ منهُ ، ولا أسلسُ كلاماً ، ولا أسللُ كلاماً ، ولا أسهلُ مخارجَ ، وكانَ يقولُ على الثاءِ والذالِ والغينِ والظاءِ مئةَ قصيدةٍ .

وأمَّا أبو العتاهيةِ . . فأحدُ المطبوعينَ ، وكادَ كلامُهُ يكونُ شعراً ، على أنَّ غزلَهُ ضعيفٌ مشاكلٌ لطبع النساءِ .

وأمَّا بشارٌ وأبو نُواسٍ . . فمعناهُما واحدٌ ، والعدةُ اثنانِ ، بشارٌ حَلَّ مِنَ الطَّبعِ بحيثُ لم يَتكلَّفْ قطُّ قولاً ، ولا تَعِبَ مِنْ عملِ شعرٍ ، وأبو نُواسٍ حَلَّ مِنَ الطَّبع بحيثُ يصلُ شعرُهُ إلى القلبِ بلا إذنٍ .

رجعنا إلىٰ نقلِ كلام أبي هلالٍ في شرح قولِ حكيم الهندِ: قالَ (١):

وقولُهُ: (ولا يُكلِّمُ سَيدَ الأَمَةِ بكلامِ الأَمَةِ ، ولا الملوكَ بكلامِ السُّوقةِ) ، لأنَّ ذلكَ جهلٌ بالمقاماتِ ، وما يصلحُ في كلِّ واحدٍ منها (٢) مِنَ الكلامِ ، وأحسنَ الذي قالَ: لكلِّ مقامٍ مقالٌ ، فإذا كانَ موضعُ الكلامِ على طبقاتِ الناسِ . . فليخاطبِ السوقيَّ بكلامِ السوقيِّ ، والبدويَّ بكلامِ البدويِّ ، ولا يتجاوزْ به ما يعرفُهُ إلى ما لا يعرفُهُ ، فتذهبَ فائدةُ الكلامِ ، وتنعدمَ منفعةُ الخطاب .

وقولُهُ: (ولا يُدقِّقُ المعاني كلَّ التدقيقِ) لأنَّ الغايةَ في تدقيقِ المعاني

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٣).

⁽٢) في « الصناعتين » (منهما) .

سبيلٌ إلى تعميةِ المعنى ، وهي لُكنةٌ إلَّا إذا أُرِيدَ بهِ الإلغازُ ، وكانَتْ في تعميتِهِ فائدةٌ ؛ مثلُ أبياتِ المعانى .

وأمَّا مَنْ أرادَ الإبانةَ في مديحٍ أو غزلٍ أو صفةِ شيءٍ فأتى بإغلاقٍ . . دلَّ ذلكَ على عجزِهِ عن الإبانةِ ، وقصورِهِ عنِ الإفصاح .

وقولُهُ: (ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ)، تنقيحُ اللَّفظِ: أن يَبنيَهُ بناءً لا يكثرُ في الاستعمالِ، فربَّما وقعَ مَنْ يَقصِدُ ذٰلكَ في إساءةٍ يغفلُهُ عنها الاغترارُ بالاقتدارِ على ابتداعِ ما ليسَ جارياً في كلامِ الناسِ، مثلُ ما وقعَ لبعضِهِم في خطابِ وزيرٍ حيثُ قالَ في الدعاءِ لهُ: أحسنَ اللهُ إثابتَكَ، فردَّ عليهِ الوزيرُ في الجوابِ وأحسنَ فقالَ: وأنت عَجَّلَ اللهُ أمانتَكَ ، فردَّ عليهِ الوزيرُ في الجوابِ وأحسنَ فقالَ: وأنت عَجَّلَ اللهُ أمانتَكَ (۱).

وقولُهُ: (ويُصفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهذِّبُها كلَّ التهذيبِ) ، فتصفيتُهُ: تعريتُهُ مِنَ الوحييَ السُواغلِ عنهُ ، وتهذيبُهُ: تبرئتُهُ مِنَ الرديءِ المرذولِ ، والسُّوقيِّ المردودِ .

فمِنَ الكلامِ المُهذَّبِ الصافي: قولُ بعضِ الكُتَّابِ: مثلُكَ أوجبَ حقًا لا يجبُ عليهِ ، وسمحَ بحقٍ يجبُ لهُ ، وقبلَ واضحَ العذرِ ، واستكثرَ قليلَ الشّحرِ ، لا زالَتْ أياديكَ فوقَ شكرِ أوليائِكَ ، ونعمةُ اللهِ عليكَ فوقَ آمالِهِم فيكَ .

وقولُ أحمدَ بنِ يوسفَ : يومُنا يومٌ لذيذُ الحواشي ، وطيءُ النواحي ، وهذهِ سماءٌ قد تَهلَّلَتْ بودقِها ، وضحكَتْ بلوامعِ برقِها ، وأنتَ قُطبُ السُّرورِ ، ونظامُ الأمورِ ، فلا تغبُ عنَّا فنَقِلَّ ، ولا تُفرِدْنا فنستوحشَ ؛ فإنَّ الحبيبَ بحبيبهِ كثيرٌ ، وبمساعدتِه جديرٌ .

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٦) .

وقولُهُ: (ولا يفعلُ ذلكَ حتىٰ يلاقيَ حكيماً، وفيلسوفاً عليماً، ومَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ ومشتركاتِ الألفاظِ.. نظرَ في المَنطِقِ علىٰ جهةِ الصناعةِ فيها، لا علىٰ جهةِ الاستطرافِ والتطرُّفِ لها)، يقولُ: ينبغي أن يَتكلَّمَ بفاخرِ الكلامِ ونادرِهِ، ورصينِهِ ومُحكَمِهِ عندَ مَنْ يَفهمُهُ عنهُ، ويَقبلُهُ منهُ.

وأمَّا قولُهُ: (مَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ) هوَ أن يسقطَ مِنَ الكلامِ ما يكونُ الكلامُ معَ إسقاطِهِ تامَّا غيرَ منقوصٍ ، ولا يكونُ في زيادتِهِ فائدةٌ ؛ سألَ معاويةُ رجلاً عنِ البلاغةِ ، فقالَ : هي أن تقولَ فلا تُخطِئَ ، وتُسرِعَ فلا تُبطِئَ ، فقالَ معاويةُ : لو قلتَ : هي ألَّا تُخطِئ ولا تُبطِئ ، فحذفَ منهُ الفضلَ .

وقولُهُ: (ومُشترَكاتِ الألفاظِ) ، هوَ أن يريدَ الإبانةَ عن معنىً فيأتيَ بألفاظٍ لا تَدُلُّ عليهِ خاصَّةً ، بل تشتركُ فيها معَهُ معانٍ أُخَرُ ، فلا يَعرِفُ السامعُ أيَّها أرادَ ، وربَّما استبهمَ الكلامُ في نوعٍ مِنْ هاذا الجنسِ حتىٰ لا يُوقَفَ علىٰ معناهُ إلَّا بالتوهُّم .

فمِنَ الجنسِ الأوَّلِ قولُ جريرِ ^(١):

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ

يَوْمُ ٱلرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَل

[من الكامل]

فليس يدري إلى أيّ أفعالِهِ أشارَ بقولِهِ: (فعلتُ ما لم أفعلِ)، أن يبكي إذا رحلوا، أو يَهِيمَ على وجهِهِ مِنَ الغمّ الذي لحقّهُ، أو يَتبعَهُم إذا ساروا، أو يَمنعَهُم مِنَ المُضيِّ على عزيمةِ الرحيلِ، أو يأخذَ منهُم شيئاً يَتذكَّرُهُم بهِ، أو يَمنعَهُم مِنَ المُضيِّ على عزيمةِ الرحيلِ، أو يأخذَ منهُم شيئاً يَتذكَّرُهُم بهِ، أو غيرَ ذلكَ ممّا يجوزُ أن يفعلَهُ العاشقُ عندَ فراقِ أحبَّتِهِ ؟! فلم يُبيّنْ عن غرضِهِ، وأحرجَ السائلَ أن يَسألَهُ عمّا أرادَ فعلَهُ عندَ رحيلِهم.

⁽۱) انظر « ديوان جرير » (۹٤٠/۲) .

وليسَ هـٰذا كقولِهِم: (لو رأيتَ عليّاً عليهِ السلامُ بينَ الصَّفَينِ) فإنَّ إرادةَ البسالةِ والنكايةِ بينةٌ ، وأمارةَ النقصانِ في بيتِ جريرٍ واضحةٌ ، فمَنْ سمعَهُ وإن لم يكنْ مِنْ أهلِ البلاغةِ . . يَستبرِدُهُ ويَستغِثُّهُ ، ويَسترجِحُ الآخَرَ ويَستجيدُهُ .

ومثلُهُ قولُ سعدِ بنِ مالكٍ الأسديِّ (١):

فَإِنَّكَ لَوْ لَاقَيْتَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ لَلاقَيْتَ مِنْهُ بَعْضَ مَا كَانَ يَفْعَلُ

[من الطويل]

فلم يبنْ بقولِهِ عمَّا أرادَ يلقىٰ منه ؛ أخيراً أم شرّاً ، إلَّا أن يسمعَ ما قبلَهُ وما بعدَهُ ، فيَتبيَّنَ معناهُ ، وأمَّا في نفسِ البيتِ . . فلا يَتبيَّنُ .

وأقولُ (١): إنَّ النقدَ على جريرٍ في غيرِ مَحَلِّهِ ؛ حيثُ كانَ كلامُهُ معَ نفسِهِ ، وليسَ لأحدٍ أن يَسألَهُ عمَّا أرادَ ، وقصدُهُ أن يخفيَ مرادَهُ ، فذلكَ مقتضى الحالِ .

ومثلَّهُ قولُ أبي تمامِ (٦):

وَقُمْنَا فَقُلْنَا بَعْدَ أَنْ أُفْرِدَ ٱلثَّرَى بِهِ مَا يُقَالُ فِي ٱلسَّحَابَةِ تُقْلِعُ

وقولُ الناسِ في السَّحابِ إذا أقلعَ على وجوهٍ كثيرةٍ ، فمنهُم مَنْ يَمدحُهُ ، ومنهُم مَنْ يَكرهُ إقشاعَهُ ، على حَسَبِ ما كانَتْ حالُها عندَهُم ومواقعُها منهُم ، فلم يُبيِّنْ بقولِهِ : (ما يُقالُ في السَّحابةِ تُقلِعُ) معنىً يَعتمِدُهُ السامعُ ، وأينَ هوَ مِنْ قولِ مسلم (ن) :

فَٱذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوادِي مُزْنَةٍ أَثْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلسَّهْلُ وَٱلْأَوْعَارُ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٩) .

⁽Y) القائل هو المؤلف ضمن نقله لسياق صاحب « الصناعتين » .

⁽٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٩٦/٤) .

⁽٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣١٤) ، فمسلم بن الوليد مشهور بصريع الغواني .

على أنَّ المُحتجَّ لهُ لو قالَ: العادةُ في السَّحابِ أن يُحمَدَ أثرُهُ ويُثنَى عليهِ بعدَهُ. لَمَا كانَ مُبعِداً ، ولم أُرِدْ عيبَ أبي تمامٍ ، إنَّما أُريدُ الإخبارَ عن وجهِ الاشتراكِ ، وذكرَ ما يَتشعَّبُ منهُ ويَقرُبُ مِنْ بابِهِ ، وينظرُ إليهِ مِنْ قريبٍ أو مِنْ بعيدٍ .

وأمَّا ما يُستبهَمُ فلا يُعرَفُ المعنىٰ إلا بالتوهُّمِ . . فمثلُ قولِ أبي تمام (١):

جَهْمِيَّةُ ٱلْأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ ٱلْأَشْيَاءِ

فوجهُ الاستراكِ في هاذا: أنَّ للجهمِ مذاهبَ كثيرةً ، وآراءً مختلفةً مُتشعِّبةً ، لم يَدُلَّ فحوىٰ كلامِ أبي تمامٍ على شيءٍ منها يَصلُحُ أن يُشبَّهَ بهِ الخمرُ وتُنسَبَ إليهِ ، إلَّا أن يَتوهَمَ المُتوهِمُ فيقولَ : إنَّما أرادَ كذا وكذا مِنْ مذاهبِ جهمٍ مِنْ غيرِ أن يَدُلَّ الكلامُ منهُ على شيءٍ بعينِهِ ، ولا يُعرَفُ معنى قولِهِ : (قد لقَبوها جوهرَ الأشياءِ) إلَّا بالتوهُم أيضاً .

ومِنَ الكلامِ الخالي مِنَ الاشتراكِ كلامُ بعضِهِم لأحِ لهُ أرادَ فراقَهُ (`` لمَّا تَصفَّحتُ أخلاقَكَ ، فوجدتُها مباينةً لشاكلتي ، زائغةً عن قصدِ طريقي . . صبرتُ عليها ؛ رياضةً لنفسي على الصَّبرِ لمَساوي أخلاقِ المعاشرينَ ، ولعلمي بكامنِ العدوانِ في العالمينَ ، والذي رجوتُ مِنْ مروءةِ (") خصالِكَ بما أقابلُها مِنَ التجاوزِ ، فأسحبُ في سوءِ آثارِها أذيالَ التغاضي . . رأيتُ ذلكَ لا يُقوِّمُ اعوجاجَ مذاهبكَ (١) ، ولا يعطفُ بكَ الرأيَ على رشدِكَ ، فلمَّا

⁽۱) انظر « ديوان أبي تمام » (٣٠/١) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٠ ـ ٤١) .

⁽٣) كذا في الأصل ، وفي « الصناعتين » : (من مذمة) بدل (من مروءة) .

⁽٤) كذا في الأصل ، والعبارة في « الصناعتين » : (وأنت مع ذلك دائب لا تقوِّم اعوجاج مذاهبك) بدل (رأيت ذلك ...) .

فنيَتْ حيلتي فيكَ ، وانقطعَتْ أسبابُ أملي منكَ ، ورأيتُ الداءَ لا يزيدُ على التعهُّدِ إلَّا فساداً ، والخرقَ على الترقيع إلَّا اتساعاً . . قَدَّمتُ اليأسَ منكَ على الرجاءِ فيكَ ، واحتسبتُ أيامي السالفةَ في استصلاحي لكَ .

أقولُ (١): والاحترازُ عنِ المُشترَكِ أمرٌ مُهِمٌّ ، مُحتاجٌ لدِقَّةِ نظرٍ وإطالةِ فكرٍ ، حتى يأخذَ بجميعِ مواردِ الانتقادِ ، ويَضرِبَ دونَها بالإسدادِ ، فيَسلَمَ ممَّا وقعَ فيهِ كثيرٌ مِنْ فُحولِ الشعراءِ ، وتستبينُ ذلكَ ممَّا أحكيهِ لكَ :

يُحكىٰ: أنَّ جريراً قدمَ المدينةَ مَرَّةً وشاعرُها يَومَئذِ الأحوصُ ، فاجتمعَ الناسُ لتعظيمِ جريرٍ ؛ إذ كانَ مِنْ أكابرِ الشُّعراءِ ذلكَ العصرَ ، ولم يرَ مِنَ الناسُ لتعظيمِ حريدٍ ، فقالَ لمهُ : الأحوصِ ما يرضيهِ ، فأرادَ أن يُطأطأَ منهُ ، ويَحُطَّ مِنْ كِبْرِهِ ، فقالَ لهُ : يا أحوصُ ؛ أنتَ القائلُ (٢):

يَقَرُّ بِعَيْنِي مَا يَقَرُّ بِعَيْنِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ ٱلْعَيْنُ قَرَّتِ

فقالَ: نعم ، يَرَىٰ أَنَّهُ استحسنَهُ ، وأَنَّهُ سيُثني عليهِ ، فكانَ الأمرُ على خلافِ ذلكَ ، وقابلَهُ مِنَ البيتِ بدامغةٍ ؛ فقالَ لهُ: إنَّهُ يَقَرُّ بعينِها أن يدخلَ فيها مثلُ ذراعِ البَكْرِ أَفيَقَرُّ بعينِكَ ذلكَ ؟! فخَجِلَ الأحوصُ ولم يقابلُهُ بعدُ (٣).

وأنَّ الفرزدقَ لمَّا قالَ يفتخرُ (١٠):

[من الطويل]

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا سَارَتِ ٱلنَّاسُ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَّفُوا

. . قالَ بعضُ أهلِ عصرِهِ : ذلكَ وقومُهُ أدلاءُ ركبانٍ !!

⁽١) القول للمؤلف ضمن نقله لكلام صاحب « الصناعتين » .

⁽٢) انظر « ديوان الأحوص الأنصاري » (ص ١٠٧) .

⁽٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤٣٠/١) .

⁽٤) انظر « ديوان الفرزدق » (١٢٧/٢) .

وأنَّ ابنَ هرمةَ لمَّا قالَ في التمدُّحِ بالكرمِ ('': [من الكامل] نَارِي وَنَارُ ٱلْمَا قَالَ في التمدُّحِ فَالكرمِ وَاحِدَةً وَإِلَيْهِ قَبْلِي تَنْزِلُ ٱلْقِدْرُ الْقِدْرُ الْقِادِ وقدرُهُ!!

ولمَّا قالَ المتنبي في صفةِ جسمِهِ بالنحولِ على عادةِ العُشَّاقِ (٢):

أَبْلَى ٱلْهَوَىٰ أَسَفاً يَوْمَ ٱلنَّوَىٰ بَدَنِي وَفَرَّقَ ٱلْهَجْرُ بَيْنَ ٱلْجَفْنِ وَٱلْوَسَنِ رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ ٱلْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتِ ٱلرِّيحُ عَنْهُ ٱلثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ رُحُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي كَفَىٰ بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

قالَ عَصريُّهُ الرماديُّ شاعرُ الأندلسِ: لم يزدْ أن جعلَ نفسَهُ ضرطةً يُسمَعُ صوتُها ولا يُرى لها شخصٌ ، فاتفقَ أن قالَ الرماديُّ في غزلِ يُسمَعُ صوتُها ولا يُرى لها شخصٌ ، فاتفقَ أن قالَ الرماديُّ في غزلِ قصيدةٍ (٢):

فِي أَيِّ جَارِحَةٍ أَصُونُ مُعَذِّبِي سَلِمَتْ مِنَ ٱلتَّجْرِيحِ وَٱلتَّنْكِيلِ

فقالَ المتنبي: يَصونُهُ في استِهِ ، وللكنْ لم يبلغْ مِنَ الرَّماديِّ بهاذا الانتقادِ ما بلغهُ منهُ ، وهاذا النوعُ مِنَ الانتقادِ هوَ الذي يُسمِّيهُ ظُرفاءُ أهلِ مصرَ بالتنكيتِ ، ولهُم فيهِ غرائبُ ، وعلى مَنْ يُحِبُّ تربيةَ ذوقِهِ وإيقاظَ فكرِهِ أن يعاشرَهُم ، ويستفيدَ ذلكَ منهُم ، فالعاقلُ يخرجُ مِنَ الهزلِ إلى الجِدِّ ، ويُحصِّلُ مِنْ صغار الأمور على كبارها .

رجعنا إلىٰ كلام أبي هلالٍ ، قالَ (١٠):

⁽١) انظر « خزانة الأدب » (٧٢/٣) .

⁽٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣) .

⁽٣) انظر « نفح الطيب » (٧١/٣) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤١) .

وقولُهُ (وحقُّ المعنىٰ أن يكونَ الاسمُ لهُ طبقاً) أي: اللفظُ بقَدْرِ المعنىٰ ، غيرَ زائدٍ عليهِ ، ولا ناقصٍ عنهُ ، وكأنَّ ذلكَ مِنْ قولِ امرئ القيس (١):

..... طَبَقُ ٱلْأَرْضِ تَحَرَّىٰ وَتَدُرُّ

أي : هوَ على الأرضِ كالطَّبقِ على الإناءِ ، لا يَنقُصُ منهُ شيءٌ ، قولُ امرئ القيس هلذا في صفةِ المطر ، والبيتُ :

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَطَفٌ طَبَقُ ٱلْأَرْضِ تَحَرَّىٰ وَتَدُرُّ

وقولُهُ: (ولا يكونُ الاسمُ فاضلاً ولا مُقصِّراً) مثالُ الفاضلِ مِنَ اللفظِ عنِ المعنى : قولُ عروةَ بنِ أذينةَ (٢):

وَٱسْقِ ٱلْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ وَٱعْلَمْ لَهُ بِٱلْغَيْبِ أَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَاكَهَا وَٱجْزِ ٱلْكَرَامَةَ مَنْ تَرَىٰ أَنْ لَوْ لَهُ يَوْماً بَذَلْتَ كَرَامَةً لَجَزَاكَهَا

ومعنى هاذا الكلام محصورٌ تحتَ ثلاثِ كلماتٍ : اجزِ كُلَّا بفعلِهِ ، وكانَ السكوتُ لعروةَ خيراً منهُ .

ومِنَ الكلامِ الفاضلِ لفظُهُ عن معناهُ: قولُ أبي العيالِ الهذليّ (٣):

ذَكَ رْتُ أَخِي فَعَ اوَدَنِي صُدَاعُ ٱلصَّرَاءُ ٱلصَّوَالُ وَصَبُ فذكرُ الرأسِ معَ الصُّداع فضلٌ ، وقولُ أوسِ بنِ حجرٍ (١٠): [من الطويل]

⁽١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٤٤) .

⁽۲) انظر « ديوان عروة بن أذينة » (ص ٣٤٤) .

⁽٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣٢٦/١) .

⁽٤) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٩١) .

وَهُمْ لِمُقِلِّ ٱلْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضاً فِي ٱلْعُمُومَةِ مُخْوِلَا

فقولُهُ: (المالُ) معَ (المُقِلِّ) فضلةٌ ؛ يعني: أنَّ المُقِلَّ والمُكثِرَ معناهُما في الاستعمالِ: الفقيرُ والغنيُّ ، وأولادُ عَلَّةٍ: هُمُ الأولادُ لأُمَّهاتٍ شتَّى ، وهُم غالباً أعداءٌ لبعضِهِم ، فمعنى الكلامِ: أنَّ الناسَ أعداءُ الفقيرِ .

والمُقصِّرُ مِنَ الكلامِ: ما لا يُنبئُكَ عن معناهُ عندَ سماعِكَ إيَّاهُ ، ويُحوِجُكَ إلى شرح ، كبيتِ الحارثِ بنِ حلزةَ (١):

وَٱلْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلًا لِ ٱلنُّوكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا

معناهُ: والعيشُ في ظلالِ الحماقةِ _ وهوَ العيشُ الرخيُّ _ خيرٌ مِنْ عيشِ العُقلاءِ ؛ وهوَ العيشُ الشديدُ ، ذلكَ حَسَبَ ما هوَ دائرٌ بينَ الناسِ مِنْ أَنَّ الدنيا لا تزالُ معَ الحمقىٰ ، والعاقلَ محرومٌ منها ، وللناسِ في ذلكَ كلامٌ كثيرٌ .

وقولُهُ: (ولا مُضمَّناً)، التضمينُ: أن يكونَ الفصلُ الأوّلُ مُفتقِراً إلى الأخيرِ ؛ كقولِ مُفتقِراً إلى الأخيرِ ؛ كقولِ الشاعر (٢٠):

كَأَنَّ ٱلْقَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَىٰ بِلَيْلَى ٱلْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ ٱلْجَنَاحُ

فلم يُتِمَّ المعنىٰ إلَّا في البيتِ الثاني ، وهوَ قبيحٌ .

ومثالُهُ مِنْ نثرِ الكتابِ : قولُ بعضِهِم : وجعلَ سيِّدَنا آخذاً مِنْ كلِّ ما دُعِيَ بهِ أو يُدعى في الأعيادِ ، بأجزلِ الأقسام وأوفرِ الأعدادِ .

⁽۱) انظر « معاهد التنصيص » (۳۰۸/۱) .

⁽۲) انظر « الصناعتين » (ص ٤٢) .

وقالَ بعضُ الحكماءِ (''): البلاغةُ: قولٌ يسيرٌ يَشتمِلُ على معنى خطيرٍ. وهاذا مثلُ قولِ الآخَرِ (''): البلاغةُ: علمٌ كثيرٌ في قولٍ يسير.

ومثالُّهُ: قولُ الأعرابيِّ وقد سُئِلَ عن مالٍ يَسوقُهُ: لِمَنْ هوَ ؟ فقالَ: للهِ في بدي .

فأيُّ شيءٍ لم يدخلْ تحتَ هاذا الكلامِ القليلِ مِنَ الفوائدِ الخطيرةِ والحِكمِ البارعةِ الجسيمةِ ؟!

وقالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ فَهُوَحَسَّبُهُ ﴾ (٢) فدخلَ تحتَ قولِهِ: ﴿ فَهُوَ حَسَّبُهُ ﴾ ومِنَ المعاني ما يَطولُ شرحُهُ ؛ مِنْ إيتاءِ ما يُرجى ، وكفايةِ ما يُخشى ، وهاذا مثلُ قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

وسُئِلَ بعضُ الأوائلِ عن سببِ موتِ أخيهِ ، فقالَ : كونُهُ ؛ أي : سببُ موتِهِ كونُهُ ؛ أي : وجودُهُ بحَسَبِ استعدادِهِ وطبيعةِ خلقتِهِ .

وقد تنازعَ الناسُ في هاذا المعنى (°): أخبرنا أبو أحمدَ ، قالَ : أنبأنا أبو بكرِ بنُ دريدٍ ، عن الرِّياشيِّ قالَ : قيلَ لأعرابيٍّ : كيفَ حالُكَ ؟ فقالَ : ما حالُ مَنْ يَفنى ببقائِهِ ، ويَسقَمُ بسلامتِهِ ، ويُؤتى مِنْ مأمنِهِ ؟!

وأخبرَنا أبو أحمدَ ، قالَ : أنبأَنا محمدُ بنُ يحيىٰ ، قالَ : حدَّثَنا القلابيُّ ، قالَ : حدَّثَنا ابنُ عائشةَ ، قالَ : قلتُ لأبي : حدَّثَني حمادُ بنُ سلمةَ عن

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ٤٣) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٣) .

⁽٣) سورة الطلاق : (٣).

⁽٤) سورة الزخرف : (٧١).

⁽٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤) .

حميدِ بنِ ثابتٍ ، عن أنسٍ والحسنِ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ : $(1)^{1/2}$ قالَ : يا بنيَّ ؛ لا أُراهُ إلَّا مُسنَداً ، وقد قالَ حميدُ بنُ ثورِ $(1)^{1/2}$:

أَرَىٰ بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْقَمَا وَقَالَ الآخَرُ (٣):

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِزٍ فَأَلَانَهَا ٱلْإِصْبَاحُ وَٱلْإِمْسَاءُ وَوَعَوْتُ رَبِّي بِٱلسَّلَامَةِ دَاءُ لِيُصِحَّنِي فَإِذَا ٱلسَّلَامَةُ دَاءُ

وأوَّلُ مَنْ نطقَ بهذا المعنى النمرُ بنُ تولبٍ في الجاهليةِ (''): [من الطويل] يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ وَٱلْغِنَىٰ فَكَيْفَ تَرَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ يَفْعَلُ يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ يَفْعَلُ يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ بُعْدَ ٱعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ يَنُوءُ إِذَا رَامَ ٱلْقِيمَامَ وَيُحْمَلُ وَالْمَ الْقِيمَامَ وَيُحْمَلُ وَقَالَ آخَرُ (''):

مَا حَالُ مَنْ آفَتُهُ بَقَاؤُهُ نَغَّصَ عَيْشِي كُلَّهُ فَنَاؤُهُ وقالَ ابنُ الروميِّ (٦):

لَعَمْرُكَ مَا ٱلدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنْ عَيْنِ ٱلْبَصِيرِ غِطَاؤُهَا وَكِيْفَ بَقَاءُ ٱلنَّفْس فِيهَا وَإِنَّمَا يُنَالُ بأَسْبَابِ ٱلْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا

⁽١) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (١٤٠٩) .

⁽٢) انظر « ديوان حميد بن ثور الهلالي » (ص ٢١٨) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤) .

⁽٤) انظر « ديوان النمر بن تولب » (ص ١٠٠ ـ ١٠١) .

⁽٥) انظر «الصناعتين» (ص ٤٤).

⁽٦) انظر « ديوان ابن الرومي » (١٣٠/١) .

ولبعضِ المُتأخِّرينَ في هاذا المعنى شعرٌ حسنٌ لا بأسَ بإثباتِهِ معَ ما أثبتَ أبو هلالٍ ؟ وهوَ (١):

وَطَرِيقُ [ٱلْفَنَاءِ] هَاذَا ٱلْبَقَاءُ صِحَّةُ ٱلْمَرْءِ لِلسَّفَام طَرِيتٌ أَقْتَلُ ٱلدَّاءِ لِلنُّهُ فُوس ٱلدَّوَاءُ بٱلَّذِي [نَغْتَذِي] نَمُوتُ وَنَحْيَا نَتْ وَلَا كَانَ أَخْذُهَا وَٱلْعَطَاءُ مَا لَقِينَا مِنْ غَدْر دُنْيَا فَلَا كَا يَهَب ٱلصُّبْحُ يَسْتَردَّ ٱلْمَسَاءُ جُودُهَا رَاجِعٌ إِلَيْهَا فَمَهْمَا كَرَعَتْ فِيهِ مُومِسٌ خَرْقَاءُ صَلَفٌ تَحْتَ رَاعِدٍ وَشَرَابٌ لَيْتَ شِعْرِي حُلْمٌ تَمُرُّ بِهِ ٱلْأَيَّ امُ أَمْ لَيْسَ تُعْقَلُ ٱلْأَشْيَاءُ نَالَهَا ٱلْأُمَّهَاتُ وَٱلْآبَاءُ قَبَّحَ ٱللهُ لَـذَّةً لِشَـقَانَا ـدَ فَإِيجَادُنَا عَلَيْنَا بَلَاءُ نَحْنُ لَوْلَا ٱلْوُجُودُ لَمْ نَأْلَم ٱلْفَقْ

ولبعضِهِمُ (٢): البلاغة : حسنُ الاقتضابِ عندَ البديهةِ ، والغزارةُ عندَ الإطالةِ .

الاقتضابُ : أخذُ القليلِ مِنَ الكثيرِ ، وأصلُهُ مِنْ قولِهِمُ : اقتضبتُ الغصنَ ؛ إذا قطعتُهُ مِنْ شجرتِهِ .

فمِنَ البديهةِ الحسنةِ ("): ما أخبرَنا بهِ أبو أحمدَ ، قالَ : أخبرنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ الشطبيُّ ، قالَ : حدَّثَني أحمدُ بنُ يحيى ، قالَ : دخلَ المأمونُ ديوانَ الخراجِ ، فمرَّ بغلامِ جميلٍ على أُذنِهِ قلمٌ ، فأعجبَهُ ما رأى مِنْ حسنِهِ ، فقالَ : من أنتَ يا غلامُ ؟ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ الناشئُ في

⁽١) انظر « معجم الأدباء » (٢٣/٤ _ ٢٤) .

⁽۲) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦) .

دولتِكَ ، وخِرِّيجُ أدبِكَ ، والمُتقلِّبُ في نعمتِكَ ، الحسنُ بنُ رجاءٍ ، فقالَ المأمونُ : بالإحسانِ في البديهةِ تفاضلَتِ العقولُ ، ثمَّ أَمرَ برفعِ رتبتِهِ ، وإعطائِهِ مئتَيْ ألفِ درهم .

ومِنَ الاقتضابِ الجيدِ (١٠): ما وردَ في خبرٍ عن أبي عبيدةَ قالَ: استفتحتُ غلامَينِ في الصِّبا، فزَكَنْتُ منهما بلوغَ الغايةِ ، فجاءَ كما زكنتُ .

بلغَني : أنَّ النَّظَّامَ يَتعاطىٰ علمَ الكلامِ ، فمرَّ بي وهوَ غلامٌ علىٰ حمارٍ يطيرُ بهِ ، فقلتُ : يا غلامُ ؛ ما عيبُ الزُّجاج ؟ فقالَ : سريعُ الكسرِ ، بطيءُ الجبرِ .

وبلغني: أنَّ أبا نُواسٍ يَتعاطى قرضَ الشعرِ ، فلقيَني وهوَ سكرانُ يوماً وما طَرَّ شاربُهُ بعدُ ، فقلتُ : كيفَ فلانٌ عندَكَ ؟ فقالَ : ثقيلُ الظِّلِّ ، جامدُ النَّسيمِ ، فقلتُ : زِدْ ، فقالَ : مظلمُ الهواءِ ، مُنتِنُ الفِناءِ ، فقلتُ : زِدْ ، فقالَ : غليظُ الطَّبعِ ، بغيضُ الشَّكلِ ، قلتُ : زِدْ ، قالَ : وخمُ الطَّلعةِ ، عسرُ القلعةِ ، قلتُ : وحمُ الطَّلعةِ ، عسرُ القلعةِ ، قلتُ : حسبُكَ ، فقالَ : قلتُ : حسبُكَ ، فقالَ : زِدْ ، قالَ : رَدْ ، قالَ : صبُكَ ، فقالَ : رَدْني سُؤالاً . . أزدْكَ جواباً ، فقلتُ : كفى مِنَ القِلادةِ ما أحاطَ بالعُنُقِ .

ومِنْ جيدِ البديهةِ (٢): ما كانَ مِنْ يحيى بنِ أكثمَ وقد قالَ لهُ المأمونُ: صفْ لي حالي عندَ الناسِ ، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قدِ انقادَتْ لكَ الأمورُ بأزمَّتِها ، وملَّكَتْكَ الأُمَّةُ فضولَ أعنَّتِها بالرغبةِ إليكَ ، والمحبةِ لكَ ، والرفقِ منكَ بهِم ، ومنكَ عليهِم ، فالحمدُ للهِ الذي [جمعنا] بكَ بعدَ التقاطع ، ورفعنا في دولتِكَ بعدَ التواضع ، فقالَ: يا يحيىٰ ؛ تحبيراً أمِ ارتجالاً ؟ قالَ: وهل يمتنعُ فيكَ وصفٌ ، أو يَتعذَّرُ على مادحِكَ قولٌ ، أو يُفحَمُ فيك شاعرٌ ، أو يَتلجلجُ فيكَ خطيبٌ ؟!

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦) .

⁽٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٧).

ومِنْ حسنِ البديهةِ (۱): ما يُحكىٰ: أنَّهُ قدمَ للمهديِّ رجلٌ مِنْ خُراسانَ ، فقالَ: أطالَ اللهُ بقاءَ أميرِ المؤمنينَ ؛ إنَّا قومٌ نأينا عنِ العربِ ، وشغلَتْنا الحُروبُ عنِ الخُطَبِ ، وأميرُ المؤمنينَ يعلمُ طاعتَنا ، وما فيهِ مصلحتُنا ، فيكتفي منَّا باليسيرِ عنِ الكثيرِ ، ويقتصرُ علىٰ ما في الضَّميرِ .

ومِنْ حسنِ البديهةِ (۱): ما تسمعُهُ فيما يُحكىٰ: أنَّ أعرابيّاً دخلَ على المنصورِ ، فتكلَّمَ ، فأُعجِبَ بكلامِهِ ، فقالَ لهُ: سلْ حاجتَكَ ، فقالَ: يبقيكَ اللهُ ، ويزيدُ في سلطانِكَ ، فقالَ: سلْ حاجتَكَ ، فليسَ فقالَ: يبقيكَ اللهُ ، ويزيدُ في سلطانِكَ ، فقالَ: سلْ حاجتَكَ ، فليسَ في كلِّ وقتٍ يُؤمَرُ بذلكَ ، فقالَ: ولم يا أميرَ المؤمنينَ ؟! فواللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ فواللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما أستقصرُ عمرَكَ ، ولا أخافُ بخلَكَ ، ولا أغتنمُ مالكَ ، وإنَّ عطاءَكَ لزينٌ ، وما بامرئ بذلَ وجهَهُ لكَ نقصٌ ولا شَيْنٌ .

أَخذَ المعنى الأخيرَ مِنْ قولِ أميةَ بنِ أبي الصَّلْتِ في عبدِ اللهِ بنِ جدعانَ (٣):

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِأَمْرِئَ إِنْ حَبَوْتَهُ بِسَيْبٍ وَمَا كُلُّ ٱلْعَطَاءِ يَزِينُ وَلَيْسَ بِشَيْنِ لِآمْرِئَ بَذْلُ وَجْهِهِ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ ٱلسُّؤَالِ يَشِينُ

[حدُّ البلاغةِ عندَ جعفرِ بنِ يحيى]

وقالَ جعفرُ بنُ يحيى (''): البلاغةُ: أن يكونَ الاسمُ يحيطُ بمعناكَ ، ويُجلِّي عن مغزاكَ ، ويُخرِجُهُ مِنَ الشركةِ ، ولا يستعينُ عليهِ بطولِ الفكرِ ،

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧ ـ ٤٨) .

⁽٣) انظر « ديوان أمية بن أبي الصلت » (ص ٤٩٩) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨) .

ويكونُ سليماً مِنَ التكلُّفِ ، بعيداً مِنْ سوءِ الصَّنعةِ ، بريئاً مِنَ التعقيدِ ، غنيّاً عن التأمُّلِ .

قولُهُ: (أن يكونَ الاسمُ يحيطُ بمعناكَ) ، فالاسمُ ها هنا: اللفظُ ؛ أي: يَحصُرُ اللفظُ جميعَ المعنى ، ويَشتمِلُ عليهِ ؛ فلا يَشِذُّ منهُ شيءٌ يحتاجُ إلى أن يُعرَفَ بشرحٍ أو بتفسيرٍ ، فإذا سمعتَ اللفظَ . . عرفتَ أقصى المعنى ، وهاذا مثلُ قولِ الآخرِ : البليغُ : مَنْ طَبَّقَ المَفْصِلَ ، وأغناكَ عنِ المُفسِر .

ولا يكونُ الكلامُ بليغاً معَ ذلكَ حتى يَعرى مِنَ العيبِ ، ويَتضمَّنَ الجَزالةَ والسُّهولةَ وجودةَ الصَّنعةِ فيما ذكرنا ، ومثالُ ذلكَ (١): ما كتبَ بعضُهُم إلى أخ لهُ: أمَّا بعدُ : فإنَّ المرءَ يَسُرُّهُ دَرَكُ ما لم يكنْ ليُحرَمَهُ ، ويَسوءُهُ فوتُ ما لم يكنْ ليُحرَمَهُ ، ويَسوءُهُ فوتُ ما لم يكنْ ليدركَهُ ، فليكنْ سرورُكَ فيما قدمتَ مِنْ خيرٍ ، وأسفُكَ على ما فاتكَ مِنْ برّ .

وقولُ أعرابي لابنِهِ: يا بني ؛ إنَّ الدنيا تسعىٰ علىٰ مَنْ يسعىٰ لها ، فالهربَ قبلَ العطبِ ؛ فقد آذنتْكَ بدينِ (١) ، وانطوَتْ لكَ علىٰ حَيْنِ .

وقالَ الشاعرُ (٣):

حَـلَالٌ لِـلَـيْـلَـىٰ أَنْ يَـرُوحَ فُـوَّاذُهُ بِهَجْرٍ وَمَغْفُورٌ لِلَيْلَىٰ ذُنُوبُهَا تَطَلَّعُ مِـنْ نَفْسِي إِلَيْكِ نَوازِعٌ عَوَارِفُ أَنَّ ٱلْيَأْسَ مِنْكِ نَصِيبُهَا وَزَالَتْ زَوَالَ ٱلشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ مُخْبِرِي فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا

[من الطويل]

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨).

⁽٢) في « الصناعتين » : (ببين) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨) .

⁽٤) في « الصناعتين » : (تروع) بدل (يروح) .

وقالَ آخَرُ (۱): [من الطويل]

وَمَاذَا عَسَى ٱلْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَىٰ أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لَكِ عَاشِقُ أَجَلْ صَدَقَ ٱلْوَاشُونَ أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَصْفُ مِنْكِ ٱلْخَلَائِقُ

وقولُهُ : (ويُجلِّي عن مغزاكَ) أي : يُوضِّحُ مقصدَكَ ، ويُبيِّنُ للسامعِ مرادَكَ ، ينهى عن التعميةِ والإغلاقِ .

وقولُهُ: (ويخرجُهُ مِنَ الشركةِ) فقد مضى تفسيرُهُ (٢).

وقولُهُ: (ولا يستعينُ عليهِ بطولِ الفكرةِ) هاذا لأنَّ الكلامَ إذا تَقطَّعَتْ أجزاؤُهُ، ولم تتصلْ فصولُهُ. . ذهبَ رونقُهُ، وغاضَ ماؤُهُ، وإنَّما رونقُ الكلامِ إذا جرى جريانَ السيل، وانصبَّ انصبابَ القطرِ .

وقالَ ثمامةُ (٣): ما رأيتُ أحداً إذا تَكلَّمَ لا يَتحبَّسُ ، ولا يَتوقَّفُ ، ولا يَتلقَّفُ ، ولا يَتلقَّفُ ، ولا يَتلقَفُ ، ولا يَتلخبُ ، ولا يَتلخبُ ، ولا يَتلفلاً استدعاهُ مِنْ بَعدُ ، ولا يلتمسُ التخلُّصَ إلىٰ معنى قدِ اعتاصَ عليهِ بعدَ طلبِهِ . . إلَّا جعفرَ بنَ يحيىٰ .

فمِنَ الكلامِ الجاري مَجرى السيلِ ('): قولُ بعضِ العربِ لبعضِ ملوكِ بني أمية : أقطعتَ فلاناً أرضاً وَسُطَ [مَحَلَّتِنا ، وسواءَ] (() خِطَّتِنا ، ومركزَ رماحِنا ، ومنزلَ لقاحِنا ، ومخرجَ نسائِنا ، ومُتقلَّبَ آبائِنا ، ومَسرحَ شبابِنا ، ومَصبحنا في صيفِنا ، فقالَ : تُكْفُونَ ، وعَوَّضَهُ عنها ، وردَّها عليهِم .

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩) .

⁽۲) انظر (۳۳٦/۳).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩) .

⁽٤) انظر «الصناعتين» (ص ٤٩).

⁽٥) في الأصل : (حلتنا وسوء).

ويُروئ : أنَّ الإمامَ أبا محمدِ الحسنَ بنَ أميرِ المؤمنينَ عليّ بنِ أبي طالبٍ رضوانُ اللهِ وسلامُهُ عليهِما . . خطبَ ، فقالَ (١) : اعلموا : أنَّ الحِلْمَ زينٌ ، والوقارَ مروءةٌ ، والصَّلفَ نقمةٌ ، والإكثارَ صَلفٌ ، والعجلةَ سفةٌ ، والسَّفة ضعفٌ ، والقلقَ ورطةٌ ، ومجالسةَ أهلِ الدناءةِ شَينٌ ، ومخالطةَ أهلِ الفُسوقِ ريبةٌ .

فهاذهِ هي البلاغةُ التامَّةُ ، والبيانُ الكاملُ .

وكما قالَ بعضُهُمُ ('`): البلاغةُ: صوابٌ في سرعةِ جوابٍ ، والعِيُّ : إكثارٌ في إهذارِ ، وإبطاءٌ في دقةِ أخطاءٍ .

وقالَ بعضُهُم (٣): لستُ ممَّنْ يَتوهّمُ بجهلِهِ ، ويَظنُّ بقِلَةِ عقلِهِ : أَنَّ الدِّيانةَ والأَمانةَ ، والنزاهةَ والصِّيانةَ . . إنَّما هي في تشميرِ ثوبِهِ ، وإحفاءِ شاربِهِ ، وكشفِهِ عن ساقِهِ ، وزهوهِ بأطمارِهِ ، وإنعالِ خُفِّهِ ، وترقيعِ ثوبِهِ ، وإظهارِ سَجَّادتِهِ ، وتعليقِ سُبحتِهِ ، وخفضِ صوتِهِ ، وخضوعِ جسمِه دونَ قلبِهِ ، واختلاسِ مشيهِ ، وخفةِ وطئِهِ بينَ قومِهِ ، ولا يرتشي في حكمِه ، ويأخذُ على علمِهِ ، ولا يرفعُ طرفَهُ مِنْ عظمتِهِ وكبريائِهِ ، ولا يُكلِّمُ الناسَ مِنْ تصنُّعِهِ وريائِهِ .

فه نذا الكلامُ وأمثالُهُ في طولِ النفسِ يدلُّ على اقتدارِ المُتكلِّمِ وفضلِ قُوَّتِهِ في التصرُّفِ .

وقولُهُ: (ويكونُ سليماً مِنَ التكلُّفِ) ، فالتكلُّفُ: طلبُ الشيءِ بصُعوبةٍ ، للجهلِ في طلبِهِ بالسُّهولةِ ، فالكلامُ إذا جُمِعَ بتعبٍ وجهدٍ ، [وتُنُوِّلَتْ]

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص٥٠).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص٥٠).

ألفاظُهُ مِنْ بُعْدٍ . . فهوَ مُتكلَّفٌ ، مثالُهُ (() : قولُ بعضِهِم في دعائِهِ : اللهمَّ ربَّنا وإلهَ هَنا ؛ صلِّ على محمدٍ نبيِّنا ، ومَنْ أرادَ بنا سوءاً . . فاحططْ ذلكَ السُّوءَ به ، وأرسخْهُ به كرسوخِ السِّجِيلِ ، على أصحابِ الفيلِ ، وانصُرْنا على كلِّ بإغ وحَسودٍ ، كما انتصرتَ لناقةِ ثَمودٍ .

وقولُهُ: (بريئاً مِنْ سوءِ الصَّنعةِ)، فسوءُ الصَّنعةِ يتصرَّفُ على وجوهٍ ؟ منها: سوءُ التقسيمِ وفسادُهُ، [وقبحُ] الاستعارةِ والتطبيقِ، وفسادُ النسجِ والسبكِ . . . إلى غيرِ ذلكَ ممَّا سيُنبِّهُكَ عليهِ لاحقُ الكلام .

ورُوِيَ أَنَّه قالَ : (بريئاً مِنَ الصَّنعةِ) ، فالصَّنعةُ : النقصانُ مِنْ غايةِ الجودةِ ، والقصور عن جدِّ الإحسانِ .

ويُحكى ('`): أنَّ النابغةَ لمَّا دخلَ المدينةَ . . شربَ ، وغنَّاهُ المُغنِّي قصيدتَهُ ('`): أنَّ النابغة لمَّا دخلَ المدينة . . شربَ ، وغنَّاهُ المُغنِّي قصيدتَهُ ('`):

أَمِنَ ٱلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ وحركةُ رويتها الكسرةُ ، فلمَّا سمعَ قولَهُ :

..... قِيِ ذَاكَ خَبَّرَنَا ٱلْغُرَابُ ٱلْأَسْوَدُ

وقولَه :

..... عَنَمٌ يَكَادُ مِنَ ٱللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

. . استنكرَ ذلكَ ، وخرجَ مِنَ المدينةِ وهوَ يقولُ : دخلتُ المدينةَ فوجدتُ في شعري صنعةً ، فخرجتُ منها وأنا أشعرُ الناس .

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٠) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥١).

⁽٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٨٩) .

وقولُهُ: (فيهِ صنعةٌ) ، هو كقولِ الصَّانعِ إذا لم يُتمِّمْ عملَهُ في شيءٍ: هاذا الشيءُ لم يزلْ فيهِ شغلٌ ؛ أي: هو محتاجٌ لأن يصنعَ حتىٰ يَتِمَّ ويبلغَ أحسنَ أحوالِهِ ، مثلاً: أحسنُ أحوالِ القصيدةِ أن تكونَ أبياتُها جميعُها متفقةَ الرَّويِّ ، فقصيدةُ النابغةِ المذكورةُ محتاجةٌ لتغييرِ تركيبِ البيتَينِ حتىٰ يوافقَ رَويُّهُما بقيةَ القصيدةِ ، يُقالُ: إنَّهُ غَيَّرَ قولَهُ:

..... قِيِنَاكَ خَبَّرَنَا ٱلْغُرَابُ ٱلْأَسْوَدُ

إلىٰ:

..... قِيِذَاكَ تَنْعَابُ ٱلْغُرَابِ ٱلْأَسْوَدِ

وهوَ فِرارٌ مِنْ عيبٍ لأشدَّ منهُ ؛ فإنَّكَ تقارنُ بينَ (خَبَّرَنا) و(تَنعابُ) فتجدُ الأُولى صادرةً عن مصدرِ شعرٍ ، والثانية لم تجئ إلَّا بالبحثِ والتكلُّفِ لها ، وقهرِها في وضعِها بغيرِ مَقرِّها .

وحُكِيَ (1): أنَّهُ كانَ ابنُ الأعرابيِّ يأمرُ بكتبِ جميعِ ما يجري في مجلسِهِ ، فأنشدَهُ رجلٌ يوماً أرجوزةَ أبي تمامٍ في وصفِ السحابِ على أنَّها لبعضِ العرب:

[من مشطور الرجز]

سَارِيةٌ لَمْ تَكْتَحِلْ بِغَمْضِ
كَدْرَاءُ ذَاتُ هَطَلَلْانٍ مَحْضِ
[مُوقَرَةٌ] مِنْ خُلَةٍ وَحَمْضِ
تَمْضِي وَيُبْقِي نِعَماً لَا تَمْضِي
قَضَتْ بِهَا ٱلسَّمَاءُ حَقَّ ٱلْأَرْض

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٥١) .

فقالَ ابنُ الأعرابيِّ : اكتبوها ، فلمَّا كتبوها . . قيلَ : إنَّها لحبيبِ بنِ أوسٍ ، فقالَ : خَرِّقْ ، لا جرمَ أنَّ أثرَ الصَّنعةِ فيها بيِّنٌ !!

وقالَ الفرزدقُ : إنَّ للقصائدِ مصنعاً ؛ أي : معاباً ومنقصةً .

وقولُهُ: (بعيدٌ مِنَ التعقيدِ) ، فالتعقيدُ: الإغلاقُ ؛ وهوَ استعمالُ الوحشيّ ، وتعليقُ الكلام بعضِهِ ببعضٍ حتى يستبهمَ المعنى .

فمِنْ أمثلةِ ذٰلكَ ('): ما يُحكى: أنَّ رجلاً مرضَتْ أُمُّهُ ، فكتبَ رقاعاً وطرحَها في المسجدِ الجامعِ بمدينةِ السلامِ يطلبُ فيها أن يدعوَ الناسُ لأُمِّهِ ، وهاذا ما كتبَ فيها: صِينَ ٱمرؤٌ دعا لامرأةٍ [مُقْسَئِنَّةٍ] ('') ، قد مُنِيَتْ بأكلِ الظُّرموقِ ، فأصابَها مِنْ أجلِهِ الاستمصالُ ؛ أنْ يَمُنَّ اللهُ عليها باطرغشاشٍ وابرغشاشٍ .

الطُّرموقُ: الخفاشُ، والاستمصالُ: الإسهالُ، واطرغشَ وابرغشَ ؛ إذا أبلَّ وبَرَأَ، فكانَ كلُّ مَنْ قرأَ رقعةً.. بالغَ في لعنِهِ ولعنِ أُمِّهِ.

والتعليقُ كقولِ أبي تمامٍ (٢):

جَارَىٰ إِلَيْهِ ٱلْبَيْنُ وَصْلَ خَرِيدَةٍ يَا يَوْمَ لَهُوِي لَهُوهُ يَا يَوْمَ لَهُوي لَهُوهُ يَا يَوْمُ أَفَاضَ تَعَزِّياً يَوْمٌ أَفَاضَ تَعَزِّياً وقولِهِ (١٠):

فَٱلْمَجْدُ لَا يَرْضَىٰ بِأَنْ تَرْضَىٰ بِأَنْ

[من الكامل]

مَاشَتْ إِلَيْهِ ٱلْمَطْلَ مَشْيَ ٱلْأَكْبُدِ بِصَبَابَتِي وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلُّدِي خَاضَ ٱلْهَوَىٰ بَحْرَيْ حِجَاهُ ٱلْمُزْبِدِ [من الكامل]

يَـرْضَى ٱمْـرُقُ يَـرْجُـوكَ إِلَّا بِـالرّضَـا

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٢) .

⁽٢) والمقسئنة: كبيرة السن.

⁽٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٤٤/٢) .

⁽٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٣٠٧/٢) .

وقولِ المتنبي (١):

[من الكامل]

مَنْ يَهْتَدِي فِي ٱلْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي ٱلْقَوْلِ حَتَّىٰ يَفْعَلَ ٱلشُّعَرَاءُ

وبلغَنا: أنَّ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ كانَ يُنشِدُ مثلَ هـٰذا عندَ الحسنِ بنِ وهبٍ ، فكانَ يقولُ لهُ: يا هـٰذا ؛ إنَّكَ تُشدِّدُ على نفسِكَ ، فكلُّ ما كانَ مِنَ الكلامِ بهـٰذهِ المثابةِ . . كانَ مذموماً مردوداً ، وكانَ السُّكوتُ خيراً منهُ .

وقولُهُ: (غنيًا عنِ التأمُّلِ) أي: هوَ مستغنِ لوضوحِهِ عن تأمُّلِ معانيهِ ، وترديدِ النظرِ فيهِ ؛ كقولِ بعضِهِم لصديقٍ لهُ (١٠): وجدتُ المودَّةَ منقطعةً ما دامَتِ الحشمةُ عليها مُسلَّطةً ، ولا يزولُ سلطانُ الحشمةِ إلَّا بملكةِ المؤانسةِ .

وممَّا يُؤيِّدُ ما قلناهُ (**): قولُ الجاحظِ: مَنْ أَعارَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ معونتِهِ نصيباً ، وأَفرغَ عليهِ مِنْ محبَّتِهِ ذَنوباً . . حَبَّبَ إليهِ المعانيَ ، وسَلَّسَ لهُ نظامَ اللفظِ ، وكانَ قد أعفى المستمعَ مِنْ كدِّ التلطُّفِ ، وأراحَ قارئَ الكتابِ مِنَ الفهم .

معناهُ: أنَّهُ يعفيهِ ويريحُهُ مِنْ تعبِ أن يَتطلَّبَ المرادَ بشدَّةِ النظرِ وكثرةِ التأمُّلِ حتى يعثرَ عليهِ .

[حدُّ البلاغةِ عندَ بعضِهِم]

ولبعضِهِمُ (1): البلاغةُ: التقريبُ مِنَ المعنى البعيدِ، والتباعدُ مِنْ

⁽١) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٩٥) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

حشوِ الكلامِ ؛ وذلكَ بالقصدِ إلى الإيجازِ في صوابٍ ، والحُجَّةِ وحسنِ الاستعارةِ (١) .

ومثلُهُ: قولُ آخَرَ (٢): البلاغةُ: تقريبُ ما بَعُدَ مِنَ الحكمةِ بأيسرِ الخطاب.

وتقريبُ المعنى البعيدِ: بأن يَعمِدَ إلى المعنى اللطيفِ فيكشفَهُ ، وينفيَ الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في الشواغلَ عنه ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في الشواغلِ المُؤتِّرِ في السامع المرأةِ (٣٠) :

لَمْ نَدْرِ مَا ٱلدُّنْيَا وَمَا طِيبُهَا وَحُسنُهَا حَتَّىٰ رَأَيْنَاهَا إِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهَا سَاعَةً أَجْلَلْتَهَا أَنْ تَتَمَنَّاهَا

وقولُ بعضِهِم لملكٍ مِنَ الملوكِ (1): أمَّا التعجُّبُ مِنْ مناقبِكَ . . فقد نسخَهُ تواترُها ، فصارَتْ كالشيءِ القديمِ الذي قد أُنِسَ بهِ ، لا كالشيءِ البديعِ الذي يُتعجَّبُ منهُ .

ومِنْ هاذا أَخذَ أبو تمامٍ قولَهُ (٥):

عَلَىٰ أَنَّهَا ٱلْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ حَتَّىٰ لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

وقولُ آخَرَ لبعضِ الملوكِ أيضاً (1): أخلاقُكَ تجعلُ العدوَّ صديقاً ، وأحكامُكَ تجعلُ الصَّديقَ عدوًاً .

⁽١) في « الصناعتين » : (والتباعد من حشو الكلام ، وقُربُ المأخذ ، وإيجازٌ في صواب ، وقصدٌ إلى الحجة ، وحسن الاستعارة) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣).

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

⁽٥) انظر « ديوان أبي تمام » (٤٢/٤) .

⁽٦) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣) .

وقالَ بعضُ القدماءِ (١١): لكلّ جليلةٍ دقيقةٌ ، ودقيقةُ الموتِ الهجرُ .

قالَ أبو هلالٍ (٢): وقلتُ:

[من المجتث]

[من الطويل]

اِسْمُ ٱلتَّهُ فَرُّقِ بَيْنٌ لَلْكِنَّ مَعْنَاهُ مَوْتُ وُجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ إِذَا تَبِاعَدْتَ فَوْتُ

وقولُهُ: (والتباعدُ مِنْ حشوِ الكلامِ) ، فالحشوُ يكونُ على ثلاثةِ أضربٍ: اثنانِ منها مذمومانِ ، وواحدٌ محمودٌ ، فأحدُ المذمومينِ: هوَ إدخالُكَ في الكلامِ لفظاً لو أسقطتَهُ . . لكانَ الكلامُ تامّاً ؛ مثلَ قولِ الشاعرِ (٣): [من البسيط] أَبْغِي فَتى لَمْ تَذَرَّ ٱلشَّمْسُ طَالِعَةً يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا فقولُهُ: (يوماً مِنَ الدَّهر) [حَشْوٌ] لا يُحتاجُ إليهِ .

وقولِ بعضِ بني عبسٍ (١):

أَبَعْدَ بَنِي بَكْرٍ أُوَمِّلُ مُقْبِلاً مِنَ ٱلْعَيْشِ أَوْ آسَىٰ عَلَىٰ إِثْرِ مُدْبِرِ وَلَيْسَ وَرَاءَ ٱلصَّبْرِ شَيْءٌ يَرُدُّهُ عَلَيْكَ إِذَا وَلَّىٰ سِوَى ٱلصَّبْرِ فَٱصْبِرِ أُولَاكَ بَنُو خَيْرٍ وَشَرِّ كِلَيْهِ مَا وَمَعْرِفَةٍ أَنَّىٰ أُرِيدُ وَمُنْكَرِ

قولُهُ: (أريدُ) زيادةٌ وحشوٌ، وقولُهُ: (كليهِما) يكادُ يكونُ حشواً، وكذلكَ قولُهُ: (إذا ولَيْ).

والضَّرْبُ الآخَرُ: العبارةُ عنِ المعنى بكلامِ طويلٍ لا فائدةَ في طولِهِ ،

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) ، وفيها : (أنعى فتيَّ) بدل (أبغى فتيَّ) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) .

⁽٥) في « الصناعتين » : (كليهما جميعاً ومعروفٍ أريد) .

ويمكنُ أن يُعبَّرَ عنهُ بأقصرَ منهُ ؛ مثلُ قولِ النابغةِ (١): [من الطويل]

تَبَيَّنْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا ٱلْعَامُ سَابِعُ

كَانَ ينبغي (لسبعةِ أعوامِ)، ثمَّ يُتمِّمُ البيتَ بما فيهِ فائدةٌ.

قلتُ (٢): والذي أحوجَ النابغةَ لذلكَ : أنَّ العامَ السابعَ لمْ يَتِمَّ .

وأمَّا الضَّرْبُ المحمودُ . . فكقولِ كثيرٍ (٣) : [من الوافر]

لَوَ أَنَّ ٱلْبَاخِلِينَ وَأَنْتِ مِنْهُمْ رَأُوْكِ تَعَلَّمُوا مِنْكِ ٱلْمِطَالَا

قولُهُ: (وأنتِ منهُم) حشوٌ، إلَّا أنَّهُ مليحٌ، وهنذا ما يُسمَّىٰ في البديعِ: اعتراضاً.

ومِنَ الكلامِ الذي لا حشوَ فيهِ (') : قولُ صبرةَ بنِ [شيمانَ] حينَ دخلَ على معاويةَ معَ الوفودِ ، فتكلَّموا فأكثروا ، فقالَ صبرة : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّا حيُّ فِعالٍ ، ولسنا حيَّ مقالٍ ، ونحنُ بأدنى فعالِنا عندَ أحسنِ مقالِهِم ، قالَ معاوية : (صدقتَ) .

ومِنْ هاذا قولُ الشاعرِ (°):

وَمِنْ هاذا قولُ الشَّاعِ النَّاعِ السَّاعِ السَّعِ السَّاعِ ا

وكتبَ رجلٌ لأخٍ لهُ (``: ثقتي بكرمِكَ تمنعُ مِنِ اقتضائِكَ ، وعلمي بشغلِكَ يحدو على إذكارِكَ ('').

⁽١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٣٠) ، و« الصناعتين » (ص ٥٥) .

⁽٢) القائل هو المؤلف ضمن نقله عن صاحب « الصناعتين » .

⁽٣) انظر « ديوانه » (ص ٥٠٧) ، و« الصناعتين » (ص ٥٥) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

⁽٥) انظر « الصناعتين » (ص٥٥).

⁽٦) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

⁽۷) في « الصناعتين » : (ادِّ كارك) .

ولآخَرَ (١): في الناسِ طبائعُ سيئةٌ ، فارتبطْ بمَنْ رَجَحَتْ محاسنُهُ .

وقالَ الحسنُ رضوانُ اللهِ عليهِ (٢): نعمُ اللهِ على العبدِ أكثرُ مِنْ أن تُسكَرَ إلّا أن يُعفىٰ تُشكَرَ إلّا أن يُعانَ عليها ، وذنوبُهُ أكثرُ مِنْ أن يَسلَمَ [منها] إلّا أن يُعفىٰ لهُ عنها.

قيلَ : ومِنَ البلاغةِ : قربُ المأخذِ ؛ وهوَ تناولُ المعنىٰ مِنْ قريبٍ دونَ كَدٍّ لهُ ، وتَعمُّلِ في تحصيلِهِ ، وفي ذلكَ غرائبُ كالاتفاقياتِ .

يُحكىٰ ("): أنَّ الرشيدَ قالَ ليلةً وهوَ في ندمائِهِ: قد طلعَتِ الثُّريا ، فقالَ واحدٌ منُهم: كأنَّها عِقدُ ريَّا ، وقالَ رجلٌ : بردَ الماءُ وطابا ، فقالَ آخَرُ : حبذا الماءُ شرابا .

وطالَ وقوفُ بشارٍ ببابِ يعقوبَ ، فأنشدَ : [من الكامل] طَالَ ٱلثَّوَاءُ عَلَىٰ رُسُوم ٱلْمَنْزِلِ

فرُفِعَ ليعقوبَ ، فقالَ :

..... فَإِذَا تَشَاءُ أَبَا مُعَاذٍ فَادْخُلِ

ومِنْ قُربِ المأخذِ (أَنَّ الجاحظَ أو غيرَهُ قالَ [للجمَّازِ]: أنا أريدُ أن أنظرَ إلى الشيطانِ ، فقالَ: انظرْ في المرآةِ .

وقالَ بعضُ الولاةِ لأعرابيِّ: قلِ الحقّ ، وإلّا . . أوجعتُكَ ضرباً ، فقالَ : وأنتَ فاعملْ بهِ ، فواللهِ ؛ لَمَا أوعدَكَ اللهُ بهِ منهُ . . أعظمُ ممَّا أوعدتَني بهِ منكَ . .

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦) .

ومنهُ ('): أنَّ المأمونَ قالَ لأُمِّ الفضلِ بنِ سهلٍ بعدَ قتلِهِ إيَّاهُ: أتجزعينَ ولكِ ولدٌ مثلي ؟! وكانَتْ أُمَّهُ ولكِ ولدٌ مثلي ؟! وكانَتْ أُمَّهُ مِنَ الرَّضاعةِ .

ولأبي حنيفةَ : إذا أتتْكَ مُعضِلةٌ . . فاجعلْ جوابَها منها .

ومِنْ ذَلكَ ('` : ما يُحكى : أنَّ عبدَ الملكِ دعا يوماً بالغداء وبحضرتِهِ رجلٌ ، فدعاهُ إلىٰ غدائِهِ ، فقالَ : ليسَ بي غداءٌ ، قد تَغدَّيتُ يا أميرَ المؤمنينَ ، فقالَ عبدُ الملكِ : ما أقبحَ بالرجلِ أن يأكلَ حتىٰ لا يكونَ فيهِ فضلٌ للطعامِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ فيَّ فضلٌ ، وللكنْ أكرهُ أن آكلَ فأصيرَ إلىٰ ما استقبحَهُ أميرُ المؤمنينَ .

وقالَ محمدُ بنُ عليّ عليهِما السلامُ: البلاغةُ: قولٌ يُفقَهُ في لطفٍ ، وفقهُ القولِ فهمُ حقيقتِهِ ، واللطيفُ مِنَ الكلامِ ما تعطفُ بهِ القلوبُ النافرةُ ، وتُؤنَسُ بهِ الأفئدةُ المستوحشةُ ، وتلينُ بهِ العريكةُ الأبيَّةُ المُستصعّبةُ ، وتبلغُ بهِ الحاجةُ ، [وتُقامُ] بهِ الحُجَّةُ ، فتُخلِّصُ نفسَكَ مِنَ العيبِ ، وتلزمُ صاحبَكَ الذنبَ ، مِنْ غيرِ أن تهيجَهُ وتقلقَهُ ، وتستدعيَ غضبَهُ وتستبينَ حفيظتَهُ ؛ كقولِ بعضِ الكُتَّابِ لأخٍ لهُ: أنفذَ إليَّ أبو فلانِ كتاباً منكَ فيهِ درةٌ (٣) مِنْ عتابٍ كانَ أحلى عندي مِنْ تعريسةِ الفجرِ ، وألذَّ مِنَ الزلالِ العذبِ ، ولكَ العُتبىٰ داعياً مستجاباً لهُ ، وعاتباً معتذراً إليهِ ، ولو شئتُ معَ هاذا أن أقولَ : إنَّ العتبىٰ عليكَ أوجبُ ، والاعتذارَ إليكَ ألزمُ . . لفعلتُ ، وللكِيِّي أسامحُكَ ولا أشاحُكَ ، وأُسلِّمُ إليكَ ولا أُرادُّكَ ؛ لأنَّ أفعالَكَ عندي مرضيةٌ ، وشيمَكَ ولا أشاحُكَ ، وأُسلِّمُ إليكَ ولا أُرادُّكَ ؛ لأنَّ أفعالَكَ عندي مرضيةٌ ، وشيمَكَ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦ _ ٥٧) .

⁽٣) في « الصناعتين » : (ذروٌ) .

لديَّ مقبولةٌ ، ولولا أنَّ للحُجَّةِ موقعَها . . لأعرضتُ عمَّا أومأتُ إليهِ ، وما عرضتُ ممَّا بدأتُ ، وقلتُ :

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ

فانظرْ كيفَ خَلَّصَ نفسَهُ مِنَ الجُرمِ وأوجبَهُ لصاحبِهِ في ألطفِ وجهٍ وألينِ مسِّ.

ومِنَ الكلامِ الذي يعطفُ القلوبَ النافرةَ (١): قولُ آخَرَ لأخيهِ: زَيَّنَ اللهُ أَلْفَتَنا بمعاودةِ صِلَتِكَ ، واجتماعَنا بترادفِ زيارتِكَ ، وأيَّامَنا المُوحِشةَ بغَيبتِكَ برؤيتِكَ ، توعَّدتَني بالانتقامِ على إخلالي بمطالعتِكَ ، وصُنتَني مِنْ عقوبتِكَ على على إخلالي بمطالعتِكَ ، وصُنتَني مِنْ عقوبتِكَ على ما ابتدأتُ بهِ مِنْ عدم مشاهدتِكَ (١).

وقالَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ (^{")}: البلاغةُ: إيضاحُ الملبساتِ ، وكشفُ عَوارِ الجهالاتِ .

وتستبينُ ذلكَ فيما يُحكى عنِ المأمونِ وقد أحضرَ رجلاً ارتدَّ إلى النصرانيةِ بعدَ الإسلامِ ، فقالَ له : ما أوحشَكَ مِنَ الإسلامِ ؟ فقالَ : كثرة الاختلافِ فيكُم ، فقالَ المأمونُ : أمَّا اختلافُنا . . فمنه ما يكونُ كاختلافِنا في الأذانِ وتكبيرِ الجنائزِ ، والتشهدِ ، وصلاةِ الأعيادِ ، وتكبيرِ التشريقِ ، ووجوهِ القُرآنِ ، واختلافِ وجوهِ الفُريا ، وما أشبهَ ذلكَ ، وليسَ هاذا باختلافٍ ، وإنَّما ذلكَ توسعةٌ ، وتخفيفٌ مِنَ المِحنةِ .

ومنهُ ما يكونُ كاختلافِنا في تأويلِ الآيةِ مِنْ كتابِنا ، وتأويلِ الخبرِ عن نبيّنا ، معَ اجتماعِنا على أصلِ التنزيلِ ، واتفاقِنا على عينِ الخبرِ ؛ فإن

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٧ _ ٥٨) .

⁽٢) الذي في « الصناعتين » : (وحسبى من عقوبتك ما ابتليت به من عدم مشاهدتك) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٨) .

كانَ الذي أوحشَكَ هو هاذا حتى أنكرتَ هاذا الكتابَ .. فينبغي أن يكونَ اللفظُ بجميعِ التوراةِ والإنجيلِ مُتَّفَقاً على تأويلِهِ ، كما يكونُ مُتَّفقاً على تنزيلِهِ ، ولا يكونَ بينَ النصارى اختلافٌ في شيءٍ مِنَ التأويلاتِ ، ولو شاءَ اللهُ أن ينزلَ كتبَهُ ويجعلَ كلامَ أنبيائِهِ وورثةِ رسلِهِ كلاماً لا يحتاجُ إلى التفسيرِ .. لفعلَ ، وللكنَّا لم نرَ شيئاً مِنَ [الدِّينِ] والدنيا دُفِعَ إلينا على الكفايةِ ، ولو كانَ الأمرُ كذلكَ .. [لسقطَتِ] المِحنةُ والبلوى ، وذهبَتِ على الكفايةِ ، ولو كانَ الأمرُ كذلكَ .. [لسقطَتِ] المِحنةُ والبلوى ، وذهبَتِ المسابقةُ] والمنافسةُ ، ولم يكنْ تفاضلٌ ، وليسَ على هاذا بنى اللهُ الدنيا .

فقالَ المُرتدُّ: إنَّكَ أميرُ المؤمنينَ حقّاً (١).

وقالَ ابنُ المُقفَّعِ (٢): البلاغةُ: كشفُ ما غَمُضَ مِنَ الحقِّ، وتصويرُ الحقِّ في صورةِ الباطلِ.

والذي قالَهُ أمرٌ صحيحٌ ، ولا يَخفىٰ موضعُ الصَّوابِ فيهِ علىٰ أحدٍ مِنْ أهلِ التمييزِ والتحصيلِ ؛ وذلكَ أنَّ الأمرَ الصحيحَ الثابتَ المكشوفَ ينادي علىٰ نفسِهِ بالصحَّةِ ، ولا يُحوِجُ إلى التكلُّفِ لصحتِهِ حتىٰ يُوجِدَ المعنىٰ فيهِ خطيبٌ ، وإنَّما الشأنُ في تحسينِ ما ليسَ بحسنٍ ، وتصحيحِ ما ليسَ بصحيحٍ ؛ بضربٍ مِنَ الاحتيالِ والتخييلِ ، ونوعٍ مِنَ العللِ والمعاريضِ والمعاذيرِ ؛ ليخفىٰ موضعُ الإساءةِ ، ويَغمُضَ موضعُ التقصيرِ ، وما أكثرَ ما يَحتاجُ الكاتبُ إلىٰ هاذا الجنسِ عندَ اعتذارِهِ مِنْ هزيمةٍ ، أو حاجتِهِ إلىٰ تغييرِ رسمٍ ، أو رفعِ منزلةِ دنيءٍ لهُ فيهِ هوى ، أو حطِّ منزلةِ شريفِ استحقَّ ذلكَ منهُ . . . إلىٰ غير هاذا مِنْ عوارض أمورهِ .

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٨ _ ٥٩) .

⁽۲) انظر « الصناعتين » (ص ٥٩) .

فأعلى رتبِ البلاغةِ أن يحتجَّ للمذمومِ حتى يخرجَهُ في معرضِ المحمودِ ، والمحمودِ عتى يُصيِّرَهُ في منزلةِ المذموم .

وقد ذَمَّ عبدُ الملكِ بنُ صالحِ المشورةَ وهيَ ممدوحةٌ بكلِّ لسانٍ ، فقالَ : ما استشرتُ أحداً إلَّا تَكبَّرَ عليَّ ، وتصاغرتُ لهُ ، ودخلَتْهُ العزَّةُ ، ودخلَتْني النِّلَةُ ، فعليكَ بالاستبدادِ ؛ فإنَّ صاحبَهُ جليلٌ مهيبٌ في الصُّدورِ ، فإذا افتقرت إلى العقولِ . . حقرَتْكَ العيونُ ، فتضعضعَ شأنُكَ ، ورجفَتْ بكَ أركانُكَ ، واستحقرَكَ الصغيرُ ، واستخفَّكَ الكبيرُ ، وما عزَّ سلطانٌ لم يغنِهِ عقلهُ عن عقولِ وزرائِهِ ونصحائِهِ .

قلت : عبدُ الملكِ هاذا أحدُ عُقلاءِ بني العباسِ وبلغائِهِم ، وكانَ خليفةُ وقتِهِ هارونُ منحرفاً عنهُ جدّاً ؛ لكثرةِ سعي بغضائِهِ بهِ ، وتفهيمِ الخليفةِ أنّهُ في عزيمةٍ أن يَتغلّبَ على الملكِ ، وأنّهُ بقُوّةِ بلاغتِهِ وحسنِ تَصرُّفِهِ في العقولِ قد وجدَ الأسبابَ الموصلةَ إلىٰ هاذا الغرضِ ، وكأنّهُ قد لحقهُ عنده شؤمُ هاذا الاسمِ الأُمويِّ ، فكانَ يحبسُهُ ، ثمّ يحتجُّ عن نفسِهِ ويثبتُ براءتهُ ممّا رُمِي بهِ ، فيطلقُهُ .

ويُروى : أنَّهُ قالَ لهُ مَرَّةً _ وفيهِ شاهدٌ على ما نحنُ فيه _ : بلغَني أنَّ فيكَ حقداً ، فقالَ لهُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إن كانَ الحقدُ بقاءَ الخيرِ والشرِّ في قلبي لفاعليهِما . . فأنا حَقودٌ ، فقالَ هارونُ : ما سمعتُ مثلَ احتجاجِكَ للحقدِ ؛ يعني : مِنَ المُسلَّمِ الذي لا ينبغي أن يُنازعَ فيهِ : حُسْنُ تذكُّرِ الإنسانِ ما صُنِعَ يعني : مِنْ المُسلَّمِ الذي لا ينبغي أن يُنازعَ فيهِ : حُسْنُ تذكُّرِ الإنسانِ ما صُنِعَ به مِنْ خيرٍ ليكافِئَ عليهِ بما أمكنَهُ ، أو شرٍّ ليحترسَ مِنْ مثلِهِ ويُجازيَ بهِ إنِ اقتضتْ ضرورةٌ ذلكَ .

ومدحَ بعضُهُمُ الموتَ فقالَ (١):

[من الكامل]

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ٦٠) .

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا ٱلْحَيَاةَ فَأَكْثَرُوا فِي ٱلْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ مِنْهَا أَمَانُ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصِفُ

وذلكَ بابٌ واسعٌ ، يَرِدُ عليكَ منهُ إن شاءَ اللهُ تعالى ، وللناسِ فيهِ موضوعاتٌ ضمَّنوها شعراً ونثراً في مدحِ الشيءِ وذمِّهِ ؛ ك « التحفِ والظرفِ » لأبي منصورِ عبدِ الملكِ الثعالبيّ صاحبِ « يتيمةِ الدهرِ » .

انتهى ما أردتُ نقلَهُ مِنْ بابِ البلاغةِ .

[إيجازُ القَصْر]

وهنأنا مثبتٌ لكَ مِنْ بابِ الإيجازِ وما يقابلُهُ ما تَتبيَّنُ بهِ حقَّ التبيُّنِ موضعَ كلِّ منها ، والحُجَّةَ لحسنِ كلِّ واحدٍ في موضعِهِ .

فمِنَ الكلامِ الدالِّ على حسنِ الإيجازِ ، واختيارِ أهلِ البلاغةِ لهُ: ما نقلَهُ أبو هلالٍ رحمَهُ اللهُ حيثُ قالَ (١): قالَ أصحابُ الإيجازِ: الإيجازُ: هوَ البلاغةُ ، وما تجاوزَ مِقدارَ الحاجةِ . . فهوَ فضلٌ داخلٌ في بابِ الهذرِ والحصرِ ، وهُما مِنْ أعظمِ أدواءِ الكلامِ ، وفيهِما دلالةٌ على بَلادةِ صاحبِ الصِّناعةِ .

وفي تفضيلِ الإيجازِ يقولُ جعفرُ بنُ يحيىٰ لكُتَّابِهِ : إن قدَرتُم أن تجعلوا كتبَكُم توقيعاتٍ . . فافعلوا .

وقالَ بعضُهُمُ : الزيادةُ في [الحدِّ] نقصانٌ .

وقالَ محمدٌ الأمينُ : عليكُم بالإيجازِ ؛ فإنَّ لهُ إفهاماً ، وللإطالةِ استبهاماً .

وقالَ شبيبُ بنُ شبةَ : قليلٌ كافٍ خيرٌ مِنْ كثيرِ شافٍ .

وقالَ آخَرُ: إذا طالَ الكلامُ . . عرضَتْ لهُ أسبابُ التكلُّفِ ، ولا خيرَ في شيءٍ يأتي بهِ التكلُّفُ .

وقيلَ لبعضِهِم: ما البلاغةُ ؟ قالَ: الإيجازُ ، قيلَ: وما الإيجازُ ، قالَ: حذفُ الفضولِ ، وتقريبُ [البعيد] .

وسمعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ رجلاً يقولُ لرجلِ: كفاكَ اللهُ ما

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٩) ، والسياق له .

أَهمَّكَ ، فقالَ : « هَاذِهِ ٱلْبَلَاغَةُ » ، وسمعَ آخَرَ يقولُ : عصمَكَ اللهُ مِنَ المكارهِ ، فقالَ : « هَاذِهِ ٱلْبَلَاغَةُ » (١٠) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « أُوتِيتُ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ » (٢).

وقيلَ لبعضِهِم : لِمَ لا تطيلُ الشِّعرَ ؟ قالَ : حسبُكَ مِنَ القِلادةِ ما أحاطَ بالعنقِ ، وقيلَ لآخَرَ : لِمَ لا تطيلُ شِعرَكَ ؟ فقالَ : لستُ أبيعُهُ مذارعةً .

وقيلَ للفرزدقِ : ما صَيَّرَكَ إلى القصائدِ القِصارِ بعدَ الطِّوالِ ؟ قالَ : لأني رأيتُها في القلوبِ أوقعَ ، وفي المحافلِ أجولَ .

وقالَتْ بنتُ الحطيئةِ لأبيها: ما بالُ قِصارِكَ أكثرُ مِنْ طِوالِكَ ؟ قالَ: لأنَّها في الآذانِ أجولُ ، وبالإقبالِ أخلقُ .

وقالَ أبو سفيانَ لابنِ الزِّبَعْرَىٰ : قَصَّرتَ في شعرِكَ ، قالَ : حسبُكَ مِنَ الشِّعرِ غُرَّةٌ لائحةٌ ، وسمةٌ واضحةٌ .

وقيلَ للنابغةِ الذُّبيانيِّ : لِمَ لا تطيلُ القصائدَ كما أطالَ صاحبُكَ ابنُ حِجْرٍ ؟ فقالَ : مَنِ انتخلَ . . أسفرَ (٣) .

وقيلَ لبعضِ المُحدثينَ: ما لكَ لا تزيدُ على أربعةٍ واثنَينِ ؟ فقالَ: هيَ بالقلوبِ أوقعُ ، وإلى الحفظِ أسرعُ ، وبالألسنِ أعلقُ ، وللمعاني أجمعُ ، وصاحبُها أبلغُ وأوجزُ .

وقيلَ لابنِ حازمٍ: ألا تطيلُ القصائدَ ؟ فقالَ (١٠):

أَبَىٰ لِي أَنْ أُطِيلَ ٱلشِّعْرَ قَصْدِي إِلَى ٱلْمَعْنَىٰ وَعِلْمِي بِٱلصَّوَابِ

⁽١) كذا أورد العسكري هـنذين الخبرين في « الصناعتين » (ص ١٧٩) .

⁽٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٧) ، ومسلم (٥٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

⁽٣) في « الصناعتين » : (من انتحل . . انتقر) .

⁽٤) انظر « أنوار الربيع » (١٠/٢) .

وَإِنْجَازِي لِمُخْتَصِرٍ قَرِيبٍ حَذَفْتُ بِهِ ٱلْفُضُولَ مِنَ ٱلْجَوَابِ
فَأَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمُخَتَصِرُ قَرِيبٍ مُثَقَّفَةً بِأَلْفَاظٍ عِلْمَابِ
خَوَالِدُ مَا حَدَا لَيْلٌ نَهَاراً وَمَا حَسُنَ ٱلصِّبَا بِأَخِ ٱلشَّبَابِ
وَكُنَّ إِذَا رَسَمْنَ مُسَافِرَاتٍ تَهَادَاهَا ٱلرُّوَاةُ مَعَ ٱلْرِكَابِ

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ رضوانُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ : (ما رأيتُ بليغاً قطُّ إِلَّا ولهُ في اللفظِ إيجازٌ ، وفي المعاني إطالةٌ) .

وقيلَ لإياسِ بنِ معاويةَ : ما فيكَ عيبٌ ، غيرَ أنَّكَ كثيرُ الكلامِ ، قالَ : أفتسمعونَ صواباً أم خطأً ؟ قالوا : بل صواباً ، قالَ : فالزيادةُ مِنَ الخيرِ خيرٌ .

وليسَ كما قالَ ؛ لأن للكلامِ غايةً ، ولنشاطِ السامعينَ نهايةً ، وما فَضَلَ عن مِقدارِ الاحتمالِ ، ودعا إلى الاستثقالِ ، وصارَ سبباً للمَلالِ . . فذلكَ الهذرُ والإسهابُ والخطلُ ، وهوَ معيبٌ عندَ كلّ لبيبٍ .

وقالَ بعضُهُمُ: البلاغةُ بالإيجازِ أنجعُ مِنَ البيانِ بالإطنابِ.

وقالوا: المِكثارُ كحاطبِ الليلِ.

وقيلَ لبعضِهِمُ: مَنْ أبلغُ الناسِ ؟ قالَ: مَنْ جلا المعنى المتينَ باللفظِ الوجيزِ ، وطَبَّقَ المَفصِلَ قبلَ التحزيزِ .

مأخوذٌ مِنْ كلامِ معاوية ؛ وهو قولُهُ لعمرِو بنِ العاصِ لمَّا أقبلَ أبو موسى: يا عمرُو ؛ إنَّهُ قد ضُمَّ إليكَ رجلٌ قصيرُ اللسانِ ، طويلُ الرأي والعرفانِ ، فأقللِ الحزَّ ، وطَبِّقِ المفصلَ ، ولا تلقَهُ بكلِّ رأيكَ ، فقالَ عمرُو : أكثرُ مِنَ الطعام ، ما بطنَ قومٌ إلَّا فقدوا بعضَ عقولِهِم .

[من أمثلة الإيجاز]

ثمَّ أوردَ أبو هلالٍ بعدَ هاذا الكلام أمثلةً للإيجازِ (١) ، منها:

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوَةٌ ﴾ (``) ، وقد أسلفنا تعريفَكَ بهِ ، وفضلَ العبارةِ علىٰ قرينتِها مِنْ كلامِ العربِ ؛ وهيَ : القتلُ أنفىٰ للقتلِ ('``).

وقولُهُ: ﴿ إِذَا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَامِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ ﴾ (١).

وعَقَّبَهُ بقولِهِ : لا يوازي هاذا الكلامَ في الاختصار شيءٌ .

وقولُهُ: ﴿ يَآئِنُهُا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ (*).

وقولُهُ: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ (١).

وقولُهُ: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّائْيَمَانِكُمْ ﴾ (٧).

وقولُهُ: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيَّسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيَّا ﴾ (^) ، تَحيَّرَ في فصاحتِهِ جميعُ البلغاءِ ، ولا يجوزُ أن يوجدَ مثلُهُ في كلام البشرِ .

وقولُهُ : ﴿ وَلَقَدُ رَاوِدَتُّهُ، عَن نَفْسِهِ ۗ فَٱسْتَغْصَهَ ﴾ (1) .

وقولُهُ: ﴿ يَآرَضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَسَمَآءُ أَقَلِعِي . . . ﴾ الآية (''') ، تَتضمَّنُ معَ الفصاحةِ والإيجاز دلائلَ القدرةِ .

⁽۱) انظر «الصناعتين» (ص ۱۸۱).

⁽٢) سورة البقرة : (١٧٩) .

⁽٣) تقدم (١١٥/٢) .

⁽٤) سورة المؤمنون : (٩١).

⁽٥) سورة يونس: (١٠).

⁽a) mece secum (b) . (b) . (c) . (c) . (c) . (d) . (d) . (d) . (e) . (e)

⁽٧) سورة البقرة : (٢٢٤) .

ر (۸) سورة يوسف : (۸)) .

⁽٩) سورة يوسف: (٣٢).

⁽١٠) سورة هود : (٤٤).

وقولُهُ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلَقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (١) ، كلمتانِ استوعبتا جميعَ المُكوَّناتِ والمقدوراتِ والموجوداتِ والمعدوماتِ ، ورُوِيَ : أَنَّ ابنَ عمرَ قرأَها ، فقالَ : مَنْ بقيَ لهُ شيءٌ . . فليطلبْهُ .

وقولُهُ في صفةِ خمرِ أهلِ الجنةِ : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ (٢) ، فقولُهُ : (لا يُنزِفون) انتظمَ عدمَ العقلِ ، وذهابِ المالِ ، ونفادِ الشرابِ ، وانحلالِ القوى ، وفسادِ الصحةِ ، وانقطاع الأُخوُّةِ والمَودَّةِ بالآخرةِ .

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ أُوْلَتِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾ (") ، دخل تحت الأمن جميعُ المحبوباتِ ؛ لأنَّهُ نفىٰ بهِ أن يخافوا شيئاً أصلاً ؛ مِنَ الفقرِ ، والموتِ ، وزوالِ النعمةِ ، والجورِ ، وغيرِ ذلكَ مِنْ أصنافِ المكروهِ ، فلا ترىٰ كلمةً أجمعَ مِنْ هاذهِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلْفُلُكِ ٱلَّتِي تَجَرِّي فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ ('') ، انتظمَ جميعَ أنواعِ التجاراتِ ، وصنوفِ المرافقِ التي يَبلُغُها الحدُّ والإحصاءُ ، ومثلُهُ قولُهُ : ﴿ لِيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ ('') ، تَضمَّنَ جميعَ منافع الدنيا والآخرةِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَآصَدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (١) ، ثلاثُ كلماتٍ تَشتمِلُ علىٰ أمرِ الرسالةِ وشرائعِها وأحكامِها على الاستقصاءِ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ لِكُلِّ نَبَا مُسْتَقَرُّ ﴾ (٧) ، ثلاثُ كلماتٍ اشتملَتْ عواقبَ الدنيا والآخرةِ .

⁽١) سورة الأعراف : (٥٤).

⁽٢) سورة الواقعة : (١٩) .

⁽٣) سورة الأنعام : (٨٢) .

⁽٤) سورة البقرة : (١٦٤) .

⁽٥) سورة الحج : (٢٨) .

⁽٦) سورة الحجر : (٩٤).

⁽٧) سورة الأنعام : (٦٧) ، وفي الأصل : (كل أمر مستقر) .

وقولُهُ : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (١).

وقولُهُ جلَّ وعزَّ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفَوَ وَأَمُر بِٱلْعُرُفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَهِلِينَ ﴾ (١) ، فجمع جميع مكارم الأخلاق بأصلِها ؛ لأنَّ في العفو : صلة القاطعين ، والصَّفح عنِ الظالمين ، وإعطاء المانعين ، وفي الأمر بالمعروف : تقوى الله ، وصلة الرحم ، وصون اللسان ، وغضَّ الطرف عن المُحرَّماتِ ، والتبرُّو مِنْ كلِّ قبيع ؛ إذ لا يجوزُ أن يأمر بالمعروف وهو ملابس شيءٍ مِنَ المُنكر ، وفي الإعراض عن الجاهلين : الصَّبر ، والحلم ، وتنزية النفس عن مقابلة السفيه بما يُوقِعُ في الذم ، ويُسقِطُ القَدْر .

وقولُهُ تعالى: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَنهَا ﴾ (") ، فدلَّ بشيئينِ على جميعِ ما أخرجَهُ مِنَ الأرضِ قُوتاً ومتاعاً للناسِ مِنَ العشبِ والشجرِ والحطبِ واللباسِ والنارِ والملحِ وغيرِ ذلكَ ، والشاهدُ على أنَّهُ أرادَ ذلكَ كلَّهُ . . قولُهُ تعالى : ﴿ مَتَنعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمُ ﴾ (ن) .

وقولُهُ تعالى : ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءِ وَخِدِ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ (*)، فانظرْ هل يمكنُ أحداً مِنْ أصنافِ المُتكلِّمينَ إيرادُ هاذهِ المعاني في مثلِ هاذا القَدْر مِنَ الألفاظِ ؟!

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا رَطْبِ وَلَا يَالِسٍ إِلَّا فِي كِتَابِ مُّبِينِ ﴾ (`` ، جمعَ الأشياءَ كلَّها حتى لا يَشِذَّ منها شيءٌ علىٰ وجهٍ .

⁽١) سورة الأنعام: (١٣) .

⁽٢) سورة الأعراف: (١٩٩) .

⁽٣) سورة النازعات : (٣١) .

⁽٤) سورة النازعات : (٣٣) .

⁽٥) سورة الرعد : (٤).

⁽٦) سورة الأنعام : (٥٩).

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُ ٱلْأَعَيُثُ ﴾ (١) ، جمعَ فيه مِنْ نعم الجنةِ ما لا تحصرُهُ الأفهامُ ، ولا تَبلغُهُ الأوهامُ .

وقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « ٱلصِّحَّةُ وَٱلْفَرَاغُ [نِعْمَتَانِ] » (١٠). وقولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: « نِيَّةُ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ » (٢).

قلتُ (١٠): وهاذا مِنْ أمثلةِ المبالغةِ ؛ فإنَّهُ نَبَّهَ على عظمِ أمرِ النيةِ بتفضيلِها على العملِ ، وظاهرٌ أنَّهُ أفضلُ ؛ إذ هوَ المستتبعُ للمنافعِ المرادةِ ، فمآلُ الكنايةِ تعظيمُ شأنِ النيةِ ، وحينَئذٍ فلا حيرةَ في تفسيرِ الخبرِ ، ولا يَصِحُ أن يُقالَ : إنَّ معناهُ : النيةُ فردٌ مِنْ أفرادِ العملِ ، وخيرٌ مِنَ الخيراتِ ، وإنَّ لفظَ يُقالَ : إنَّ معناهُ : النيةُ فردٌ مِنْ أفرادِ العملِ ، وخيرٌ مِنَ الخيراتِ ، وإنَّ لفظَ (خيرٌ) ليسَ اسمَ تفضيلٍ .

وقولُهُ: « تَرْكُ ٱلشَّرّ صَدَقَةٌ » (•) .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « إِذَا أَعْطَاكَ ٱللهُ خَيْراً.. فَلْيَبِنْ ، وَٱبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَٱرْتَضِحْ مِنَ ٱلْفَصْلِ ، وَلَا تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ » ، ويُروى : « وَٱبْدَأْ بِنَفْسِكَ ، فَيُروى أَنْ يَرَىٰ ٱلْفَصْلِ ، وَلَا تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ » أَيُروى أَثْرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ » (١) ، وهوَ مثلُ قولِهِ : « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ » ، وقولُهُ : (لا تَعجِزْ عن نفسِكَ) أي : لا تغلبْكَ نفسُكَ بما رُكِّبَ فيها مِن الشَّحِ ، فتكونَ لها مقهوراً ، قليلَ الثقةِ .

وقولُ أعرابيِّ : اللهمَّ ؛ هبْ لي حَقَّكَ ، وأرضِ عنِّي خلقَكَ .

وقولُ آخَرَ يمدحُ قوماً: أولئكَ قومٌ جعلوا أموالَهُم مناديلَ لأعراضِهِم ؟

⁽١) سورة الزخرف : (٧١) .

⁽٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢) عن سيدنا ابن عباس رضى الله عنهما .

⁽٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٨٥/٦) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

⁽٤) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام أبي هلال العسكري في « الصناعتين » .

⁽٥) انظر « كشف الخفاء » (٩٦٦) .

⁽⁷⁾ كذا بالروايتين في « الصناعتين » (ص 11) .

فالخيرُ بهِم زائدٌ ، والمعروفُ لهُم شاهدٌ ؛ أي : يَقُونَ أعراضَهُم بأموالِهِم . ولآخَرَ يمدحُ إنساناً : إنَّهُ يعطي عطاءَ مَنْ يَعلَمُ أنَّ اللهَ مادَّتُهُ .

وقولُ آخَرَ : أمَّا بعدُ : فعظِ الناسَ بفعلِكَ ، ولا تَعظْهُم بقولِكَ ، واستحيِ مِنَ اللهِ بقدر قربهِ منكَ ، وخَفْهُ بقَدْر قدرتِهِ عليكَ .

وقولُ آخَرَ: إن شككتَ في شيءٍ . . فسلْ قلبَكَ عن قلبي .

[المُساواة]

ثمَّ أتبعَ ذٰلكَ بإيرادِ أمثلةٍ للمُساواةِ (١١): فمنها:

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ حُورٌ مَّقَصُورَتُ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ (٢).

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (٣) .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: « لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ ٱلْأَمَانَةَ مَغْنَماً ، وَٱلزَّكَاةَ مَغْزَماً » (*) .

وقولُهُ عليهِ السلامُ: « إِيَّاكَ وَٱلْمُشَارَّةَ ؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ ٱلْغُرَّةَ ، وَتُظْهِرُ ٱلْعِرَّةَ » (°°).

ومِنْ نثرِ الكُتَّابِ : قولُ بعضِهِم : سألتَ عن خبري ، فأنا في صحَّةٍ وعافيةٍ لا عيبَ فيها إلَّا فقدُكَ ، ونعمةٍ لا مزيدَ فيها إلَّا بكَ .

وأستصوبُ اطِّراحَ لفظِ (الفقدِ) وما شاكلَهُ مِنَ الكلامِ ، فتقولُ مثلاً : لا عيبَ فيها إلَّا بُعْدُكَ أو غيبتُكَ .

وقولُ آخَرَ : قد عَلَّمَتْني نبوتُكَ سلوتَكَ ، وأسلمَني يأسي منكَ إلى الصَّبرِ عنكَ .

وقولُ آخَرَ: فحفظَ اللهُ النعمةَ عليكَ وفيكَ ، وتَولَّىٰ إصلاحَكَ والصَّلاحَ لكَ ، وأَجزلَ مِنَ الخير حَظَّكَ والحظَّ منكَ ، ومَنَّ عليكَ وعلينا بكَ .

⁽۱) انظر «الصناعتين» (ص ١٨٥).

⁽٢) سورة الرحمان : (٧٢) .

⁽٣) سورة القلم : (٩) .

⁽٤) أخرجه الترمذي (٢٢١٠) عن سيدنا على رضى الله عنه بنحوه .

⁽٥) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٧٨٧٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقولُ آخَرَ : يئستُ مِنْ صلاحِكَ ، وأخافُ مِنْ فسادي بكَ .

وقولُ آخَرَ : قد أطنبَ في ذمّ الحمارِ مَنْ شَبَّهَهُ بهِ .

ومِنَ المنظوم: قولُ طرفةً (١):

سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً

وقولُ آخَرَ (۲):

تُهْدَى ٱلْأُمُورُ بِأَهْلِ ٱلرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ

وقولُ آخَرَ (٢):

أَهَابُكِ إِجْلَالاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ

وَمَا هَجَرَتْكِ ٱلنَّفْسُ أَنَّكِ عِنْدَهَا

وقولُ آخَرَ (١):

فَأَمَّا ٱلَّذِي يُحْصِيهِمُ فَمُكَثِّرٌ

أي : كثروا عدداً ، وقلُّوا مدداً ، فهوَ كقولِ الآخرِ (٥٠) :

كَاثِرْ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْداً كَثِيرَةٌ

وقولُ آخَرَ (٢):

أَصُدُّ بِأَيْدِي ٱلْعِيسِ عَنْ قَصْدِ أَرْضِهَا

[من الطويل]

وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

[من البسيط]

وَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِٱلْأَشْرَارِ تَنْقَادُ

[من الطويل]

عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا

[من الطويل]

وَأَمَّا ٱلَّذِي يُطْرِيهِمُ فَمُقَلِّلُ

قول الآخَر (°): [من الطويل]

وَلَا تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرَا

[من الطويل]

وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِٱلْمَوَدَّةِ قَاصِدُ

⁽۱) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٤٨) .

⁽۲) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦).

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

⁽٥) انظر «شرح ديوان الحماسة » (٤٤/٤) .

⁽٦) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

وقولُ الآخَر (١):

يَقُولُ أُنَاسٌ لَا يَضِيرُكَ فَقْدُهَا

وقولُ آخَرَ (٢):

يَطُولُ ٱلْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلٌ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ وَقَالُوا لَا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي فَلِمَنْ يَضِيرُ

[من الطويل]

[من الوافر]

بَلَىٰ كُلُّ مَا شَفَّ ٱلنَّفُوسَ يَضيرُهَا

قالَ أبو هلالٍ $(^{(7)})$: قولُهُ: (لصاحبي) يكادُ يكونُ فضلاً .

قلتُ : ولو قالَ الشاعرُ : (ونأيُ شهر لا يضيرُ) على معنى الاستفهام الإنكاريِّ والتعجُّبِ مِنْ قولِهِم . . لكانَ موافقاً لاحتقارِ نأيِ الشهرِ ، فإنَّ زعمَهُم أنَّ نأيَ شهرِ لا يَضيرُ أحداً ، لا أنَّهُ لا يَضيرُهُ دونَ غيرِهِ .

(۱) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٧) .

[إيجازُ الحذفِ]

ثمَّ عَقَّبَ ذَلكَ بأن أوردَ مِنْ أمثلةِ إيجازِ الحذفِ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَسَّكِلِ الْعَدْقِ قَولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَسُكِلِ الْفَرَيَةَ ﴾ (١) ؛ أي : الْفَرَيَةَ ﴾ (١) ؛ أي : وقولَهُ : ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ (١) ؛ أي : حبَّهُ ، وقولَهُ : ﴿ الْحَجُ أَشْهُرُ مَّعَلُومَتُ ﴾ (١) ؛ أي : وقتُ الحجّ .

وقولَ الشاعرِ (١٤):

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ ٱلسِّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا أَيْ لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ ٱلسِّبَالِ أَذِلَّةٌ صَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا أَي : أَهْلُ مَجَلَسِ ، وسواسيةٌ : جمعُ [سواءٍ].

وقولَ آخَرَ: [من الطويل]

تَـرَاهُ كَـأَنَّ ٱللهَ يَـجْـدَعُ أَنْـفَـهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَـوْلَاهُ بَـاتَ لَـهُ وَفْـرُ أَي ويفقأُ عينيهِ .

وقولَ آخَرَ (*):

إِذَا مَا ٱلْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً وَزَجَّجْنَ ٱلْحَوَاجِبَ وَٱلْعُيُونَا أَي: وكَحَّلنَ العُيونا .

وقولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتُ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْكُلِمَ بِهِ ٱلْمَوْقَلُّ بَل يَلَهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (١) ؛ أي : لكانَ هاذا القرآنَ .

⁽١) سورة يوسف : (٨٢) .

⁽٢) سورة البقرة : (٩٣) .

⁽٣) سورة البقرة : (١٩٧) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٧) .

⁽٥) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٨) .

⁽٦) سورة الرعد : (٣١) .

وقولَهُ أيضاً: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُونٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ؟ أي : لَعذَّ بَكُم .

وقولَ الشاعر (٢):

وَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ

[من الطويل]

سِوَاكَ وَلَاكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

أي: لَرددناهُ.

وقولَ رجلٍ وقد سُئِلَ عن أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ (٣): لم يقلْ فيهِ مستزيدٌ: لو أنَّهُ ، جمعَ الحِلْمَ والعلمَ والسلمَ ، والقرابةَ القريبةَ والهجرةَ القديمةَ ، وهوَ البصيرُ بالأحكامِ ، والبلاءِ العظيمِ في الإسلامِ ؛ أي : لو أنَّهُ كانَ كذا وكذا لأمور يرئ أنَّها فاتَتْهُ .

وقولَ آخَرَ: ما زلتُ أمتطي النهارَ إليكَ ، وأستدلُّ بفضلِكَ عليكَ ، حتىٰ إذا جنَّنِي الليلُ ، فقبضَ البصرَ ، ومحا الأثرَ . . أقامَ بدني ، وسافرَ أملي ، والاجتهادُ عاذرٌ ، وإذا بلغتُكَ فقطْ .

ومِنَ الحكاياتِ المُشتمِلةِ على كلامٍ يَتضمَّنُ أمثلةً لإيجازِ الحذفِ ('): ما يُحكى: أنَّ عبدَ اللهِ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ أتى أخاهُ خالداً فقالَ: يا أخي ؛ لقد هممتُ أن أقتلَ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ ، فقالَ خالدٌ: بئسَ واللهِ ما هممتَ بهِ في ابنِ أميرِ المؤمنينَ ، ووليِّ عهدِ المسلمينَ ، فقالَ: إنَّ خيلي مَرَّتْ بهِ ، فعبثَ بها ، وأصغرَني فيها ، فقالَ: أنا أكفيكَ .

فدخلَ على عبدِ الملكِ فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ الوليدَ ابنَ أمير

⁽١) سورة النور : (٢٠) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٨) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٢).

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٢ ـ ١٩٣) .

المؤمنينَ ووليَّ عهدِ المسلمينَ مَرَّتْ بهِ خيلٌ لابنِ عمِّهِ عبدِ اللهِ بنِ يزيدَ ، فعبثَ بها وأصغرَهُ فيها ، وعبدُ الملكِ مُطرِقٌ ، فرفعَ رأسَهُ فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخُلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُواْ أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَةً ﴾ (١) ، فقالَ خالدٌ : ﴿ وَإِذَا أَرْدَنَا أَن نُهْلِكَ وَخُلُواْ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُتَرَفِها فَفَسَعُواْ فِيهَا فَقَ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرَنَهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١) .

فقالَ عبدُ الملكِ : أفي عبدِ اللهِ تُكلِّمُني ؟! واللهِ ؛ لقد دخلَ عليَّ فما أقامَ لسانَهُ لحناً ، فقالَ خالدٌ : [أفعلى] الوليدِ تُعوِّلُ ؟! فقالَ عبدُ الملكِ : إن كانَ الوليدُ يلحنُ . . فإنَّ أخاهُ سليمانُ ، فقالَ خالدٌ : إن كانَ عبدُ اللهِ يلحنُ . . فإنَّ أخاهُ سليمانُ ، فقالَ خالدٌ ، فواللهِ ؛ ما تُعدُّ في العيرِ أخاهُ خالدٌ ، فقالَ لهُ عبدُ الملكِ : اسكتْ يا خالدُ ، فواللهِ ؛ ما تُعدُّ في العيرِ ولا في النفيرِ ، فقالَ خالدٌ : اسمعْ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ثمَّ أقبلَ عليهِ فقالَ : مَنْ للعيرِ والنفيرِ ؟! جدِّي أبو سفيانَ صاحبُ العيرِ ، وجدِّي عتبةُ بنُ ربيعةَ صاحبُ النفيرِ ، ولكنْ لو قلتَ : غُنيماتٌ وجُبَيلاتٌ والطائفُ ، ورحمَ اللهُ عثمانَ . . قلنا : صدقتَ .

فقولُهُ : (أفعلى الوليدِ تُعوِّلُ) أي : فإنَّهُ أسوأُ حالاً في ذلكَ مِنْ عبدِ اللهِ . وقولُهُ : (فإنَّ أخاهُ سليمانُ) أي : وهوَ لا يلحنُ .

وقولُهُ : (فإنَّ أخاهُ خالدٌ) أي : وهو كما تَعرفُ .

وقولُهُ: (لا تُعَدُّ في العيرِ ولا في النفيرِ) مثلٌ في الاحتقارِ ، معناهُ: أنَّهُ ليسَ بشيءٍ يُذكَرُ ، وأصلُهُ كما صرفَ الكلامَ إليهِ خالدٌ عنِ التمثُّلِ: أنَّهُ ليسَ بشيءٍ يُذكَرُ ، وأصلُهُ كما صرفَ الكلامَ إليهِ خالدٌ عنِ التمثُّلِ : أنَّهُ لمَّا سمعَ أهلُ مكةَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عزمَ أن يَتَلَقَّىٰ ركبَ تجارتِهِم عندَ قدومِهِ مِنَ الشامِ وهوَ العيرُ ، وكانَ رئيسُهُ أبا سفيانَ صخرَ بنَ حربِ أبا معاويةَ . . خرجوا بأجمعِهِم ورئيسُهُم أبا سفيانَ صخرَ بنَ حربِ أبا معاويةَ . . خرجوا بأجمعِهِم ورئيسُهُم

⁽١) سورة النمل : (٣٤) .

⁽٢) سورة الإسراء: (١٦).

عتبةُ بنُ ربيعةَ ليمنعوا تجارتَهُم ؛ وهوَ المُسمَّىٰ بالنفيرِ ، فكانَتْ غزوةُ بدرِ الشهيرةُ .

وقولُهُ: (لوقلتَ: غُنيماتٌ وجُبيلاتٌ . . .) إلى آخِرِهِ: إشارةٌ لقصَّةٍ ؛ وهيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ نقمَ على الحكمِ أبي مروانَ وجدِّ عبدِ الملكِ أموراً ، فنفاهُ إلى الطَّائفِ ، وأقامَ هنالكَ يعيشُ في قطعةٍ مِنَ الغنمِ بقيةَ مُدَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ومُدَّتَيْ أبي بكرٍ وعمرَ ، وردَّهُ إلى المدينةِ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ في خلافتِهِ ، وكانَ ذلكَ مِنَ الحُجَجِ التي تَمسَّكَ بها المسلمونَ إذ ذاكَ على إساءةِ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ (١).

وإذا أحسنتَ النظرَ ، وتَفهُّمَ المعاني ، وما تستدعيهِ مِنَ الألفاظِ . . لم يصعبْ عليكَ أن تَتبيَّنَ عملَ القرائنِ الحاليَّةِ واللفظيَّةِ ، ونيابتَها عن ذكرِ بعض ما تقتضيهِ المعاني ، كلمةً كانَ أو أكثرَ .

وبهاندا القَدْرِ معَ ما سلفَ مِنْ فَنِّ المعاني . . تجدُ في نفسِكَ مادَّةً لإتقانِ معرفةِ الإيجازِ بنوعَيهِ والمُساواةِ ، وموضع كلٍّ .

⁽١) وفي « الإصابة » (٣٤٥/١) : (ويقال : إنَّ عثمان رضي الله عنه اعتذر لما أن أعاده إلى المدينة ؛ بأنه كان استأذن النبيَّ صلى الله عليه وسلم فيه ، وقال : قد كنت شفعت فيه فوعدني بردِّه) .

[الإطنابُ]

ثُمَّ هاكَ بعض ما قيلَ في الإطنابِ، قالَ أبو هلالِ (1): قال أصحابُ الإطنابِ: المَنطِقُ إنَّما هوَ بيانٌ ، والبيانُ لا يكونُ إلَّا بالإشباعِ ، والشفاءُ لا يقعُ الإطنابِ ، وأفضلُ الكلامِ أبينُهُ ، وأبينُهُ أشدُّهُ إحاطةً بالمعاني ، ولا يُحاطُ بالمعاني إحاطةً تامَّةً إلَّا بالاستقصاءِ والإيجازِ للخواصِّ ، والإطنابُ مُشترَكُ بالمعاني والعامُّ ، والغبيُّ والفَطِنُ ، ولمعنى ما أُطِيلَتِ الكتبُ السُّلطانيةُ في إفهام الرَّعايا .

والقولُ القصدُ: أنَّ الإطنابَ والإيجازَ _ كما اعترفَ بهِ مادحو الإطنابِ _ محتاجٌ إليهِما في جميعِ الكلامِ ، وكلِّ نوعٍ منهُ ، ولكلِّ واحدٍ منهُما موضعٌ ، والحاجةُ إلى الإيجازِ في موضعِهِ كالحاجةِ إلى الإطنابِ في مكانِهِ ؛ فمَنْ أزالَ التدبيرَ في ذٰلكَ عن جهتِهِ ، واستعملَ الإطنابَ في موضعِ الإيجازِ . . أخطأً ، كما رُوي عن جعفرِ بنِ يحيى أنّهُ قالَ (١) _ معَ عجبِهِ بالإيجازِ ؛ حيثُ يقولُ كما سلفَ لكتبَتِهِ : إنِ استطعتُم أن تجعلوا كتبَكُم توقيعاتٍ . . فافعلوا ؛ وجيزةً مثلَ التوقيعاتِ ؛ وهي العباراتُ التي تُكتبُ عنِ السُّلطانِ أو نُو ابِهِ على القصصِ لإجراءِ ما فيها ، فإنّهُ كما جرَتِ العادةُ يُختارُ لها أوجزُ العباراتِ ، فربَّما كانَ الإيجازُ أبلغَ . . كانَ الإيجازُ أبلغَ . . كانَ الإكثارُ عيّاً ، ومتى كانَ الإيجازُ أبلغَ . . كانَ الإكثارُ عيّاً ، ومتى كانَ الكتابةُ في موضعِ الإكثارِ . . كانَ الإيجازُ تقصراً .

وأمرَ يحيى بنُ خالدٍ اثنَينِ أن يكتبا كتاباً في معنىً واحدٍ ، فأطالَ أحدُهُما ،

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦) .

واختصرَ الآخَرُ ، فقالَ للمُختصِرِ وقد نظرَ في كتابِهِ : ما أرى موضعَ مزيدٍ ، وقالَ للمطيل : ما أرى موضعَ نقصانٍ (١).

قلتُ : لا معنى لإيرادِ أبي هلالٍ هذه الحكاية في هذا الموضع ؛ إذ غرضُهُ تمييزُ موضعِ كلٍّ مِنَ الإيجازِ والإطنابِ ، ويُؤخَذُ مِنْ هذا الكلامِ أَنَّهُ ربَّما كانَ المعنى موضعاً لاختلافِ الرأي والذوقِ ؛ فبعضٌ يرى حسنَ الإطنابِ ، وآخَرُ حسنَ الإيجازِ ، وربَّما يستدعي المعنى أحدَهُما فقطْ ، فيكونُ الكاتبُ أو المُتكلِّمُ أسيراً لذلكَ الاستدعاءِ .

وقالَ غيرُهُ (٢): البلاغة : الإيجازُ في غيرِ عجزٍ ، والإطنابُ في غيرِ خطلٍ .

ولا شكّ أنَّ الكتبَ الصادرة عنِ السَّلاطينِ في الأمورِ الجسيمةِ والفتوحِ الجليلةِ ، وتفخيمِ النعمِ الحادثةِ ، أوِ الترغيبِ في الطاعةِ ، والنهي عنِ المعصيةِ . . سبيلُها أن تكونَ مُشبَعةً مُستقصاةً ، تَملاً الصُّدورَ ، وتأخذُ بمجامعِ القلوبِ ؛ فمِنْ هنا ترىٰ أنَّ ما كتبهُ المُهلَّبُ بنُ أبي صفرةَ إلى الحَجَّاجِ في فتحِ الأزارقةِ : (الحمدُ للهِ الذي كفىٰ بالإسلامِ فقدَ ما سواهُ ، وجعلَ الحمدَ متصلاً بنعمتِهِ ، وقضى ألَّا ينقطعَ المزيدُ مِنْ فضلِهِ ، حتىٰ ينقطعَ الشُّكرُ مِنْ خلقِهِ ، ثمَّ إنَّا كنَّا وعدونا علىٰ حالينِ مختلفينِ ، نرىٰ فيهم ما يَسُوّنُنا أكثرَ ممَّا يَسوءُنا ، ويَرَونَ فينا ما يَسوءُهُم أكثرَ ممَّا يَسوءُنا ، ويَرونَ فينا ما يَسوءُهُم أكثرَ ممَّا يَسُومُنا اللهُ ويَخذلُهُم ، ويُمجِصُنا اللهُ ويَمخَصُنا اللهُ ويَحذلُهُم ، ويُمجِصُنا اللهُ ويَمحَقُهُم ، حتىٰ بلغَ الكتابُ بنا وبِهم أجلَهُ ، فقُطِعَ دابرُ القومِ الذينَ في موضعِهِ ، ومعَ الغَرَض ظلموا ، والحمدُ للهِ ربّ العالمينَ) . . إنَّما حَسُنَ في موضعِهِ ، ومعَ الغَرَض

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦) .

الذي كانَ لكاتبِهِ ، وهوَ تعجيلُ البشرى للسُّلطانِ بما تَمَّ لعسكرِهِ وفي عدوّهِ ، وذلكَ القَدْرُ كافِ .

وأمَّا إذا كُتِبَ مثلُهُ في فتح يوازي ذلكَ الفتحَ في جلالةِ القدْرِ ونباهةِ الخطرِ، وقد تَطلَّعَتْ أنفسُ الخاصَّةِ والعامَّةِ إليهِ، وتَصرَّفَتْ ظنونُهُم فيهِ.. وردَ عليهِم مثلُ هنذا القَدْرِ مِنَ الكلامِ في أقبحِ صورةٍ وأسمجِها وأشوهِها وأهجنِها، وكانَ حقيقاً أن يُتعجَّبَ منهُ.

ومِنَ الوجيزِ في موضعِهِ (١): ما كتبَ بهِ بعضُ ملوكِ بني أُميَّةَ لرجلٍ تَأخَّرَ عنِ البيعةِ : أُمَّا بعدُ : فإنِي أُراكَ تُقدِّمُ في الطَّاعةِ رِجلاً وتُؤخِّرُ أخرىٰ ، فإذا أَتاكَ كتابي هاذا . . فاعتمدْ على أيّهما شئتَ .

وما كتبَ بهِ جعفرُ بنُ يحيى لعاملٍ كَثُرَتْ منهُ الشَّكوىٰ : قد كَثُرَ شاكوكَ ، فإمَّا عدلتَ ، وإمَّا عُزلتَ .

وما كتبَ بهِ آخَرُ لوالي خَراجٍ ظهرَ منهُ تحاملٌ على الرعيةِ (١٠): أمَّا بعدُ: فإنَّ الخَراجَ عمودُ الملكِ ، وما استُغزِرَ بمثلِ العدلِ ، ولا استُنزِرَ بمثلِ الجور.

وقالَ الخليلُ بنُ أحمدَ (٣): يُختصَرُ الكلامُ ليُحفَظَ ، ويُبسَطُ ليُفهَمَ .

ومِنْ هنا وضعَ الناسُ في العلومِ متوناً وشروحاً .

وقيلَ لأبي عمرِو بنِ العلاءِ: هل كانَتِ العربُ تطيلُ ؟ قالَ: نعم ؛ كانَتْ تطيلُ ليُسمَعَ منها ، وتُوجِزُ ليُحفَظَ عنها .

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٧).

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٧) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .

والإطنابُ إذا لم يكنْ منهُ بُدُّ . . وجبَ ، وهوَ في المواعظِ خاصَّةً محمودٌ ممدوحٌ زيادةً .

والموعظةُ: كقولِ اللهِ تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَالْتِهُم بَأْسُنَا بَيَتَا وَهُمُ نَابِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَالْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَسِرُونَ ﴾ (١)، فتكريرُ ما كُرِّرَ مِنَ الألفاظِ ها هنا في غايةِ حسنِ الموقع.

وقيلَ لبعضِهِم: متى يُحتاجُ إلى الإكثارِ ؟ فقالَ: إذا عَظُمَ الخَطْبُ ، وأنشدَ (٢):

صَمُوتٌ إِذَا مَا ٱلصَّمْتُ زَيَّنَ أَهْلَهُ [وَفَتَّاقُ] أَبْكَارِ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُحَبَّرِ

وقالَ آخُورُ (٣):

يَرْمُونَ بِٱلْخُطَبِ ٱلطِّوَالِ وَتَارَةً وَحْيَ ٱلْمَلَاحِظِ خَشْيَةَ ٱلرُّقَبَاءِ

[من المتقارب]

وقالَ بعضُهُم (أ :) :

إِذَا مَا ٱبْتَدَا خَاطِباً لَمْ يُقَلْ لَهُ أَطِلِ ٱلْقَوْلَ أَوْ أَقْصِرِ طَبِيبٌ بِدَاءِ فُنُونِ ٱلْكَلَا مِ لَمْ يَعْيَ يَوْماً وَلَمْ يَهْذِرِ فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَىٰ لِلْمُطِيلِ عَلَى ٱلْمُقْصِرِ وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَىٰ لِلْمُطِيلِ عَلَى ٱلْمُكْثِر

ووجدنا الناسَ إذا خطبوا في الصُّلْحِ بينَ العشائرِ . . أطالوا ، وإذا أنشدوا

⁽١) سورة الأعراف : (٩٧ _ ٩٩) .

⁽۲) انظر « الصناعتين » (ص ۱۹۸).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨) .

الشعرَ بينَ السماطَينِ في مديحِ الملوكِ . . أطنبوا ، والإطالةُ والإطنابُ في هذهِ المواضع إيجازٌ .

وقيلَ لقيسِ بنِ خارجةً : ما عندكَ في [حَمالاتِ داحسَ] ؟ (١) ، قالَ : عندي قِرىٰ كُلِّ نازلٍ ، ورضا كلِّ ساخطٍ ، وخُطْبةٌ مِنْ لدنْ مطلعِ الشمسِ إلىٰ أن تغربَ ، آمرُ فيها بالتواصلِ ، وأنهىٰ عنِ التقاطع .

وقدْ رأينا الله تباركَ وتعالىٰ إذا خاطبَ العربَ والأعرابَ . أخرجَ الكلامَ مُخرَجَ الإشارةِ والوحي ، فإذا خاطبَ بني إسرائيلَ ، أو حكىٰ عنهُم . . جعلَ الكلامَ مبسوطاً ؛ فممَّا خاطبَ بهِ أهلَ مَكَّةَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَذَعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخَلُقُواْ دُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُ ۚ وَإِن يَسْلَبُهُمُ ٱلدُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنقِدُوهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ لِنَ يَخَلُقُواْ دُبَابًا وَلَو اجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلَبُهُمُ ٱلدُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنقِدُوهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ لِنَ يَخْلُهُمُ الدُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنقِدُوهُ مِنْ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (١) ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ ﴾ (١) ، وأشباهُ هاذا كثيرةٌ ، وقلَّما تجدُ قصَّةً لبني إسرائيلَ إلَّا مُطوَّلةً مشروحةً ومُكرَّرةً في مواضعَ معادةً ؛ لبعدِ فهمِهِم ، وتأخُر معرفتِهم .

وكلامُ الفُصحاءِ إنَّما هوَ شوبُ الإيجازِ بالإطنابِ ، والفصيحِ العالي بما دونَ ذلكَ ؛ ليُستدَلَّ بهِ عليهِ ، وليَخرجَ السامعُ مِنْ شيءٍ إلى شيءٍ ، ويزدادَ نشاطُهُ ، وتَتوفَّرَ رغبتُهُ ، فتَصرَّفوا في وجوهِ الكلامِ ؛ إيجازِهِ وإطنابِهِ ، حتى استعملوا التكرارَ ليَتوكَّدَ القولُ للسامع .

وقد جاءَ في القرآنِ وفي فصيحِ الشعرِ منهُ شيءٌ كثيرٌ ؛ فمِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعَلَمُونَ ﴾ (١٠) ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ

⁽١) الحمالات: الدِّيَات يحملها قوم عن قوم.

⁽٢) سورة الحج : (٧٣) .

⁽٣) سورة المؤمنون : (٩١).

⁽٤) سورة التكاثر : (٣ _ ٤) .

ٱلْمُسْرِيُسْرًا ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْمُسْرِيُسْرًا ﴾ (١) ، فتكرَّرَ للتوكيدِ ، كما يقولُ القائلُ : ارمِ ارمِ ، اعجل اعجلْ ، وقد قالَ الشاعرُ (١) :

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ [كَانَتْ وَكَمْ] وقالَ آخَرُ (٣):

هَ لَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْ لَهُ مَا يَوْمَ وَلَّتْ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ

وربَّما جاؤوا بالصِّفةِ وأرادوا توكيدَها ، فكرهوا إعادتَها ثانيةً ، فغيَّروا منها حرفاً ، ثمَّ أتبعوها الأُولى ؛ كقولِهِم : عطشانُ نطشانُ ، كرهوا أن يقولوا : عطشانُ عطشانُ ، فأبدلوا مِنَ العين نوناً .

وكذلك قالوا: حسنٌ بسنٌ ، وشيطانُ ليطانُ ، وأشباهُ هاذا كثيرةٌ ، فقد كَرَّرَ اللهُ جَلَّتْ قدرتُهُ في سورةِ (الرحمانِ) قولَهُ: ﴿ فَيَأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا فقد كَرَّرَ اللهُ جَلَّتْ قدرتُهُ في سورةِ (الرحمانِ) قولَهُ: ﴿ فَيَأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا ثُكَرِّ بَانِ ﴾ (١٠) ؛ وذلك أنَّ الله تعالى عدَّدَ فيها نَعماءَهُ ، وأذكرَ عبادَهُ آلاءَهُ ، ونَبَّهَهُم على قدرِها ، وقدرتِهِ عليها ، ولطفِهِ فيها ، وجعلَها فاصلةً بينَ كلِّ نعمةٍ ، ليُعرَف موضعُ ما أسداهُ إليهِم منها ، وقد جاءَ مثلُ ذلك عن أهلِ الجاهليةِ ، قالَ مهلهلٌ في شعرِهِ (٥٠):

عَلَىٰ أَنْ لَيْسَ عَدْلاً فِي كُلَيْبِ كُلَيْبِ

⁽١) سورة الشرح : (٥ ـ ٦) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٩).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٠) .

⁽٤) سورة الرحمان : (١٣).

⁽٥) انظر « ديوان مهلهل بن ربيعة » (ص ٤٠) .

وكَـرَّرَهـا في أكثرَ مِـنْ عشرينَ بيتاً ، وهلكذا قـولُ الـحارثِ بنِ [مَنا عُبَادٍ] (١):

قَـرِّبَا مَـرْبِطَ ٱلنَّعَامَةِ مِـنِّـي

كَرَّرَها في أكثرَ مِنْ ذلكَ لمَّا كانَتِ الحاجةُ إلى التكريرِ ماسَّةً ، والضَّرورةُ إليهِ داعيةً ؛ لعِظَم الخَطْبِ ، وشِدَّةِ موقع الفجيعةِ .

فهاذا يَدُلُّ على أنَّ الإطنابَ عندَهُم مُستحسَنٌ ، كما أنَّ الإيجازَ في مكانِهِ مُستحبَّ .

ولا بدَّ للكاتبِ في أكثرِ أنواعِ مكاتباتِهِ مِنْ شعبٍ مِنَ الإطنابِ ، يستعملُها إذا أرادَ المزاوجةَ بينَ الفصلَينِ ، ولا يُعابُ ذلكَ منهُ ، وذلكَ مثلُ أن يكتبَ : (عظمَتْ نعمُنا عليهِ ، وتظاهرَ إحسانُنا لديهِ) ، فيكونُ الفصلُ الأخيرُ داخلاً معناهُ في الفصل الأولِ .

وقالَ مروانُ _ آخِرُ ملوكِ بني أميةَ وقد أحاطَ بهِ أعداؤُهُ _ لخادمِهِ باسلٍ : مَنْ أغفلَ القليلَ حتىٰ يكثرَ ، والصغيرَ حتىٰ يكبرَ ، والخفيَّ حتىٰ يظهرَ . . أصابَهُ مثلُ هاذا ، وهاذا كلامٌ في غايةِ الحسنِ ، وإن كانَ معنى الفصلينِ الأخيرَينِ داخلاً في الفصلِ الأولِ ، وقالَ أبو تمامٍ (٢) : [من الخفيف]

رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ ٱلسُّرَىٰ وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ

الغَناءُ داخلٌ في الخفضِ ، والعَناءُ داخلٌ في السُّرىٰ .

وممَّا هُوَ أَجِدَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ كَلِّهِ: قُولُ اللهِ عَنَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكِرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾ (") ، والإحسانُ

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ۲۰۰) .

⁽۲) انظر « ديوان أبى تمام » (۱۱۹/۱) .

⁽٣) سورة النحل : (٩٠) .

داخلٌ في العدلِ ، وإيتاء ذي القربى داخلٌ في الإحسانِ ، والفحشاء داخلةٌ في المُنكَر ، والبغيُ والمُنكَرُ داخلانِ في الفحشاءِ .

وهاذا يدلُّ على أنَّ عظمَ مدارِ البلاغةِ على تحسينِ اللفظِ ؛ لأنَّ المعانيَ إذا دخلَ بعضُها في بعضٍ هاذا الدخولَ ، وكانَتِ الألفاظُ مختارةً . . حَسُنَ الكلامُ ، وإذا كانَتِ المعاني مُرتَّبةً حسنةً ، والمعارضُ سيئةً . . كانَ الكلامُ مردوداً ، فاعتمدْ على ما مَثَّلتُهُ لكَ ، وقسْ عليهِ ، ومِنَ اللهِ الهدايةُ .

[مبادئ الكلام ومقاطعه]

وقالَ أبو هلالٍ في بابِ القولِ عن مبادئ الكلامِ ومقاطعِهِ ، والخروجِ مِن فصلٍ إلى فصلٍ (١٠): قالَ بعضُ الكُتَّابِ: أحسنوا معاشرَ الكُتَّابِ الابتداءاتِ ؛ فصلٍ للمُنَّ دلائلُ البيانِ .

وقالوا: ينبغي للشاعرِ أن يَحترِزَ في أشعارِهِ ومُفتتَحِ أقوالِهِ ممَّا يُتطيَّرُ منهُ ويُستجفى مِنَ الكلامِ والمُخاطَبةِ ؛ كالبكاءِ ، ووصفِ اقتفارِ الدارِ ، وتَشتُّتِ الْأُلَّافِ ، ونعيِ الشبابِ ، لا سيما في القصائدِ التي تَتضمَّنُ المدائحَ والتهانيَ ، الألَّافِ ، ونعي الشبابِ ، لا سيما في القصائدِ التي تَتضمَّنُ المدائحَ والتهانيَ ، ووصفِ الخُطوبِ الحادثةِ ؛ فإنَّ الكلامَ إذا ويُستعمَلُ] ذلكَ في المراثي ، ووصفِ الخُطوبِ الحادثةِ ؛ فإنَّ الكلامَ إذا كانَ مُؤسَّساً على هاذا المثالِ . . تَطيَّرَ منهُ سامعُهُ وإن كانَ يعلمُ أنَّ الشاعرَ إنَّما يُخاطِبُ نفسَهُ دونَ الممدوحِ ، مثلُ ابتداءِ ذي الرُّمَّةِ (١٠): [من البسيط] مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ

وكانَ بعينَيْ عبدِ الملكِ عِلَّةُ يدمعانِ منها ، فقالَ لهُ: ما لكَ وهنذا يا بغيضُ ؟!

وقد أنكرَ الفضلُ البرمكيُّ على أبي نُواسٍ (٣): [من الطويل]

أَرَبْعَ ٱلْبِلَىٰ إِنَّ ٱلْخُشُوعَ لَبَادِ

فلمَّا انتهىٰ إلىٰ قولِهِ:

سَلَامٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا فُقِدْتُمُ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحينَ وَغَادِي

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥١) .

⁽۲) تقدم (۱۲۳/۲) .

⁽٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٦٣ _ ٢٦٦) .

استحكمَ تطيُّرُهُ ، وقيلَ : إنَّهُ لم يمضِ أُسبوعٌ حتى نُكِبوا .

قلتُ (۱): وإذا كانَ هاذا الشعرُ مِنْ أبي نُواسٍ مقصوداً أن يكونَ على هاذا النحوِ، وأنَّهُ بهِ مأمورٌ؛ تعجيلاً لإساءتِهِم، ومبادرة بتنغيصِ حياتِهِم، وإشعارِهِم بعزيمةِ الانتقامِ منهُم، كما قيلَ ذلكَ . . لم يكنْ مثالاً لِمَا نحنُ فيهِ .

وحُكِي (۱): أنَّهُ لمّا فرغَ المعتصمُ مِنْ بناءِ قصرِهِ بالميدانِ الذي كانَ للعبّاسةِ . . جلسَ فيهِ ، وجمعَ أهلَهُ وأصحابَهُ ، وأمرَ أن يُلبَسَ الناسُ كلُّهُم الديباجَ ، وجعلَ سريرَهُ في الإيوانِ المنفوشِ بالفسافسِ ، الذي كانَ في صدرِهِ صورةُ العنقاءِ ، فجلسَ على سريرٍ مُرصَّعِ بأنواعِ الجوهرِ ، وجعلَ على رأسِهِ التاجَ الذي كانَتْ فيهِ الدُّرَّةُ اليتيمةُ ، وفي الإيوانِ أسِرَّةُ آبنوسَ عن يمينِهِ وعن يسارِهِ ، مِنْ عندِ السَّريرِ الذي عليهِ المعتصمُ إلىٰ بابِ الإيوانِ ، فكلَّما دخلَ رجلٌ . . رَتَّبَهُ هوَ بنفسِهِ في الموضعِ الذي يليقُ بهِ ، فما رأى الناسُ أحسنَ مِنْ ذلكَ اليومِ ، فاستأذنَهُ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصليُّ في الناسُ أحسنَ مِنْ ذلكَ اليومِ ، فاستأذنَهُ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصليُّ في النسيدِ ، فأذنَ لهُ ، فأنشدَهُ شعراً ما سمعَ الناسُ أحسنَ منهُ في صفتِهِ وصفةِ المجلسِ ، إلّا أنَّ أوّلَهُ تشبيبٌ بالدِّيارِ القديمةِ وبقيةِ آثارِها ، فكانَ أوّلُ المناسِ منها :

يَا دَارُ غَيَّرَكِ ٱلْبِلَىٰ وَمَحَاكِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي أَبْلَاكِ

فتَطيَّرَ المُعتصِمُ مِنْ ذلكَ ، وتغامزَ الناسُ ، وعجبوا كيفَ ذهبَ على السحاقَ معَ فهمِهِ وعلمِهِ وطولِ خدمتِهِ للملوكِ .

قالَ راوي الحكاية : فأقمنا يوماً وانصرفنا ، فما عادَ منَّا اثنانِ إلى

⁽١) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام العسكري من « الصناعتين » .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥١ _ ٤٥٢) .

ذلكَ المجلسِ ، وخرجَ المعتصمُ إلىٰ شُرَّ مَنْ رأىٰ ، وخَرِبَ القصرُ .

وأنشدَ البحتريُّ أبا سعيدٍ قصيدةً أوَّلُها (١):

لَكَ ٱلْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَطَاوَلَ آخِرُهْ وَوَشْكِ نَوى حَتَّىٰ تُزَمَّ أَبَاعِرُهْ

فقالَ أبو سعيدٍ : بلِ الويلُ والحربُ لكَ ، فغيَّرَهُ وجعلَهُ : لَهُ الويلُ ، وهوَ رديءٌ أيضاً .

وأنشدَ [ابنُ مقاتلِ] الداعي (٢):

لَا تَقُلْ بُشْرَىٰ وَلَاكِنْ بُشْرَيَانْ غُرَّةُ ٱلدَّاعِي وَيَوْمُ ٱلْمَهْرَجَانْ

فأوجعَهُ الداعي ضرباً ، ثمَّ قالَ : هلَّا قلتَ : [من الرمل]

إِنْ تَقُلْ بُشْرَىٰ فَهَاذِي بُشْرَيَانْ

ولم يجزهِ ، وقالَ : جائزتُهُ تحسينُ أدبهِ .

فإن أرادَ أن يذكرَ داراً . . فليذكرُها كما ذكرَ [الخريميُّ] (٢): [من الوافر]

أَلَا يَا ذَارُ ذَامَ لَكِ ٱلْحُبُورُ وَسَاعَدَكِ ٱلْغَضَارَةُ وَٱلسُّرُورُ

وكما قالَ أشجعُ (١):

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ نَشَرَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا ٱلْأَيَّامُ

وقالوا: أحسنُ ابتداءاتِ الجاهليةِ قولُ النابغةِ (٥): [من الطويل]

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ ٱلْكَوَاكِبِ

⁽١) انظر « ديوان البحتري » (٨٧٦/٢) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٢) .

⁽٣) انظر «الصناعتين» (ص ٤٥٣).

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٣) .

⁽٥) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٠).

وأحسنُ مرثيةٍ جاهليةٍ ابتداءً قولُ أوسِ بنِ حجرٍ (١): [من المنسرح]

أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعًا إِنَّ ٱلَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

وأحسنُ مرثيةٍ إسلاميةٍ ابتداءُ قولِ أبي تمامٍ (٢):

أَصَمَّ بِكَ ٱلنَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا وَأَصْبَحَ مَغْنَى ٱلْجُودِ بَعْدَكَ بَلْقَعَا

وقد بكى امرُوُّ القيسِ واستبكى ، ووقفَ واستوقفَ ، وذكرَ الحبيبَ والمنزلَ في نصفِ بيتٍ (٣):

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِكِ

فهوَ مِنْ أَجودِ الابتداءاتِ ، وكرَّرَهُ في مطلعِ قصيدةٍ أخرىٰ ؛ وهوَ قولُهُ (١٠) :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ وَرَبْعٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ وهوَ أحسنُ وأتمُّ مِنَ الأوَّلِ.

ومِنْ أحكم ابتداءاتِ العربِ قولُ السَّمَوْءَلِ (٥): [من الطويل]

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ ٱللَّوْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَـرْتَـدِيـهِ جَـمِـيـلُ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَىٰ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبِيلُ

⁽۱) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٥٣) .

⁽۲) انظر « دیوان أبی تمام » (۹۹/٤) .

⁽٣) تقدم (٤١٧/٢) .

^{. (} 4) lid (6) lid (6) .

⁽٥) انظر « ديوان السموءل » (ص ١٠) .

وقالَ بعضُهُم: أحكمُ ابتداءاتِهم قولُ لبيدٍ (١): [من الطويل] وَكُلُّ نَعِيم لَا مَحَالَةَ زَائِلُ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱللهَ بَاطِلُ وبعضهُم يجعلُ ابتداءَ هاذهِ القصيدةِ (٢): أَلَا تَسْأَلَانِ ٱلْمَرْءَ مَاذَا يُحَاولُ أَنَحْبُ فَيُقْضَىٰ أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلُ ومِنْ جِيادِ ابتداءاتِ الجاهليةِ قولُ النابغةِ (٣) : [من الطويل] دَعَاكَ ٱلْهَوَىٰ وَٱسْتَجْهَلَتْكَ ٱلْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي ٱلْمَرْءِ وَٱلشَّيْبُ شَامِلُ قالوا : وكانَ عبدُ الحميدِ لا يبتدئ بر (لولا) ولا (إن رأيتَ) . وقد جعلَ الناسُ قولَ أبي تمام (١٠): [من البسيط] يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ ٱلْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا مِنْ جيادِ الابتداءِ ، وقولَهُ : [من الخفيف] سَعِدَتْ غُرْبَةُ ٱلنَّوَىٰ بسُعَادِ وسُئِلَ بعضُهُم عن أحذق الشعراء ، فقالَ : مَنْ يَتفقَّدُ الابتداءَ والمقطع (٥). ولمَّا نظرَ أبو العميثلِ في قصيدةِ أبي تمام: [من الطويل] هُنَّ عَوَادِي يُوسُفِ وَصَوَاحِبُهُ (۱) انظر « ديوان لبيد » رضى الله عنه (ص ٢٥٦) . (٢) انظر « ديوان لبيد » رضى الله عنه (ص ٢٥٤) . (٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١١٥) . (٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١٠/٢) ، والبيت بتمامه :

يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ ٱلْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٤) ، والسياق له .

هِيَ ٱلصَّبَابَةُ طُولَ ٱلدَّهْرِ وَٱلسَّهَدِ

فاسترذلَ ابتداءَها ، وأسقطَ القصيدةَ كلُّها ، حتى راجعَهُ أبو تمامٍ ، وأوقفَهُ على موضع الإحسانِ منها ، فراجعَ عبدَ اللهِ بنَ طاهرِ وأجازَهُ .

قلتُ (١): أبو العميثلِ هاذا كانَ مِنْ علماءِ الشعراءِ المقيمينَ في خدمةِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ ، وهوَ أميرُ خراسانَ إذ ذاكَ ، وكانَ الشُّعراءُ يقصدونَهُ مِنَ الجهاتِ البعيدةِ بمدائحَ يبتغونَ جوائزَهُ ، وللكنْ لم يكنْ ليسمعَ شعراً حتى يسمعَهُ أبو العميثلِ وأصحابُهُ ؛ فإنِ استجادُوهُ . . أبلغوهُ الأميرَ وأثنَوا على صاحبهِ ، فيجيزُهُ ، وإن لم يستجيدوهُ . . ردُّوهُ صِفرَ اليدَين .

ومِنْ عيونِ أبياتِ هاذهِ القصيدةِ : قولُهُ في صفةِ مَشقَّةِ السفرِ وعُلُوِّ هِمَّةِ الرَّكْبِ : [من الطويل]

وَرَكْبٍ كَأَمْثَالِ ٱلْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَىٰ مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهُ لِإَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

وقولُهُ في صفةِ الجملِ بالنُّحولِ والهُزالِ مِنْ شدائدِ السفرِ في الفيافي :

رَعَتْهُ ٱلْفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً وَعَاهَا وَمَاءُ ٱلرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهُ

ولأبي تمام ابتداءاتُ كثيرةٌ تجري هاذا المَجرى ، منها قولُهُ (١): [من الكامل] قَدْكَ ٱتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِي ٱلْغُلَوَاءِ كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ شُجَرَائِي

تفسيرُ هاذا البيتِ: أنَّهُ عَدَّدَ الألفاظَ الصَّادرةَ مِنَ العُذَّالِ على سبيلِ التعجُّبِ والاستهزاءِ ، وهي قولُهُم: (قَدْكَ) أي: حسبُكَ (اتَّعبُ) وأصلُهُ: اوْتَئِب ؛ أي: استحي (أربيتَ في الغُلَواءِ) أي: زدتَ في الغُلُوِ والتغريرِ بنفسِكَ في أمرِ العشقِ ، ثمَّ التفتَ إلى العُذَّالِ فقالَ يخاطبُهُم:

⁽١) القائل المؤلف ضمن نقله عن العسكرى صاحب « الصناعتين » .

⁽۲) انظر « دیوان أبی تمام » (۲۰/۱) .

(كم تعذلونَ وأنتُم شُجرائي) أي : خُلطائي ؛ جمعُ شجير بمعنى مشاجرٍ . ومِنَ الابتداءاتِ البديعةِ قولُ مسلم (١): [من البسيط] أُجْرِرْتُ ذَيْلَ خَلِيع فِي ٱلصِّبَا غَزِلِ وَشَمَّرَتْ هِمَمُ ٱلْعُذَّالِ فِي عَذَلِي والابتداءُ أوَّلُ ما يقعُ في السَّمع مِنْ كلامِكَ ، والمقطعُ آخِرُ ما يبقىٰ في النفس مِنْ قولِكَ ، فينبغي أن يكونا جميعاً مُرتقَبَين (٢). وقدِ استحسنَ (٢) لبعض المُتأخِّرينَ _ يعني : المتنبي _ ابتداءَهُ (١) : [من الطويل] أَريقُكَ أَمْ مَاءُ ٱلْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ ولهُ بعدَ ذٰلكَ ابتداءاتُ المصائب وفِراقُ الحبائب ، منها قولُهُ : [من الكامل] هَلذِي بَرَزْتِ لَنَا فَهجْتِ رَسِيسَا ثُمَّ ٱنْصَرَفْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسَا وقولُهُ (٥): [من الكامل] جَلَلاً كَمَا بِي فَلْيَكُ ٱلتَّبْريحُ وقولُهُ (١): [من الوافر] أُحَادٌ أَمْ سُلَاسٌ فِي أُحَادِ (١) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ١) . (٢) في « الصناعتين » (مونقين) . (٣) يعنى : أبا هلال العسكري صاحب « الصناعتين » . (٤) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٤٣) ، والبيت بتمامه : أَريقُكَ أَمْ مَاءُ ٱلْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بِفِيَّ بَرُودٍ وَهْوَ فِي كَبِدِي جَمْرُ (٥) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٤٦) ، والبيت بتمامه : جَلَلاً كَمَا بِي فَلْيَكُ ٱلتَّبْرِيحُ أَغِنَاءُ ذَا ٱلرَّشَأُ ٱلْأَغَنِ ٱلشِّيحُ (٦) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٥٩) ، والبيت بتمامه :

أُحَادٌ أَمْ سُلِدَاسٌ فِي أُحَادِ لُيَيْلَتُنَا ٱلْمَنُوطَةُ بِٱلتَّنَادي

وقولُهُ : [من الطويل]

لِجِنِّيَّةٍ أَمْ غَادَةٍ رُفِعَ ٱلسَّجْفُ لِوَحْشِيَّةٍ لَا مَا لِوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ

قلتُ (''): وهاذهِ القصيدةُ يقولُها في مدحِ قاضٍ فقيهٍ ، ومنها _ وفيهِ قبحُ الاستعارةِ وسوءُ العبارةِ _ قولُهُ:

فَقِيهُ رَسَتْ لِلْعِلْمِ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالٌ جِبَالُ ٱلْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قُفُّ

وقولُهُ (٣):

فِي ٱلْخَدِّ أَنْ عَزَمَ ٱلْخَلِيطُ رَحِيلًا وَمْعٌ تَزِيدُ بِهِ ٱلْخُدُودُ مُحُولًا

قالَ إسماعيلُ بنُ عبادٍ: إنَّ المُحولَ في الخُدودِ مِنَ البديعِ المزورِ (١٠).

فهاندهِ وما شاكلَها ابتداءاتٌ لا خلاقَ لها .

وإذا كانَ الابتداءُ حسناً بديعاً ، ومليحاً رشيقاً . . كانَ داعيةً لاستماعِ ما يجيءُ بعدَهُ مِنَ الكلامِ ، ولهاذا المعنىٰ يقولُ اللهُ تعالىٰ : ﴿ الْمَ ﴾ ، و﴿ حمّ ﴾ ، و﴿ طسّ أسماعَهُم بشيءٍ بديعٍ ليسَ لهُم بمثلِهِ عهدٌ ؛ ليكونَ ذلكَ داعيةً لهُم إلى الاستماع .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وسَلَّمَ: « كُلُّ كَلَامٍ لَمْ يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ ٱللهِ . . فَهُوَ أَبْتَرُ » (°).

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٧٧).

⁽Y) هو المؤلف ضمن نقله لسياق صاحب « الصناعتين » .

⁽٣) انظر « ديوان المتنبى » (ص ١١١) .

 ⁽٤) انظر « الصناعتين » : (ص ٤٥٦) ، وفيه : (المردود) بدل (المزور) .

⁽٥) رواه أبو داوود (٤٨٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

[القولُ في الفصلِ والوصلِ]

وقالَ المأمونُ لبعضِهِم: مَنْ أبلغُ الناسِ ؟ قالَ: مَنْ قَرَّبَ الأمرَ البعيدَ المُتناوَلِ والصَّعبَ الدَّركِ بالألفاظِ اليسيرةِ ، قالَ: ما عَدَلَ سهمُكَ عنِ الغَرضِ ، ولاكنِ البليغُ مَنْ كانَ كلامُهُ في مقدارِ حاجتِهِ ، ولا يجيلُ الفكرةَ في اختلاسِ ما صَعُبَ عليهِ مِنَ الألفاظِ ، ولا يُكرِهُ المعانيَ بإنزالِها في غيرِ منازلِها ، ولا يتعمَّدُ الغريبَ الوَحْشيَّ ، ولا الساقطَ السُّوقيَّ ، والبلاغةُ إذا اعتزلَتْها المعرفةُ بمواضع الفصلِ والوصلِ . . كانت كاللآلئ بلا نظام .

فقدِ استحسنَ المأمونُ الجوابَ ، وللكنَّهُ عَرَّفَهُ أنَّهُ غيرُ مقنعٍ ، فساقَ لهُ ما عندَهُ ، وينبغي أن يكونَ الجوابُ وصفةَ أبلغ الناسِ .

وقالَ أبو العباسِ السَّفَّاحُ لكاتبِهِ (١): قِفْ عندَ الكلامِ وحدودِهِ ، وإيَّاكَ أن تخلطَ المرعيَّ بالهملِ ، ومِنْ حليةِ البلاغةِ المعرفةُ بمواضعِ الفصلِ مِنَ الوصلِ .

وقالَ الأحنفُ بنُ قيسٍ (٣): ما رأيتُ رجلاً تَكلَّمَ فأحسنَ الوقفَ عندَ مقاطع الكلام ولا عرفَ حدودَهُ إلَّا أبا عمرِو بنَ العلاءِ (١)، كانَ إذا تَكلَّمَ . .

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨) .

⁽٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٥٨).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨) .

⁽٤) في « الصناعتين » : (إلا عمرو بن العاص) .

تَفَقَّدَ مقاطعَ الكلامِ ، وأعظمَ حقَّ المَقامِ ، وغاصَ في استخراجِ المعنىٰ بألطفِ مَخرجٍ ، حتىٰ كانَ يقفُ عندَ المقطعِ وقفاً يحولُ بينَهُ وبينَ بغيتِهِ مِنَ الألفاظِ ، وكانَ كثيراً ما يُنشِدُ:

إِذَا مَا بَدَا فَوْقَ ٱلْمَنَابِرِ قَائِلاً أَصَابَ بِمَا يُومِي إِلَيْهِ ٱلْمَفَاصِلَا

وحُكِي (''): أنَّ شبيبَ بنَ شبةَ كَانَ يوماً قاعداً ببابِ المَهديِّ ، فأقبلَ عبدُ الصَّمدِ بنُ الفضلِ الرَّقَاشيُّ ، فلمَّا رآهُ شبيبُ . قالَ : أتاكُم واللهِ كليمُ الناسِ ، فلمَّا جلسَ . قالَ شبيبُ : تَكلَّمْ يا أبا العباسِ ، فقالَ : أمعَكَ يا أبا معمرٍ وأنتَ خطيبُنا وسيِّدُنا ؟! قالَ : نعم ، واللهِ ؟ فقالَ : أمعَكَ يا أبا معمرٍ وأنتَ خطيبُنا وسيِّدُنا ؟! قالَ : في أيِّ شيءٍ ما رأيتُ قلباً أقربَ مِنْ لسانٍ مِنْ قلبِكَ مِنْ لسانِكَ ، قالَ : في أيِّ شيءٍ تحبُّ أن أتكلَّم ؟ قالَ : وإذا شيخٌ يَتوكَّأُ على عصاً ، قالَ : صفْ لنا هانهِ العصا .

فحمدَ الله عزّ وجلّ وأثنى عليهِ ، ثمّ ذكرَ السماءَ فقالَ : رفعَها الله بغيرِ عمدٍ ، وجعلَ فيها نجومَ رجمٍ ونجومَ اهتداءٍ ، وأدارَ فيها سراجاً وقمراً منيراً ؟ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ ، وأنزلَ منها ماءً مباركاً أحيا بهِ الزَّرعَ والضَّرعَ ، وأدرَّ بهِ الأقواتَ ، وحفظَ بهِ الأرواحَ ، وأنبتَ منها أنواعاً مختلفةً يُصرِّفُها مِنْ وأدرَّ بهِ الأقواتَ ، تكونُ حَبَّةً ، ثمّ يجعلُها عِرْقاً ، ثمّ يقيمُها على ساقٍ ، فبينا حالٍ إلى حالٍ ، تكونُ حَبَّةً ، ثمّ يجعلُها عِرْقاً ، ثمّ يقيمُها على ساقٍ ، فبينا تراها خضراءَ تَرِفُ . . إذ تراها يابسةً تنقصفُ ؛ ليَنتفِعَ بها العبادُ ، وتَعمُرَ بها البلادُ ، ثمّ جعلَ مِنْ يُبْسِها هاذهِ العصا .

ثمَّ أقبلَ على الشيخِ وقالَ : وكانَ هاذا نطفةً في صلبِ أبيهِ ، ثمَّ صارَ عَلَقةً حينَ خرجَ منهُ ، ثمَّ مُضغةً ، ثمَّ عظماً ولحماً ، فصارَ جنيناً أوجدَهُ اللهُ بعدَ عدم ، وأنشأَهُ مِنْ بدءٍ ، ووقفَهُ مكتهلاً ، ونقضَهُ شيخاً ، إلى أن صارَ إلىٰ هاذهِ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨ _ ٤٥٩) .

الحالِ مِنَ الكبَرِ ، فاحتاجَ إلى هانه العصافي آخرِ حالاتِهِ ، فتباركَ المُدبِّرُ للعبادِ .

قالَ شبيبٌ : فما سمعتُ كلاماً على بديهةٍ أحسنَ منهُ .

وقالَ معاويةُ (١): يا أشدقُ ؛ قمْ عندَ قُرومِ العربِ [وجحاججها] (١) ، فسُلَّ لسانَكَ ، وجُلْ في ميادينِ البلاغةِ ، وليكنِ التفقدُ لمقاطعِ الكلامِ منكَ على بالٍ ، فإنِّي شهدتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أملىٰ [على] عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليهِ السلامُ كتاباً ، فكانَ يَتفقَّدُ مقاطعَ الكلامِ كتفقُّدِ المصرمِ صرمتَهُ .

ولمَّا أقامَ أبو جعفرِ المنصورُ صالحاً خطيباً بحضرةِ شبيبِ بنِ شبَّةَ وأشرافِ قريشٍ فتَكلَّمَ . . أقبلَ شبيبٌ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما رأيتُ كاليومِ أبينَ بياناً ، ولا أربطَ جَناناً ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلَّ ريقاً ، ولا أخمضَ عُروقاً ، ولا أحسنَ طريقاً ، إلَّا أنَّ الجوادَ عسيرٌ لم يُرضْ ، فحملَتْهُ القُوَّةُ على تَعسُّفِ الآكامِ وخبطِها ، وتركِ الطريقِ اللَّحبِ ، وآيمُ اللهِ ؛ لو عرفَ في خُطبتِهِ مقاطعَ الكلام . . لكانَ أفصحَ مَنْ نطقَ بلسانٍ (٣) .

وقالَ المأمونُ ('): ما أعجبُ بكتابِ أحدٍ كإعجابي بكتابِ القاسمِ بنِ عيسىٰ ؛ فإنَّهُ يوجزُ في غيرِ عجزٍ ، ويصيبُ مقاطعَ الكلامِ ، ولا تدعوهُ المقدرةُ إلى الإطنابِ ، ولا تميلُ بهِ الغزارةُ إلى الإسهابِ ، يجلِّي عن مرادِهِ في كتبِهِ ، ويصيبُ المغزىٰ في ألفاظِهِ .

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٩) .

⁽٢) الجحجاح: السيد السمح.

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠) .

وكانَ يزيدُ بنُ معاويةَ يقولُ (١): إيَّاكُم أن تجعلوا الفصلَ وصلاً ؛ فإنَّهُ أشدُّ وأعيبُ مِنَ اللحن .

وقالَ أكثمُ بنُ صيفيِّ (٢): كانَتْ ملوكُ الجاهليةِ تقولُ لكُتَّابِها: افصلوا بينَ كلِّ [معنىً منقضٍ]، وصلوا إذا كانَ الكلامُ معجوناً بعضُهُ ببعضِ.

وكانَ الحارثُ بنُ أبي شمرِ الغسانيُّ يقولُ لكاتبِهِ المرقِّش (٣): إذا نزعَ بكَ الكلامُ إلى الابتداءِ بمعنىً غيرِ ما أنتَ فيهِ . . فافصلْ بينَهُ وبينَ تبيعتِهِ مِنَ الألفاظِ ؛ فإنَّكَ إن مذقتَ ألفاظكَ بغيرِ ما يحسنُ أن تمذقَ بهِ . . نفرَتِ القلوبُ عن وعيهِ ، ومَلَّتُهُ الأسماعُ ، واستثقلتُهُ الرواةُ .

وكانَ بزرجمهرُ يقولُ (أ) : إذا مدحتَ رجلاً وهجوتَ آخرَ . . فاجعلْ بينَ القولَينِ فصلاً ؛ حتى يُعرَفَ المدحُ مِنَ الهجاءِ ؛ كما تفعلُ بكتبِكَ إذا استأنفتَ القولَ ، فأكملتَ ما سلفَ مِنَ اللفظِ .

وقالَ الحسنُ بنُ وهبٍ لكاتبِهِ الحرَّانيِّ (°): ما منزلةُ الكاتبِ في قولِهِ وفعلِهِ ؟ قالَ: أن يكونَ مطبوعاً ، مُحتنكِاً بالتجرِبةِ ، عالماً بحلالِ الكتابةِ وحرامِها وسنتِها ، وبالدُّهورِ في تداولِها وتصرُّفِها ، وبالملوكِ في سِيرِها وأيامِها ، معَ براعةِ اللفظِ ، وحسنِ التنسيقِ ، وتأليفِ الأوصالِ بمشاكلةِ ولاستعارةِ ، وشرحِ المعاني حتى تُنصَبَ صورُها ، وبمقاطعِ الكلامِ ، ومعرفةِ الوصلِ مِنَ الفصلِ ، فإذا كانَ كذلكَ . . فهوَ كاتبٌ مجيدٌ .

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠) .

⁽۳) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠) .

⁽٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠ _ ٤٦١) .

والقولُ إذا استكملَ آلتَهُ واستتمَّ معناهُ . . فالفصلُ عندَهُ .

وقالَ المأمونُ (١): ما أتفحَّصُ مِنْ رجلٍ شيئًا كتفحُّصي عنِ الفصلِ والوصلِ في كتابِهِ ، والتخلُّصِ مِنَ المعقودِ إلى المحلولِ ، فإنَّ لكلِّ شيءٍ جمالاً ، وحليةُ الكتابِ وجمالُهُ إيقاعُ الفصلِ في موقعِهِ ، وشحذُ الفكرةِ ، وإجالتُها في لطفِ التخلُّص مِنَ المعقودِ إلى المحلولِ .

ومعنى المعقودِ والمحلولِ ها هنا: هوَ أنَّكَ إذا ابتدأتَ بمخاطبةٍ ثمَّ لم تنتهِ إلى موضعِ التخلُّصِ ممَّا عقدتَ عليهِ كلامَكَ . . شُمِّيَ الكلامُ معقوداً ، فإذا شرحتَ المستورَ ، وأبنتَ عنِ الغرضِ المنزوعِ إليهِ . . شُمِّيَ الكلامُ محلولاً .

مثالُ ذلك : ما كتبَ بعضُهُم (١) : وجرى لكَ مِنْ ذكرِ ما خَصَّكَ اللهُ بهِ ، وأفردَكَ بفضيلتِهِ ؛ مِنْ شرفِ النفسِ والقدرةِ ، وبُعْدِ الهِمَّةِ والذِّكرِ ، وكمالِ الأداةِ والآلةِ ، والتمهُّدِ في السياسةِ والإيالةِ ، وحياطةِ أهلِ الدِّينِ والأدبِ ، وإنجادِ عظيمِ الحقِّ وتضعيفِ السببِ . . ما لا يزالُ يجري مثلُهُ عندَ كلِّ ذكرٍ يَتجَّدُد لكَ ، ويُؤثَرُ عنكَ .

فالكلامُ مِنْ أُوَّلِ الفصلِ إلىٰ قولِهِ: (تضعيفِ السببِ) معقودٌ ، فلمَّا اتصلَ بما بعدَهُ . . صارَ محلولاً .

وما كتبَ بعضُهُم (^{٣)}: ربَّما كانَتْ مَودَّةُ السَّبِ أوكدَ مِنْ مَودَّةِ النَّسَبِ ؛ لأَنَّ المَودَّةَ التي تدعو إليها رغبةٌ أو رهبةٌ ، أو شكرُ نعمةٍ ، أو مشاركةٌ في صنعةٍ ، أو مناسبةٌ لمشاكلةٍ . . مَودَّةٌ معروفةٌ وجوهُها ، موثوقٌ بخلوصِها ، فتوكُّدُها

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢) .

⁽٢) انظر «الصناعتين» (ص ٤٦٢).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢) .

بحَسَبِ السببِ الداعي إليها ، ودوامُها بدوامِهِ ، واتصالُها باتصالِهِ ، ومَودَّةُ القربىٰ مواتُ ، وإن أوجبَتْها اللحمةُ . . فهيَ مشوبةٌ بحسدٍ ونفاسةٍ ، وبحَسَبِ ذلكَ يقعُ التقصيرُ فيما توجبُهُ الحالُ ، والإضاعةُ لِمَا يلزمُ مِنَ الشكرِ ، واللهُ يعلمُ أنِي أودُّكَ مَودَّةً خالصةً لم تَدْعُ إليها رغبةٌ فيزيلَها استغناءٌ ، ولا اضطرَّ اليها رهبةٌ فيقطعَها أمنٌ منها ، وإن كنتَ مَرجوّاً للموهباتِ بحمدِ اللهِ تعالىٰ ، ومقصِداً مِنْ مقاصدِ الرغباتِ ، وكهفاً وحرزاً مِنَ المُوبقاتِ .

فهاذا الكلامُ معقودٌ إلى قولِهِ: (لمشاكلةٍ) فلمَّا اتصلَ بما بعدَهُ . . صارَ محلولاً .

وقالَ بعضُهُم ('): انظرْ سَدَّدَكَ اللهُ ألَّا تدعوكَ مَقدِرتُكَ على الكلامِ إلىٰ إطالةِ المعقودِ ؛ فإنَّ ذلكَ فسادُ ما أكننتَهُ في صدرِكَ ، وأردتَ تضمينَهُ كتابَكَ ، والعلمْ: أنَّ إطالةَ المعقودِ تورثُ نسيانَ ما عقدتَ عليهِ كلامَكَ ، وأرهنتَ بهِ فكرَكَ .

وكانَ شبيبُ بنُ شبةَ يقولُ (١): لمْ أَرَ مُتكلِّماً قطُّ أَذكرَ لِمَا عقدَ عليهِ كلامَهُ ولا أحفظَ لِمَا سلفَ مِنْ نطقِهِ . . مِنْ خالدِ بنِ صفوانَ ؛ يشبعُ المعقودَ بالمعاني التي يَصعُبُ الخروجُ منها إلىٰ غيرِها ، ثمَّ يأتي بالمحلولِ واضحاً بيّناً ، مشروحاً منثوراً ، فكانَ السامعُ لا يَعرِفُ مغزاهُ ومقصدَهُ في أوَّلِ كلامِهِ حتىٰ يصيرَ إلىٰ آخِرهِ .

وقالَ بعضُهُم ("): ليسَ يُحمَدُ مِنَ القائلِ أَن يعميَ معرفةَ مغزاهُ على السامع لكلامِهِ في أوَّلِ ابتدائِهِ حتىٰ ينتهيَ إلىٰ آخِرِهِ ، بلِ الأحسنُ أَن يكونَ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

في صدرِ كلامِهِ دالاً على حاجتِهِ ، ومُبيِّناً لمغزاهُ ومَقصِدِهِ ، كما أنَّ خيرَ [أبياتِ] الشعر ما إذا سمعتَ صدرَهُ . . عرفتَ قافيتَهُ .

وكانَ شبيبُ بنُ شَبَّةَ يقولُ (١): الناسُ مُوكَّلُونَ بتعظيمِ جودةِ الابتداءِ ، وبمدحِ صاحبِهِ ، وخيرُ وبمدحِ صاحبِهِ ، وخيرُ الكلام ما وُقِفَ عندَ مقاطعِهِ وبُيِّنَ موقعُ فصولِهِ .

ومثالُ ما لم يُبَنْ موضعُ الفصلِ فيهِ فأشكلَ الكلامُ: قولُ شاعرٍ يهجو ويمدحُ (٢):

وَأَبُوكَ بَدْرٌ كَانَ يَنْتَهِشُ ٱلْخِصَىٰ وَأَبِي ٱلْجَوادُ رَبِيعَةُ بْنُ قِتَالِ وَأَبِي ٱلْجَوادُ رَبِيعَةُ بْنُ قِتَالِ فقالَ المهجوُّ: لا بأسَ ، شيخانِ اشتركا في صفةٍ .

وقلَّما رأينا بليغاً إلَّا وهوَ يقطعُ كلامَهُ على معنى بديعٍ أو لفظٍ حسنِ رشيقٍ ، قالَ لقيطٌ في آخِرِ قصيدتِهِ (''): [من البسيط]

لَقَدْ مَحَضْتُ لَكُمْ وُدِّي بِلَا دَخَلٍ فَٱسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ ٱلْعِلْمِ مَا نَفَعَا

فقطعَها على كلمةِ حكمةٍ عظيمةِ الموقع.

ومثلُّهُ قولُ امرئ القيسِ (٥):

أَلَا إِنَّ بَعْدَ ٱلْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةً وَبَعْدَ ٱلشَّبَابِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا

فقطعَ القصيدةَ أيضاً على حكمةٍ بالغةٍ .

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣) .

⁽٣) في « الصناعتين » : (كان ينتهس الحصي وأبي الجواد ربيعة بن قِبال) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤) .

⁽٥) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٠٨) .

وقالَ أبو زبيدٍ الطائيُّ في آخِر قصيدةٍ (١): [من الخفيف]

كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ ٱلرِّجَالُ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ لِلْمَنَايَا ٱحْتِيَالُ وَقَالَ أَبُو كَبِيرِ الهذليُّ (٢):
[من الكامل]

هَاذَا وَذَالِكَ لَــيْـسَ إِلَّا ذِكْـرُهُ وَإِذَا مَضَىٰ شَيْءٌ كَأَنْ لَمْ يُفْعَل

فينبغي أَنْ يكونَ آخرُ بيتِ قصيدتِكَ أجودَ بيتِ فيها ، وأدخلَ في المعنى الذي قصدتَ لهُ في نظمِها ، كما فعلَ ابنُ الزِّبَعْرَىٰ في آخِرِ قصيدةٍ يعتذرُ فيها إلى النبيِّ صلَّى اللهُ تعالىٰ عليهِ وسَلَّمَ وشَرَّفَ وكَرَّمَ ويستعطفُهُ (٣):

فَخُذِ ٱلْفَضِيلَةَ عَنْ ذُنُوبٍ قَدْ خَلَتْ وَٱقْبَلْ تَضَرُّعَ مُسْتَضِيفٍ ثَابِتِ

فجعلَ نفسه مستضيفاً ، ومِنْ حقِّ المستضيفِ أن يُضافَ ، فإذا أُضيفَ . . فمِنْ حقِّهِ أن يُصافَ ، واعداً بالثباتِ الذي مدارُ الأمرِ عليهِ ، مُخبِراً بصدقِ عزيمتِهِ ، جعلَ العفوَ عنهُ فضيلةً ، فجمعَ ما يُحتاجُ إليهِ في طلبِ [العفو] .

وقولُ تأبَّطَ شرّاً في آخِرِ قصيدةٍ (٥):

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ ٱلسِّنَّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْماً بَعْضَ أَخْلَاقِي

هاذا البيتُ أجودُ بيتٍ فيها ؛ لصفاءِ لطفِهِ ، وحسنِ معناهُ ، وأحقُّ ما يُختَمُ كلامٌ في عتاب .

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤) .

⁽٢) انظر « ديوان الهذليين » (١٠٠/١) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤).

⁽٤) في « الصناعتين » : (تائب) بدل (ثابت) .

⁽٥) انظر « ديوان تأبط شراً » (ص ١٤٤) .

ومثلُهُ قولُ الشنفريٰ في آخِرِ قصيدةٍ (١): [من الطويل]

وَإِنِّي لَحُلُوٌ إِنْ أُرِيدَتْ حَلَاوَتِي وَمُرُّ إِذَا نَفْسُ ٱلْعَزُوفِ أَمَرَّتِ وَإِنِّي لَحُلُو لَا نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسَرَّتِي أَبِيُّ لِمَا آبَىٰ قَرِيبٌ مَقَادَتِي إِلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسَرَّتِي وَهِ مَسَرَّتِي وهانذانِ البيتانِ أجودُ ما فُخِرَ بهِ في هاذهِ القصيدةِ .

وقالَ بشرُ بنُ أبي حازمٍ في آخِرِ قصيدةٍ (١): [من الوافر]

وَلَا يُنْجِي مِنَ ٱلْغَمَرَاتِ إِلَّا بَرَاكَاءُ ٱلْقِتَالِ أَوِ ٱلْفِرَارُ

فقطعَها على مثلِ سائرٍ ، والأمثالُ أحبُّ إلى النفوسِ ؛ لحاجتِها إليها عندَ المحاضرةِ والمجالسةِ .

وقالَ الهذليُّ (٣):

عَصَاكَ ٱلْأَقَارِبُ فِي أَمْرِهِمْ فَزَايِلْ بِأَمْرِكَ أَوْ خَالِطِ وَصَاكَ ٱلْأَقَارِبُ فِي أَمْرِهِمْ وَرَايِلْ بِأَمْرِكَ أَوْ خَالِطِ وَلَا تَسْقُطَنَّ سُقُوطَ ٱلنَّوَا قِمِنْ كَفِّ مُرْتَضِحٍ لَاقِطِ

فقطعَها على تشبيهِ مليحٍ ومثلٍ حسنٍ ، وهاكذا يفعلُ الكاتبُ الحاذقُ والمُترسِّلُ المُبرِّزُ ، ألا ترى ما كتبَ الصَّاحبُ في آخرِ رسالةٍ لهُ : فإن حنثتُ فيما حلفتُ . . فلا خطوتُ لتحصيلِ مجدٍ ، ولا نهضتُ لاقتناءِ حمدٍ ، ولا سعيتُ إلى مقامِ فخرٍ ، ولا [حرصتُ] على عُلُوِّ ذكرٍ ، وهاذهِ اليمينُ لو سمعَها عامرُ بنُ الظَّربِ _ أحدُ مشاهيرِ قضاةِ العربِ _ لقالَ : هيَ الغَموسُ ، لا القسمُ باللَّاتِ والعُزَّىٰ ، ومناةِ الثالثةِ الأخرىٰ .

فأتى بأيمانٍ غريبةٍ ، ومعانٍ ظريفةٍ .

⁽۱) انظر « ديوان الشنفريٰ » (ص ٩٩) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٥) ، والبراكاء: الثبات في الحرب.

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٥) .

وكتبَ أيضاً في آخرِ رسالةٍ ('': وأنا مُتوقِّعٌ لكتابِكَ توقُّعَ الظمآنِ للماءِ الزلالِ ، والصُّوَّام لهلالِ شوالٍ .

وكتبَ آخَرُ أخرى (٢): وسألَ أن أخلفَهُ في تجشيمِ مولايَ إلى هاذا المجتمع ؛ ليَقرُبَ علينا تناولُ البدرِ بمشاهدتِهِ ، ولمسُ الشمسِ بغُرَّتِهِ .

فانظرْ كيفَ تقعُ كلماتُهُ على كلِّ معنى بديع ، ولفظٍ شريفٍ .

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٥) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٦) .

[حسنُ المقطع وجودةُ الفاصلةِ]

هاذا ؛ وحسنُ المقطعِ وجودةُ الفاصلةِ وحسنُ تمكُّنِها في موضعِها على ثلاثةِ أضربٍ : فضربٌ منها : أن يضيقَ على الشاعرِ موضعُ القافيةِ ، فيأتيَ بلفظٍ قصيرٍ قليلِ الحروفِ ، فيُتِمَّ بهِ البيتَ ؛ كقولِ زهيرٍ (١) : [من الطويل] وَأَعْلَمُ مَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱلْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَاكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

وقولِ النابغةِ (۲):

..... جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ [نَدِي]

وقولِ الأعشىٰ ("): [من المتقارب]

وَكَاْسٍ شَرِبْتُ عَلَىٰ لَاذَّةٍ وَأُخْرَىٰ تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا وَكَاْسٍ شَرِبْتُ عَلَىٰ لَاذَّةٍ وَأُخْرَىٰ تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا وَعَدَهُ:

لِكَيْ يَعْلَمَ ٱلنَّاسُ أَنِّي ٱمْرُؤٌ أَتَيْتُ ٱللَّذَاذَةَ مِنْ بَابِهَا وقولِ امرئ القيس (١٠):

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ وَقُولِ طُرِفَةً (°):

إِذَا ٱبْتَدَرَ ٱلْقَوْمُ ٱلسِّلَاحَ وَجَدْتَنِي مَنِيعاً إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي

كَالْأُفُّ حُوانِ غَدَاةً غِبَ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهِ نَدِي

⁽١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلميٰ » (ص ٣٥) .

⁽۲) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٩٥) ، والبيت بتمامه :

⁽٣) انظر « ديوان الأعشى » (١٢/٢) .

⁽٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩).

⁽٥) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٤٣) .

[من الكامل]	لُها (۱):	وقولِ النابغةِ مِنَ القصيدةِ التي أوَّ
		أَمِنَ ٱلِ مَـيَّـةَ رَائِـحٌ أَوْ مُـغْـتَـدِ
		[قالَ] :
انَ تَفْرِيتُ ٱلْأَحِبَّةِ فِي غَدِ	إِنْ كَ	لًا مَرْحَباً بِغَدٍ وَلَا أَهْلاً بِهِ
تَزَلْ بِرِحَالِهَا وَكَأَنْ قَدِ	لَمَّا	أَفِدَ ٱلتَّرَحُّ لُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا
		وقولِهِ:
تْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي	جَفَّ	كَٱلْأُقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ
		وقولِهِ:
ن] بِبَرْدِ لِثَاتِهَا ٱلْعَطِشُ ٱلصَّدِي	[يُشْفَر	
[من الطويل]		وقولِ آخَرَ (۲):
ا جَمِيعاً بِٱلنَّوَىٰ وَقَعَا مَعَا	وَطِيرَ	أَلَا يَا غُرَابَيْ بَيْنِهَا لَا تَصَدَّعَا
[من الطويل]		وقولِ ابنِ أحمرَ (٣):
رَّ بِهَا فَأَجْزِ ٱلْمَطَالِبَ أَوْ زِدِ	فَمِثْلا	وَإِنْ كَانَتِ ٱلنَّعْمَاءُ عِنْدَكَ لِٱمْرِئ
[من الطويل]		وقولِ أبي حيَّةَ (١٤):
		[فَقُلُنَ] لَهَا سِرّاً فَدَيْنَاكِ لَا يَرُحْ

عَـجْـلَانَ ذَا زَادٍ وَغَــيْــرَ مُــزَوَّدِ أَمِنَ آلِ مَـيَّةَ رَائِكٌ أَوْ مُغْتَدِ

⁽¹⁾ انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص $\Lambda \Lambda$) ، والبيت بتمامه :

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٧).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٧) .

⁽٤) انظر « ديوان أبي حية النميري » (ص ٧٦) ، و« الصناعتين » (ص ٤٦٧) ، والبيت بتمامه : فَقُلْنَ لَهَا سِرّاً فَدَيْنَاكِ لَا يَرُحْ صَحِيحاً وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِمِي

الأبيات السالفة (١).

ومِنْ شعرِ المُحدَثينَ قولُ ابنِ عبدةً (٢):

دُنْيَا دَعَوْتُكِ مُسْمِعاً فَأَجِيبِي

دُومِي أَدُمْ لَكِ بِٱلْوَفَاءِ عَلَى ٱلْقَضَا

وقولِ آخَرَ (٣):

أَتَتْنِي تُؤَنِّبُنِي فِي ٱلْبُكَا وَقَالَتْ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ

فَقُلْتُ إِذَا ٱسْتَحْسَنَتْ غَيْرَكُمْ

[من الكامل]

وَبِمَا ٱصْطَفَيْتُكِ فِي ٱلْهَوَىٰ فَأْثِيبِي

[من المتقارب]

فَأَهْ لا بِهَا وَبِتَأْنِيبِهَا أَتَبْكِي بِعَيْنٍ تَرَانَا بِهَا أَمَرْتُ ٱلدُّمُ وعَ بِتَأْدِيبِهَا

والضَّرْبُ الآخَرُ: أَن يَضيقَ بهِ المكانُ أيضاً ، ويَعجِزَ عن إيرادِ كلمةٍ سالمةٍ تَحتاجُ إلى إعرابٍ ، فيأتي بكلمةٍ ليسَتْ كذلك يُتِمُّ بها البيتَ ؛ مثلُ قولِ المرئ القيس (''):

رى معيس كَذِئْبِ ٱلْغَضَا يَمْشِي ٱلضَّرَاءَ وَيَتَّقِي

وقولِ زهيرٍ (•):

صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمَىٰ وَقَدْ كَانَ لَا يَسْلُو

⁽١) انظر (٢٨٢/٣) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٧) ، وفيه : (ابن أبي عيينة) بدل (ابن عبدة) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٨) .

⁽٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٧٢) ، والبيت بتمامه : بَعَثْنَا رَبِيئًا قَبْلَ ذَلِكَ مُخْمِلاً كَذِئْبِ ٱلْفَضَا يَمْشِي ٱلضَّرَّاءَ وَيَتَّقِى

⁽٥) انظر « ديوان زهير بن أبي سلميٰ » (ص ٨٣) ، والبيت بتمامه :

صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمَىٰ وَكَانَ لَا يَسْلُو وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى ٱلتَّعَانِيقُ فَٱلثِّقْلُ

ثمَّ قالَ:

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَىٰ سِنِينَ ثَمَانِياً وقولِهِ (۱۱):

لِذِي ٱلْحِلْمِ مِنْ ذُبْيَانَ عِنْدِي مَوَدَّةٌ (٢) مَخُوفاً كَأَنَّ ٱلطَّيْرَ فِي مَنْزِلَاتِهِ مَنْزِلَاتِهِ وَفُولِ ذِي الرُّمةِ (٣):

أَرَاحَ رِفَاقُ جِيرَتِكَ ٱلْجِمَالَا وَكِدْتُ أَمُوتُ مِنْ حَزَنٍ عَلَيْهِمْ وَكِدْتُ أَمُوتُ مِنْ حَزَنٍ عَلَيْهِمْ وقولِ الحطيئة (1):

دَع ٱلْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا

عَلَىٰ [صِيرِ] أَمْرٍ مَا يَمُرُّ وَلَا يَحْلُو [من الطويل]

وَحِفْظٌ وَمَنْ يُلْحِمْ [إِلَى] ٱلشَّرِ أَنْسُجِ عَلَىٰ جِيَفِ ٱلْحَسْرَىٰ مَجَالِسُ تَنْتَجِي عَلَىٰ جِيَفِ ٱلْحَسْرَىٰ مَجَالِسُ تَنْتَجِي

كَأَنَّهُمُ يُرِيدُونَ ٱحْتِمَالَا وَلَمْ أَرَ حَادِيَ ٱلْأَظْعَانِ بَالَا وَلَمْ أَرَ حَادِيَ ٱلْأَظْعَانِ بَالَا

وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

والضَّرْبُ الثالثُ: أن تكونَ لفظةٌ لائقةٌ بما تَقدَّمَها مِنَ الألفاظِ ، وتكونَ مُستقِرَّةً في قرارِها ومُتمكِّنةً في موضعِها ، حتى لا يَسُدَّ مَسدَّها غيرُها ، وإن لم تكنْ قليلةَ الحروفِ ؛ كقولِ الحطيئةِ (٥٠):

هُمُ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ مِنَ ٱلْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاؤُوا

⁽١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلميٰ » (ص ٢٣٨) .

⁽٢) في « الديوان » و« الصناعتين » : (مخوف) بدل (مخوفاً) .

⁽٣) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٥٠٦/٣) .

⁽٤) تقدم (١٩٥/٢) .

⁽٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٠) .

[من الكامل]

وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
[من المتقارب]
أَحَاجِبُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِمُهُ

لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وقولِ آخَرَ (١):

صَـلَّى ٱلْإِلَـٰهُ عَـلَى ٱمْـرِئَ وَدَّعْـتُـهُ وقولِ البحتريّ (۲):

ظَلَنَا نُرَجِّمُ فِيكَ ٱلظُّنُونَ وقولِ أبي نُواسٍ (٢):

إِذَا ٱمْتَحَنَ ٱلدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ

[ذكرُ شيءٍ ممَّا عِيبَ مِنَ القوافي]

وممَّا عِيبَ مِنَ القوافي: قولُ ابنِ الرُّقيَّاتِ وقدْ أنشدَ عبدَ الملك (''):

إِنَّ ٱلْحَوَادِثَ بِٱلْمَدِينَةِ قَدْ أَوْجَعْنَنِي وَقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهُ الْحَوَادِثَ بِٱلْمَدِينَةِ قَدْ أَوْجَعْنَنِي وَقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهُ [وَجَبَبْنَنِي] جَبَّ ٱلسَّنَامِ فَلَمْ يَتْرُكُنَ رِيشاً فِي مَنَاكِبِيَهُ

فقالَ لهُ عبدُ الملكِ : أحسنتَ ، إلَّا أنَّكَ تَخنَّثَ في قوافيهِ ، فقالَ : ما عدوتُ قولَ اللهِ عنَّ وجلَّ : ﴿ مَا أَغَنَى عَنِي مَالِيَةٌ ﴿ اللهِ عَنِّ سُلَطْنِيَهُ ﴾ (() ، وليسَ كما قالَ ؛ لأنَّ فاصلةَ الآيةِ حسنةُ الموقعِ ، وفي قوافي شعرِهِ لينٌ ، يُدرَكُ ذلكَ بالوجدانِ ، وسببُهُ اللفظيُّ : أنَّ فواصلَ الآيةِ كائنةٌ مِنْ مدَّةٍ وحركتَينِ وحرفِ السكتِ ، وقوافيهِ مِنْ ساكنِ يابسِ أو لينِ ، وثلاثِ حركاتٍ ، وحرفِ السكتِ ، السكتِ ، وقوافيهِ مِنْ ساكنِ يابسِ أو لينِ ، وثلاثِ حركاتٍ ، وحرفِ السكتِ ،

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٠) .

⁽٢) انظر « ديوان البحتري » (٢٧٢/١) ، و« الصناعتين » (ص ٤٧٠) .

⁽٣) انظر « ديوان أبي نواس » (٧١٤) .

⁽٤) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (٩٨) .

⁽٥) سورة الحاقة : (٢٨ _ ٢٩) .

فتجدُ في الآيةِ مِنَ الشدَّةِ بقدرِ ما تجدُ في أبياتِهِ مِنَ اللينِ ، ولذُلكَ وصفَهُ عبدُ الملكِ بالتخنُّثِ ، وهوَ التشبُّهُ بالمُخنَّثينَ في التلفُّظِ ، والمُخنَّثُ : الرجلُ في خلائقِ النساءِ طبعاً أو تطبُّعاً .

ومِنْ عيوبِ القوافي : أن تكونَ القافيةُ مستدعاةً لا تفيدُ معنى ، وإنَّما أُوردَتْ ليستويَ الرويُّ فقطْ .

قلتُ (۱): وهاذا مِنْ أقبحِ عيوبِ الشعرِ ؛ فإنَّ الشعرَ إنَّما هوَ بالقوافي ، وإذا احتاجَ مَنْ يريدُ أن يقولَ الشعرَ لمثلِ ذلكَ . . فراحةُ الناسِ في سكوتِهِ ، مثلُ قولِ أبي تمام (۱):

كَٱلظَّبْيَةِ ٱلْأَدْمَاءِ صَافَتْ وَٱرْتَعَتْ زَهْرَ ٱلْعَرَارِ ٱلْغَضِّ وَٱلْجَثْجَاثَا

ليسَ في وصفِ الظبيةِ بأنَّها ترتعي الجثجاثَ فائدةٌ ، وسواءٌ رعَتِ الجثجاثَ أو القلامَ أو غيرَ ذلكَ مِنَ النباتِ ، وإذا قصدَ لنعتِ الظبيةِ بزيادةِ حسنٍ . . قيلَ : إنَّها تعطو الشجرَ ؛ لأنَّها حينَئذٍ ترفعُ رأسَها فيطولُ جيدُها ، وتظهرُ محاسنُها ، كما قالَ :

وَٱلْجِيدُ مِنْهَا جِيدُ جَازِيَةٍ تَعْطُو إِذَا مَا طَالَهَا ٱلْمَرْدُ وقريبٌ منهُ قولُ الآخَرِ (٣):

وَسَابِغَةِ ٱلْأَذْيَالِ زَغْفٍ مُفَاضَةٍ يُكَفْكِفُهَا عَنِّي [بِجَادٌ] مُخَطَّطُ

وليسَ لتخطيطِ [البجادِ] معنى يرجعُ إلى السيفِ ، ولا إلى الدرع .

⁽١) هو المؤلف ضمن نقله لكلام صاحب « الصناعتين » .

⁽٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٣١٢/١) ، و« الصناعتين » (ص ٤٧١) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٢).

قلتُ : وإذا انتهىٰ إلىٰ أن يقولَ كما يقولُ بعضُ المُصنِّفينَ : القيدُ لبيانِ الواقعِ . . يُقالُ : وما حيلةُ المُضطَرِّ إلَّا باردُ العذرِ ، ومثلُهُ قولُ آخَرَ (١٠) :

أَأَنْشُرُ ٱلْبَزَّ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَأَنْثُرُ ٱلدُّرَّ بَيْنَ ٱلْعُمْيِ فِي ٱلْغَلَسِ

وليسَ لذكرِ الغَلَسِ معَ العمىٰ معنى ؛ لأنَّ الأعمىٰ يستوي عندَهُ الغَلَسُ والهاجرةُ ، ولو قالَ : (العُمُشِ) . . لكانَ أقربَ مِنَ العمىٰ ، علىٰ أنَّ الجميعَ لا خيرَ فيهِ .

[من الطويل]

وقولُ ابنِ الروميِّ (٢):

أَلَا رُبَّمَا سُؤْتُ ٱلْغَيُورَ وَسَاءَنِي وَبَاتَ كِلَانَا مِنْ أَخِيهِ عَلَىٰ وَحْرِ وَسَاءَنِي وَجْرِ وَسَاءَنِي وَجَاتَ كِلَانَا مِنْ أَخِيهِ عَلَىٰ وَحْرِ وَقَبَّلْتُ أَفْوَاها عِذَاباً كَأَنَّهَا يَنَابِيعُ خَمْر حُصِّبَتْ لُؤْلُوَ ٱلْبَحْر

فقولُهُ: (لؤلؤ البحرِ) أفسدَ البيتَ وأطفاً نورَهُ ؛ لأنَّ اللُّؤلؤ لا يكونُ في النهرِ ولا غيرِهِ مِنَ المواضعِ ، فنسبتُهُ إلى البحرِ لا فائدةَ فيهِ إلَّا إقامةُ الرويّ.

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٢) .

⁽٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٩١٢/٣) .

[تمييزُ الكلام جيِّدهِ من رديئِهِ]

هاذا كانَ الكلامُ كذالكَ . . صارَ بالقبولِ مِنْ كتابِ أبي هلالٍ قولُهُ في تمييزِ الكلامِ جيدِهِ مِنْ رديئِهِ ، ونادرِهِ من باردِهِ ، قالَ (١) : الكلامُ - أيَّدَكَ اللهُ - بحسنِ سلاستِهِ ، وسهولتِهِ ، وصناعتِهِ (٢) ، وتخيُّرِ لفظِهِ ، وإصابةِ معناهُ ، وجودةِ مَطالعِهِ ، ولينِ معاطفِهِ ، واستواءِ تقاسيمِهِ ، وتعادلِ أطرافِهِ ، وتشبيهِ أعجازِهِ بهواديهِ ، وموافقةِ مآخيرِهِ لمباديهِ ، معَ قِلَّةِ ضروراتِها بل عدمِها أصلاً ؛ حتى لا يكونَ لها في الألفاظِ أثرٌ ، فتجدُ المنظومَ مثلَ المنثورِ في سهولةِ مطلعِهِ ، وجودةِ مقطعِهِ ، وحسنِ رصفِهِ وتأليفِهِ ، وكمالِ صوغِهِ وتركيبِهِ ، فإذا كانَ الكلامُ كذلكَ . . صارَ بالقَبولِ حقيقاً ، وبالتحفُّظِ خليقاً ؛ كقولِ القائل (٣) :

فَمَا يُبَالُونَ مَا نَالُوا إِذَا حُمِدُوا [من الطويل]

وَلَا حَمَلَتْنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي وَلَا حَقْلِي وَلَا عَقْلِي وَلَا عَقْلِي مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فَتى قَبْلِي مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فَتى قَبْلِي مِنْ ٱلْأَمْرِ لَا يَمْشِي إِلَىٰ مِثْلِهِ مِثْلِي وَأُوثِرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ عَلَىٰ أَهْلِي

هُمُ ٱلأُلَىٰ وَهَبُوا لِلْمَجْدِ أَنْفُسَهُمْ وَهَبُوا لِلْمَجْدِ أَنْفُسَهُمْ وقولِ معن بن أوس (١٠):

لَعَمْرِي مَا [أَهْوَيْتُ] كَفِّي لِرِيبَةٍ وَلَا تَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصَرِي لَهَا وَلَا تَصْدِي لَهَا وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ وَلَا سُتُ بِمَاشٍ مَا حَيِيتُ لِمُنْكَرٍ وَلَا مُؤْثِر نَفْسِي عَلَىٰ ذِي قَرَابَةٍ وَلَا مُؤْثِر نَفْسِي عَلَىٰ ذِي قَرَابَةٍ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٦١) .

⁽۲) في « الصناعتين » : (ونصاعته) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٦١) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٦١) .

وقالَ الآخَرُ (١):

وَلَسْتُ بِنَظَّارِ إِلَىٰ جَانِبِ ٱلْغِنَىٰ

وَقَالَ آخَرُ (٢):

ذَرينِي أُسِيرُ فِي ٱلْبلَادِ لَعَلَّنِي فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْطِعْ دِفَاعاً لِحَادِثٍ

أَلَيْسَ كَثِيراً أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ

الشنفري (۳):

أُطِيلُ مِطَالَ ٱلْجُوعِ حَتَّىٰ أُمِيتُهُ وَلَوْلَا ٱجْتِنَابُ ٱلذَّمّ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ وَلَاكِنَّ نَفْساً حُرَّةً مَا تُقِيمُ بي

وقولُ بشار (١٠):

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى ٱلْقَذَىٰ

وقولُ دِعْبل (٥): وَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرَ مِنْهُمُ

[من الطويل] إِذَا كَانَتِ ٱلْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ ٱلْفَقْر

[من الطويل]

أُصِيبُ فَتى فِيهِ لَدَى ٱلْحَقّ مَحْمِلُ تَجِيءُ بِهِ ٱلْأَيَّامُ فَٱلصَّبْرُ أَجْمَلُ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْحُقُوقِ مُعَوَّلُ

ومـمَّا هـوَ صحيحٌ في وصفِهِ ، جيدٌ في رصفِهِ . . قولُ [من الطويل]

وَأَضْرِبُ عَنْهُ ٱلْقَلْبَ صَفْحاً فَيَذْهَلُ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَا أُكُلُ عَلَى ٱلضَّيْم إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ [من الطويل]

ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

[من الطويل]

وَلَكِنْ بِأُوْفَىٰ لِلطِّعَانِ وَأَكْرَمَا

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٢) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٢) .

⁽٣) انظر « ديوان الشنفريٰ » (ص ٤٦) .

⁽٤) تقدم ضمن أبيات (٣٥/٢ ـ ٣٦) .

⁽٥) انظر « ديوان دعبل الخزاعي » (ص ٢٣٧) ، و« الصناعتين » (ص ٦٢) ، وإنما البيت الأول لشاعر آخر كما يظهر في « الصناعتين » .

بِأَسْوَانَ لَمْ يَتْرُكُ لَهُ ٱلْحَزْمُ مَعْلَمَا وَيَعْجِزُ عَنْهُ ٱلطَّيْفُ أَنْ يَتَجَشَّمَا [من الطويل]

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لَا تُلِمُّهُ عَلَىٰ شَعَثٍ أَيُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُهَذَّبُ

وليسَ لهاذا البيتِ نظيرٌ في كلامِ العربِ ، قالَ بعضُهُم: نظيرُهُ: قولُ العربِ ، قالَ بعضُهُم: تظيرُهُ: قولُ أوسِ بنِ حجرٍ (٢٠):

وَلَسْتُ بِحَابِسٍ أَبَداً طَعَاماً حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

هاذا ؟ وإن كانَ نظيرَهُ في التأليفِ ، فإنّهُ دونَهُ ؟ لِمَا تَكرَّرَ فيه مِنْ لفظِ (غدٍ) ، فإذا كانَ الكلامُ قد جمعَ العُذوبةَ والجَزالةَ والسُّهولةَ والرَّصانةَ معَ السلاسةِ والصناعةِ ، واشتملَ على الرونقِ والطُّلاوةِ ، وسَلِمَ مِنْ حيفِ التأليفِ ، وبَعُدَ مِنْ سماجةِ التركيبِ ، ووردَ على الفهمِ الثاقبِ . . قَبِلَهُ ولم يردُّهُ ، وعلى السَّمعِ المصيبِ استوعبَهُ ولم يمجُّهُ ، والنفسُ تقبلُ اللطيفَ ، يردُّهُ ، وعلى السَّمعِ المصيبِ استوعبَهُ ولم يمجُّهُ ، والنفسُ تقبلُ اللطيفَ ، وتنبو عنِ الغليظِ ، وجميعُ جوارحِ البدنِ وحواسِّهِ تسكنُ إلى ما توافقهُ ، وتنفرُ عمَّا تُضادُهُ وتخالفُهُ ؛ فالعينُ تألفُ الحسنَ ، وتَقْذَىٰ بالقبيحِ ، والأنفُ يرتاحُ للطِّيبِ ، ويَعافُ المنتنَ ، والفمُ يلتذُ بالحلوِ ، ويمجُّ المُرَّ ، والسمعُ يتشوَّفُ للصوتِ الرائعِ ، وينزوي عنِ الجهيرِ الهائلِ ، واليدُ تنعمُ باللِّينِ ، يتشوَّفُ للصوتِ الرائعِ ، وينزوي عنِ الجهيرِ الهائلِ ، واليدُ تنعمُ باللِّينِ ، وتتأذَىٰ بالخشنِ ، والفهمُ يأنسُ بالكلامِ المعروفِ ، ويسكنُ إلى المألوفِ ، ويصغي إلى الصَّوابِ ، ويهربُ مِنَ المحالِ ، وينقبضُ عنِ الوخمِ ، ويتأخَّرُ ويصغي إلى العليظِ ، ولا يقبلُ الكلامَ المُضطرِبَ إلَّا الفهمُ المُضطرِبُ ، والفهمُ المُضطرِبُ ، والفهمُ المُضطرِبُ اللهائلُ الفهمُ المُضطرِبُ ، والوبهُ ألفاسدةُ .

وَإِنَّ ٱمْرَأً أَمْسَتْ مَسَاقِطُ رَأْسِهِ

حَلَلْتُ مَحَلّاً يَقْصُرُ ٱلطَّرْفُ دُونَهُ

وقولُ النابغةِ (١):

⁽۱) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٤) .

⁽٢) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ١١٥) ، و« الصناعتين » (ص ٦٣) .

وليسَ الشأنُ في إيرادِ المعاني ؛ لأنَّ المعاني يعرفُها العربيُّ والأعجميُّ ، والقرويُّ والبدويُّ ، وإنَّما هوَ في جودةِ اللفظِ وصفائِهِ ، وحسنِهِ وبهائِهِ ، ونزاهتِهِ ونقائِهِ ، وكثرةِ طُلاوتِهِ ومائِهِ ، معَ صحةِ السبكِ والتركيبِ ، والحلوِ مِنَ النظمِ والتأليفِ ، وليسَ يطلبُ مِنَ المعنى إلَّا أن يكونَ صواباً ، ولا يقنعُ مِنَ اللفظِ بذلكَ حتىٰ يكونَ علىٰ ما وصفناهُ مِنْ نعوتِهِ التي تَقدَّمَتْ ، ألا ترىٰ إلىٰ قولِ حبيبِ بنِ أوسٍ (١):

مُسْتَسْلِمٌ لِلهِ سَائِسُ أُمَّةٍ لِنَّوِي تَجَهْضُمِهَا لَهُ ٱسْتِسْلَامُ فَاللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ السَّيْسُلَامُ فَإِنَّهُ أَتَىٰ بَصُوابِ اللَّفْظِ ، وليسَ هوَ بحسنِ ولا مقبولٍ .

وقالَ أبو داوودَ (٢٠): رأسُ الخطابةِ الطبعُ ، وعمودُها الدُّربةُ ، وجناحُها روايةُ الكلامِ ، وحليُها الإعرابُ ، وبهاؤُها تَخيُّرُ الألفاظِ ، والمحبةُ مقرونةٌ بقِلَةِ الاستكراهِ ، وأنشدَ :

يَرْمُونَ بِٱلْخُطَبِ ٱلطِّوَالِ وَتَارَةً وَحْيَ ٱلْمَلَاحِظِ خَشْيَةَ ٱلرُّقَبَاءِ

[مدارُ البلاغةِ علىٰ تحسينِ اللفظِ]

ومِنَ الدليلِ على أنَّ مدارَ البلاغةِ تحسينُ اللفظِ: أنَّ الخطبَ الفائقة والأشعارَ الرائقة ما عُمِلَتْ لإفهامِ المعاني فقطْ ؛ لأنَّ الرديءَ مِنَ الألفاظِ يقومُ مقامَ الجيدِ منها في الإفهامِ ، وإنَّما يَدُلُّ حسنُ الكلامِ ، وإحكامُ الصنعةِ ، ورونتُ ألفاظِهِ ، وجودةُ مقاطعِهِ ، وبديعُ مباديهِ ، وغريبُ مبانيهِ . . على فضلِ قائلِهِ ، وفهمِ منشيهِ ، وأكثرُ هاذهِ الأوصافِ ترجعُ إلى الألفاظِ دونَ المعاني ، ولهاذا يتأنَّقُ الكاتبُ في الرسالةِ ، والخطيبُ في الخُطبةِ ، والشاعرُ المعاني ، ولهاذا يتأنَّقُ الكاتبُ في الرسالةِ ، والخطيبُ في الخُطبةِ ، والشاعرُ

⁽۱) انظر « ديوان أبي تمام » (١٥٣/٣) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٤) .

في القصيدة ، ويبالغونَ في تجويدِها ، ويغلونَ في ترتيبِها ؛ ليدلُّوا علىٰ براعتِهِم ، وحذقِهِم بصناعتِهِم ، ولو كانَ الأمرُ في المعاني . . لَطرحوا أكثرَ ذلكَ ، فربحوا كدًا كثيراً ، وأسقطوا عن أنفسِهِم تعباً طويلاً .

ودليلٌ آخَرُ: أنَّ الكلامَ إذا كانَ لفظُهُ حلواً عذباً ، وسلساً سهلاً ، ومعناهُ وسطاً . . دخلَ في جملةِ الجيِّدِ ، وجرىٰ معَ الرائعِ النادرِ ؛ كقولِ الشاعرِ (۱) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنى كُلَّ حَاجَةٍ وَمسَّحَ بِٱلْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ وَشُدَّتْ عَلَىٰ حُدْبِ ٱلْمَهَارِي رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ ٱلْغَادِي ٱلَّذِي هُوَ رَائِحُ أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ ٱلْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ ٱلْمَطِيِّ ٱلْأَبَاطِحُ

فليسَ تحتَ هانه الألفاظِ كبيرُ معنى ، وهيَ رائقةٌ معجبةٌ ، وإنَّما المعنى : ولمَّا قضينا الحجَّ ومسَّحْنا ، وشُدَّتْ رحالُنا على مهاري الإبلِ . . سرْنا نتحدَّثُ في بطونِ الأوديةِ .

وباردُ الشعرِ مثلُ قولِ عمرِو بنِ معديكربَ (٢): [من السريع]

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَىٰ وَجَارَاتُهَا مَا قَطَّرَ ٱلْفَارِسَ إِلَّا أَنَا شَكَحُتُ بِٱلرُّمْحِ سَرَابِيلَهُ وَٱلْخَيْلُ تَعْدُو زِيَماً حَوْلَنَا

زيماً ؛ أي : مُتفرّقةً .

وقولِ أبي العتاهيةِ (٣):

مَاتَ وَٱللَّهِ سَعِيدُ بْنُ وَهُبِ رَحِمَ ٱللَّهُ سَعِيدَ بْنَ وَهُبِ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٥) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٥) .

⁽٣) انظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٤٩٥) .

٤١٦

يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبْكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبْكَيْتَ قَلْبِي وَالْبَارِدُ في شعر أبي العتاهيةِ كثيرٌ.

والشعرُ كلامٌ منسوجٌ ، ولفظٌ منظومٌ ، وأحسنُهُ ما تلاءمَ نسجُهُ ولم يسخفُ ، وأحسنُهُ ما تلاءمَ نسجُهُ ولم يسخف ، وحَسُنَ نظمُهُ ولم يهجنْ ، ولم يُستعمَلْ فيهِ الغليظُ مِنَ الكلامِ فيكونَ جلفاً بغيضاً ، ولا السُّوقيُّ مِنَ الألفاظِ فيكونَ مهلهلاً دُوَيناً ؛ فالبغيضُ كقولِ أبي تمام (١٠):

قَدْ كَانَ حُزْنُ ٱلْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ حَتَّىٰ دَعَاهُ ٱلْحَیْنُ لِلْإِسْهَالِ جَعَلُوا ٱلْقَنَا ٱلدَّرَجَاتِ وَٱلْأَدْحَالِ تَ ٱلْغِیلِ وَٱلْحَرَجَاتِ وَٱلْأَدْحَالِ

قلتُ : هاذانِ البيتانِ المُستكرَهانِ مِنْ أبياتِ قصيدةٍ فتحيَّةٍ معتصميةٍ ، مِنْ غررِ قصائدِ أبي تمامٍ ، البيتُ الأوَّلُ في صفةِ حالِ العدقِ أوَّلاً وآخراً ؛ وذلكَ أنَّهُ كانَ ممتنعاً بإقامتِهِ في أماكنَ مرتفعةٍ وعرةٍ ذاتِ أشجارٍ ومهاوي ، فكانَ لا يقدرُ عليهِ ، وهوَ معنى قولِهِ :

قَدْ كَانَ حَزْنُ ٱلْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ

أي: أشدُّ الخطبِ في سكناهُ حزنَ الأرضِ ، وهوَ ضدُّ السهلِ ، والبيتُ الثاني في صفةِ عسكرِ المعتصمِ ؛ أي: جعلوا القنا سُلَّماً لهاذهِ المواضعِ المرتفعةِ الوعرةِ المشتملةِ على الشجرِ المُلتفِّ ؛ وهوَ الغيلُ والحرجاتُ ، ومهاوٍ ؛ وهيَ الأدحالُ ، وقولِهِ (٢):

يَا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَلَذَا ٱلْأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ وَلا خَيرَ في المعاني إذا استُكرِهَتْ قهراً ، والألفاظِ إذا أُجبِرَتْ قَسْراً ، ولا

⁽۱) انظر « دیوان أبی تمام » (۱۳۷/۳ ـ ۱۳۸) .

⁽٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٤٠٥/٢) .

خيرَ فيما أُجيدَ لفظُهُ إذا سَخُفَ معناهُ ، وللكنْ في غرابةِ المعنى إذا شَرُفَ لفظُهُ ، معَ وضوح المغزى ، وظهورِ المقصدِ .

وقدْ غلبَ الجهلُ على قومٍ فصاروا يستجيدونَ الكلامَ إذا لم يقفوا على معناهُ إلا بكدٍ ، ويستعظمونَهُ إذا وجدوا ألفاظَهُ كَزَّةً غليظةً ، ويستحقرونَ الكلامَ إذا رأَوهُ سلساً عذباً ، وسهلاً حلواً ، ولم يعلموا أنَّ السهلَ أمنعُ جانباً ، وأعزُ مطلباً ، وهوَ أحسنُ موقعاً ، وأعذبُ مستمعاً ، ولهاذا قيلَ : أجودُ الكلامِ السهلُ الممتنعُ .

ويُحكى (١): أنَّ الفضلَ بنَ سهلِ وصفَ عمرَو بنَ مسعدةَ فقالَ: هوَ أبلغُ الناسِ ، ومِنْ بلاغتِهِ يَظُنُّ الظانُّ أنَّهُ يكتبُ مثلَ كتبِهِ ، فإذا رامَها . . تَعذَّرَتْ عليهِ .

وأنَّ إبراهيمَ بنَ العباسِ بنِ الأحنفِ أنشدَ يوماً بعضَ أصحابهِ (٢):

إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سِيلَ لَمْ يَبْذُلْ وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتِبِ صَبُّ بِعِصْيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ ٱلْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ

ثمَّ قالَ : هنذا واللهِ الشعرُ ، الحسنُ المعنى ، السهلُ اللفظِ ، العذبُ المُستمَعِ ، القليلُ النظيرِ ، العزيزُ الشبيهِ ، المُطمِعُ المُمتنِعُ ، البعيدُ معَ قربِهِ ، المُستمَعِ ، القليلُ النظيرِ ، العزيزُ الشبيهِ ، المُطمِعُ المُمتنِعُ ، البعيدُ معَ المُسلِمُ واللهِ أحسنُ مِنْ الصَّعبُ معَ سهولةٍ ، فجعلَ أصحابُهُ يقولونَ : هنذا الكلامُ واللهِ أحسنُ مِنْ شعرهِ .

وأنَّهُ قيلَ للسيدِ الحميريِّ : ألا تستعملُ الغريبَ في شعرِكَ ؟ فقالَ :

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٧) .

⁽٢) انظر « ديوان إبراهيم بن العباس بن الأحنف » (ص ٢٣) ، و« الصناعتين » (ص ٦٧) .

ذلك عِيٌّ في زماني ، وتَكلُّفٌ منِّي لو قلتُهُ ، وقد رُزِقتُ طبعاً واتساعاً في الكلام ، وأنا أقولُ ما يَعرِفُهُ الصغيرُ والكبيرُ ، ولا يحتاجُ إلىٰ تفسيرٍ ، ثمَّ أنشدَ (١):

أَيَا رَبِّ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِاللَّذِي بِهِ مَدَحْتُ عَلِيّاً غَيْرَ وَجْهِكَ فَٱرْحَمِ فَهَا رَبِّ إِنِّي لَمْ عُاقلٍ يضعُ الشيءَ موضعَهُ ، ويستعملُهُ في إبَّانِهِ .

ومِنَ الكلامِ المطبوعِ السهلِ (٢): ما وَقَّعَ بهِ عليُّ بنُ عيسى : قد بَلَّغتُكَ أقصى طَلِبَتِكَ ، وأنتَ معَ ذلكَ تَستقِلُّ كثيري ، وأستقبحُ حسني فيكَ ، فأنتَ كما قيلَ : [من مشطور الرجز]

كَٱلْحُوتِ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ يُلْهَمُهُ يُطْمِّانَ وَفِي ٱلْبَحْرِ فَمُهُ

ومِنَ المنظومِ المُطمِعِ المُمتنِعِ: قولُ البحتريِّ عفا اللهُ عنهُ (٣): [من الخفيف]

نَمْ هَنِيئاً فَلَسْتُ أَطْعَمُ غُمْضَا لَكَ نَوْمِي وَمَضْجَعاً قَدْ أَقْضَا وَفُؤَادِي فِي لَوْعَةٍ مَا تَقَضَّىٰ وَفُؤَادِي فِي لَوْعَةٍ مَا تَقَضَّىٰ وَأَثِبْنِي بِٱلْحُبِّ إِنْ كَانَ قَرْضَا بِجُفُونٍ فَوَاتِرِ ٱللَّحْظِ مَرْضَىٰ بِجُفُونٍ فَوَاتِرِ ٱللَّحْظِ مَرْضَىٰ

أَيُّهَا ٱلْعَاتِبُ ٱلَّذِي لَيْسَ يَرْضَىٰ إِنَّ بِي مِنْ هَوَاكَ وَجْداً قَدِ ٱسْتَهْ فَجُفُونِي فِي عَبْرَةٍ لَيْسَ تَرْقَىٰ فَجُفُونِي فِي عَبْرَةٍ لَيْسَ تَرْقَىٰ أَحْيِنِي بِٱلْوِصَالِ إِنْ كَانَ جُوداً بَأْبِي شَادِنٌ تَعَلَّقَ قَلْبِي

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٧) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٨) .

^(*) انظر « ديوان البحتري » (1718/1 - 1717) ، و« الصناعتين » (∞ 7 - ∞) .

يَتَشَنَّىٰ تَشَنِّي ٱلْغُصْنِ غَضًا لِي عَنْ بَعْضِ مَا أَتَيْتُ وَأَغْضَىٰ لِي عَنْ بَعْضِ مَا أَتَيْتُ وَأَغْضَىٰ لَا وَلَتْماً طَوْراً وَشَمّاً وَعَضَّا دَ فَأَبْكَىٰ كُومَ ٱلْمَطَايَا وَأَنْضَىٰ وَسِعَ ٱلرَّاغِبِينَ طُولاً وَعَرْضَا وَقَعَاتٍ مِنَ ٱلْحُسَامِ وَأَمْضَىٰ وَقَعَاتٍ مِنَ ٱلْحُسَامِ وَأَمْضَىٰ وَقَعْضَا وَقَعْمُ وَقَعْمَ وَالْمَالَ وَقَعْضَا وَقَعْضَا وَقَعْضَا وَقَعْضَا وَالْمَا وَقَعْضَا وَقَعْضَا وَقَعْضَا وَقَعْضَا وَقَعْضَا وَقَعْمَ وَقَعْضَا وَقَعْضَا وَقَعْمُ وَالْمَالَ وَقَعْمُ وَالْمَالَ وَقَعْضَا وَالْمَالَ وَقَعْضَا وَالْمَالَ وَقَعْضَا وَالْمَالَ وَلَعْضَا وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمُ وَالْمَالَ وَالْمَا وَالْمَالَ وَالَعْمَا وَالْمَالَ وَالْمُلْمِ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمُعْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمُعْلَى الْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالَ وَالْمَالُ وَالْمَالَ وَالْمَالَعُلَا و

لَسْتُ أَنْسَاهُ إِذْ بَدَا مِنْ قَرِيبٍ وَاعْتِذَارِي إِلَيْهِ حِينَ تَجَافَىٰ وَاعْتِلَاقِي تُقَاحَ حَدَّيْهِ تَقْبِي وَاعْتِلَاقِي تُقَاحَ حَدَّيْهِ تَقْبِي وَاعْتِلَاقِي تُقَاعَ خَدَيْهِ تَقْبِي أَلَّهُ هَا ٱلرَّاكِبُ ٱلَّذِي طَلَبَ ٱلْجُو زُرْ حِياضَ ٱلْإِمَامِ تَلْقَ نَوَالاً هُو أَنْ دَىٰ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَأُوْحَىٰ هُو أَنْ دَىٰ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَأُوْحَىٰ يَتَوَقَى ٱلْإِحْسَانَ قَوْلاً وَفِعْلاً يَتَوَقَى ٱلْإِحْسَانَ قَوْلاً وَفِعْلاً فَضَالَ ٱللهُ جَعْفَراً بِخِللٍ فَعَالاً وَقَولاً فَها:

ويقولُ فيها :

وَأَرَى ٱلْمَجْدَ بَيْنَ عَارِفَةٍ مِنْ لَكَ تُرَجَّىٰ وَعَزْمَةٍ مِنْكَ تُمْضَىٰ

قلتُ : قولُ البحتريِّ : (أَيُّها العاتبُ الذي ليسَ يرضىٰ) : لم يقلْ : أَيُّها الساخطُ الذي ليسَ يرضىٰ ؛ ليحصلَ الطِّباقُ في كلامِهِ ، معَ ولوعِهم بالبديعِ إذ ذاكَ ؛ لأنَّ لفظَ العاتبِ آدَبُ وأحشمُ ، معَ أنَّهُ لم يَفتْهُ الطِّباقُ ؛ فإنَّ العتبَ يستلزمُ السُّخطَ ، فاجتمعَ لهُ معَ الطِّباقِ المعنويِّ الكنايةُ الظريفةُ ، فهوَ مِنْ تحيُّرِ الألفاظِ ، ونبَّهتُكَ بهاذا لأن تصرِفَ التفاتكَ إلى ملاحظةِ مثلِهِ ، فتلتزمَ التأنِّي في تَعرُّفِ لطائفِ الكلامِ ، فلا تدرسُهُ درساً وتمرَّ عليه مرّاً بحيثُ تفوتُكَ بغيتُكَ وأنتَ مكدودٌ في طلبها .

وقولُهُ: (أبكى كومَ المطايا) ليسَ مِنَ البكاءِ ، وإنَّما هوَ مِنَ البكْءِ ؛ وهوَ ذهابُ اللبنِ ، بكأتِ الناقةُ كمَنَعَ ، فهوَ وما بعدَهُ عبارةٌ عن إهزالِ المطايا تدريجاً .

ومِنْ هاذا الموضعِ تَعرِفُ أَنَّهُ ينبغي أَن تكونَ الأمورُ على حَسَبِ الأزمنةِ ، فربَّما كانَ الأمرُ مستحسناً في زمنٍ حَسَبَ أحوالِ أهلِهِ ، ويصيرُ في زمنٍ آخَرَ غيرَ مستحسنٍ حَسَبَ تغيُّرِ الأحوالِ ، أَلا ترىٰ أَنَّ الشِّعرَ في الصَّدرِ الأوَّلِ كانَ على صورةٍ لم يكنْ عليها بعدُ ، حتى دخلَ في صورٍ شتَّى ، وكانَ المُتأخِّرُ معيباً باستعمالِهِ في صورةِ الأوَّلِ .

ثمَّ هلذا لا يَخُصُّ الشعرَ والإنشاءَ ، فلقد سمعتَ قولَ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ : لا تَقسِروا أولادَكُم على آدابِكُم ، فإنَّهُم مخلوقونَ لزمانٍ غيرِ زمانِكُم (١٠).

وكانَ أَخذُ الأَجرةِ علىٰ تعليمِ القرآنِ محكوماً بحرمتِهِ ، ثمَّ أفتى العلماءُ بعدُ بجوازِهِ للضَّرورةِ ، ولذلكَ شواهدُ كثيرةٌ ، وهذهِ الإشارةُ كافيةٌ ، ونرجعُ لِمَا نحنُ فيهِ ، قالَ أبو هلالٍ (١٠): ومِنْ أمثلةِ السهلِ : قولُ محمدِ بنِ وهبِ (٢٠):

مَا زَالَ يُلْشِمُنِي مَرَاشِفَهُ وَيُعِلُّنِي ٱلْإِبْرِيقُ وَٱلْقَدَحُ حَتَّى ٱسْتَرَدَّ ٱللَّيْلُ خِلْعَتَهُ وَنَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ وَبَدَا ٱلصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهُ ٱلْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ أَنْتَ ٱلَّذِي بِكَ يَنْقَضِي [فَرَجاً] ضِيقُ ٱلْبِلَادِ لَنَا وَيَنْفَسِحُ نَشَرَتْ بِكَ ٱلدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا وَتَزَيَّنَتْ بِصِفَاتِكَ ٱلْمِدَحُ

⁽۱) تقدم (۱۹۳/۳) .

⁽٢) انظر «الصناعتين» (ص ٦٩).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٦٩ _ ٧٠) .

ومِنَ السهلِ المطبوع المختارِ الجيدِ : قولُ الآخَرِ (١) : [من مجزوء الوافر]

صَرَفْتَ ٱلدَّهْرَ فَانْصَرَفَا وَلَهُ تَرْعَ ٱلَّذِي سَلَفَا وَلَهُ تَرْعَ ٱلَّذِي سَلَفَا وَلِهُ أَمُتُ أَسَفَا

كِ لَانَا وَاجِدٌ فِي ٱلنَّا سِ مِحمَّنْ مَلَّهُ خَلَفًا

وليسَ الغرضُ مِنْ سهولةِ الكلامِ وبيانِ معناهُ أن يبلغَ إلى حدِّ مثلِ قولِ بعضِهِم (٢):

يَا رَبِّ قَدْ قَالٌ صَبْرِي وَضَاقَ بِالْحُبِّ صَدْرِي وَالْسَحُ بِ صَدْرِي وَالْسَحَةُ شَوْقِي وَوَجْدِي وَسَيِّدِي لَيْسَ يَدْرِي لَيْسَ يَادُرِي مُنْ فَالِي وَلَا يُسْسَ يَارْحَمُ ضَرِّي مُنْ فَالِي وَلَا يُسْسَ يَارْحَمُ ضَرِّي وَلَا يُسْسَ يَارْحَمُ ضَرِّي إِنْ كَانَ أُعْطِي ٱصْطِبَاراً فَلَسْتُ أَمْلِكُ صَبْرِي إِنْ كَانَ أُعْطِي ٱصْطِبَاراً فَلَسْتُ أَمْلِكُ صَبْرِي أَنْ كَانَ أُعْطِي ٱصْطِبَاراً وَنَا فَلَسْتُ أَمْلِكُ صَبْرِي أَنْ اللهِ وَنَا فَلَا اللهِ اللهِ وَنَا فَلَا اللهِ وَاللهِ وَنَا لَيْتَ بَيْتَكَ قَبْرِي وَقَالَ لِي مِنْ قَرِيبٍ يَالَيْتَ بَيْتَكَ قَبْرِي

فإنَّهُ إذا لانَ الكلامُ حتى يصيرَ إلى هذا الحدِّ . . فليسَ فيهِ خيرٌ ، لا سيَّما إذا ارتُكِبَتْ فيهِ مثلُ هذهِ الضَّروراتِ ؛ فإنَّ تسكينَ الياءِ مِنْ (أُعطي) غيرُ جائز ، والفداءُ ممدودٌ قصرَهُ .

وأمًّا الجزلُ المُختارُ مِنَ الكلام (٣) . . فهوَ الذي تَعرفُهُ فُطناءُ العامَّةِ إذا

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠).

سمعوهُ ، ولا يستعملونَهُ في محاوراتِهِم ؛ كقولِ القائلِ (١): [من البسيط] لا تَسْأَلِ ٱلْقَوْمَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ قَدْ يُقْتِرُ ٱلْمَرْءُ يَوْماً وَهُوَ مَحْمُودُ الْمَضِي عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ وَالِدِي سَلَفَتْ وَفِي أَرُومَتِهِ مَا يُنْبِتُ ٱلْعُودُ وَمِنَ النثرِ (٢): قولُ يحيى بنِ خالدٍ: أعطانا الدهرُ فأسعف ، ثمَّ عطف علينا فعسف .

قلتُ: يحيى هاذا هو ابنُ خالدِ بنِ برمكَ ، أبو الفضلِ وجعفرٌ ، وهُمُ الوزراءُ المشهورونَ بالبرامكةِ ، وكانوا بلغوا مِنَ المنزلةِ وعُلُوِّ الشأنِ مبلغاً لم يَصلْهُ غيرُهُم ، وكانَ الرشيدُ يقولُ ليحيىٰ : يا أبي ؛ لكونِهِ كانَ تولَّىٰ تربيتَهُ ، وكانَ يُسمِّي الفضلَ وجعفراً أخويهِ ، ثمَّ لم تزلْ بهِمُ الأيامُ حتى اقتضت أسبابُ تغيُّرَ قلبِ الخليفةِ عليهِم تغيراً أوجبَ حبسَهُم وإهانتَهُم ، وإخلاءَ الدنيا منهُم ، ومِنْ شعرِ يحيىٰ وهوَ في السِّجنِ :

سَأَلُونَا عَنْ حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ مَنْ هَوَىٰ عَرْشُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ نَحْنُ قَوْمٌ أَصَابَنَا عَنَتُ ٱلدَّهُ لِ فَظَلْنَا لِحُكْمِهِ نَسْتَكِينُ

وجميعُ كلامِهِم نثراً ونظماً كانَ على هاذهِ الصُّورةِ ، فرحمَهُمُ اللهُ تعالى .

قالَ أبو هلالٍ (٣): ومِنْ شواهدِ ذلك : ما كتبَ [سعيدُ] بنُ حميدٍ في الاستعطافِ واسترجاعِ المَودَّةِ: وأنا مَنْ لا يُحاجُّكَ عن نفسِهِ ، ولا يُغالطُكَ عن جرمِهِ ، ولا يلتمسُ رضاكَ إلَّا مِنْ جهتِهِ ، ولا يستدعي هواكَ إلَّا مِنْ طريقتِهِ ، ولا يستميلُكَ إلَّا بالإقرارِ بالذنبِ ، ولا يستميلُكَ إلَّا بالاعترافِ بالجُرْم ، نبَتْ بي عنكَ غِرَّةُ الحداثةِ ، ورَدَّتْني إليكَ الحنكةُ ، وباعدَتْني بالجُرْم ، نبَتْ بي عنكَ غِرَّةُ الحداثةِ ، ورَدَّتْني إليكَ الحنكةُ ، وباعدَتْني

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢) .

⁽۲) انظر « الصناعتين » (ص ۷۲) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٧) .

منكَ الثقةُ بالأيامِ ، وقادَتْني إليكَ الضَّرورةُ ، فإن رأيتَ أن تستقبلَ الصَّنيعةَ بقَبولِ العذرِ ، وتُجدِّدَ النعمةَ باطراحِ الحقدِ ؛ فإنَّ قديمَ الحرمةِ وحديثَ التوبةِ يمحقانِ ما بينَهُما مِنَ الإساءةِ ، وإنَّ أيامَ القدرةِ إن طالَتْ قصيرةٌ ، [والمتعة] بها وإن كثرَتْ قليلةٌ . . فعلتَ .

وفي هاذا الكلامِ وما قبلَهُ قُوَّةٌ في سهولةٍ .

وممّا هو أجزلُ مِنْ هلذا (١): قولُ الشعبيّ للحَجَّاجِ وأرادَ قتلَهُ ؛ لخروجِهِ عليهِ معَ ابنِ الأشعثِ: أجدبَ بنا الجنابُ ، وأحزنَ بنا المنزلُ ، فاستحلسنا الحذرَ ، واكتحلنا السهرَ ، وأصابَتْنا فتنةٌ لم نكنْ فيها بررةً أتقياءَ ، ولا فجرةً أقوياءَ ؛ فعفا عنه .

فأجودُ الكلامِ (٢): ما يكونُ جزلاً سهلاً ، لا يَنغلِقُ معناهُ ، ولا يَستبهِمُ مغزاهُ ، ولا يَستبهِمُ مغزاهُ ، ولا يكونُ بريئاً مِنَ العَثاثةِ ، عارياً مِنَ الرَّثاثةِ .

والكلامُ إذا كانَ لفظُهُ غثّاً ، ومعرضُهُ رثّاً . . كانَ مردوداً ولوِ احتوىٰ على المحلّ معنى وأنبلِهِ وأرفعِهِ وأفضلِهِ ؛ كقولِ بعضِهِم (٣): [من البسيط]

أَرَىٰ رِجَالاً بِأَدْنَى ٱلدِّينِ قَدْ قَنِعُوا وَلا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي ٱلْعَيْشِ بِٱلدُّونِ فَالْمَنْ بِٱلدِّينِ فَا الْمُلُوكِ كَمَا ٱسْ تَغْنَى ٱلْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ ٱلدِّينِ فَٱسْتَغْنِ بِٱلدِّينِ عَنْ دُنْيَا ٱلْمُلُوكِ كَمَا ٱسْ

قالَ أبو هلالٍ : فمثلُ هاذا لا يَدخُلُ في جملةِ المختارِ ، ومعناهُ كما تَراهُ نبيلٌ فاضلٌ جليلٌ .

^{. (} VT = VY = 0) . (VT = VY = 0) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٣) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٣).

ولا أرئ لمثلِ هاذا معنى (1) فهوَ كلامٌ مُنحرِفٌ وضيعٌ ، لم يجعلْ نفسهُ في الرُّتبةِ التي أعدَّها لهُ الدِّينُ ؛ فإنَّهُ لا ينبغي مِنَ العلماءِ أن يَنعزِلوا ناحيةً عن ساسةِ الناسِ ، بل يجبُ عليهِم أن يخالطوهُم مُخالطةً يَتحيَّنُونَهُم فيها بالموعظةِ ، ويُعطِّفونَهُم على الهدى ، ويرشدونَهُم لصنعِ الجميلِ ؛ فإنَّ الدِّينَ والدنيا لا يَصِحُّ فصلُهُما ، كما قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « لَا قَنْ الدِّينَ والدنيا أن فَنِعْمَتْ مَطِيَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ ، عَلَيْهَا يَبْلُغُ ٱلْخَيْرَ ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ الشَّرِ » (٢).

⁽١) القائل هنا هو المؤلف ضمن نقله عن صاحب « الصناعتين » .

⁽٢) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (٢٠٥٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

[خطأً المعاني وصوابُها]

ثمَّ قالَ أبو هلالٍ (''): وللمعاني خطأٌ وصوابٌ ، وأنا مُنبِّهٌ عليهِما ؛ ليتتبعَ مَنْ يريدُ العملَ برسمِنا مواقعَ الصَّوابِ فيلزمَها ، ويقفَ على مواقعِ الخطأ فيجتنبَها ، فنقولُ:

إِنَّ الكلامَ أَلفاظٌ تَشتمِلُ على معانٍ تَدُلُّ عليها ، وتُعبِّرُ عنها ، فيَحتاجُ صاحبُ البلاغةِ إلى إصابةِ المعنى كحاجتِهِ إلى تحسينِ اللفظِ ؛ لأنَّ المَدارَ بعدُ على إصابةِ المعاني ؛ فإنَّها تَحُلُّ مِنَ الكلامِ مَحَلَّ الأبدانِ ، والألفاظُ تجري معَها مَجْرى الكسوةِ ، ومزيةُ إحداهُما على الأخرى معروفةٌ .

ومَنْ عرفَ ترتيبَ المعاني واستعمالَ الألفاظِ على وجوهِها بلغةٍ مِنَ اللغاتِ ، ثمَّ انتقلَ إلى لغةٍ أخرى . . تَهيَّأَ لهُ فيها مِنْ صنعةِ الكلامِ ما تَهيَّأَ لهُ فيها مِنْ صنعةِ الكلامِ ما تَهيَّأَ لهُ في الأولى ، ألا ترى أنَّ عبدَ الحميدِ الكاتبَ استخرجَ أمثلةَ الكتابةِ التي رسمَها لِمَنْ بعدَهُ مِنَ اللسانِ الفارسيِّ ، فحَوَّلَها إلى اللسانِ العربيِّ ؟! فلا يستكملُ صناعةَ الكلامِ إلَّا بإصابةِ المعنى ، وتصحيحِ اللفظِ ، والمعرفةِ بوجوهِ الاستعمالِ .

والمعاني على ضربين:

أحدُهُما: يبتدعُهُ صاحبُ الصِّناعةِ مِنْ غيرِ أَن يكونَ لهُ فيهِ إمامٌ يقتدي بهِ ، ولا رسومٌ قائمةٌ في أمثلةٍ ماثلةٍ يعملُ عليها ، وهاذا الضَّرْبُ ربَّما يقعُ عليهِ عندَ الخُطوبِ الحادثةِ ، ويَتبيَّنُهُ عندَ الأمور النازلةِ الطارئةِ .

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٥) .

والآخَرُ: ما يحتذيهِ على مثالٍ تَقدَّمَ ورسم فرطً.

وينبغي أن يطلبَ الإصابة في جميع ذلك ، ويتوخَّىٰ فيهِ الصورة المقبولة ، والعبارة المستحسنة ، ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلةِ ابتكارهِ إيَّاه ، ولا يعتدَّ بابتداعِهِ له ذلك الاعتداد ، فيساهل نفسه في تهجينِ صورتِهِ ، فيُذهب حسنَه ويَطمِس نورَه ، ويكون فيهِ إلى الذمِّ أقربَ منه إلى المدح .

والمعاني بعد ذلك على وجوه :

منها: ما هوَ قبيحٌ مستقيمٌ ؛ نحوُ قولِكَ : (قد زيداً رأيتُ) ، وإنَّما قَبُحَ ؛ لأنَّكَ أفسدتَ النظامَ بالتقديم والتأخيرِ .

ومنها: ما هو مستقيمُ النظمِ وهوَ كذبٌ ؛ مثلُ قولِكَ: حملتُ الجبلَ ، وشربتُ ماءَ البحر.

[ومنها] : ما هو مُحالٌ ؛ كقولِكَ : آتيكَ أمسِ ، وأتيتُكَ غداً ، وكلُّ مُحالٍ فاسدٌ ، وليسَ كلُّ فاسدٍ مُحالاً ، ألا ترى أنَّ قولَكَ : (قامَ زيدٌ) فاسدٌ ، وليسَ بمُحالٍ ، فالمُحالُ : ما لا يجوزُ كونُهُ ألبتةَ ؛ كقولِكَ : الدنيا [في] بيضةٍ ، وأمَّا قولُكَ : (حملتُ الجبلَ) وأمثالَهُ . . فكذبٌ وليسَ بمُحالٍ ؛ لإمكانِ أن يزيدَ اللهُ في قُوَّتِكَ فتحملَهُ .

ويجوزُ أن يكونَ الكلامُ الواحدُ كذباً ومحالاً ؛ كقولِكَ : رأيتُهُ قائماً قاعداً ، ومررتُ بيقظانَ نائمٍ ، فتصلُ كذباً بمحالٍ ، فصارَ الذي هوَ الكذبُ هوَ المحالَ ؛ بالجمعِ بينَهُما ، وإن كانَ لكلِّ واحدٍ منهُما معنىً على حيالِهِ .

ومنها: الغَلَطُ ؛ وهوَ أن يقولَ : ضربَني زيدٌ ، وأنتَ تريدُ : ضربتُ زيداً ، فغلطتَ ، فإن تعمدتَ . . كانَ كذباً .

وللخطأ صورٌ مختلفةٌ أُنبِّهُكَ على أشياءَ منها ، وأُبيِّنُ وجوهَها ، وأشرحُ أبوابَها ؛ لتقفَ على أمثالِهِ ممَّا أبوابَها ؛ لتقفَ على أمثالِهِ ممَّا تركتُ ، ومَنْ لا يَعرِفُ الخطأ . . كانَ جديراً بالوقوع فيهِ .

فمِنْ ذٰلكَ : قولُ امرئ القيسِ (١) :

[من الطويل]

أَلَمْ تَسْأَلِ ٱلرَّبْعَ ٱلْقَدِيمَ بِعَسْعَسَا كَأَنِّي أُنَادِي أَوْ أُكَلِّمُ أَخْرَسَا

فهاندا فاسدٌ ؛ لأنَّهُ لا يُقالُ : كلمتُ حجراً فلم يجبني ، فكأنَّهُ كانَ رجلاً .

وتبعَهُ أبو نُواسِ فقالَ يصفُ داراً (٢):

[من السريع]

كَأَنَّهَا [إذْ] خَرِسَتْ حَازِمٌ بَيْنَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ

والجيدُ قولُ كُثيرٍ في امرأةٍ (٣):

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْماً لَهَا ٱلنَّفْسُ ذَلَّتِ كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ مِنَ ٱلصُّمّ لَوْ تَمْشِي بِهَا ٱلْعُصْمُ زَلَّتِ

فَشَبَّهَ المرأة عندَ السكوتِ والتغافلِ بالصَّخرةِ ؛ يعني : أنَّ وضعَ التشبيهِ على أن يُشبَّهَ الضَّعيفُ بالقويِّ إذا لم يكنِ الغرضُ مُجرَّدَ التعريفِ كما سلفَ

لكَ في البيانِ .

ولا يَحسُنُ التشبيهُ المقلوبُ إلَّا إذا اشتملَ على نكتةٍ كما سلفَ أيضاً ، وهاذانِ التشبيهانِ منهُ ، ولم تظهرْ نكتةٌ مُحسِّنةٌ لهُ فيهِما ظهورَها في قولِ ابن [وُهَيبِ] : (وبدا الصباحُ) (على المسلم) (الم

⁽١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٠٥) ، و« الصناعتين » (ص ٧٧) .

⁽۲) انظر « الصناعتين » (ص ۷۷) .

⁽٣) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٩٧) .

⁽٤) انظر « معاهد التنصيص » (٥٧/٢) .

ومِنْ خطأ المعنىٰ قولُ الراعي (١): [من البسيط] يَكْسُو ٱلْمَفَارِقَ وَٱللَّبَّاتِ ذَا أَرَج مِنْ قُصْبِ مُعْتَلِفِ ٱلْكَافُورِ دَرَّاج

أرادَ المسكَ ، فجعلَهُ مِنْ قصبِ الظباةِ ، والقُصْبِ ـ بضمِّ فسكونٍ ـ : المعيُ ، جعلَ الظباءَ تعتلفُ الكافورَ ، فيَتولَّدُ منها لذلكَ المسكُ ، وهاذا مِنْ طرائفِ الغَلَطِ .

وقريبٌ منهُ قولُ زهير (٢):

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ مَاؤُهَا طَحِلٌ عَلَى ٱلْجُذُوعِ تَخَافُ ٱلْغَمَّ وَٱلْغَرَقَا

ظَنَّ أَنَّ الضَّفادعَ يخرجنَ مِنَ الماءِ مخافةَ الغرقِ .

ومثلُهُ قولُ ابنِ أحمرَ (٣):

لَمْ يَدْرِ مَا نَسْجُ ٱلْيَرَنْدَجِ قَبْلَهَا

فظنَّ اليرندجَ منسوجاً ، وهوَ جلدٌ أسودُ يُعمَلُ منهُ الخفافُ ، وأصلُ الكلمةِ فارسيةٌ .

ومِنَ الغَلَطِ مثلُ قولِ امرئ القيسِ (١): [من الطويل]

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي ٱلْقَلْبَ يَفْعَلِ

وإذا لم تغررُها هاذهِ الحالُ منهُ . . فما الذي يَغُرُّها ؟! وليسَ للمُحتجِّ عنهُ أن يقولَ : إنَّهُ إنَّما عنى بالقتلِ التبريحَ ؛ فإنَّ الذي يلزمُهُ معَ ذكرِ القتلِ يلزمُهُ أيضاً معَ ذكرِ التبريح .

⁽۱) انظر « ديوان الراعى النميري » (ص ٥٣) .

⁽٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلميٰ » (ص ٤٥) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٨) ، والبيت بتمامه : لَـمْ يَـدْرِ مَا نَـسْجُ ٱلْـيَـرَنْـدَج قَبْلَهَا وَرَاسُ أَعْـــوَصَ دَارِسٍ مُــتَــخَــدِّدِ

⁽٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٣) .

وممَّا أُخِذَ أيضاً على امرئ القيسِ: قولُهُ في الفرسِ ('): [من الطويل] فَلِلسَّوْطِ أُلْهُ وبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ فَلِلسَّوْطِ أُلْهُ وبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ فَلِلسَّوْطِ أُلْهُ وبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِللَّهُ مَا زادَ على ذلكَ ، فالجيدُ فلو وصفَ أخس حمارٍ وأضعفَهُ . . ما زادَ على ذلكَ ، فالجيدُ قولُهُ (''):

عَلَىٰ سَابِحٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَرْيٍ غَيْرَ كَزٍّ وَلَا وَانِ فَانِينَ جَرْيٍ). فما سمعنا أبلغ ولا أجود مِنْ قولِهِ: (أفانينَ جري).

وقولُ علقمةً (٣):

فَأَذْرَكَهُ نَّ ثَانِياً مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ ٱلرَّائِحِ ٱلْمُتَحَلِّبِ فَأَذْرَكَهُ نَّ الْمُتَحَلِّبِ فَقَالَ: أَدركَ طريدتَهُ وهوَ ثانٍ مِنْ عنانِهِ ولم يَضرِبْ بسوطٍ ، ولم يُمْرِهِ بساقِ ، ولم يَزجُرْهُ بصوتٍ .

قلتُ : وكذلكَ الجَوادُ إنَّما يرفعُ رأسَهُ بشدِّ العنانِ ، فيَعرِفُ أن قد أُرِيدَ منهُ الجريُ ، فيخرجُ ما عندَهُ .

ويُحكىٰ: أنَّ امراً القيسِ لمَّا قالَ قصيدةَ هاذا البيتِ ، وقالَ علقمةُ الفحلُ قصيدتَهُ التي في رويِّها ووزنِها . . تحاكما إلىٰ أُمِّ جندبٍ زوجِ امرئ القيسِ ، فحكمَتْ لعلقمةَ على امرئ القيسِ بهاذينِ البيتينِ ، فطَلَّقَها ، وتَزوَّجَها علقمةُ (١) ، وسنوردُ لكَ القصيدتينِ بعدُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ (٥) .

⁽۱) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٥١) .

⁽٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٩١) .

⁽٣) انظر « ديوان علقمة بن عبدة » (ص ١٧) ، و« الصناعتين » (ص ٨٠) .

⁽٤) انظر « خزانة الأدب » (٢٨٣/٣) .

⁽٥) انظر ما سيأتي من قصيدة امرئ القيس (١٤١/٤) ، وقصيدة علقمة الفحل (١٥٤/٤) .

وممَّا عبدَ ويُعاتُ قولُ الأعشي (١٠):

وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِقَتٍّ وَتَعْلِيفٍ وَقَدْ كَادَ يَسْنَقُ

أي: تصيبُهُ التخمةُ ، واليحمومُ: اسمُ فرس الملكِ ، يقولُ: إنَّهُ يأمرُ لفرسِهِ كلَّ عشيةٍ بقَتٍّ وتعليفٍ ، وهنذا ممَّا لا يُمدَحُ بهِ الملوكُ ، بل ولا رجلٌ مِنْ خساس الناس.

وقريبٌ منهُ قولُ الأخطل (٢):

[من الطويل]

وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ ٱلْخِلَافَةَ مِنْهُمُ لِأَبْلَجَ لَا عَارِي ٱلْخُوَانِ وَلَا جَدْبِ يقولُهُ في عبدِ الملكِ ، ومثلُ هنذا لا يُمدَحُ بهِ الملوكُ .

وأطرفُ منهُ قولُ كثيرِ بنِ عبدِ الرحمانِ الخزاعيِّ (٣): [من الطويل]

غَزَا كَامِنَاتِ ٱلصَّدْرِ مِنِّي فَنَالَهَا وَإِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِلُطْفِهِ

فجعلَ أميرَ المؤمنينَ يَتودَّدُ إليهِ .

وقولُهُ لعبدِ العزيز بن مروانَ : [من الوافر]

وَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضَبَابِي أَجَابَتْ حَيَّةٌ تَحْتَ ٱلْحِجَابِ وَتَرْقِينِي لَكَ ٱلرَّاقُونَ حَتَّىٰ

وإنَّما يُمدَحُ الملوكُ بمثل قولِ الشاعر (١٠): [من الطويل]

وَهِمَّتُهُ ٱلصُّغْرَىٰ أَجَلُّ مِنَ ٱلدَّهْر لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَىٰ لِكِبَارهَا لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى ٱلْبَرِّ كَانَ ٱلْبَرُّ أَنْدَىٰ مِنَ ٱلْبَحْر

[من الطويل]

⁽١) انظر « ديوان الأعشىٰ » (٦٦/٢) .

⁽٢) انظر « ديوان الأخطل » (ص ٣٣) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٨١).

⁽٤) انظر «الصناعتين» (ص ٨١).

ومثلُ قولِ النابغةِ (١):

فَإِنَّكَ كَٱللَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُدْرِكِي

ومِنْ غفلةِ كثير قولُهُ في المنى (٢):

أَلَا لَيْتَنَا يَا عَزُّ كُنَّا لِذِي غِنيً كِلَانَا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ نَكُونُ لِذِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغَفَّل

إِذَا مَا وَرَدْنَا مَنْهَالاً هَاجَ أَهْلُهُ فقالَتْ لهُ عزَّةُ: لقد أردتَ بي الشقاءَ الطويلَ .

ومِنْ قبيح التمنِّي قولُ جنادةً (٣):

مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَّىٰ أَنْ يُلَاقِيَنِي

لِكَىْ يَكُونَ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ

ومثلُ قبح هاذا التمنِّي قبحُ دعاءِ عبدِ بني الحسحاسِ إذ يقولُ (١٤): [من الطويل] وَأَحْمَىٰ عَلَىٰ أَكْبَادِهِنَّ ٱلْمَكَاوِيَا وَرَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْنَنِي

وللناسِ في المني كلامٌ كثيرٌ ، بينَ مدحِ لها واستحسانٍ ، وذمِّ واستهجانٍ ، قالَ الشاعرُ (*): [من الطويل]

أَمَانِيَّ مِنْ لَيْلَىٰ حِسَانٌ كَأَنَّمَا سَقَتْنِي بِهَا لَيْلَىٰ عَلَىٰ ظَمَأَ بَرْدَا

[من الطويل]

وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ ٱلْمُنْتَأَىٰ عَنْكَ وَاسِعُ [من الطويل]

بَعِيرَيْنِ نَرْعَىٰ فِي ٱلْخَلَاءِ وَنَعْزُبُ عَلَىٰ حُسْنِهَا جَرْبَاءُ [تُعْدِي] وَأَجْرَبُ فَلَا هُوَ يَرْعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ إِلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُّ نُرْمَىٰ وَنُضْرَبُ

وَتُضْمِرَ ٱلنَّفْسُ بَأْساً ثُمَّ تَسْلَاهَا

[من البسيط]

مِنْ نَحْوِ بَلْدَتِهَا نَاعِ فَيَنْعَاهَا

⁽۱) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٣٨) .

⁽٢) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ١٦١) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٨٢) .

⁽٤) انظر « ديوان سحيم عبد بني الحسحاس » (ص ٢٤).

⁽٥) انظر « الصناعتين » (ص ٨٣) .

وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَناً رَغْدَا
[من البسيط]
مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ ٱلْأَمَل

مَا أَضِيَقُ الْعَيْشُ لَوْلاً فَسْحَةَ الْأَمَلِ

وَقَاتَلَ ذِكْرَاكَ ٱلسِّنِينَ ٱلْخَوَالِيَا إِذَا هَوِيَتُهُ ٱلنَّفْسُ يَا لَيْتَ ذَا لِيَا

ومِنْ خطأً الوصفِ: قولُ أبي ذؤيبٍ في صفةِ فرسٍ (٣): [من الكامل]

بِٱلنَّيِّ فَهُوَ يَسُوخُ فِيهِ ٱلْإِصْبَعُ إِلَّهُ يَتَنَصَّعُ

قالَ الأصمعيُّ (أ) : هاذه الفرسُ لا تساوي درهمَينِ ؛ لأنَّهُ جعلَها كثيرةَ اللحم ، رخوةً يدخلُ فيها الإصبعُ .

وإنَّما تُوصَفُ بهاذا الشاءُ يُضحَّىٰ بها، وجعلَها لا تجري إلَّا بالاستقرار.

ومِنْ خطأ المعاني قولُ الأعشىٰ (٥):

وَمَا رَابَهَا مِنْ رِيبَةٍ غَيْرَ أَنَّهَا رَأَتْ لِمَّتِي شَابَتْ وَشَابَتْ لِدَاتِيَا وَمَا رَابَهَا مِنْ ريبة عندَ امرأةٍ أعظمُ مِنْ شيبِ ؟!

مُنىً إِنْ تَكُنْ حَقّاً تَكُنْ أَحْسَنَ ٱلْمُنَىٰ

أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلْآمَالِ أَرْقُبُهَا

أَلَا قَاتَلَ ٱللهُ ٱلطُّلُولَ ٱلْبَوَالِيَا

وَقَوْلَكَ لِلشَّيْءِ ٱلَّذِي لَا تَنَالُهُ

قَصَرَ ٱلصَّبُوحَ لَهَا [فَشَرَّجَ] لَحْمَهَا

تَأْتِي بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا ٱسْتُكُرهَتْ

ومِنْ ذمّ التمنِّي قولُ عنترةً (١):

وللطغرائيّ (١):

⁽۱) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٦) .

⁽۲) انظر « ديوان عنترة العبسى » (ص ۲۲٤) .

⁽٣) انظر « ديوان الهذليين » (١٦/١ ـ ١٧) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٨٤) .

⁽٥) انظر « الصناعتين » (ص ٨٩) .

۱) انظر « ديوان عنثره العبسي » (ص

[من البسيط]

[من البسيط]

مِنَ ٱلْحَوادِثِ إِلَّا ٱلشَّيْبَ وَٱلصَّلَعَا

جَهْلاً بِأُمّ خُلَيْدٍ حَبْلَ مَنْ تَصِلُ

رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَدَهْرٌ خَائِنٌ خَتِلُ

ومثلُهُ قولُ الآخَرِ (`` : وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ ٱلَّذِي نَكِرَتْ

والكرَّتْنِي وما كان الَّذِي لَكِرُتُ

وأعجبُ منهُ قولُهُ (٢):

صَدَّتْ هُرَيْرَةُ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا

أَإِنْ رَأَتْ رَجُلاً أَعْشَىٰ أَضَرَّ بِهِ

وأيُّ شيءٍ أبغضُ عندَ النساءِ مِنَ العَشا ؟!

وأعجبُ ما في هاذا الكلامِ أنَّهُ قالَ: مَنْ تصلُ بعدي هاذهِ المرأةُ وأنا بهاذهِ الصفةِ مِنَ العشا والفقرِ والشيبِ ؟! فلا ترى كلاماً أحمقَ مِنْ هاذا !!

ومِنَ الخطأ قولُ مَنْ أرادَ أن يَفتخِرَ ، فأوقعَ نفسَهُ في أخسِ تشبيهٍ حيثُ يقولُ (٣):

تَعَرَّضَتْ تَيْمُ لِي عَمْداً لِأَهْجُوهَا كَمَا تَعَرَّضَ لِأَسْتِ ٱلْخَارِئُ ٱلْحَجَرُ

ومِنَ الخطأ في التشبيبِ : قولُ كُثيرٍ (١٠) : [من الطويل]

وَمَا رَوْضَةٌ بِٱلْحَزْنِ [طَيِّبَةُ] ٱلثَّرَىٰ يَمُجُّ ٱلنَّدَىٰ جَثْجَاتُهَا وَعَرَارُهَا بِأَطْيَبَ مِنْ [أَرْدَانِ] عَزَّةَ مَوْهِناً وَقَدْ أُوقِدَتْ بِٱلْمَنْدَلِ ٱلرَّطْبِ نَارُهَا

يُقالُ: إنَّ عجوزاً لقيَتْهُ وبيدِها روثةٌ عليها نارٌ وضعَتْ فيها مندلاً ، فقالَتْ لهُ: لم تزدْها في الصِّفةِ على هذا!!

⁽١) هو للأعشى . انظر « ديوانه » (٢٨٠/١) .

⁽٢) انظر « ديوان الأعشىٰ » (٢٠٦/١) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٩٤) .

⁽٤) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٤٢٩ _ ٤٣٠) .

والصَّوابُ في مثلِ ذلكَ قولُ امرئ القيسِ ('': [من الطويل] أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ فَجعلَها طيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ فَجعلَها طيبة الذاتِ .

ومِنْ عيوبِ المديحِ: عدولُ المادحِ عنِ الفضائلِ التي تَخُصُّ النفسَ ؛ مِنَ العقلِ ، والعِفَّةِ ، والعدلِ ، والشجاعةِ . . إلى ما هوَ مِنْ أوصافِ الجسمِ ؛ كقول ابن الرقيَّاتِ في ابنِ مروانَ (٢):

يَ أُتَلِقُ ٱلتَّاجُ فَوْقَ مَ فُرِقِهِ عَلَىٰ جَبِينٍ كَأَنَّهُ ٱلذَّهَبُ لِيَا الْخَفِيفِ [من الخفيف] فغضبَ عبدُ الملكِ وقالَ: قد قلتَ في مصعبٍ (٣):

إِنَّ مَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ ٱللهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ ٱلظَّلْمَاءُ

فأعطيتَهُ المدحَ بكشفِ الغممِ وجلاءِ الظلمِ ، وأعطيتَني ما لا فخرَ فيهِ ؟ وهوَ اعتدالُ التاجِ فوقَ جبيني الذي هوَ كالذهبِ في النضارةِ ، ذلكَ إلىٰ ما رميتَني بهِ مِنْ صفةِ الأعاجم ؟!

وجيدُ المدح قولُهُ (١):

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا وَأَنَّهُمْ سَادَةُ ٱلْأَنَامِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ ٱلْعَرَبُ

[من المنسرح]

⁽١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٤١).

⁽٢) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٥).

⁽٣) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٩١) .

⁽٤) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٤).

ومِنَ التقصيرِ في المديحِ (١): ما تراهُ فيما يُحكى : أنَّهُ اجتمعَ جريرٌ والفرزدقُ عندَ الحَجَّاجِ ، فقالَ : مَنْ مدحَني منكُما بشعرٍ يُوجِزُ فيهِ ويُحسِنُ القولَ في صفتي . . فهاذهِ الخِلْعةُ لهُ ، فقالَ الفرزدقُ : [من الطويل]

وَمَنْ يَأْمَنِ ٱلْحَجَّاجَ وَٱلطَّيْرُ يَتَّقِي عُقُوبَتَهُ إِلَّا ضَعِيفُ ٱلْعَزَائِمِ
فقالَ جريرٌ:

فقالَ جريرٌ: [من الطويل] وَمَنْ يَأْمَن ٱلْحَجَّاجَ أَمَّا عِقَابُهُ فَـوَثِيتُ وَأَمَّا عَـقْدُهُ فَـوَثِيتُ

عُسِرُّ لَكَ ٱلْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقِ كَمَا كُلُّ ذِي دِينِ عَلَيْكَ شَفِيقُ يُسِرُّ لَكَ ٱلْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقِ كَمَا كُلُّ ذِي دِينِ عَلَيْكَ شَفِيقُ

فقالَ الحَجَّاجُ للفرزدقِ : ما عملتَ شيئاً ؛ فإنَّ الطيرَ يتَّقي مِنَ الصَّبيِّ والخشبةِ ، ودفعَ الخلعةَ إلى جريرِ .

ومِنْ خطأ المدحِ : قولُ مروانَ بنِ أبي حفصةَ في المأمونِ (١) : [من البسيط]

أَضْحَىٰ إِمَامُ ٱلْهُدَى ٱلْمَأْمُونُ مُشْتَغِلاً بِٱلدِّينِ وَٱلنَّاسُ بِٱلدُّنْيَا مَشَاغِيلُ

وحينَ أُنشِدَ هاذا البيتُ لعمارةَ بنِ عقيلٍ . . قالَ لهُ : ما زدتَهُ على أن وصفتَهُ بصفةِ عجوزٍ في يدِها سُبحةٌ ، هلّا قلتَ كما قالَ جدِّي _ يعني :

جريراً _ في عمر بنِ عبدِ العزيزِ (٣): [من الطويل]

فَلَا هُوَ فِي ٱلدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبَهُ وَلَا عَرَضُ ٱلدُّنْيَا عَنِ ٱلدِّينِ شَاغِلُهْ

ومِنَ الغَلَطِ: قولُ أبي تمامٍ (١٠٠٠: [من الطويل]

رَقِيقُ حَوَاشِي ٱلْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفَّيْكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدُ

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ١٠٧) .

⁽٢) انظر « ديوان ابن أبي حفصة » (ص ١١٧) .

⁽٣) انظر « ديوان جرير » (٧٠٣/٢) .

⁽٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٨٨/٢) .

وما وصفَ أحدٌ مِنْ أهلِ الجاهليةِ ولا أهلِ الإسلامِ الحِلْمَ بالرِّقَّةِ ، وإنَّما يصفونَهُ بالرُّعجانِ والرزانةِ ، كما قالَ الشاعرُ (١): [من الكامل]

أَحْلَامُنَا تَزِنُ ٱلْجِبَالَ رَزَانَةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى ٱلْجُهَّالِ

[مرجع أسبابِ الخطأ في المعاني]

هنذا ؛ ومرجعُ أسبابِ الخطأ في المعاني : إلى الجهلِ بالأحوالِ ، والغفلةِ عمَّا ينبغي أن يُقالَ ، ومَنْ لم يَتكلَّمْ إلَّا بعدَ علم ، ولم يُخاطِبْ إلَّا بعدَ صحَّةِ فهم . . نجا مِنَ الوقوع في مثلِ ما وقعَ فيهِ أولئكَ .

وحَسْبُكَ هَاذَا دليلاً مرشداً إلى اعتبارِ غيرِهِ بهِ ، فيقوى التفاتُكَ ، ويزيدُ انتباهُكَ ؛ حتى تعتبرَ كلَّ مَقامٍ ، وتَنطِقَ فيهِ بما يليقُ بهِ ، وتهتدي إلى ذلكَ تمامَ الاهتداء ؛ بمطالعةِ أقوالِ مَنِ اتفقَ الناسُ على استحسانِ أقوالِهِم ، والمبالغةِ في تأمُّلِها ، ذاكراً تلكَ الانتقاداتِ وما أشبهها ، ممَّا لا يَصعُبُ عليكَ ملاحظتُهُ ، معَ ما ضُربَ لكَ مِنَ الأمثلةِ .

فإذا رعيتَ ذلكَ ، وقد وجدتَ مِنْ طبعِكَ استعداداً لإنشاءِ الكلامِ وتحريرِ النظامِ ؛ بأن تكونَ قويَّ الحافظةِ والذاكرةِ ، بحيثُ يكونُ استحضارُكَ لِمَا تَمَسُّ إليهِ الحاجةُ مِنَ الألفاظِ ومصنوعِ العباراتِ كالأمثالِ أسرعَ مِنَ البرقِ . . فأقبلُ على ذلكَ ، وإلَّا . . فدعِ التكلُّف ؛ فإنَّهُ ليسَ يأتي منكَ بخيرٍ ، تكدُّ فكرَكَ ، وتُضيِّعُ وقتَكَ ، وتؤذي سامعَكَ ، وقلْ : إنَّ الفضلَ بيدِ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ .

وتَذكَّرْ ما رُوِيَ عنِ المُبرِّدِ حيثُ يقولُ (٢): لا أحتاجُ إلى وصفِ نفسي ؟

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ١٢٦) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٠) .

لأنّ الناس يعلمون أنّه ليس أحدٌ مِن الخافقين يَختلِجُ في نفسِهِ مسألةٌ مشكلةٌ إلّا لقيَني بها ، وأعدّني لها ، فأنا عالمٌ ومُتعلّمٌ ، وحافظٌ ودارسٌ ، لا يَخفىٰ عليّ مُشتبِهٌ مِنَ الشعرِ والنحوِ والكلامِ المنثورِ والخُطَبِ والرسائلِ ، ولَربّما احتجتُ إلى اعتذارٍ مِنْ فلتةٍ ، والتماسِ حاجةٍ ؛ فأجعلُ المعنى الذي أقصدُهُ نصبَ عيني ، ثمّ لا أجدُ سبيلاً إلى التعبيرِ عنه بيدٍ ولا لسانٍ ، ولقد بلغني أنّ عبدَ اللهِ بنَ سليمانَ ذكرَني بجميلٍ ، فحاولتُ أن أكتبَ إليهِ رقعةً أشكرُهُ فيها ، وأُعَرِّضَ ببعضِ أموري ، فأتعبتُ نفسي يوماً في ذلكَ ، فلم أقدرْ علىٰ ما أرتضيهِ منها ، وكنتُ أحاولُ الإفصاحَ عمّا في ضميري ، فيَنحرِفُ لساني إلىٰ غيرهِ .

وما حُكِيَ عن بعضِ أكابرِ العلماءِ وقد قيلَ لهُ: لِمَ لا تقولُ الشعرَ ؟ فقالَ : ما أرضاهُ لا يَجيئني ، ويَجيئني ما لا أرضاهُ (١).

وعنِ اليونانيِّ الذي كانَ يُعلِّمُ الشعرَ ، فتَبرعُ فيهِ تلامذتُهُ وهوَ لا يقولُهُ ، فشئِلَ في ذلكَ ، فقالَ : أنا كالمِسَنِّ ؛ أرهفُ ولا أقطعُ (٢).

فهاذا اعترافُ العُقلاءِ الراضينَ بما قُسِمَ لهُم ، الواقفينَ عندَ حدودِهِم ، المُتحقِّقينَ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « مَنْ طَلَبَ مَا لَمْ يُخْلَقْ . . تَعِبَ وَلَمْ يُرْزَقْ » (٣) .

(8) (6) (8)

ثمَّ ليكنْ أمرُ الكاتبِ في الكتابةِ على ما وصفَ أبو هلالٍ ؛ حيثُ يقولُ '' : واعلمْ : أنَّ المعانيَ التي تُنْشَأُ الكتبُ فيها مِنَ الأمرِ والنهي . . سبيلُها أن

⁽١) هو ابن المقفع . انظر « البيان والتبين » (٢٠٨/١) .

⁽٢) انظر « الحيوان » للجاحظ (٢٩٠/١).

⁽٣) أورده العلامة نظام الدين النيسابوري في « تفسير غرائب القرآن » (٣٠/٣) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٢) .

تُوكَّدَ غاية التوكيدِ بجهةِ كيفيةِ نظمِ الكلامِ ، لا بجهةِ كثرةِ اللفظِ ؛ لأنَّ حكم ما يَنفُذُ مِنَ السُّلطانِ في كتبِهِ شبيهٌ بحكمِ توقيعاتِهِ ؛ مِنِ اختصارِ اللفظِ ، وتأكيدِ المعنى ، هذا إذا كانَ الأمرُ والنهيُ واقعَينِ في جملةٍ واحدةٍ لا تقعُ فيها وجوهُ التمثيلِ للأعمالِ ، فأمَّا إذا وقعا في ذلكَ الجنسِ . فإنَّ الحكم فيها يخالفُ ما ذكرناهُ ، وسبيلُ الكلامِ فيها : أن يُحمَلَ على الإطالةِ والتكريرِ دونَ الحذفِ والإيجازِ ؛ وذلكَ مثلُ ما يُكتَبُ عنِ السُّلطانِ في أمرِ الأموالِ وجبايتِها واستخراجِها ، فسبيلُ الكلامِ أن تُقدِّمَ فيهِ ذكرَ ما رآهُ السُّلطانُ في وجبايتِها واستخراجِها ، فسبيلُ الكلامِ أن تُقدِّمَ فيهِ ذكرَ ما رآهُ السُّلطانُ في ذلكَ ودَبَّرَهُ ، ثمَّ تُعقِّبَ في ذكرِ الأمرِ بامتثالِهِ ، ولا تَقتصِرْ على ذلكَ حتى والتقصير .

ومنها: الإحمادُ والإذمامُ ، والثناءُ والتقريظُ ، والذَّمُّ والاستصغارُ ، والعذلُ والتوبيخُ ، وسبيلُ ذلكَ : أن يُشبِعَ الكلامَ فيهِ ، ويَمُدَّ القولَ حَسَبَ ما تقتضيهِ والتوبيخُ ، وسبيلُ ذلكَ : أن يُشبِعَ الكلامَ فيهِ ، ويَمُدَّ القولَ حَسَبَ ما تقتضيهِ آثارُ المكتوبِ إليهِ في الإحسانِ والإساءةِ ، والاجتهادِ والتقصيرِ ؛ ليَرتاحَ بذلكَ قلبُ المُسيءِ ويأخذَ نفسَهُ بالارتداع .

فأمّا ما يكتبُهُ العُمّالُ إلى الأُمراءِ ومَنْ فوقَهُم .. فإنّ سبيلَ ما كانَ واقعاً منها في إنهاءِ الأخبار ، وتقرير صورةِ ما يَلونَهُ مِنَ الأعمالِ ، ويجري على أيديهِم مِنْ صُنوفِ الأموالِ : أن يَمُدّ القولَ حتى يبلغَ غايةَ الشفاءِ والإقناعِ وتمامَ الشرحِ والاستقصاءِ ؛ إذ ليسَ للإيجازِ والاقتصارِ فيهِ موضعٌ ، ويكونُ ذلكَ بالألفاظِ السهلةِ ، القريبةِ المأخذِ ، السريعةِ إلى الفهمِ ، دونَ ما يقعُ فيهِ استكراهٌ وتعقيدٌ .

وربَّما تَعرِضُ الحاجةُ في إنهاءِ الخبرِ إلى استعمالِ الكنايةِ والتوريةِ عنِ الشيءِ دونَ الإفصاحِ بهِ ؛ لِمَا في التصريحِ مِنْ هَتْكِ [السترِ]، وفي حكايتِهِ عن عدوٍ ما أطلقَ لسانَهُ بهِ ؛ مِنِ اطِّراحِ مَهابةِ الرئيسِ ، فيجبُ إجلالُهُ عنهُ ،

وفي الصِّدقِ ما يَسوءُهُ سماعُهُ ، ويقعُ بخلافِ مَحبَّتِهِ ، فيَحتاجُ منشئُ الكتابِ إلى استعمالِ لفظٍ في العبارةِ لا [تنخرقُ] معَهُ هيبةُ الرئيسِ ، ولا يعرِضُ فيهِ بما يشتدُّ عليهِ ، ولا يكونُ أيضاً معَها خيانةٌ في طيِّ ما يجبُ نشرُهُ ، ولا يكملُ لهاذا إلَّا المُبرّزُ الكاملُ المُقدَّمُ .

وسبيلُ ما يُكتَبُ بهِ في بابِ الشكرِ: ألّا يقعَ فيهِ إسهابٌ ؛ فإنَّ إسهابَ المبالغِ في الشكرِ يرجعُ إلى نوع مِنَ الإبرامِ والتثقيلِ ، ولا يَحسُنُ منهُ أن يَستعمِلَ الإكثارَ مِنَ الثناءِ والدعاءِ أيضاً ؛ فإنَّ ذلكَ فعلُ الأباعدِ الذينَ لم يَتقدَّمْ لهُم وسائلُ مِنَ الخدمةِ ، ومُقدِّماتُ مِنَ الحرمةِ ، وتكونُ صناعتُهُم التكسبَ بتقريظِ الملوكِ ، وإطراءِ السلاطينِ ، فلا يقبحُ إكثارُ الثناءِ مِنْ هلؤلاءِ .

وليسَ يَحسُنُ تكريرُ الدعاءِ في صُدورِ الكتبِ والرِّقاعِ ، وعندَ ما يجريهِ مِنْ ذكرِ الرئيسِ ؛ فإنَّ ذلكَ مَشغلةٌ وكُلفةٌ ، وحكمُ ما يُستعمَلُ مِنْ ذلكَ في الكتبِ حكمُ ما يُستعمَلُ شفاهاً منهُ .

ويَقبُحُ مِنْ خادمِ السُّلطانِ أن يشغلَ سمعَهُ في مخاطبتِهِ إيَّاهُ بكثرةِ الدعاءِ لهُ ، وتكريرهِ عندَ استئنافِ كلّ لفظةٍ .

وسبيلُ ما يَكتبُ بهِ التابعُ إلى المتبوعِ في معنى الاستعطافِ ومسألةِ النظرِ: ألَّا يكثرَ مِنْ شكايةِ الحالِ ورقَّتِها ، واستيلاءِ الخصاصةِ عليهِ فيها ؛ فإنَّ ذلكَ يجمعُ إلى الإضجارِ والإبرامِ شكايةَ الرئيسِ بسوءِ حالِهِ وقِلَّةِ ظهورِ نعمتِهِ عليهِ ، وهاذا عندَ الرُّؤساءِ مكروهٌ جدّاً ، بل يجبُ أن يجعلَ الشِّكايةَ ممزوجةً بالشكرِ والاعترافِ بشمولِ النعمةِ وتوفيرِ الفائدةِ .

وسبيلُ ما يُكتَبُ بهِ في الاعتذارِ مِنْ شيءٍ: أن يَتجنَّبَ الإطنابَ والإسهابَ الله إيرادِ النكتِ التي يَتوهَّمُ أنَّها مُقنِعةٌ في إزالةِ الموجدةِ ، ولا يمعنَ في تبرئةِ ساحتِهِ مِنَ الإساءةِ والتقصيرِ ، فإنَّ ذلكَ ممَّا يَكرهُهُ الرُّؤساءُ ، والذي

جرتْ بهِ عادتُهُمُ استحسانُ الاعترافِ مِنْ خَدَمِهِم وخَولِهِم بالتقصيرِ والتفريطِ في قضاءِ حقوقِهِم ، وتأديةِ فروضِهِم ؛ ليكونَ لهُم فيما يعقبونَ بهِ ذلكَ مِنَ العفوِ والتجاوزِ موضعُ مِنَّةٍ مستأنفةٍ تستدعي شكراً ، وعارفةٍ مُستجدةٍ تقتضي نشراً ، وأمَّا إذا بالغَ المُتنصِّلُ في براءةِ ساحتِهِ مِنْ كلِّ ما قُذِفَ بهِ . . فلا موضعَ للإحسانِ إليهِ في إعفائِهِ مِنْ تركِ التسخُّطِ ، بل ذلكَ أمرٌ واجبُ لهُ ، وفي منعِ الرئيسِ حِصَّتَهُ منهُ ظلمٌ وإساءةٌ .

وينبغي ألَّا يكثرَ الألفاظَ عندَهُ ، وإنِ احتاجَ إلىٰ إعادةِ المعاني . . أعادَ ما يعيدُهُ منها بغيرِ اللفظِ الذي ابتدأَهُ بهِ ؛ مثلُ ما قالَ معاوية : مَنْ لم يكنْ في بني عبدِ المطلبِ جواداً . . فهوَ دخيلٌ ، ومَنْ لم يكنْ مِنْ بني الزبيرِ شجاعاً . . فهوَ لزيتٌ ، ومَنْ لم يكنْ مِنْ المنيدُ] (١٠) .

والمعنى واحدٌ ، والكلامُ على ما تراهُ حسنٌ ، ولو قالَ : (لزيقٌ) ثمَّ أعادَهُ . . لسَمُجَ هلذا .

قلتُ: فهاذا مثالٌ رسمَهُ أبو هلالٍ ؛ ليكونَ عملُ الكاتبِ على موجبِهِ ، وليسَ ويهتديَ بهِ إلىٰ رعايةِ مقاماتِ الخطابِ في سائرِ أصنافِ المعاني ، وليسَ على المُؤلِّفِ أن يُبيِّنَ لكَ عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ ، وإنَّما عليهِ أن يُعيِّنَ لكَ الطريقَ التي ينبغي أن تَسلكَها ، ثمَّ تستعملَ ذوقَكَ وقُوَّةَ فكرِكَ في تمييزِ الأشياءِ ، وإعطاءِ كلِّ شيءٍ حقَّهُ ، حَسَبَ ما تقفُ عليهِ مِنَ الآدابِ التي أودعَتْها أسلافُكَ في منشآتِهِم نثراً ونظماً ، وما يَخصُّكَ بهِ الفتاحُ العليمُ ممَّا يشاكلُ ذلكَ وينتظمُ في سلكِهِ .

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٤) .

[حسن النظم وجودة الرَّصفِ والسَّبكِ]

ثمَّ قالَ أبو هلالٍ في الإبانةِ عن حسنِ النظمِ وجودةِ الرَّصفِ والسَّبكِ (١): أجناسُ الكلامِ المنظومةِ ثلاثةٌ: الرسائلُ ، والخُطَبُ ، والشعرُ ، وجميعُها يحتاجُ إلى علم حسنِ التأليفِ وجودةِ التركيبِ .

وحسنُ التأليفِ يزيدُ المعنى وضوحاً ، ومع سوءِ التأليفِ ورداءةِ الرَّصفِ والتركيبِ شعبةٌ مِنَ التعميةِ ، فإذا كانَ المعنى سيئاً ، ورصفُ اللفظِ جيداً . . كانَ أحسنَ موقعاً ، وأطيبَ مسمعاً ، فهوَ بمنزلةِ العقدِ ؛ إذا جعلَ كلُّ خرزةٍ إلى ما يليقُ بها . . كانَ رائقاً في المرأىٰ وإن لم يكنْ مرتفعاً نبيلاً ، وإنِ اختلَّ نظمُهُ ؛ فضُمَّتِ الحبَّةُ إلىٰ ما لا يليقُ بها . . اقتحمتُهُ العينُ وإن كانَ فائقاً ثميناً .

وحسنُ الرصفِ: أن تُوضَعَ الألفاظُ في مواضعِها ، وتُمكَّنَ مِن أماكنِها ، وحسنُ الرصفِ: أن تُوضَعَ الألفاظُ في مواضعِها ، وتُمكَّنَ مِن أماكنِها ، ولا يُستعمَلَ فيها التقديمُ والتأخيرُ ، والحذفُ والزيادةُ ، إلَّا حذفَ ما تقتضيهِ الأحوالُ المبينةُ بعلمِ المعاني ، ويُضَمَّ كلُّ لفظةٍ منها إلى شكلِها ، وتُضافَ إلىٰ وَفقِها .

وقالَ العتابيُّ (۲): الألفاظُ أجسادٌ ، والمعاني أرواحٌ ، وإنَّما نراها بعيونِ القلوبِ ، فإذا قَدَّمتَ منها مُؤخَّراً ، أو أَخَّرتَ منها مُقدَّماً . . أفسدتَ الصُّورةَ ، وغَيَّرتَ المعنى ، كما أنَّهُ لو حُوِّلَ رأسٌ إلى موضعِ يدٍ ، أو يدٌ إلى موضعِ رأس أو رجل . . لتَحوَّلَتِ الحليةُ ، وتَغيَّرَتِ الخِلْقةُ .

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٧).

⁽٢) انظر الصناعتين » (ص ١٦٧) .

وقد أحسنَ في هـٰذا التمثيلِ ، ونَبَّهَ بهِ علىٰ أنَّ الذي ينبغي في صنعتِهِ وضع كلِّ شيءٍ موضعَهُ ؛ ليخرجَ بذلكَ مِنْ سوءِ النظم .

فمِنْ سوءِ النظم : المعاظلةُ ؛ وقد مدحَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنهُ زهيراً بمجانبتِها ؛ إذ قالَ حينَ فَضَّلَهُ على الشُّعراءِ (١): كانَ لا يعاظلُ في شعرِهِ ، ولا يمدحُ الرجالَ إلَّا بما في الرجالِ .

وأصلُ هاذهِ الكلمةِ مِنْ قولِهم: تعاظلَتِ الجرادتانِ ؛ إذا رَكِبَتْ إحداهُما على الأخرى ، وعاظلَ الرجلُ على المرأةِ ؛ إذا ركبَها .

فمِنَ المعاظلةِ قولُ الفرزدقِ (٢):

نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ

تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي

[من الطويل]

[من الطويل]

تُخَامِصُ عَنْ بَرْدِ ٱلْوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ

وقولُهُ (٣):

وقولُ لبيدٍ (١):

تَخَامُصَ حَافِي ٱلْخَيْلِ فِي ٱلْأَمْعَزِ ٱلْوَجِي

أي : تخامص حافي الخيلِ الوجي في الأمعزِ .

[من الرمل]

وَشَمُ ولِ قَهْ وَهِ بَاكَرْتُهَا

فِي ٱلتَّبَاشِيرِ مِنَ ٱلصُّبْحِ ٱلْأُوَلْ [من الوافر]

وقولُ أبي حيَّةَ النُّميريِّ (٥):

يَـهُـودِيّ يُـقَارِبُ أَوْ يَـزِيـلُ

كَمَا خُطَّ ٱلْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْماً

قَلَّمَا عَلَوْسَ حَتَّىٰ هَجَتْهُ

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٨) .

⁽٢) انظر « ديوان الفرزدق » (٥٩٠/٢) .

⁽٣) هو للشماخ . انظر « ديوانه » (ص ٧٥) .

⁽٤) انظر « ديوان لبيد » رضى الله عنه (ص ١٨٢) ، وصدره فيه :

^(•) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١) .

وقولُ امرأةٍ مِنْ قيس (١):

[من الطويل]

هُمَا أَخَوَا فِي ٱلْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ إِذَا خَافَ يَوْماً نَبْوَةً فَدَعَاهُمَا تُولِهُ مَنْ لا أَخالهُ في الحرب.

وليسَ للمُحدَثِ أَن يقولَ: هاذهِ الأبياتُ حُجَّةٌ ، ويَبني عليها ؛ فإنَّهُ لا يُعذَرُ في شيءٍ منها ؛ لإجماعِ الناسِ اليومَ على مجانبةِ أمثالِها ، واستجادةِ ما يُصِحُّ مِنَ الكلام ، واسترذالِ ما يُشكِلُ ويَستبهِمُ .

قلتُ : وذلكَ لأنَّ الشعرَ وإن كانَ للعربِ صناعةً كما هوَ لغيرِهِم . . فإنَّهُم هُمُ المُخترِعونَ لهُ ، والسنةُ الإلهيَّةُ علىٰ أنَّ الفكرَ الإنسانيَّ لا يحيطُ بجميعِ ما يَحسُنُ في أمرٍ ويَقبُحُ ، وللكنْ يُلقىٰ في فكرٍ ما فاتَ غيرَهُ ، ولذلكَ كانَ شعراءُ العربِ ينتقدُ بعضُهُم على بعضٍ ، ومنهُ حصلَ التفاوتُ في البلاغةِ ، واختلفَ الناسُ في تفضيلِ شاعرٍ علىٰ شاعرٍ ، حتىٰ تَبيَّنَتْ محاسنُ الصِّناعةِ ومساويها ، فمَنْ أرادَ أن يكونَ مِنْ أهلِها . . فعليهِ أن ينتهيَ مِنَ التعلُّمِ إلىٰ غايتِهِ ؛ حتىٰ يَتمكَّنَ مِنْ إعطاءِ الصِّناعةِ حقَّها ، فقد نُصبَتْ لهُ الأمثلةُ ، وعُينَتْ لهُ الحدودُ .

قال أبو هلالٍ (۲): فمِنَ الكلامِ المستوي النظمِ ، الملتئمِ الرَّصفِ: قولُ أختِ طريفٍ ترثيهِ:

كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ٱبْنِ طَرِيفِ وَلَا ٱلْمَالَ إِلَّا مِنْ قَناً وَسُيُوفِ مَقَاماً عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ غَيْرَ خَفِيفِ

أَيَا شَجَرَ ٱلْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا فَتَى لا يُحِبُّ ٱلزَّادَ إِلَّا مِنَ ٱلتُّقَىٰ كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ طِعَانًا وَلَمْ تَقُمْ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١).

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١) .

فَلَا تَجْزَعَا يَا بْنَيْ طَرِيفٍ فَإِنَّنِي أَرَى ٱلْمَوْتَ حَلَّالاً بِكُلِّ شَرِيفِ

والمنظومُ الجيدُ : ما خرجَ مَخرجَ المنثورِ في سهولتِهِ وسلاستِهِ وسيولتِهِ وسيولتِهِ وقَلَةِ ضروراتِهِ ، ومِنْ ذلكَ قولُ بعض المُحدَثينَ (١) : [من المتقارب]

وُقُوفُكَ تَحْتَ ظِلَالِ ٱلسُّيُوفِ أَقَى الْسَحِلَافَةَ فِي دَارِهَا كَأَنَّكَ مُطَّلِعٌ فِي السُّيُوفِ إِذَا مَا تَنَاجَتْ بِأَسْرَارِهَا كَأَنَّكَ مُطَّلِعٌ فِي ٱلْقُلُوبِ إِذَا مَا تَنَاجَتْ بِأَسْرَارِهَا وَكَاتَ مُطَّلِعٌ فِي ٱلْقُلُوبِ إِلَيْكَ بِغَامِضِ أَحْبَارِهَا وَكَاتُ اللَّهُ اللَّالِي الللللَّالِي الللللْمُ اللَّهُ الللللْمُ الللْمُلْمُ اللَّهُ اللللللْمُ الللللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُلِلْمُ اللللللْمُ اللللللْمُلْمُ الللللْمُلِلْمُ الللللْمُ الللللللْمُلِلْمُ اللللللْمُلِلْمُ الللللْمُ الللللْمُلِلْمُ الللللْمُلِلْمُ اللللللْمُلِلْمُ الللللْمُ الللللللللْمُلْمُ اللللللْمُلِلْمُ الللللْمُ الللللِمُ اللللل

وَفِي رَاحَتَيْكَ ٱلرَّدَىٰ وَٱلنَّدَىٰ وَكِلْتَاهُمَا طَوْعُ مُمْتَارِهَا

وَأَقْضِيَةُ ٱللهِ مَحْتُومَةٌ وَأَنْتَ مُنَفِّذُ أَقْدَارِهَا

ولا تكادُ القصيدةُ تستوي أبياتُها في حسنِ التأليفِ ، ولا بدَّ أن تتخالفَ في ذلكَ ؛ كقولِ عبيدِ بنِ الأبرصِ (٢٠):

وَقَدْ عَلَا لِمَّتِي شَيْبٌ فَودَّعَنِي لَهُ ٱلْغَوانِي وَدَاعَ ٱلصَّارِمِ ٱلْقَالِي وَقَدْ أُسَلِّي هُمُومِي حِينَ تَحْضُرُنِي بِجَسْرَةٍ كَعَلَاةِ ٱلْقَيْنِ شِمْلَالِ وَقَدْ أُسَلِّي هُمُومِي حِينَ تَحْضُرُنِي بِجَسْرَةٍ كَعَلَاةِ ٱلْقَيْنِ شِمْلَالِ زَيَّافَةٍ بِقَتُودِ ٱلرَّحْلِ نَاجِيَةٍ تَنْفِي ٱلْهَجِيرَ بِتَبْغِيلِ وَإِرْقَالِ

فهاذا نظمٌ حسنٌ ، وتأليفٌ مختارٌ ، وفيها ما هوَ رديءٌ لا خيرَ فيهِ ؛ كقولِهِ : بَانَ ٱلشَّبَابُ فَآلَىٰ لَا يُلِمُّ بِنَا وَٱحْتَلَّ بِي مِنْ مَشِيبٍ كُلَّ مِحْلَالِ وَالْحَتَلَّ بِي مِنْ مَشِيبٍ كُلَّ مِحْلَالِ وَالْحَتَلَّ بِي مِنْ مَشِيبٍ كُلَّ مِحْلَالِ وَالْحَتَلَّ بِي مِنْ مَشِيبٍ كُلَّ مِحْلَالِ وَالْحَتَلَ بِي مِنْ مَشِيبٍ كُلَّ مِحْلَالِ وَالْحَتَلَ بِي مِنْ مَشِيبٍ كُلَّ مِحْلَالِ

فَبِتُّ أَلْعَنُهَا طَوْراً وَتَلْعَنُنِي ثُمَّ ٱنْصَرَفْتُ وَهِي مِنِّي عَلَىٰ بَالِ فَيِتُ أَلْعَنُهَا طَوْراً وَتَلْعَنُنِي ثُمَّ ٱنْصَرَفْتُ وَهِي مِنِّي عَلَىٰ بَالِ فقولُهُ: (واحتلَّ بي مِنْ مشيبٍ كلَّ مِحلالِ) بغيضٌ خارجٌ عن طريقِ

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ۱۷۲) .

⁽٢) انظر « ديوان عبيد بن الأبرص » (ص ٢٣ _ ٢٤) .

الاستعمالِ ، وأبغضُ منه قولُهُ : (وهيْ منِّي على بالِ) بتسكينِ (هي) ضرورةً .

وقولِهِ:

وَكَبْشِ مَلْمُومَةٍ بَادٍ نَوَاجِذُهَا شَهْبَاءَ ذَاتِ سَرَابِيلٍ وَأَبْطَالِ السَّرابِيلِ وَأَبْطَالِ السَّرابيلُ: الدُّروعُ ، فلو وضعَ السُّيوفَ معَ الدرعِ . . لَكانَ أجودَ ، ومثلُ هاذا النقدِ ممَّا سبقَتْ بهِ العربُ .

وقولِهِ :

وَقَهْوَةٍ كَرُضَابِ ٱلْمِسْكِ طَابَ بِهَا فِي دَنِّهَا كَرُّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالِ هَا دَا البيتُ متوسِّطٌ.

وقولِهِ :

بَاكَرْتُهَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُو ٱلصَّبَاحُ لَنَا فِي بَيْتِ مُنْهَمِرِ ٱلْكَفَّيْنِ مِفْضَالِ النصفُ الثاني خيرٌ مِنَ الأولِ ؛ فإنَّ قولَهُ : (باكرتُها) كافٍ ، وما بعدَهُ

وكقولِ النَّمِرِ بنِ تولبٍ (١): لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسِي وَرَابَنِي فُضُولٌ أَرَاهَا فِي أَدِيمِي بَعْدَمَا وَبُطْءٍ عَنِ ٱلدَّاعِي فَلَسْتُ بِآخِذِ كَأَنَّ مِحَطًا فِي يَدَيْ حَارِثِيَّةٍ

[من الطويل] مَعَ ٱلشَّيْبِ إِبْدَالُ ٱلَّتِي أَتَبَدَّلُ يَكُونُ [كِفَاف] ٱللَّحْمِ أَوْ هُوَ أَجْمَلُ سِلَاحِي إِلَيْهِ مِثْلَ مَا كُنْتُ أَفْعَلُ صَنَاع عَلَتْ مِنْي بِهِ ٱلْجِلْدَ مِنْ عَلُ

⁽۱) انظر « ديوان النمر بن تولب » (ص ٩٨) .

تَدَارَكَ مَا قَبْلَ ٱلشَّبَابِ وَبَعْدَهُ حَوادِثُ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْفُلُ يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ يَفْعَلُ يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ يَفْعَلُ فَكَيْفَ تَرَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ يَفْعَلُ فَهَاذُهِ الْأَبِياتُ جِيدةُ السَّبِكِ ، حسنةُ الرَّصفِ ، وقولُهُ:

فَلا ٱلْجَارَةُ ٱلدُّنْيَا لَهَا تُلْحِيَنَّهَا وَلَا ٱلضَّيْفُ عَنْهَا إِنْ أَنَاخَ مُحَوَّلُ

فالنصفُ الأوَّلُ مُختلُّ ؛ لأنَّهُ خالفَ فيهِ وجهَ الاستعمالِ ، ووجهُ الكلامِ : ولا تلحي جارتَها الدنيا ؛ أي : القريبةَ ، وأعطى المرأةَ في النصفِ الثاني ما ليسَ مِنْ صفتِها ، وقولُهُ :

إِذَا هَتَّكَتْ أَطْنَابَ بَيْتٍ وَأَهْلَهُ بِمَعْطِنِهَا لَمْ يُورَدُوا ٱلْمَاءَ قَيَّلُوا

هنذا مُضطرِبٌ ؛ لتناولِهِ المعنى مِنْ بُعدٍ ، ووجهُ الكلامِ : أن يقولَ : إذا دنت إبلُنا مِنْ حيّ ولم تَرِدْ إبلُهُمُ الماءَ . . قَيَّلُوا ، والقَيْلُ : شربُ نصفِ النهارِ ؛ يعني : أنَّهُم لعِزِّهِم وشِدَّةِ بأسِهِم متى وردوا ماءً وعندَهُم مَنْ سبقَهُم إليهِ . . قَدَّموهُم ولم يجسروا أن يَتقدَّمُوهُم ، بل يُضطَرُّونَ إلى تأخيرِ السَّقيِ لغيرِ وقتِهِ ؛ وهوَ نصفُ النهارِ ، ووقتُهُ الغداةُ .

ومثالُ حسنِ الرَّصفِ مِنَ المنثورِ: قولُ القائلِ: ولولا أنَّ أجودَ الكلامِ ما يَدُلُّ قليلُهُ علىٰ كثيرِهِ ، وتغني جملتُهُ عن تفصيلِهِ . . لَوَسَّعتُ نطاقَ القولِ فيما انطوىٰ عليهِ ؛ مِنْ خُلوصِ المَودَّةِ ، وصفاءِ المَحبَّةِ ، فجالَ مَجالَ الطَّرفِ في ميدانِهِ ، وتَصرَّفَ تَصرُّفَ الرَّوضِ في افتنانِهِ ، للكنِ البلاغةُ بالإيجازِ أبلغُ مِنَ البلاغةِ بالإطناب .

ومِنْ تمامِ حسنِ الرَّصفِ: أن يَخرجَ الكلامُ مَخرجاً يكونُ لهُ فيهِ طُلاوةٌ وماءٌ ، فربَّما كانَ الكلامُ مستقيمَ الألفاظِ ، صحيحَ المعاني ، ولا يكونُ لهُ رونتٌ ولا رُواءٌ ؛ وذلكَ بأن يَخرُجَ في غيرِ تَكلُّفٍ وكَدٍّ وشَدٍّ وتَفكُّرٍ وتَعمُّلٍ ،

ويكونَ سلسلاً سهلاً ، ولهُ ماءٌ ورُواءٌ ورقراقٌ ، وعليهِ فريدٌ لا يكونُ على غيرِهِ ممَّا عَسُرَ بروزُهُ ، واستُكرِهَ خروجُهُ ، تدركُ ذلكَ بالوجدانِ بعدَ كثرةِ قراءةِ مختلفاتِ الأشعارِ ، فإنَّكَ تجدُ لنفسِكَ مِنَ الفرحِ عندَ قراءةِ بعضِها ما لا تجدُهُ عندَ قراءةِ غيرِهِ ، واعتبرْ ذلكَ بمثل قولِ الحطيئةِ (۱): [من الوافر]

هُمُ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ مِنَ ٱلْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاؤُوا وقولِهِ (۲):

لَهُ فِي بَنِي ٱلْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا وقولِ أشجعَ (*):

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ وَإِذَا سُيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ ٱلْعِدَا بَرَقَتْ سَمَاؤُكَ لِلْعَدُقِ فَأَمْطَرَتْ وَعَلَىٰ عَدُوِّكَ يَا بْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ فَإِذَا تَنَبَّهُ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا

مِسَنُ الْأَيَّامِ مُسَطَّلِمَهُ اصَاوُوا [من الطويل] تَسَاقُطُ ماءِ ٱلْمُزْنِ فِي ٱلْبَلَدِ ٱلْقَفْرِ [من الكامل]

نَشَرَتْ عَلَيْهِ جِمَالَهَا ٱلْأَيَّامُ طَارَتْ لَهُنَّ عَنِ ٱلْفِرَاخِ ٱلْهَامُ هَاماً لَهَا ظِلُّ ٱلسُّيُوفِ غَمَامُ رَصَدَانِ ضَوْءُ ٱلصَّبْحِ وَٱلْإِظْلَامُ سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفَكَ ٱلْأَحْلَامُ

ففي هاذهِ الأبياتِ معَ جودتِها رونقٌ ليسَ في غيرِها ممَّا يجري مَجراها ؛ مِنْ صحةِ المعنى ، وصوابِ اللفظِ .

⁽۱) تقدم (٤٠٨/٣) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٧).

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٧) .

[حسن الأخذ]

هاذا ؛ وممَّا ينبغي أن نطلعَكَ عليهِ معَ ما سبقَ تتميماً لمعرفتِكَ ، ودلالةً لكَ على ما يَعترِضُكَ في الطريقِ التي تَسلكُها لمعرفةِ إنشاءِ الكلامِ نثراً ونظماً : أنَّ المعاني دائرةٌ بينَ الناسِ ، يتفاوتونَ في التعبيرِ عنها ، ومنهُ نشأَ القولُ بأنَّ الناسَ يأخذُ بعضُهُم مِنْ بعضٍ ، وتنويعُ ذلكَ الأخذِ إلىٰ حسنٍ وغيرِ حسنٍ ، فوجبَ أن نسوقَ لكَ أمثلةً مِنْ ذلكَ ؛ لتطلبَ الحسنَ ، وتجتنبَ غيرَهُ .

[أمثلةٌ في حسن الأخذِ]

قالَ أبو هلالٍ (١): ليسَ لأحدٍ مِنْ أصنافِ القائلينَ غنى عن تناولِ المعاني ممَّنْ تَقدَّمَهُم ، والصَّبِ على قوالبِ مَنْ سبقَهُم ، وللكنْ عليهِم إذا أخذوها أن يكتبوها عندَهُم ، ويبرزُوها في معارضَ مِنْ تأليفِهِم ، ويُؤدُّوها في غيرِ حليتِها الأولى ، ويزيدوا في حسنِ تأليفِها ، وجودةِ تركيبِها ، وكمالِ حليتِها ومَعرِضِها ، فإذا فعلوا ذلكَ . . فهُم أُولى بها ممَّنْ سبقَ إليها ، ولولا أنَّ القائلَ يُؤدِّي ما سمعَ ما كانَ في طاقتِهِ أن يقولَ ، وإنَّما يَنطِقُ الطفلُ بعدَ استماعِهِ مِنَ البالغينَ .

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ (١٠): (لولا أنَّ الكلامَ يُعادُ . . لَنَفَدَ) .

علىٰ أنَّ المعانيَ مُشترَكةٌ بينَ العقلاءِ ، وربَّما وقعَ المعنى الجيدُ للسُّوقيّ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٢) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٢) .

والنبطيِّ والزَّنجيِّ ، وإنَّما يتفاضلُ الناسُ في الألفاظِ ورصفِها ، وتأليفِها ونظمِها ، وقد يقعُ للمُتأخِّرِ معنىً سبقَهُ إليهِ المُتقدِّمُ مِنْ غيرِ أَن يُلِمَّ بهِ ، ولكنْ كما وقعَ للأولِ وقعَ للآخِرِ .

وهاذا أمرٌ عرفتُهُ مِنْ نفسي (١)، فلستُ أمتري فيهِ ؛ وذلكَ أنِّي كنتُ عملتُ في صفةِ النساءِ: [من الطويل]

سَفَوْنَ بُدُوراً وَٱنْتَقَبْنَ أَهِلَّةً

وظننتُ أنِّي سبقتُ إلى جمعِ هنذَينِ التشبيهَينِ في نصفِ بيتٍ ، إلى أن وجدتُهُ لبعضِ البغداديينَ ، فكَثُرَ تعجُّبي ، وعزمتُ على ألَّا أحكمَ على المُتأخِّرِ بالسَّرَقِ مِنَ المُتقدِّم حكماً حتماً .

وقد قيلَ : إنَّ مَنْ أَخذَ المعنى ، فكساهُ لفظاً مِنْ عندِهِ . . كانَ هوَ أُولَىٰ بهِ مَمَّنْ تَقدَّمَهُ .

وقالوا: إنَّ أبا عُذْرَةِ الكلامِ مَنْ سبكَ لفظَهُ على معناهُ، ومَنْ أخذَ معنى بلفظِهِ كلِّهِ أو بعضِهِ.. فذلكَ هو السارقُ ؛ كقولِ النابغةِ (١): [من الطويل] بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ وقد سبقَهُ إليهِ رَجلٌ مِنْ كندة في عمرو بن هندٍ حيثُ يقولُ (٣): [من الطويل]

هُوَ ٱلشَّمْسُ وَافَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلَتْ عَلَىٰ كُلِّ ضَوْءٍ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبُ

والحاذقُ يخفي دبيبَهُ إلى المعنى حتى يأخذَهُ في سترٍ ، فيَحكُمُ لهُ بالسَّبقِ إليهِ مَنْ يَمرُّ بهِ ، وأحدُ أسبابِ إخفاءِ السَّرَقِ : أن يأخذَ المعنى المستعملَ في

⁽١) سياق الكلام لصاحب « الصناعتين » .

⁽۲) تقدم (۳۰/۲) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٣) .

صفةِ خمرٍ فيجعلَهُ في مديحٍ ، أو مِنْ مديحٍ فينقلَهُ إلى وصفٍ مثلاً ، إلَّا أَنَّهُ لا يَكمُلُ لها ذا إلَّا المُبرِّزُ الكاملُ المُقدَّمُ ، فممَّنْ أخفى دبيبَهُ إلى المعنى وسترَهُ عايةَ السَّترِ أبو نُواسٍ في قولِهِ (١):

أَعْطَتْكَ رَيْحَانَهَا ٱلْعُقَارُ

إذ كانَ قد أُخذَهُ مِنْ قولِ الأعشى على ما قالوا: [من الكامل]

وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ كَدَمِ ٱلذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا

سُئِلَ الأعشىٰ عن (سلبتُها جِريالَها) والجِريالُ: حُمرةُ المُدامِ ، أو هيَ المُدامُ الحمراءُ ، فقلَ : شربتُها حمراءَ ، وبُلتُها بيضاءَ ، فبقيَ حسنُ لونِها في بدنى .

ومعنى : (أعطتْكَ ريحانَها العُقارُ) أي : شربتَها فانتقلَ إليكَ ، وكذلكَ قولُهُ :

لَا يَنْزِلُ ٱللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ فَدَهْرُ شُرَّابِهَا نَهَارُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ فَدَهْرُ شُرَّابِهَا نَهَارُ المنسرح]
مِنْ قولِ قيس بن الخطيم (١):

قَضَىٰ لَهَا ٱللهُ حِينَ صَوَّرَهَا ٱلْهُ حِينَ صَوَّرَهَا ٱلْهُ عَلَيْتُ أَلَّا تُحِنَّهَا ٱلسُّدَفُ

فنقلَ ذلك أبو نُواسٍ مِنْ صفةِ المرأةِ إلى الخمرِ.

وكقولِ أبي تمامٍ (٢):

جَمَعْتَ عُرَىٰ أَعْمَالِهَا بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ ٱلْأَنَابِيبَ عَامِلُ

أَعْطَتْكَ رَيْحَانَهَا ٱلْعُقَارُ وَحَسانَ مِنْ لَيْلِكَ ٱنْسِفَارُ

⁽¹⁾ انظر « ديوان أبي نواس » (ص ۹۸) ، والبيت بتمامه :

⁽٢) انظر «الصناعتين» (ص ٢٠٤).

⁽٣) انظر « ديوان أبي تمام » (١٢٢/٣) .

قيلَ: نقلَهُ إلى المدحِ مِنْ قولِ أبي حالٍ الربعيِّ في الرثاءِ ('': [من الطويل] أُولَائِكَ إِنَّ الصَّفَاءِ رُزِئْتُهُمْ وَمَا ٱلْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعُ ثُمَّ إِصْبَعُ أُولَائِكَ إِلَّا إِصْبَعُ ثُمَّ إِصْبَعُ

وكقولِ البحتريِّ (٢):

وَلَوَ ٱنَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا فِي وُسْعِهِ لَسَعَىٰ إِلَيْكَ ٱلْمِنْبَرُ

نقلَهُ إلى المدح مِنْ قولِ العرجيّ فِي الغزلِ (٢٠): [من الكامل]

لَوْ كَانَ حَيَّا قَبْلَهُنَّ ظَعَائِناً حَيَّا ٱلْحَطِيمُ وُجُوهَهُنَّ وَزَمْزَمُ

إِلَّا أَنَّهُ غيرُ خافٍ ، ثمَّ المَدارُ في حسنِ الأخذِ على أن يَشتمِلَ كلامُ الآخذِ على ما لم يَشتمِلْ عليه كلامُ المأخوذِ منه ؛ مِنْ حسنِ تركيبٍ ، أو اختصارِ عبارةٍ ، أو زيادةِ معنىً ، وتستبينُ ذلكَ فيما تراهُ مِنَ الأمثلةِ ، قالَ مسلمُ بنُ الوليدِ (١٠):

أُحِبُّ ٱلرِّيحَ مَا هَبَّتْ شِمَالاً وَأَحْسِدُهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوبَا

أَخذَهُ مِنْ قُولِ جِرانِ الْعَوْدِ (•) : [من الطويل]

إِذَا هَبَّتِ ٱلْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ وَجَدْتُ لِرَيَّاهَا عَلَىٰ كَبِدِي بَرْدَا

وقالَ أيضاً (٢): [من البسيط]

وَيُغْمِدُ ٱلسَّيْفَ بَيْنَ ٱلنَّحْرِ وَٱلْجِيدِ

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٥) .

⁽٢) انظر « ديوان البحتري » (١٠٧٣/٢) .

⁽٣) انظر « ديوان العرجي » (ص ١٩١) ، و« الصناعتين » (ص ٢٠٧) .

^{. (} 2) انظر « ديوان صريع الغواني » (2) .

⁽٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨) .

⁽٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨) .

أَخذَهُ مِنْ قولِ بعضِ الفرسانِ (١): [من الوافر]

جَعَلْتُ ٱلسَّيْفَ بَيْنَ ٱللِّيتِ مِنْهُ وَبَيْنَ سَوَادِ لِحْيَتِهِ عِذَارَا

فإغمادُ السَّيفِ أقوى مِنْ جعلِهِ عذاراً ، وقالَ أبو نُواسٍ (٢): [من الكامل] سَبْطُ ٱلْبَنَانِ إِذَا ٱحْتَبَىٰ بنِجَادِهِ غَمَرَ ٱلْجَمَاجِمَ وَٱلسِّمَاطُ قِيَامُ

يصفُ ممدوحَهُ ببسطةِ القامةِ ، فيقولُ : إنَّهُ وهوَ قاعدٌ محتبِ بنِجادِهِ يَطولُ مَنْ حولَهُ مِنَ العسكرِ وهُم قيامٌ ، وكانَ الخليفةُ إذا جلسَ مجلسَ المَهابةِ . . قاهَ يحانيه صفَّان مُمتدَّان الله مسافة منَ العسك يمشي ينفُما المارُّ اليه ،

قامَ بجانبَيهِ صفّانِ مُمتدّانِ إلى مسافةٍ مِنَ العسكرِ يمشي بينَهُما المارُّ إليهِ ، وهُما السِّماطانِ ، وكانَ يُقالُ: قالَ فلانٌ القصيدةَ الفلانيةَ ، وأنشدَها بينَ

السِّماطَينِ ، أخذَ أبو نُواسٍ قولَهُ مِنْ قولِ جريرٍ (٢): [من البسيط]

وَقَدْ أَطُولُ نِجَادَ ٱلسَّيْفِ مُحْتَبِياً مِثْلَ ٱلرُّدَيْنِيِّ هَزَّتْهُ ٱلْأَنَابِيبُ

وقالَ أيضاً في هذا المعنى (١٠):

أَشَمُّ طَوِيلُ ٱلسَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يُلَاثُ نِجَاداً سَيْفُهُ بِلِوَاءِ

أَخذَهُ مِنْ قُولِ عنترةً (أ): [من الكامل]

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْذَىٰ نِعَالَ ٱلسِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءَم

وقالَ محمدُ بنُ عطيةَ العدويُّ (٦):

مَا ٱلْعَيْشُ إِلَّا فِي جُنُونِ ٱلصِّبَا فَإِنْ تَقَضَّىٰ فَجُنُونُ ٱلْمُدَامُ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨) ، والليت : أدنى صفحتى العنق ، وعنده : (لحييه) بدل (لحيته) .

⁽Y) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٤٢) .

⁽٣) انظر « ديوان جرير » (٣٤٨/١) .

⁽٤) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٤٨) .

⁽٥) انظر « ديوان عنترة العبسى » (ص ٢١٢) .

⁽٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٩ ـ ٢١٠) .

اً تَـرَدَّىٰ بـردَاءِ ٱلْـغُـلَامْ [من الخفيف] وَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونَا [من الكامل] مَا ٱلْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ ٱلْأَوَّلِ وَحَنِينُهُ أَبَداً لِأَوَّلِ مَنْزِلِ [من الطويل] أَبَيْنَا وَقُلْنَا ٱلْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ [من الطويل] عَلَىٰ مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ [من الطويل] بخَاشِعَةِ ٱلْأَرْجَاءِ غُبْر صُحُونُهَا [من الوافر] فَخَانَ بَلاءَهُ ٱلزَّمَنُ ٱلْخَؤُونُ

رَاحٌ إِذَا مَا ٱلشَّيْخُ وَالَىٰ بِهَا قَيلَ: أَخذَهُ مِنْ قولِ حسانَ ('': إِنَّ شَرْخَ ٱلشَّبَابِ وَٱلشَّعَرَ ٱلْأَسْ وقالَ أبو تمام (''): وقالَ أبو تمام (''): نَقِّلْ فُؤَادَكَ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْهَوَىٰ كَمْ مَنْزلِ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْلَفُهُ ٱلْفَتَىٰ كَمْ مَنْزلِ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْلَفُهُ ٱلْفَتَىٰ

إِذَا مَا أَرَادَتْ خُلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا وقالَ أبو تمام أيضاً (1):

أخذه مِنْ قولِ كثير (٣):

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ

أخذَ البيتَ الأولَ مِنْ قولِ البعيثِ (°): أَطَافَتْ بِرَكْبٍ كَٱلْأَسِنَّةِ هُجَّدٍ بِ

والبيتُ الثاني مِنْ قولِ أعرابيِّ (٢): غُلَامُ وَغَى تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَى

⁽١) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضى الله عنه (٢٣٦/١) .

⁽۲) انظر « دیوان أبی تمام » (۲۵۳/٤) .

⁽٣) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٢٥٥) .

⁽٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٢٢١/١) .

⁽ \circ) lide (cycli lhas lhas) (\circ) .

⁽٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٢) .

وَكَانَ عَلَى ٱلْفَتَى ٱلْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَتِ ٱلْمَنُونُ

وقالَ في رثاءِ ولدَينِ لعبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ (١):

نَجْمَانِ شَاءَ ٱللهُ أَلَّا يَطْلُعَا إِلَّا ٱرْتِدَادَ ٱلطَّرْفِ حَتَّىٰ يَأْفِلَا إِنَّ ٱلْفَجِيعَةَ بِٱلرِّيَاضِ نَوَاضِراً لَأَجَلُّ مِنْهَا بِٱلرِّيَاضِ ذَوَابِلَا إِنَّ ٱلْفَجِيعَةَ بِٱلرِّيَاضِ نَوَاضِراً لَؤ أُمْهِلَتْ حَتَّىٰ تَكُونَ شَمَائِلَا لَهْ فِي عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْمَخَايِلِ فِيهِمَا لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّىٰ تَكُونَ شَمَائِلَا لَوْ يُنْسَأَانِ لَكَانَ هَاذَا كَاهِلَا لَوْ يُنْسَأَانِ لَكَانَ هَاذَا كَاهِلَا إِنَّ ٱلْهِلَا إِذَا رَأَيْتَ نُمُونًا أَنْ سَيَصِيرُ بَدْراً كَامِلَا إِنَّ ٱلْهِلَا إِذَا رَأَيْتَ نُمُونًا أَنْ سَيَصِيرُ بَدْراً كَامِلَا

ألمَّ في هَلْذهِ المعاني بقولِ الفرزدقِ وأجادَ ما شاءَ (۱): [من الطويل] وَجَفْنُ سِلَاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنُحْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَتْ عَلَيْهِ ٱلْبَوَاكِيَا وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِم ذُو حَفِيظَةٍ لَوَ ٱنَّ ٱلْمَنَايَا أَنْسَأَتْهُ لَيَالِيَا

ويُحكىٰ عن أبي نُواسٍ أنَّهُ كانَ يقولُ: ما زلتُ أستهجنُ قولَ الشَّاخِ (٣):

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَٱشْرَقِي بِدَمِ ٱلْوَتِينِ

وموافقةُ ذي الرُّمَّةِ إِيَّاهُ في قولِهِ (١٠):

إِذَا ٱبْنَ أَبِي مُوسَىٰ بِلَالًا بَلَغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ عَيْنَيْكِ جَازِرُ

⁽١) هو أبو تمام . انظر « ديوانه » (١١٤/٤ _ ١١٥) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٢) .

⁽٣) انظر « ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني » (ص ٣٢٣) .

⁽٤) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٠٤٢/٢) .

حتى سمعتُ قولَ الفرزدقِ (١): عَلَامَ تَلَفَّتِينَ وَأَنْتِ تَحْتِي مَتَىٰ تَردِي ٱلرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي

وَإِذَا ٱلْمَطِيُّ بِنَا بِلَغْنَ مُحَمَّداً قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْر مَنْ وَطِئَ ٱلْحَصَىٰ وقلتُ (٣):

أَقُولُ لِنَاقَتِي إِذْ بَلَّغَتْنِي فَلَمْ أَجْعَلْكِ لِلْغِرْبَاذِ نُحْلاً حَـرُمْتِ عَـلَى ٱلْأَزمَّةِ وَٱلْـوَلَايَـا

[من الوافر] وَخَيْرُ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمُ أَمَامِي مِنَ ٱلتَّهُجِيرِ وَٱلدَّبَرِ ٱلدَّوَامِي فتبعثه في قولي (٢): [من الكامل]

فَظُهُ ورُهُ نَ عَلَى ٱلرَّحَالِ حَرَامُ فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ [من الوافر]

لَقَدْ أَصْبَحْتِ عِنْدِي بِٱلثَّمِينِ وَلَا قُلْتُ ٱشْرَقِي بِدَم ٱلْوَتِينِ وَأَعْلَاقِ ٱلرَّحَالَةِ وَٱلْوَضِين

فأنتَ تراهُ قدِ اعترفَ بالمتابعةِ ، ولم يخشَ فيها معابةً ؛ لِمَا عرفتَ مِن استحسانِ سلوكِهِم تلكَ السبيلَ إذا أحسنوا وأجادوا .

وقد شَرَّفَ هاذا المعنى صلَّى الله عليهِ وسَلَّمَ حيثُ قالَ المرأةِ قالَتْ: نجوتُ على هاذهِ النجيبةِ ، ونذرتُ إن بلَّغَتْني أن أنحرَها: «بئس مَا جَزَيْتهَا » (٤)

ويُحكى (ث): أنَّ دِعْبِلاً كانَ جالساً يوماً في جماعةٍ ، فجرى ذكرُ

⁽١) انظر « ديوان الفرزدق » (٥٣٣/٢) .

⁽٢) انظر « ديوان أبى نواس » (ص ٣٤١) .

⁽٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ١٥١) .

⁽٤) رواه النسائي في « السنن الكبري » (٨٧٠٩) من حديث سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما .

⁽٥) انظر «الصناعتين» (ص ٢١٩).

أبي تمام ، فوقعَ فيهِ كما هوَ شأنُ أكثرِ المتعاصرينَ المشتركينَ في صناعةٍ ، وقالَ : إنَّه يتتبعُ معانيَ فيأخذُها ، فقالَ رجلٌ : ما مِنْ ذاكَ أعزَّكَ اللهُ ؟ فقالَ : قلتُ (١) :

وَإِنَّ ٱمْرَأً أَسْدَىٰ إِلَى بِشَافِعٍ إِلَيْهِ وَيَرْجُو ٱلشُّكْرَ مِنِّي لَأَحْمَقُ شَفِيعَكَ فَٱشْكُرْ فِي ٱلْحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ فقالَ (۲):

فَمَتَىٰ أَقُومُ بِحَقِّ شُكْرِكَ إِذْ جَنَتْ بِٱلْغَيْبِ كَفُّكَ لِي ثِمَارَ نَوَالِهِ فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطَائِهِ وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُرَّ سُؤَالِهِ وَإِذَا ٱمْرُقُ أَسْدَىٰ إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

فقالَ الرجلُ : أحسنَ واللهِ ، فقالَ دِعْبِلٌ : كذبتَ قَبَّحَكَ اللهُ ، فقالَ الرجلُ : إن كانَ سُبِقَ إلىٰ هاذا المعنى فتبعتَهُ . . لما أحسنتَ ، وإن أخذَهُ منكَ . . لقد أجادَهُ ، فصارَ أُولىٰ بهِ منكَ ، فغضبَ دِعْبلٌ وقامَ .

فانظرْ _ هداكَ اللهُ _ في مثل هذا . . يُفِدْكَ أدباً ، فأيَّ إساءةٍ أساءَ دِعْبِلٌ ؛ فإنَّ مَنْ أسدى . . يستوجبُ الشُّكرَ على أيِّ حالٍ ، ولِمَنْ أسدى بشفيع مِنَّتانِ ، وما على المحسنينَ مِنْ سبيلٍ ، وقد أظهرَ دِعْبِلٌ حماقته في قولِهِ : (أحمقُ) و(يخلقُ) ، وكانَ طبعُ دِعْبِلٍ لا يصبرُ عنِ الهجاءِ ، وبقي مُدَّةً مستخفياً يدورُ في البلادِ ؛ لهجائِهِ الملوكَ ، وكانَ يقولُ : أنا منذُ كذا وكذا أحملُ خشبتي على كتفي ؛ يعني : خشبةَ الصَّلْبِ ؛ لكونِهِ كانَ يتوقً ؛ لكونِهِ كانَ يتوقً ، ولا وقتِهِ ، لكونِهِ كانَ يتوقَعُ ذلكَ ؛ لإفراطِهِ في التشيُّع ، وذمِّهِ خلفاءَ وقتِهِ ،

⁽١) انظر « ديوان دعبل الخزاعي » (ص ١٩٣) .

⁽٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٥٩/٣ _ ٦٠) .

وأيَّ إحسانٍ أحسنَ أبو تمامٍ في سلاسةِ عبارتِهِ ، وتمامِ أدبِهِ .

وسمعَ بشارٌ قولَ المجنونِ (١):

[من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَىٰ عَصَا خَيْزُرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِٱلْأَكُفِّ تَلِينُ

فقالَ : واللهِ ؛ لو جعلَها عصاً مِنْ زبدٍ أو مخٍّ . . لَمَا أحسنَ ، ألا قالَ مثلَ ما قلتُ (٢٠) :

ما قلت .

وَحَوْرَاءُ ٱلْمَدَامِعِ مِنْ مَعَدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ ٱلْجِنَانِ إِذَا قَامَتْ بِسُبْحَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْزُرَانِ

واستهجنَ الناسُ قولَهُ : (عظامَها) .

ولمَّا قالَ بشارٌ (٣): [من البسيط]

مَنْ رَاقَبَ ٱلنَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِٱلطَّيِّبَاتِ ٱلْفَاتِكُ ٱللَّهِجُ

تبعَهُ سَلْمٌ الخاسرُ فقالَ:

مَنْ رَاقَبَ ٱلنَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِٱللَّذَّةِ ٱلْحَسُورُ

فَلَمَّا سَمِعَ بِشَارٌ هِنْذَا البِيتَ . . قَالَ : ذَهِبَ ابنُ الفَاعِلَةِ بِبِيتِي ، وَكَانَ تَلْمِنْذُهُ .

ومِنْ حسنِ الاتباعِ (''): قولُ إبراهيمَ بنِ العباسِ الصُّوليِّ: إذا كانَ للمحسنِ مِنَ الثوابِ ما يُقنِعُهُ ، وللمُسيءِ مِنَ العقابِ ما يَقمَعُهُ . . ازدادَ المُحسِنُ في الإحسانِ رغبةً ، وانقادَ المُسيءُ للحقِّ رهبةً .

⁽١) انظر « ديوان قيس بن الملوح » (ص ٢٦٤) .

⁽۲) انظر « دیوان بشار بن برد » (۲۲۰/۶) .

⁽٣) انظر « ديوان بشار بن برد » (٥٦/٢) .

⁽٤) انظر «الصناعتين» (ص ٢٢٠).

اتَّبَعَ فيهِ عليًا كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ حيثُ يقولُ: يجبُ على الوالي أن يَتعهَّدَ أمورَهُ، ويَتفقَّدَ أعوانَهُ، حتى لا يخفى عليهِ إحسانُ مُحسِنٍ، ولا إساءةُ مُسيءٍ، ثمَّ لا يتركُ واحداً منهُما بغيرِ جزاءٍ، فإن تركَ ذلكَ . . تَهاونَ المُحسِنُ، واجترأَ المُسيءُ، [وفسدَ] الأمرُ، وضاعَ العملُ .

وقالَ بعضُهُم (١):

[من الكامل]

بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَاتُهُ فِي الصَّفِّ وَأَحْتَجَتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ

أَأْقَاتِلُ ٱلْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ وقالَ نصيبٌ (٢):

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ ٱلْحَقَائِبُ

أي: ولو سكتوا . . أثنَتْ عليكَ العطايا الظاهرةُ ، وقيلَ : شهادةُ الأحوالِ أعدلُ مِنْ شهادةِ الأقوالِ .

فكتبَ مَنْ كتبَ اتباعاً لذلكَ : لو أمسكَ لساني عن شُكرِكَ . . لنطقَ أثرُكَ عليَّ .

وفي موضع آخَرَ: ولو جحدتُ إحسانَكَ . . لأكذبَتْني آثارُكَ ، ونَمَّتْ عليَّ شواهدُهُ .

وقالَ أبو نُواسٍ (٢): قُـولَا لِـهَارُونَ إِمَامِ ٱلْـهُدَىٰ

[من السريع] عِنْدَ ٱحْتِفَالِ ٱلْمَجْلِسِ ٱلْحَاشِدِ فَلَسْتَ مِثْلَ ٱلْفَضْلِ بِٱلْوَاجِدِ

أَنْتَ عَلَىٰ مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢١) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٠) .

⁽ $\boldsymbol{\gamma}$) انظر « ديوان أبي نواس » (ص $\boldsymbol{\gamma}$) .

أَنْ يَجْمَعَ ٱلْعَالَمَ فِي وَاحِدِ [من الوافر] وَجَدْتُ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا [من مخلع البسيط] دَعَا إِلَى أَكْلِهِ ٱضْطِرَارُ [من الطويل] إِلَىٰ سَيّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بسَيّدٍ [من مجزوء المتقارب] تَقَاصَرَ عَنْهَا ٱلْمَثَلُ وَسَطْ وَتُهَا لِلْأَجَلُ وَظَاهِرُهَا لِلْقُبَا الْ [من الكامل]

وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُ مَا يَمُوتُ هَزِيلًا بَدُٰلَ ٱلنَّقَالِ وَظَهْرُهَا ٱلتَّقْبِيلًا

لَيْسَ عَلَى ٱللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَخذاً مِنْ قولِ جرير (١):

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيَّ بَنُو تَمِيمٍ وقالَ ابنُ [أبى] عيينةَ (٢):

مَا كُنْتَ إِلَّا كَلَحْمِ مَيْتٍ أَخَذَهُ مِنْ قولِ الأولِ ("):

وَإِنَّ بِـقَـوْمِ سَـوَّدُوكَ لَـفَاقَـةً وقالَ إبراهيمُ بنُ العباس (١٠):

لِفَضْلِ بْنِ سَعْدٍ يَدُّ فَبَسْطَتُهَا لِلْغِنَى وَبَاطِنُهَا لِللْغِنَى وَبَاطِنُهَا لِللَّهَا لِللَّهَا لَكَا فقالَ ابنُ الروميّ (٥):

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خَصَاصَةٍ وَتَجَمُّلِ فَامْدُدْ إِلَيَّ يَداً تَعَوَّدَ بَطْنُهَا

وللكنْ قولُ إبراهيمَ: (باطنُها) و(ظاهرُها) أحسنُ مِنْ (تَعوَّدَ بطنُها).

⁽¹⁾ انظر « ديوان جرير » (1/2) ، و« الصناعتين » (1/2) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٨) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٨) .

⁽٥) انظر « ديوان ابن الرومي » (١٩٠١/٥) .

وقالَ بشارٌ (١):

اَلدَّهْ رُطَلَّاعٌ بِأَحْدَاثِ وَرُسْلُهُ فِيهَا ٱلْمَقَادِيرُ مَحْجُوبَةٌ تَنْفُذُ أَحْكَامُهَا لَيْسَ لَهَا عَنْ ذَاكَ تَأْخِيرُ

فتبعَهُ ابنُ الروميِّ حيثُ يقولُ في المدحِ (٢): [من الطويل]

يَظَلُّ عَنِ ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ بِمَعْزِلٍ وَآثَارُهُ فِيهَا وَإِنْ غَابَ شُهَّدُ كَمَا ٱحْتَجَبَ ٱلْمِقْدَارُ وَٱلْحُكْمُ حُكْمُهُ عَلَى ٱلنَّاسِ طُرّاً لَيْسَ عَنْهُ مُعَرَّدُ

قال أبو هلالٍ $^{(7)}$: إلَّا أنَّ قولَ بشار أكثرُ ماءً وطلاوةً .

وقالَ أبو تمام (١٤): [من الطويل]

وَجَدْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحْدَكَ هِمَّةً وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ ٱلنَّاسِ مَطْمَعُ

قالَ أبو هلالٍ (٥): أخذهُ البحتريُّ واختصرَهُ (٦): [من الطويل]

ثَنَىٰ أَمَلِي وَٱحْتَازَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ يَبِيتُونَ وَٱلْآمَالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ وَعَجبتُ مِنْ قولِ أبي هلالٍ ؛ فقد نزلَ البحتريُّ عن أبي تمام درجاتٍ .

فأينَ هوَ مِنْ قولِهِ: (وحدَكَ هِمَّةً) ، ومِنْ قولِهِ: (في سائرِ الناسِ) ؟! وكيفَ يقولُ: (ثنىٰ أملي واحتازَهُ عن معاشرٍ يبتونَ) ؟!

⁽۱) انظر « ديوان بشار بن برد » (٦٣/٤) .

⁽۲) انظر « ديوان ابن الرومي » (۲۰۰/۲) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣١) .

⁽٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٣٣٣/٢) .

⁽ه) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٣) .

⁽٦) انظر « ديوان البحتري » (١٣٠٣/٢) .

[من الطويل] وتبعَهُمُ ابنُ الروميّ في هـٰذا المعنى حيثُ يقولُ (١): وَقَدْ مَرَّ دَهْرٌ وَٱلْأَمَانِي وَسَاوسُ [من الخفيف] آلِفٌ لِلْحَضِيض فَهْ وَ حَضِيضُ [من الكامل] فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجِدٍّ قَاعِدِ [من الكامل] لِلّٰهِ فِي طَيِّ ٱلْمَكَارِهِ كَامِنَهُ

وَيَبْتَلِي ٱللهُ بَعْضَ ٱلْقَوْم بِٱلنِّعَم

[من البسيط]

[من الخفيف] [من الوافر]

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسِ بِأَوْجُهِ هِمْ أَوَعْدٌ أَمْ وَعِيدُ

بهِ صَدَّقَ ٱللهُ ٱلْأَمَانِي حَدِيثَهَا وقالَ أبو تمام (٢):

هِمَّةٌ تَنْطَحُ ٱلنُّجُومَ وَجِلٌّ وتبعَهُ البحتريُّ فلمْ يُسِعْ (٢):

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْم قَائِم وقالَ أبو العتاهيةِ (١٠):

كَمْ نِعْمَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِشُكْرِهَا فتبعَهُ أبو تمام بقولِهِ (٥):

قَدْ يُنْعِمُ ٱللهُ بِٱلْبَلْوَىٰ وَإِنْ عَظُمَتْ للكنَّهُ وإن زادَ فقولُ أبي العتاهيةِ أجملُ .

وقالَ أبو تمام (١٠):

رَافِعاً كَفَّهُ لِبرِّي فَمَا أَحْ سِبُهُ جَاءَنِي لِغَيْر ٱللِّطَام أخذَهُ البحتريُّ فأوضحَهُ وأحسنَ العبارةَ عنهُ (٧):

⁽١) انظر « ديوان ابن الرومي » (١٢٢٤/٣) .

⁽٢) انظر « ديوان أبى تمام » (٢٨٩/٢) .

⁽٣) انظر « ديوان البحترى » (٥٠٧/١) .

⁽٤) انظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٢٥٠) .

⁽٥) انظر « ديوان أبي تمام » (٢٨٠/٣) .

⁽٦) انظر « ديوان أبي تمام » (٢١٠/٣) .

⁽٧) انظر « ديوان البحتري » (٥٨١/١) .

وقالَ عربيٌّ (١):

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ٱبْنَيْ هُتَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو ٱلسَّلِيبَ إِزَارَهُ العاندُ: الدمُ الشديدُ الخروجِ ، فأخذَهُ البحتريُّ وقالَ ('`: [من الكامل] سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ ٱلدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا على أَنَّ (محمرةً) حشوٌ ، وكفاكَ هاذا القدرُ مُنبِّهاً على اعتبارِ أمثالِهِ على أَنَّ (محمرةً) حشوٌ ، وكفاكَ هاذا القدرُ مُنبِّها على اعتبارِ أمثالِهِ

[أمثلةٌ في قُبح الأخذِ]

وهاكَ أمثلةً لقبيحِ الأخذِ: فمِنْ ذلك له لو لم يكنْ مِنْ تواردِ الخواطرِ _ وهاكَ أمثلةً لقبيحِ الأخذِ: [من الطويل]

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ

أخذاً مِنْ قولِ امرئ القيسِ بتغييرِ القافيةِ (١٠): [من الطويل]

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ

وقولُ الفرزدقِ (*) : [من الطويل]

أَتَرْجُو رَبِيعٌ أَنْ تَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَبِيعاً كِبَارُهَا

مِنْ قولِ البعيثِ (٦٠): [من الطويل]

أَتَرْجُو كُلَيْباً أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُلَيْباً قَدِيمُهَا

[عن] قراءةِ الأشعار ، متى كنتَ مُستحضِراً .

⁽¹⁾ انظر « الصناعتين » (ص 777) ، وفيه : (إزارها) بدل (إزاره) .

⁽۲) انظر « ديوان البحتري » (۷٦/۱) .

⁽٣) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٦).

⁽⁴⁾ انظر « ديوان امرئ القيس » (0) .

⁽٥) انظر « ديوان الفرزدق » (٤٤٧/١) .

⁽٦) انظر « ديوان البعيث المجاشعي » (ص ٩٢) .

رِو بن العلاءِ وقد سُئِل عنِ الشاعرَينِ	
ألسنتِها .	يَتَّفقانِ (١): عقولُ رجالٍ توافَتْ على أ
روى : أنَّهُ لمَّا أنشدَ عمرُ بنُ أبي ربيعة	وفي تحقيقِ تواردِ الخواطرِ (٢): يُر
	عبدَ اللهِ بنَ العباسِ رضيَ اللهُ عنهُما ق
	تَـشِطُّ غَـداً دَارُ جِـيـرَانِـنَـا
	سبقَهُ لتتميمِ البيتِ فقالَ :
وَلَـلدَّارُ بَـعْد غَـدٍ أَبْعَد	
لكذا ينبغي أن يُقالَ .	فقالَ عمرُ : هاكذا قلتُ ، فقالَ : ه
جلسَ هشامٍ أو غيرِهِ وعديُّ بنُ الرقَّاعِ	وإنَّ جريراً والفرزدقَ حضرا مَرَّةً م
[من الكامل]	يُنشِدُ قصيدتَهُ التي أوَّلُها ("):
	عَرَفَ ٱلدِّيَارَ تَوَهُّماً فَأَعْتَادَهَا
فلمَّا وصلَ إلىٰ قولِهِ في صفةِ الغزالةِ وابنِها :	
	تُــزْجِــي أَغَــنَّ كَــأَنَّ إِبْــرَةَ رَوْقِــهِ
فقالَ الفرزدقُ لجريرٍ : ماذا تُراهُ يقولُ ؟	
فرزدقُ : إنَّهُ يقولُ :	فقالَ جريرٌ : أراهُ يستلبُ مثلاً ، قالَ الن
قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ ٱلدَّوَاةِ مِدَادَهَا	
مَّ البيتَ هاكذا قالَ جريرٌ : لقد	فامّاء ادّ ع بيِّ الإنشاد وأتّ
<i>y</i> ,	عمد عد عدي عراساد وا

عَـرَفَ ٱللِّيَارَ تَوَهُّماً فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ ٱلْبِلَىٰ أَبْلَادَهَا

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٥) .

⁽۲) انظر « الصناعتين » (ص ۲۳٦) .

⁽٣) انظر « ديوان عدي بن الرقَّاع » (ص ٨٢) ، والبيت بتمامه :

حسدتُ الفرزدقَ على إدراكِهِ فوقَ ما حسدتُ عديّاً على شعرِهِ .

ومثلُ ذلك وقع كثيراً ، سيَّما في الأشعارِ المحكمةِ التي تُنبِئ صُدورُها عن أعجازها .

وخطبَ النابغةُ بينَ يدَيِ النعمانِ ، فقالَ يُفضِّلُهُ على ملكِ غسانَ ('): أيفاخرُكَ ابنُ جفنةَ ؟! واللَّاتِ ؛ لأَمْسُكَ خيرٌ مِنْ يومِهِ ، ولَقَذالُكَ أحسنُ مِنْ وجهِهِ ، ولَيسارُكَ أسمحُ مِنْ يمينِهِ ، [ولعبيدُكَ أكثرُ] مِنْ قومِهِ ، ولَنفسُكَ أكبرُ مِنْ [جندِهِ] ، ولَيومُكَ أشرفُ مِنْ دهرِهِ ، ولَوعدُكَ أنجزُ مِنْ رفدِهِ ، ولَهزلُكَ مِنْ [جندِهِ] ، ولَيومُكَ أشرفُ مِنْ دهرِهِ ، ولَوعدُكَ أنجزُ مِنْ رفدِهِ ، ولَهزلُكَ أضربُ مِنْ جِدِّهِ ، ولَكرسيُّكَ أرفعُ مِنْ سريرِهِ ، ولَفِترُكَ أبسطُ مِنْ شبرِهِ ، ولَأُمُّكَ خيرٌ مِنْ أبيهِ .

فَأَخَذَ الشَّعَرَاءُ قُولَ النَّابِغَةِ: (ولَقَذَالُكَ أَحَسَنُ مِنْ وجَهِهِ)، قَالَ أَبُو نُواسٍ (٢):

..... بَذَّ حُسْنَ ٱلْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَاكا

[من الكامل]

أُفُتِ ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ تَعَلَّىٰ أُفُتِ ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ تَعَلَّىٰ أُفُتِ ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ تَدلَّىٰ وَأَرَىٰ شَبِيهَ هُمَا أَجَلَّا وَقَفَا ٱلْحَبيبِ إِذَا تَولَّىٰ وَقَفَا ٱلْحَبيبِ إِذَا تَولَّىٰ

وقالَ عبدُ الصَّمدِ بنُ المعذلِ ("): لَــمَّــا رَأَيْــتُ ٱلْــبَــدُرَ فِــي وَرَأَيْـتُ قَــرْنَ ٱلــشَّـمْـسِ فِــي شَـــبَّــةُ ذَاكَ وَهَاذِهِ وَجُــهُ ٱلْـحَـبِيبِ إِذَا بَــدَا

⁽۱) انظر «الصناعتين» (ص ٢٣٧).

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٧) ، والبيت بتمامه : بِــأَبِــي أَنْـــتَ مِــنْ مَـلِيــحٍ بَـدِيـعِ بَـنَّ حُسْنَ ٱلْــوُجُــوهِ حُسْنُ قَفَاكَا

⁽٣) انظر « ديوان عبد الصمد بن المعذِّلُ » (صَّ ١٥٣) .

قالَ أبو هلالٍ (١٠): لا يَحسُنُ أن يُقالَ للرجلِ : قَفاكَ حالُهُ كذا وكذا . فعبارةُ النابغةِ أحسنُ .

وسمعَ الحسنُ بنُ وهبٍ قولَ أعرابيّ : جمعَتْني وإيَّاها ظلمةُ الليلِ ، وكانَ البدرُ يُزيِّنُها ، فلمَّا غابَ . . أرتْنيهِ ، فقالَ (٢) :

أَرَانِي ٱلْبَدْرُ سُنَّتَهَا عِشَاءً فَلَمَّا أَزْمَعَ ٱلْبَدْرُ ٱلْأُفُولَا أَرَتْنِيهِ بِسُنَّتِهَا فَكَانَتْ مِنَ ٱلْبَدْرِ ٱلْمُنَوَّرِ لِي بَدِيلَا

فأساءَ بالإطالةِ والتكريرِ وسوءِ العبارةِ ، فقد فاتَهُ قولُ الأعرابيِّ : وكانَ البدرُ يزينُها .

وقالَ البحتريُّ (٣):

أَضَرَّتْ بِضَوْءِ ٱلْبَدْرِ وَٱلْبَدْرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ ٱلْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا قَالَ أبو هلالٍ (١٠): زادَ البحتريُّ على الأعرابيّ في قولِهِ: (أضرَّتْ) .

قلتُ : ولم يصبْ ، فليسَ قولُهُ : (أَضرَّتْ) واقعاً مِنَ الحسنِ موقعَ قولِ الأعرابي .

وسمعَ بعضُهُم قولَ محمودٍ الوراقِ (*):

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ ٱللهِ نِعْمَةً عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ ٱلشُّكْرُ وَالشُّكْرُ وَالشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ ٱلْأَيَّامُ وَٱتَّصَلَ ٱلْعُمْرُ

[من الطويل]

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ۲۳۸).

^{. (} Υ) (Υ) (Υ) .

⁽٣) انظر « ديوان البحتري » (١٩٧/١) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨) .

⁽٥) انظر « ديوان محمود الوراق » (ص ١٢١) .

وَإِنْ مَسَّ بِٱلضَّرَّاءِ أَعْفَبَهُ أَجْرُ تَضِيتُ بِهَا ٱلْأَوْهَامُ وَٱلْبَرُّ وَٱلْبَحْرُ [من البسيط]

ٱلْـحَـمْـدُ لِللهِ إِنَّ ٱللهَ ذُو نِـعَـم لَمْ يُحْصِهَا عَدَداً بِٱلشُّكْرِ مَنْ حَمِدَا شُكْرٌ يَكُونُ فَمَا لِلشُّكْرِ فِيهِ مَدَىٰ شُكْري لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَيَّ لَهُ

وقالَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ: قيمةُ كلّ امرئ ما يُحسِنُهُ ، فقالَ ابنُ طباطبا العلويُّ (۲): [من الطويل]

فَقِيمَةُ كُلِّ ٱلنَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ فَيَا لَائِمِي دَعْنِي أُغَالِي بِقِيمَتِي

وقالَ آخَرُ: [من المتقارب]

فَقِيمَةُ كُلِّ ٱمْرِئَ عِلْمُهُ

فأساءَ كلُّ ، وإساءةُ الأوَّلِ أشدُّ ؛ فإنَّ قولَهُ : (كلُّ الناسِ) ليسَ كقولِهِما : (كلُّ امرئً) .

وقالَ عربيٌّ (٢): [من الوافر]

كَمَا يَدْنُو ٱلْمُصَافِحُ لِلْعِنَاقِ دَنَوْتُ لَـهُ بِأَبْيَضَ مَـشْرَفِيّ

فأساءَ في أخذِهِ أبو تمام حيثُ يقولُ (١٠): [من البسيط]

بأنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقًا إِلَىٰ وَطَن حَنَّ إِلَى ٱلْمَوْتِ حَتَّىٰ ظَنَّ جَاهِلُهُ

إِذَا مَـسَّ بِٱلـسَّـرَّاءِ عَـمَّ سُـرُورُهُ

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ

فقالَ وأساءَ (١):

⁽١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨) .

⁽٢) انظر « ديوان ابن طباطبا » (ص ١٢٦) .

⁽٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٩) .

⁽٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١٤٠/٤) .

وأحسنَ البحتريُّ أخذَهُ في قولِهِ ('':

تَسَرَّعَ حَتَّىٰ قَالَ مَنْ شَهِدَ ٱلْوَغَىٰ لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَائِبِ
وقالَ ذو الرُّمةِ (''):

[من الطويل]

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ ٱلْعَرُوسِ ٱدَّرَعْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ وَٱلشَّخْصُ فِي ٱلْعَيْنِ وَاحِدُ أَحَمُّ عِلَافِيٌّ وَأَبْيَضُ صَارِمٌ وَأَسْمَرُ خَطِّيٌّ وَأَبْيَضُ مَاجِدُ فأساءَ في أخذِهِ أبو تمام في قولِهِ (*):

اَلْبِيدُ وَٱلْعِيسُ وَٱللَّيْلُ ٱلتَّمَامُ مَعاً ثَلَاثَةٌ أَبَداً يُـقْرَنَّ فِي قَرَنِ الْبِيدُ وَٱلْعِيسُ وَٱللَّيْلُ ٱلتَّمَامُ مَعاً ثَلَاثَةٌ أَبِالًا يُحداً يُحدُّ فِي قَرَنِ

فقولُهُ: (والليلُ التمامُ معاً) ، وقولُهُ: (ثلاثةٌ أبداً) ، وقولُهُ: (يقرنَّ في قرنِ) . . كلُّها عباراتٌ قبيحةٌ .

وأجادَ البحتريُّ الاتباعَ بعضَ الإجادةِ في قولِهِ (ف ف في قولِهِ المناعِ الم

قَوْمٌ تَرَىٰ أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ ٱلْكِتْمَانِ

فقصرَ عن أصلِهِ ؛ وهوَ قولُ عمرِو بنِ معديكربَ (١٠): [من الكامل]

وَٱلضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُرْهَفٍ وَٱلطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ ٱلْأَضْغَانِ

⁽۱) انظر « ديوان البحتري » (۱۷۸/۱) .

⁽٢) انظر « ديوان ذي الرمة » (١١٠٨/٢ _ ١١٠٩) .

⁽٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٣٣٨/٣) .

⁽٤) انظر « ديوان البحتري » (1777) .

⁽٥) انظر « ديوان البحتري » (٢٣٦٥/٤) .

⁽٦) تقدم (٦٢/٢) .

فقولُهُ: (مجامعَ الأضغانِ) أجودُ مِنْ قولِهِ: (مواطنَ الكتمانِ) لأنّهُم إنّما يطاعنونَ الأعداءَ مِنْ أجلِ أضغانِهِم، فإذا وقع الطّعنُ في موضعِ الضّغْنِ.. فذاكَ المرادُ، وقالَ البحتريُّ أيضاً (١):

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فَلَوَ ٱنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ مَنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فَعَلِ المجهولِ ؛ أي: منعَها أهلُها، وكذلكَ (بُذِلَتْ) أي: لو بذلُوها، فقَصَّرَ فيهِ عن قولِ عبدِ الصَّمدِ بنِ المُعذِلِ لاختصارِهِ وظهورِ

ظَـبْيُ كَـأَنَّ بِـخَـصْرِهِ مِـنْ دِقَّـةٍ ظَـمَاً وَجُـوعَـا وَمِـنَ ٱلْـبَـلِـيَّـةِ أَنَّـنِـي عُلِّـقْتُ مَـمْنُـوعاً مَنُـوعاً وَغِيرُ حسن قولُهُ: (ظمأً وجوعاً).

[من مجزوء الكامل]

وقد يتفقُ الشاعرانِ الآخذُ والمأخوذُ منهُ في سوءِ العبارةِ ؛ كقولِ ابنِ أذينةَ (٣):

كَأَنَّـمَا عَائِبُ هَا دَائِبًا ﴿ زَيَّنَهَا [عِنْدِي] بِتَزْيِينِ وقولِ أبي نُواس (١٠):

كَأَنَّهُمْ أَثْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِأَلَّذِي عَابُوا

وربَّما اتفقا في الإجادةِ ؛ كقولِ أعرابيٍّ (ث) : وربَّما اتفقا في الإجادةِ ؛ كقولِ أعرابيٍّ فَ فَنَمَّ عَلَيْهَا ٱلْمِسْكُ وَٱللَّيْلُ عَاكِفُ

المعنى فيه (٢):

⁽۱) انظر « ديوان البحترى » (۱۷٤۲/۳) .

⁽٢) انظر « ديوان عبد الصمد بن المعذِّل » (ص ١٣٥) .

⁽۳) انظر « الصناعتين » (ص (۲٤۱) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤١) .

⁽٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤١) .

وقولِ البحتريّ (١):

وَحَاوَلْنَ كِتْمَانَ ٱلتَّرَحُّل فِي ٱلدُّجَيٰ وقالَ أيضاً (٢):

فَكَانَ ٱلْعَبِيرُ بِهَا وَاشِياً وزاحمَهُما المتنبي بقولِهِ (٢):

قَلَقُ ٱلْمَلِيحَةِ وَهْيَ مِسْكٌ هَتْكُهَا

فجمعَ شيئينِ كما فعلَ البحتريُّ في بيتِهِ الثاني ، وللكنَّهُ سقطَ في أسفلِ

وقالَ عربيٌّ (١٠):

حَرَامٌ عَلَىٰ أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدْبر مُسَلَّمَةٌ أَعْجَازُ خَيْلِيَ فِي ٱلْوَغَىٰ

وقالَ أبو تمام (٥):

أُنَاسٌ إِذَا مَا ٱسْتَحْكَمَ ٱلرَّوْعُ كَسَّرُوا

فأحسنا جميعاً.

ومِنْ وادي هاذا الكلام قولُ بعضِهِم (٢):

يَلْقَى ٱلسُّيُوفَ بِوَجْهِهِ وَبِنَحْرِهِ

فَنَمَّ بِهِنَّ ٱلْمِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا [من المتقارب] وَجَوْسُ ٱلْحُلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيبَا

[من الكامل]

[من الطويل]

وَمَسِيرُهَا فِي ٱللَّيْلِ وَهْيَ ذُكَاءُ

[من الطويل]

وَتَنْدَقُّ قِدْماً فِي ٱلصُّدُورِ صُدُورُهَا مُكَلَّمَةٌ لَبَّاتُهَا وَنُحُورُهَا

[من الطويل]

صُدُورَ ٱلْعَوَالِي فِي صُدُورِ ٱلْكَتَائِبِ

[من الكامل]

وَيُقِيمُهَا مِنْهُ مُقَامَ ٱلْمِغْفَر

⁽۱) انظر « ديوان البحترى » (۱۲٦٣/۲) .

⁽۲) انظر « ديوان البحتري » (۱۵۰/۱) .

⁽٣) انظر « ديوان المتنبى » (ص ٩٣) .

⁽٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

⁽٥) انظر « ديوان أبي تمام » (٢٠٧/١) ، و« الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

⁽٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

وَيَقُولُ لِلطِّرْفِ ٱصْطَبِرْ لِشَبَا ٱلْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكُنَ ٱلْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقَرِ

وفي قولِهِ: (ويقيمُها) استخدامٌ ؛ فإنَّ الكناية لسيوفِ الممدوحِ .

وقولُ أبي بكرِ بنِ النطَّاحِ (١):

يَتَلَقَّى ٱلنَّدَىٰ بِوَجْهٍ حَيِيٍّ وَصُدُورَ ٱلْقَنَا بِوَجْهٍ وَقَاحِ

وهاذا كلُّهُ مأخوذٌ مِنْ قولِ كعبِ بنِ زهيرٍ (١): [من البسيط]

لَا يَقَعُ ٱلطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمُ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ ٱلْمَوْتِ تَهْلِيلُ

أو مِنْ قولِ حسَّانَ (٣):

وَلَسْنَا عَلَى ٱلْأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدَّمَا

هـٰذا ما أردتُ نقلَهُ مِنْ كتابِ أبي هلالٍ ، فاستوعِهِ .

تتم المحب لّدالثّالث ويليه المحب لّدالرّابع ، وأوّله .. (نفدالشّعر)

⁽۱) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

⁽٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣) .

⁽⁷⁾ انظر « خزانة الأدب » ((8.0 / 2)) ، وهو للحصين بن الحمام ، وقد تقدم ((8.0 / 2) - (8.0 / 2)) ضمن أرات ،

محتوى المحب لّدالثّالث

٧	المقصد الرابع: في الكتابة وقرض الشعر والإنشاء
٩	الكتابة
١١	ـ تعريف الكتابة
	الباب الأول: في الهمزة والألف ونون التوكيد والتنوين ، ونون إذاً ، وهاء
۱۲	التأنيث
۱۲	_ الكلام على الهمزة
۱۲	_ أحوال الهمزة من حيث الرسم
۱۳	تنبيه: في رسم الهمزة الواقعة بعد همزة الاستفهام
١٤	ـ رسم الهمزة الواقعة آخر الكلمة
۱۷	_ الكلام على الألف
19	ـ الكلام علىٰ نون التوكيد ونون (إذاً) والتنوين
۲.	_ الكلام علىٰ هاء التأنيث
۲۱	الباب الثاني: في زيادة حروف
۲۱	ـ مواضع زيادة الألف
۲۱	ـ مواضع زيادة الواو
۲۱	ـ مواضع زيادة هاء السكت

الباب الثالث: في حذف بعض الحروف٢٢
_ مواضع حذف الهمزة
_ مواضع حذف همزة الوصل ٢٣
_ مواضع حذف الألف
_ مواضع حذف ياء المنقوص٢٦
_ مواضع حذف الواو٢٦
ـ مواضع حذف اللام
_ مواضع حذف التاء
_ مواضع حذف النون٢٦
الباب الرابع: في وصل بعض الكلم ببعض على خلاف الأصل الذي هو
الفصل ليناسب الخط اللفظ
- وصل (ما) بما بعدها وضابط الوصل
كت بنه الإنشاء
_ إضاءة على كتابة الإنشاء
ـ طريقتان لتعلم الإنشاء
- حصر تعلم الإنشاء في جهات ثلاث
الجهة الأولى: فيما يجب تحصيله على من يريد أن يكون كاتباً حسب ما
كانت تقتضيه أحوال الأزمنة السالفة٣٦

- إجادة النحو
- تحصيل علوم البلاغة
- حفظ القرآن الكريم
ـ الإكثار من حفظ صحاح الأحاديث
ـ قراءة التاريخ مع الاعتبار
_ معرفة الأمثال العربية
• ذكر بعض الأمثال العربية
* إن من البيان لَسِحْراً
* إِنَّ المُنْبِتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى
* إِنَّ المُوَصَّيْنَ بِنُو سَهُوان ٤٢
* إنَّ المعافىٰ غيرُ مخدوع
* إِنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلح
* إِنَّ الدواهيَ في الآفاتِ تهترسُ
* إنَّ العصا من العُصيَّة
* إِنَّ البِلاءَ مُوكَّلٌ بِالمنطق
* أُمٌّ فرَشَتْ فأنامَتْ ٤٩
* إذا تَرضَّيتَ أخاكَ فلا أخا لكَ
* أَنْ تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيسُ ٤٩
* إحدىٰ حُظَيَّات لقمانَ
* إنَّكَ خيرٌ من تفاريقِ العصا
* إنَّما يُعاتَبُ الأديمُ ذُو البشرة ٥٣

* إِنَّ العصا قُرِعت لذي الحِلْم
* أنا النذيرُ العُرْيانُ
* إِيَّاكِ أَعني واسمعي يا جارة
* إِنَّ عَداً لِناظرِهِ قريب
* إِنَّ أَخَاكَ مَن آساكَ
* أَلَا مَن يشتري سهراً بنوم ٦٥
* إِنْ كَنْتَ كَذُوبًا فَكُنْ ذَكُورًا
* إذا اشتريتَ فاذكرِ السُّوقَ
* بِلَغَ السَّيلُ الزُّبِيٰ
* بخِ بخِ ساقٌ بخَلْخال
* أَبِلُغُ مِّن قُسِّ ٢٨
 * أبخلُ مِن مادرٍ
* تجوع الحُرَّة ولا تأكل بثدييها٧٣
* تطلبُ أثراً بعدَ عينٍ ٧٤
* تسمعُ بالمُعَيديِّ خيرٌ من أن تراه٧٦
* ترى الفتيان كالنخل وما يُدريك ما الدَّخْل
* تعِسَتِ العَجَلة
* تجمعينَ خِلابةً وصُدوداً
* أَتْيَهُ من فقيدِ ثقيف
* أَتْيَهُ من أحمقِ ثقيف٨٥
* ثُكُلٌ أرأمها ولداً

* جَرْيُ المُذكِّياتِ غِلاب
* جاورينا وٱخبُرينا٨٨
* جدعَ الحلالُ أنفَ الغَيْرة
* جَوِعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ
* أجناؤُها أبناؤُها
* الجَرْعُ أروىٰ والرشيفُ أنقع
* الجارُ ثمَّ الدَّارُ
* جفَّ حِجْرِكِ وطاب نشركِ ، أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قِمْشاً ٩١
* حرِّك لها حُوَارَها تحنُّ
* حسبُكَ من شرٍّ سماعُهُ ٩٢
* حِلْمي أصمُّ وأُذني غيرُ صمَّاء٩٣
* حسبُكَ مِن غِنىً شِبعٌ ورِي٩٣
الحديث ذو شُجونٍالحديث ذو شُجونٍ
* الحزم حفظُ ما كُلِّفتَ وتركُ ما كُفيتَ ٩٥
* خُذِ الأمرَ بقوابلِهِ ٩٥
* خطبٌ يسير في خطبٍ كبير ٩٥
* الدِّينُ النصيحةُ
* رُبَّ أَخٍ لك لم تلده أمك
* رُبَّ عجلةٍ تَهَبُ رَيْثاً
* رُبَّ ساعٍ لقاعد * *
* رُبَّ زارعٍ لنفسه حاصدٌ سواه

	١٠٨	* زينبُ سترة
000	١٠٨	* زُرْ غبّاً تزدَدْ حبّاً
	11	* زوجٌ من عود خيرٌ من قعود
	117	* سقطَ العَشاءُ به على سِرْحان
0	117	* أساءَ سمعاً فأساءَ جَابةً
	118	
	117	
	\\\\	* اسعَ بجَدِّك لا بكَدِّك
	11A	
000	17	
	171	* صارتِ الفتيانُ حُمَماً
	177	* صُغراهُنَّ شُرَّاهُنَّ
	178 371	* صحيفةُ المُتلمِّس
	١٢٨	9
	179	
	١٣٠	
~	177	* عندَ جُهينةَ الخبرُ اليقين
	144	* العاشية تُهيِّجُ الآبية
	١٣٦	* في بيته يُؤتَّى الحَكَم
TOTO TO	١٣٨	* في سبيلِ الله سَرْجي وبغلي
SHORT SHOW	١٣٩	
	**************	EVV

١٤٠	* قد أنصفَ القارة مَن راماها
181	
	* كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبة
٤٦	 * كلُّ شاةٍ برِجْلها معلَّقة
٤٨	* كلاهُما وتمرأ
0	
101	* لا ماءَكِ أبقيتِ ولا حركِ أنقيتِ
١٥٣	* لا يكن حبُّك كَلَفاً ولا بغضُك تَلَفاً
٥٣	* لا ناقتي في هاذا ولا جملي
100	* لا تراهن على الصَّعبةِ ولا تُنشِدِ القريضَ حتىٰ يحيل
ιολ	* لا غزوَ إلا التعقيبُ
١٦٠	* لا تجزعَنْ من سُنَّةٍ أنت سِرْتَها
٠٦٢	* ما وراءَكِ يا عصامُ
١٦٤	* مقتلُ الرجلِ بين فكَّيهِ
٠٦٧ ٧٢	* مَن صدقَ الله نجا
١٦٨	* منكَ أَنْفُكَ وإن كانَ أجدع
١٧٠	* مَن يَرَ يوماً يُرَ به
١٧١	* مَن يشتري سيفي وهاذا أثره
٧٢	* انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
٧٥	* ويلٌ للشَّجيّ من الخَلِيّ
	د د د د د د د د د د د د د د د د د د د

Concernment of the concernment

٠٠٠٠ ٢٧٦	* هلمَّ جرّاً
\ v v	* يسارُ الكواعب
١٧٩	• نخب من كلام الفصحاء والبلغاء
١٧٩	ـ من كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه
· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	• أرجوزة ابن حجَّة الحموي
110	 وظائف مريد صناعة الإنشاء
(17	نبذة من أشعار « ديوان الحماسة »
187	- نبذة من أشعار الرثاء من « ديوان الحماسة »
10A	- نبذة من أشعار الأدب والفضائل من « ديوان الحماسة »
178	- نبذة من أشعار النسيب من « ديوان الحماسة »
'AA	- نبذة من أشعار الهجاء من « ديوان الحماسة »
197	- نبذة من أشعار المديح من « ديوان الحماسة »
*•٦	- نبذة من أشعار الصفات من « ديوان الحماسة »
*A	- نبذة مما قيل في السير والنعاس من « ديوان الحماسة »
~11	ـ ذكر طرف من باب الملح
~\V	فنّ القريض
~19	ـ قرض الشعر
· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	ـ البلاغة
~ ~	* حد البلاغة عند ابن المقفع
.	* حد البلاغة عند حكيم الهند

		 * حد البلاغة عند بعضهم • إيجاز القصر
		<u>c</u>
٣٧٢		. المساواة
٣٧٥		. إيجاز الحذف
٣٧٩		الإطناب
۳۸۷		مبادئ الكلام ومقاطعه
		القول في الفصل والوصل
		. حسن المقطع وجودة الفاصلة
		* ذكر شيء مما عيب من القوافي
٤١٧		 تمييز الكلام جيده من رديئه
٤٢٦		 « مدار البلاغة على تحسين اللفظ - خطأ المعاني وصوابها
ξΨV		* مرجع أسباب الخطأ في المعاني
£ £ Y Y 33		. حسن النظم وجودة الرصف والس
٤٤٩		. حسن الأخذ
٤٤٩		* أمثلة في حسن الأخذ
٤٦٣		* أمثلة في قبح الأخذ
	* *	3
٤٧		ىحتوى المجلد الثالث